

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 39 JULY-AUGUST 1980.

العدد (٣٩) ـ رمضان ١٤٠٠ هـ السنة الرابعة ـ تموز (يوليو) / آب (أغسطس) ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم



الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

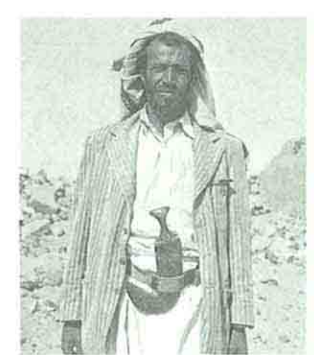
رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٣٩) رمضان ١٤٠٠هـ السنة الرابعة تموز (يوليو) / آب (اغسطس) ١٩٨٠م

هذا العدد



★ حين أخذت الدولة الإسلامية صناعة النسيج من اليونان والرومان ، أخذتها لتصبغها بطابعها وشخصيتها ، وتطورت صناعة النسيج بحيث أصبحت صناعة ذات طابع إسلامي . طالع ص (١١٧) ★





★ تظل مدينة صنعاء عاصمة اليمن الشمالي الشقيق مصدراً غنياً بالصور التاريخية والفنية والبيئية ، ذلك أنها من المدن القديمة ، إن لم تكن أقدم مدينة . طالع ص (٣٥) ★

★ على الرغم من أن إمكانية قيام الإنسان برحلات إلى مختلف الكواكب في الفضاء إلا أن هناك شيئاً ما زال بعيد المنال عن الكثير منا . طالع ص (٧٥) ★



عبد الله بلخير

★ من مواليد عام ١٣٣٣ هـ .

★ عمل بوزارة المالية ، كما عمل بالشعبة السياسية في ديوان الملك عبد العزيز رحمه الله ، ثم عمل رئيساً لمكتب الجامعة العربية والمؤتمرات الدولية في الديوان نفسه ، ثم رئيساً لديوان إمارة الرياض ، ثم معاوناً لرئيس ديوان سمو ولي العهد وسكرتيراً خاصاً له ، ثم مديراً عاماً للإذاعة والصحافة والنشر ، ثم وزيراً للإعلام ، فكان أول وزير للإعلام في المملكة .

★ قام بعدد من الرحلات التاريخية بصحبة الملك عبد العزيز والملك سعود رحمها الله .

★ له كتاب « وحي الصحراء » نشره منذ خمسين عاماً بالاشتراك مع صديق له ، وله أبحاث ومقالات نشرتها الصحافة .

★ يجيد اللغة الإنجليزية إلى جانب لغته العربية الأصل .

★ يعمل حالياً متفرغاً لأعماله الخاصة ، وللمطالعة والتأليف .



عيسى الجراجرة

● من مواليد مدينة « الكرك » جنوبي الأردن عام ١٩٣٧ م .

● ليسانس آداب – قسم تاريخ .

● دبلوم الدراسات العليا في التربية وعلم النفس .

● دورات ودراسات في المكتبات والتوثيق ، وأساليب التعليم الثانوي .

● عمل في حقل التدريس فترة من الزمن .

● عمل رئيساً لقسم الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم الأردنية .

● عمل في وزارة الثقافة والشباب رئيساً لقسم الدوريات ، ورئيساً لتحرير المجلات الثقافية مثل مجلة « أفكار » ، ومجلة « الشباب » .

● كما عمل رئيساً لقسم نشر الإنتاج الثقافي وتوزيعه .

● يعمل حالياً مساعداً لمدير عام المكتبات والوثائق الوطنية بوزارة الثقافة والشباب .

● عضو رابطة الكتّاب الأردنيين .

● له عدد من الكتب المعدة للنشر في القصة القصيرة ، والأمثال ، والنقد ، والفنون التشكيلية .

● اشترك في عدد من المؤتمرات الأدبية .

المكيشي أحمد

● من مواليد الرباط – في المغرب .

● بكالوريوس الآداب العصرية .

● يجيد اللغتين الفرنسية والإسبانية .

● نشرت له بعض المقالات والأبحاث في صحافة بلده ، وفي الصحافة العربية .

● يتابع حالياً دراسته العليا – تخصص شعبة الإدارة العامة بالمدرسة الوطنية للإدارة العمومية بالرباط .

محمد الحسيني عبد العزيز



● من مواليد شبراخيت – مصر ١٩٢٥ م .

● ماجستير آثار إسلامية – جامعة القاهرة ١٩٥٤ م .

● متخصص في العمارة والفنون الإسلامية .

● يشغل حالياً مساعد مدير العلاقات العامة ، وزارة الداخلية المصرية .

● اشترك في عدة مؤتمرات في فرنسا وإنجلترا ، وحضر مهرجان العالم الإسلامي في لندن عام ١٩٧٦ م .

● مؤلفاته :

– دراسات في العمارة والفنون الإسلامية .

– الحياة العلمية في الدول الإسلامية .

– حضارة الكويت ودول الخليج العربي .

● له أبحاث تتعلق بالأزياء الإسلامية ، ودراسات عن مساجد الكويت .

إحسان جعفر



● من مواليد اللاذقية – سورية .

● ماجستير في الآداب .

● حالياً يعمل أستاذاً للأدب العربي .

● متخصص في دراسات وأبحاث النقد واللغة العربية وآدابها والتاريخ واللغات السامية القديمة .

● له عدة أبحاث في تاريخ اللاذقية – الحركة الأدبية في اللاذقية – مستقبل الكتابة العربية – اللغة العربية واللغات السامية .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- كتاب عن الأديب الراحل محمد حسن عواد .
- نادي الطائف الأدبي يعلن عن مسابقته الثقافية الرابعة لعام ١٤٠٠هـ .
- جماعة أبولو الجديدة في القاهرة .
- مؤتمر عالمي للموسيقى الإسلامية بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على ظهور الإسلام .
- الندوة العربية الثانية للفولكلور في العراق .
- ندوة للخبراء العرب في دمشق لتوحيد المصطلحات الجيولوجية .

في العالم :

- عبد العزيز بنعبد الله اختير عضواً عاملاً في منظمة حقوق الإنسان .
- معرض للأختام الأثرية السورية أقيم في ألمانيا .
- إحسان عباس الفائز بجائزة الملك فيصل لهذا العام عضو شرف في الجمعية الألمانية للشرق .
- معرض لفنون القبائل الأسترالية القديمة .
- ميدالية تحمل صورة ابن سينا تصدرها روسيا بمناسبة مرور ألف عام على مولده .

كتاب عن العواد

قرر **مجموعة من الأدباء** إصدار كتاب عن الأديب المرحوم **محمد حسن عواد**، يتناول حياته من جوانبها الفكرية والفلسفية والأدبية، وذلك من قبيل الاهتمام به.

مسابقة ثقافية

أعلن نادي (**الطائف الأدبي**) عن مسابقته الثقافية الرابعة لعام ١٤٠٠ هـ، وذلك في مجال: القصة القصيرة، والشعر، والبحث، والمقالة، والرسم، والنحت، وذلك بهدف تنشيط الحركة الأدبية والفنية، وقد رصد لذلك مبالغ كجوائز، مع العلم بأنه قد وضع عدة اشتراطات لمن يشترك في هذه المسابقة.

معرض بالصور

أقام الفنان السعودي (**خالد خضر**) معرضاً بفندق المريدان بجدة، وذلك عن **مدينة جدة**، بيّن بواسطة معرضه هذا معالمها القديمة والحديثة استمر شهراً كاملاً.

معرض جماعي

ضمن نشاط **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون** لموسم الصيف، أقامت معرضاً جماعياً **للفنانين التشكيليين** بالمنطقة الوسطى البارزين منهم والهواة، وذلك بهدف تنشيط الحركة الفنية ومحاولة الجمع بين الفنانين في معرض واحد، وقد أقيم هذا المعرض في **المركز الثقافي بالرياض**.

إحصاءات بلدية

ضمن **السلسلة الإحصائية المتتابعة** التي تصدرها **وزارة الشؤون البلدية والقروية**، أصدرت عددين هما الثالث والعشرون والرابع والعشرون لعام ١٣٩٨ هـ، وذلك لكي تعطي صورة واضحة عن التقدم الاقتصادي والاجتماعي **للمملكة**، وقد شمل عدداً من المواضيع أهمها:

بيانات عن رخص المهن،

وبيانات عن نشاطات الإدارات الصحية.

إلى جانب عدد من الأبواب التي ستكون عوناً **للباحثين والمخططين** في أبحاثهم ودراساتهم.

كتب جديدة

- «**نفحات الجنوب**»، ديوان شعري جديد للشاعر **محمد علي السنوسي**، صدر عن **نادي جيزان الأدبي**.
- «**أغنية الشمس**»، ديوان شعري للشاعر **إبراهيم الزيد**، صدر عن **نادي الطائف الأدبي**.
- «**بسمة من بحيرات الدموع**»، رواية من تأليف **عائشة زاهر أحمد**، صدرت عن **نادي جدة الأدبي**.
- «**في موكب الأبطال**»، تأليف **اللواء المتقاعد علي حسين عويضة**، صدر عن **نادي الطائف الأدبي**.
- «**المسحوق**»، مجموعة قصصية للقاص **محمد حمد الصويغ**، صدرت عن **نادي الطائف الأدبي**.
- «**سوق الخميس**»، مجموعة قصصية للقاص **خليل إبراهيم الفزيع**، صدرت عن **نادي الطائف الأدبي**.
- «**التنمية ... قضية**»، تأليف **الدكتور محمود محمد سفر**، صدر ضمن **سلسلة الكتاب العربي السعودية** التي تصدر عن **تهامة للدعاية والإعلان والنشر**.

★ «**رباعيات**»، ديوان شعري للشاعر **محمود عارف**.

- «**من أحاديث المنبر**»، تأليف **عبد العزيز بن عبد الله بن حسن**، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.
- «**قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم.. ظهورها وتطورها**»، تأليف **الدكتور وليد قصّاب**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.
- «**القيادة الإدارية**»، تأليف **الدكتور نواف كنعان**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.
- «**خَلقُ الإنسان بين الطب والقرآن**»، تأليف **الدكتور محمد علي البار**، صدر عن **الدار السعودية للنشر والتوزيع**.
- «**مكعبات الرطوبة**»، مجموعة قصصية تأليف **عبد الله السالمي**، صدرت عن **دار العلوم بالرياض**.
- «**حارة مقبل المطر**»، مجموعة قصصية، تأليف **عاشق عيسى الهزال**، صدرت عن **مطابع الزائدي بالطائف**.
- «**الإنسان في ظل الأديان**»، تأليف **الدكتورة عمارة نجيب**، صدر عن **مكتبة المعارف بالرياض**.
- «**تعليم الكبار في المملكة وتطبيقاته**»، إعداد **محمد أمين فلاتة**، صدر عن **وزارة المعارف**.
- «**ذكريات باريس**»، تأليف **عبد الكريم الجهيمان**، صدر




★ محمد حسن عواد ★



★ محمد أحمد العقيلي ★

عن نادي الرياض الأدبي.

● «جمال الدين الأفغاني والاتجاهات الإسلامية في أدبه»، للدكتور علي عبد الحليم محمود، صدر عن دار عكاظ للطباعة والنشر.

● «لا ظل تحت الجبل»، رواية اجتماعية، تأليف الأديب السعودي فؤاد عبد الحميد عنقاوي، وقد طبعت بمطبعة الطرابيشي بدمشق.

● «مكة وعلاقاتها الخارجية»، تأليف أحمد عمر الزيلعي، صدر عن قسم النشر العلمي بجامعة الرياض.

● «المساعد على تسهيل الفوائد»، تأليف بهاء الدين بن عقيل، وهو شرح على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق وتعليق الدكتور محمد كامل بركات، صدر ضمن مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة ـ مكة المكرمة.

● «إنسان الجزيرة العربية»، عرض جديد لسيرة الملك عبد العزيز بقلم الدكتور إبراهيم عبده، صدر عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز.

● «المفاهيم الأساسية في الإدارة»، تأليف الدكتور إبراهيم المنيف، صدر عن دار العلوم بالرياض.

● «السجل العلمي للمؤتمر الزراعي الأول لعلماء المسلمين»، صدر عن قسم النشر العلمي بجامعة الرياض.

● «في موكب الأبطال»، ديوان شعري للشاعر علي حسن عويضة، صدر عن نادي الطائف الأدبي.

● «دوائر الصمت»، ديوان شعري للشاعر عبد الواسع سعيد عبده، صدر عن نادي جدة الأدبي.

● «محاضرات في الجامعات والمؤثرات السعودية»، تأليف محمد أحمد العقيلي، صدرت عن نادي جيزان الأدبي.

● «عهد الصبا في البادية»، تأليف إسحاق الدقس، قصة ترجمها عزيز ضياء، صدرت ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي التي تصدر عن تهامة للدعاية والإعلان والنشر.

● «على مشارف الزمن»، ديوان شعري للشاعر محمود عارف، صدر عن فرع الجمعية العربية السعودية للفنون بجدة.

مشكلات الكتاب العربي

في «كلمة» سابقة ألمحنا إلى إحدى مشكلات الكتاب العربي من خلال حديثنا عن **معرض الرياض الدولي الثالث للكتاب**، الذي أقيم أخيراً.

هذه المشكلة المتمثلة في سيطرة الروح التجارية على سوق الكتاب انطلاقاً من القاعدة التي يؤمن بها الناشرون من أن **الكتاب أصبح صورة أو شكلاً من أشكال الصناعة**، نظراً لتدخل وسائل التقنية الحديثة في صناعة الكتاب، هذه الوسائل المحكومة دائماً بعاملي **الربح والخسارة**.. وهي مشكلة يشترك فيها الكتاب العربي، والكتاب غير العربي.

وقد تجسدت أمامنا هذه المشكلة في **معرض فرانكفورت الدولي للكتاب** عند زيارتنا له.

لقد كان المعرض المذكور فرصة ذهبية للناشرين لعقد الصفقات التجارية.. وأصبح للناشرين قدرة خاصة في التعرف على الكتاب الذي يحققون من ورائه الأرباح المنشودة نتيجة لمعرفتهم الناتجة عن خبراتهم الطويلة لشرائح القراء على اختلاف اهتماماتها وميولها.

وصورة جيدة كشف عنها معرض فرانكفورت هي أن **الشعب الألماني** يجيد القراءة كما يجيد اللهو واللعب والعمل.. وقد شاهدنا ذلك الازدحام الكبير الذي شاركت فيه مدينة فرانكفورت، وغيرها من المدن برجالها ونسائها وأطفالها، مما يعكس ظاهرة حضارية لدى هذا الشعب وشغفهم بالقراءة والثقافة يتساوى في ذلك الكبير والصغير، وهي صورة قد لا نجدها في البلاد العربية مع عميق الأسف.

وحين نشير إلى هذه الظاهرة لدى الشعب الألماني، وبلا شك لدى غيره من الشعوب الأوروبية، إنما نشير إلى مشكلة أخرى من مشكلات الكتاب في البلاد العربية، هذه المشكلة المتعلقة بالكميات التي تطبع من الكتاب، حيث نجد كمية النسخ المطبوعة من أي كتاب عربي تبدو متواضعة بشكل مخجل قياساً إلى الكميات التي تطبع من أي كتاب غير عربي.

والملاحظ أيضاً أن **القراء في الغرب** لا يقبلون على **الكتب المشهورة، والمؤلفين اللامعين** فحسب، وإنما تجدهم يحرصون على الكتاب الجديد، والمؤلف الجديد، فإذا لم يجدوا أمامهم شيئاً من هذا فإن خيبة أمل كبيرة ترتسم على وجوههم.

نتيجة لذلك يهتم الناشرون في الغرب بالجديد من الكتب، ومواضيعها، اهتمامهم بالمؤلفين الجدد.

ونتيجة لذلك يبرز كل عام عدد من المؤلفين الجدد الذين تسلط عليهم الأضواء ليصبحوا فيما بعد أسماء لامعة تواكب الأسماء المشهورة.. وهذا يعطي للحركة الفكرية عندهم استمرارية في كل الأجيال بحيث لا تقتصر على أسماء محدودة، ومعينة تهيمن على مناخ الحركة الفكرية، وتحد، أو تقف في وجه الطاقات الواعدة من الكتاب الجدد.

إنهم لا يمارسون «الوأد المعنوي» ضد المؤلفين الموهوبين الجدد.. وهذا عكس ما يحصل في كثير من أقطار العالم العربي.

علوي طه الصافي

*** كتب جديدة ***

● « **العلاقات الدولية** » ، تأليف **دانيال كولار** ، ترجمة **الدكتور خضر خضر** ، صدر ضمن سلسلة **السياسة والمجتمع** التي تصدر عن **دار الطليعة** .

● « **كلام في الحب** » ، تقديم **رندة ماضي** ، صدر عن **دار الآفاق الجديدة ببيروت** ، وهو عبارة عن أقوال لكتاب شرقيين وغربيين جمعتها وقدمت لها ووضعتها في كتاب .

● « **روح الموسيقى** » ، تأليف **سمير الحاج شاهين** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن** » ، تأليف **محمد باقر الصدر** ، صدر عن **دار التوجيه الإسلامي ـ بيروت والكويت** .

● « **تونس ـ التنمية ، المجتمع ، السياسة** » ، تأليف **أحمد بن صالح** ، مجموعة أحاديث صدرت في كتاب عن **دار الكلمة للنشر في بيروت** .

● « **الإنماء الروحي والإصلاح الاجتماعي** » ، تأليف **الشيخ عبد اللطيف بري** ، صدر عن **دار التعارف للمطبوعات** .

● « **ألم الكتابة عن أحزان المنفى** » ، تأليف **واسيني الأعرج** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **القصائد الخمس تليها المطابقات والأوائل** » ، مجموعة شعرية جديدة للشاعر **أدونيس** ، صدرت عن **دار العودة** .

● « **خطوات على قاع المحيط** » ، دراسات في علم النفس ، تأليف **الدكتور فخري الدباغ** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **حرية الصحافة في لبنان منذ العهد العثماني حتى اليوم** » ، تأليف **محمد أبو مرعي** ، صدر في **بيروت** .

● « **منطق العرب** » ، تأليف **الدكتور عادل فاخوري** ، صدر عن **دار الطليعة** .

● « **البلاغة العربية في ثوبها الجديد** » ، علم المعاني الجزء الأول ، تأليف **الدكتور بكري شيخ أمين** ، صدر عن **دار العلم للملايين ببيروت** .



● **الصورة والإسلام**

● « L'IMAGE ET L'ISLAM »

صدر في المدة الأخيرة للكاتب التونسي الدكتور **محمد عزيزة**[1] كتاب جديد اسمه : « الصورة والإسلام »

« L'IMAGE ET L'ISLAM » .

وهو كتاب مؤلف باللغة الفرنسية ، وقد نشرته دار **ألبين ميشال** للنشر في **باريس** . وقد قدم لهذا الكتاب العالم الاجتماعي الفرنسي **جان دو فينيو** بقوله : « إن هذا الكتاب ، وهو أول كتاب في هذا المعنى ، دون شك يقوم خارج **أيديولوجية** بدراسة **أنثروبولوجية** للعلامة وللتصور في مجال الثقافة العربية ـ ويضيف قائلاً في مقدمته ـ ويجب أن نقول إن الصورة في الإسلام متجذرة في الوجود أكثر من تجذرها في العالم الغربي منذ **الفن الروماني ...** » .

وقبل الحديث عن مضمون هذا الكتاب لا بد أن نذكر الأسباب التي دفعت الكاتب إلى تأليفه . يقول د . محمود عزيزة : « إن الأسباب التي دفعتني إلى كتابة هذا البحث مختلفة ومتضافرة ؛ إذ أنني اخترت منذ عشرين سنة أن أخصص أهم جهودي الفكرية في سبيل تحليل مختلف مظاهر الثقافة المعاصرة وذلك لسببين :

السبب الأول : « للرد على الحركة الاستشراقية الغربية المستقرة بصورة حذرة في دراسة الماضي العربي .. والمأساة أن بعض المثقفين العرب يقلدون الاستشراق ، لكن شغلي الشاغل بالمظاهر المعاصرة في الثقافة العربية لا يخضع لرد الفعل ، بل يتعلق بتقرير ملاحظات ... » .

ويضيف الدكتور محمد عزيزة قائلاً : « كثيرون هم الذين يتحدثون عن **التوحيد** [وربما عن الوحدة] والبعض منهم يأملون ذلك ، لكن القليل منهم ينشغلون بالعامل الأولي الذي يمكن أن يحمل في يوم ما بداية التجسيم ، وهذا العامل الأساسي الذي نعرفه اليوم بعد المحن والخيبات التي توالت منذ سنة ١٩٤٨ م ، والتي أصبنا بها ، لا يمكن له أن يكمن في قوة إرادتنا من أجل أخذ رغائبنا في مكان واقعنا ولا في إرادتنا الصادقة أحياناً » .

ويقول الدكتور عزيزة عن العامل الأساسي في عملية التوحيد :

« إن العامل الأساسي يكمن أكثر ـ فيما يبدو لي ـ في المجهود المتواضع (وهو أساسي رغم ذلك) المتمثل في التعارف المتبادل ونحن نعيش في قرن حيث أخذ **الابلاغ** أهمية عملية حاسمة ولو أننا لا نعي ذلك كل الوعي ، لكن يجب أن تكون لنا الشجاعة حتى نعترف بأننا سلكنا هذه الطريق إلا قليلاً ،

● «**الصورة في الحلم**»، رواية من تأليف **رجاء نعمة**، صدرت عن **دار الآفاق الجديدة في بيروت**.

● «**من زاوية فلسفية**»، تأليف **الدكتور زكي نجيب محمود**، صدر عن **دار الشرق في بيروت**.

● «**دفاعاً عن الحريات الديمقراطية**»، تأليف **أحمد نبيل**، صدر عن **دار ابن خلدون**.

● «**بروست**»، تأليف **هاوارد موس**، ترجمة **الدكتور نجيب المانع**، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** ضمن سلسلة «**أعلام الفكر العالمي**».

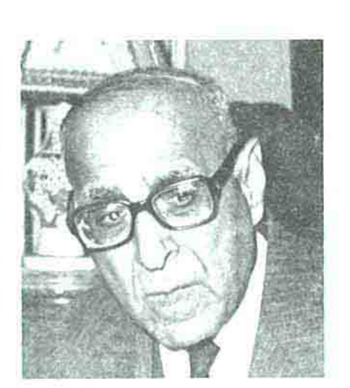
● «**الحرب**»، مجموعة قصصية تأليف **خضر سنبوه**، صدر عن **المنشورات الأدبية ببيروت**.

● «**ظلال على النافذة**»، رواية للكاتب **غالب طعمة فرمان**، صدرت عن **دار الآداب**.

● «**د. هـ. لورانس ـ الكاتب الإنجليزي**»، تأليف **فرانك كيرمورد**، ترجمة **زهير البسطامي**، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر**.

● «**قصص**»، تأليف **ميخائيل نعيمة**، صدر عن **دار الفجر ببيروت**.

● «**العرب وأوروبا**»، تأليف **لويس يونغ**، ترجمة **ميشال أزرق**، صدر عن **دار الطليعة**.



★ د. زكي نجيب محمود ★

★ أدونيس ★

● «**قاموس الشرطة**»، معجم إنجليزي ـ عربي تأليف **اللواء شفيق عصمت**، صدر عن **مكتبة لبنان**.

● «**الإنسان والتحدي التكنولوجي**»، تأليف **فولكون**، ترجمة **سامي الكعكي**، صدر عن **دار الطليعة**.

● «**في البدء كانت الممانعة**»، تأليف **الدكتور سهيل القش**، صدر عن **دار الحداثة في بيروت**، وهو محاولة لقراءة تاريخ الفكر السياسي العربي.

● «**ملوك العرب**»، تأليف **أمين الريحاني**، وهو المجلد الأول من أعماله الكاملة التي تصدر تباعاً عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر**.

● «**الفلسفات الهندية**»، تأليف **الدكتور علي زيعور**، صدر عن **دار الأندلس**.

● «**المستطرف الجديد**»، تأليف **هادي العلوي**، صدر عن

ولكي نبقى في مجال الإبداع كم من التونسيين يعرفون الإنتاج الأدبي والتشكيلي والموسيقي والعلمي في سورية والعراق واليمن الشمالي والمملكة العربية السعودية واليمن الجنوبي في الوقت الحالي؟ والعكس صحيح؛ **فالمشرق العربي** يعرف عامة من تونس بعض الوجوه الأدبية من أمثال: **الشابي والمسعدي ومزالي والشيخ الفاضل ابن عاشور**.. وهذا قليل وخطير، لأن الحصاد في غير ميدان الأدب هزيل لو أردنا أن نعرف مدى التعارف في مجالات أخرى».. ويركز د. محمد عزيزة على مسألة التعارف، بقوله: «**إن المهمة الأوكد بالنسبة إلى المثقف العربي من أي بلد عربي كان أن يطلع على ما يجري في الأقطار العربية**»[٢].

وهذا الكتاب يحتوي على قسمين: قسم **للصورة التشكيلية** وقسم للصورة **السمعية البصرية**.

ويثبت المؤلف عن طريق البحث التاريخي أن الصورة لم تكن غريبة في بنية الحضارة العربية الإسلامية رغم الجدل الطويل الذي قام خصوصاً في العهود الإسلامية حول هذه المسألة.

ونتيجة لهذا الجدل كما عبر عنه المؤلف في العالم العربي والإسلامي نوع من الصور يمكن تسميتها «**بالنوع الأخرس**» فرض حضوره من خلال أدب **ألف ليلة وليلة** بالخصوص إلى جانب نوع آخر يسميه المؤلف «**بالنوع المتكلم**» الذي قال عنه **دوفينيو** في مقدمة الكتاب: «إنه نوع تعبر عنه كتب الأدب الأصغر».

وقد سبق للدكتور محمد عزيزة أن صدرت له كتب باللغة الفرنسية في الخط العربي تحت عنوان: «**فن الخط العربي**» ثم هناك كتاب «**الأشكال التقليدية للعرض**» وكتاب «**نظرات في المسرح العربي المعاصر**» وكتاب «**شعر الفعل**»: وهو عبارة عن حوار مع الرئيس **ليوبولد سنغور رئيس دولة السنغال**. وله في الإسلاميات: «**المسرح والإسلام**» الذي ألفه بالفرنسية وترجم في القاهرة إلى العربية ونشرته **دار الهلال**.

بقي أن نشير إلى أن دار ألبين ميشال قد شرعت منذ مدة قصيرة في نشر سلسلة من الكتب تتناول مختلف الجوانب العربية خصوصاً الجانب الحضاري الذي بدأ الغرب يعترف به ويعيد لأصحابه بعض الحقوق.

المكينسي أحمد

الرباط ـ المغرب

الهوامش

(١) د. محمد عزيزة شغل عدة مناصب ثقافية في البلاد التونسية الشقيقة.

(٢) من استجواب أجرته معه مجلة «الحياة الثقافية» التي تصدر في تونس عن وزارة الثقافة والإعلام.

مؤتمر عالمي للموسيقى الإسلامية

قررت اللجنة الموسيقية العليا بالقاهرة ، إقامة أول مؤتمر للموسيقى الإسلامية ، في معهد الموسيقى العربية ، وذلك خلال شهر مارس (آذار) عام ١٩٨١ م ، بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً من الزمان على ظهور الإسلام ، سيحضره مندوبون عن الدول العربية والإسلامية وبعض دول أوروبا وأمريكا ودول شرق آسيا ، كما ستوجه الدعوة إلى المعهد الدولي للموسيقى المقارنة ببرلين ، والمجلس الدولي للموسيقى التابع لليونسكو . والهدف من هذا المؤتمر القاء الضوء على ماهية الموسيقى الإسلامية وتحديد أشكالها ودراسة خصائصها المميزة وأثر البيئة في تطويرها إلى غير ذلك من الموضوعات .

جماعة « أبولو » الجديدة

تكونت ــ كامتداد لجماعة « أبولو » الأدبية الشهيرة التي ضمت في صفوفها أدباء ومفكرين مثل العقاد ــ جماعة جديدة أطلقت على نفسها « جماعة أبولو » تهتم بالحديث وصيانة التراث القديم من الأدب بصفة عامة ، كما تعمل على تعميق ثقافة الشاعر المعاصر بحيث يمتد إلى الثقافة العالمية قديمها وحديثها .

ولعل من أهم ما تهدف إليه : دعوتها إلى (الرومانسية) التي تجمع بين شعراء العرب جميعاً مع الاحتفاظ بالأصول والتجديد فيها والإضافة إليها انطلاقاً إلى مشارف المستقبل ، وتحقيق التبادل الثقافي والفكري بين شعراء مصر والعالم العربي وكذلك شعراء العالم ، وإثراء الحركة الأدبية والشعرية وتشجيع حركة النقد الأدبي بوجه عام ونقد الشعر بوجه خاص ، وذلك حتى تتم المواكبة بين الإبداع الشعري والنقد الأدبي ، وكذلك ربط حركة الشعر والنقد بوسائل الإعلام المختلفة .

* كتب جديدة *

● « يسألونك عن الخوف » ، مجموعة قصصية جديدة تأليف **فتحي سلامة** ، صدرت عن **الهيئة العامة للكتاب** .

● « الحب فوق هضبة الأهرام » ، مجموعة قصصية جديدة تأليف **نجيب محفوظ** ، صدرت عن **مكتبة مصر** .

● « السماء تمطر ماء جافاً » ، تأليف **زهير الشايب** ، صدر عن **دار المعارف بالقاهرة** .

● « حملوا النار من القمر » ، تأليف **رائد الفضاء مايكل كولتير** ، ترجمة **ميشيل تكلا** ، صدر عن **مكتبة الإنجلو بالقاهرة** .

● « المغامرة الإبداعية ــ دراسة نقدية في أدب ضياء الشرقاوي » ، كتيب من تأليف **محمد الرّاوي** ، صدر عن **الكلمة**

دار الطليعة ، وهو نصوص تراثية منتقاة بمعيار نقدي معاصر .

● « ليس لدى الكولونيل من يكاتبه » ، رواية من تأليف **غابرييل غارسيا ماركيز** ، صدرت ضمن **سلسلة الأدب العالمي عن دار الفارابي** .

● « القانون الدستوري والأنظمة السياسية » ، تأليف **الدكتور أحمد سرحان** ، صدر عن **دار الحداثة** .

● « قلب الحب » ، ديوان شعري للشاعر البحريني **قاسم حداد** ، صدر عن **دار ابن خلدون ببيروت** .

● « تطور الوعي في نماذج قصصية فلسطينية » ، تأليف **أمل زين الدين وجوزف باسيل** ، صدر ضمن « **سلسلة النقد الأدبي** » التي تصدر عن **دار الحداثة ببيروت** .

● « ذكريات التخلف » ، رواية كوبية ، تأليف **أدموندو ديزنوس** ، ترجمة **سمية عبود** ، صدرت عن **مؤسسة الأبحاث العربية ببيروت** .

● « أحوال الفلسطينيين الصحية والاجتماعية في لبنان » ، تأليف **الدكتورة فتحية السعودي** ، رسالة دكتوراه صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر في كتاب** .

● « الإنسان وعالم المدينة في الشعر العربي الحديث » ، تأليف **الدكتور مناف منصور** ، صدر عن **المكتبة الشرقية ببيروت** .

● « يوميات ابن البلد » ، تأليف **شفيق الحوت** ، صدر عن **دار المحرر في بيروت** ، وهو عبارة عن زوايا صحفية جمعت في كتاب .

● « مختارات سياسية من مجلة المنار » ، تأليف **رشيد رضا** ، تقديم ودراسة **الدكتور وجيه كوثراني** ، صدر عن **دار الطليعة** .

● « حكايا النورس المهاجر » ، و« الومض » ، مجموعتان قصصيتان تأليف **حيدر حيدر** ، صدرتا عن **دار الحقائق ببيروت** .

● « دراسات في الاستراتيجية الإسرائيلية » ، تأليف **محمود عزمي** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

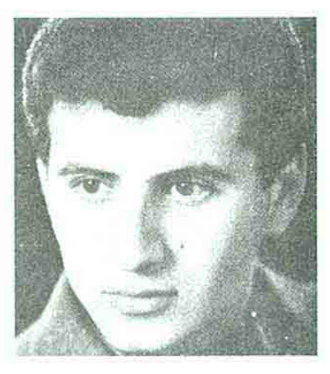
● « قصة الإنسان » ، تأليف **الدكتور جورج حنا** ، صدر عن **دار العلم للملايين** .

● « العقلية الصوفية ونفسية التصوف » ، تأليف **الدكتور علي زيعور** ، صدر عن **دار الطليعة ببيروت** .

الجديدة بالسويس .

● « **الطب النفسي والسياسة** » ، تأليف **الدكتور محمد شعلان** ، صدر في القاهرة عن **دار الناشر العربي** .

● « **الجهال والحرية والشخصية الإنسانية ، في أدب العقاد** » ، تأليف **الدكتورة نعمات أحمد فؤاد** ، صدر عن **دار المعارف** .



★ سميح القاسم ★

★ نجيب محفوظ ★

✻ كتب جديدة ✻

● « **الأصول الأدبية في كتاب البيان والتبيين** » ، تأليف **الدكتور محمد بركات أبو علي** ، صدر عن **دار الرِّسالة بعمان** .

● « **مدارس النقد الحديث** » ، دراسة قصيرة أعدّها **الدكتور نصرت عبد الرحمن** ، صدرت عن **مكتبة الأقصى بعمان** .

✻ كتب جديدة ✻

● « **أحبك كما يشتهي الموت** » ، ديوان شعري للشاعر سميح القاسم ، صدر عن **مكتبة ومطبعة أبو رحمون بعكار** .

● « **صاعداً من الموت أو هابطاً منه** » ، ديوان شعري للشاعر إبراهيم عمار ، صدر عن منشورات **اليسار في المثلث بفلسطين** .

● « **الكلاب** » ، مجموعة قصصيَّة للقاص **زكي درويش** ، صدرت عن **الأسوار بعكا** .

● « **مواجهة** » ، مجموعة شعرية للشاعر **غسَّان الحاج** ، صدرت عن **دار الفكر الجديد** .

ندوة للفولكلور

ستعقد في **شهر سبتمبر (أيلول) المقبل في بغداد ، الندوة العربية الثانية للفولكلور** ، سيساهم فيها عدد كبير من المهتمين بشؤون التراث والفولكلور العربي ، وستكون موضوعات الندوة :

★ الأساطير الشرقية (العربية خاصة) وأثرها في الأساطير العالمية .

★ الحكايات الشعبية العربية ومدى تأثيرها على الحكايات الأجنبية .

★ الأمثال العربية وأثرها في الأمثال الأجنبية .

★ التقاليد والعادات العربية وتأثيرها على تقاليد وعادات الشعوب الأخرى .

★ الأسس الحضارية للتراث الشعبي البيئة — اللغة — الدين ، إلى غير ذلك من الموضوعات المتعددة والمتنوعة .

✻ كتب جديدة ✻

● « **الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي** » ، تأليف **عدنان حسين العوادي** ، صدر عن **دار الرشيد ببغداد** .

● « **الرواية العربية والحضارة الأوروبية** » ، تأليف **شجاع العاني** ، صدر ضمن سلسلة « **الموسوعة الصغيرة** » التي تصدرها **وزارة الثقافة والإعلام العراقية** .

● « **ضوء الضفاف الزرق** » ، مجموعة قصصيَّة تأليف **يعرب السعيدي** ، صدرت عن **دار الرشيد ببغداد** .

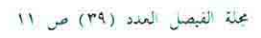
● « **تماس المدن** » ، رواية تأليف **نجيب المانع** ، صدرت عن **دار الرشيد للنشر ببغداد** .

● « **أناشيد السكون** » ، مجموعة شعرية تأليف **فاروق يوسف** ، صدرت عن **دار الرشيد للنشر** .

● « **جدلية أبي تمام** » ، تأليف **الدكتور عبد الكريم اليافي** ، صدر عن **دار الجاحظ بوزارة الثقافة** ضمن سلسلة « **الموسوعة الصغيرة** » .

المصطلحات الجيولوجية

في أوائل شهر **صفر** عام ١٤٠١ هـ ، الموافق فبراير (شباط)



١٩٨١ م ، سوف تنعقد **ندوة للخبراء العرب في دمشق** وذلك بهدف **توحيد المصطلحات الجيولوجية في التعليم العالي** ، وسينظم هذه الندوة **مكتب تنسيق التعريب** بالتعاون مع **المؤسسة السورية العامة للجيولوجيا والثروة المعدنية** ، وسيدرس الخبراء العرب مشروع **المعجم الثلاثي** اللغة (عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي) في هذه الندوة .

*** كتب جديدة ***

● « **مختارات من القصص الإنجليزية الحديثة** » ، اختيار وترجمة **عارف حذيفة** ، كتاب صدر عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي في دمشق** .

● « **حين تتمزق الظلال** » ، مجموعة قصصيّة تأليف **يحيى حقي** ، صدرت عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق** .

● « **تاريخ المسرح** » ، تأليف **فيتو باندولفي** ، ترجمة **الأب الياس زحلاوي** ، صدر **الجزء الأول** عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي** .

● « **الغزل عند العرب** » ، تأليف **هـ . ج . ك . فاديه** ، ترجمة **الدكتور إبراهيم الكيلاني** ، صدر في جزءين عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي** .

● « **منعطف التاريخ .. إيبلا** » ، تأليف **الدكتور عمر الدقاق** ، صدر عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي** .

● « **أراغون** » ، بقلم **الناقد الفرنسي برنار لوشربونيه** ، ترجمة **ولي الدين الأسدي** ، صدر عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي** .

● « **الشعر في الاتجاه المعاكس** » ، مجموعة شعرية للشاعر **إسماعيل عامود** ، صدرت عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق** .

● « **أقنعة من زجاج** » ، مجموعة قصصيّة تأليف **نادر السباعي** ، صدرت عن **مكتبة الكندي بحلب** .

● « **الرؤية النقدية ـ دراسات في النقد والأدب** » ، تأليف **محمود منقذ الهاشمي** ، صدر عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق** .

● « **الموسوعة الإلكترونية** » ، ج ١ ، تأليف **محمد نذير المتني** ، صدرت عن **مكتبة الرازي بدمشق** .

*** كتب جديدة ***

● « **البيان حول وضعيّة الكتّاب والفنانين والمثقفين** » ، تأليف **مصطفى النهيري** ، صدر عن **دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء** .

*** كتب جديدة ***

● « **الإبداع في الفن والعلم** » ، صدر ضمن سلسلة **عالم المعرفة** والتي تصدر عن **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب** .

● « **اللمع في العربية** » ، تأليف **أبو الفتح عثمان بن جني** ، تحقيق **فائز فارس الحمد** ، صدر عن **دار الكتب الثقافية في الكويت** .

*** كتب جديدة ***

● « **النفس اليماني في إجازة القضاة بني الشوكاني** » ، تأليف **عبد بن سليمان الأهدل** ، صدر عن **مركز الدراسات والبحوث اليمنية بصنعاء** .

*** كتب جديدة ***

● « **الحوات والقصر** » ، رواية تأليف **الطاهر وطار** ، صدرت عن **مطبعة البعث في الجزائر** .



★ د. عمر الدقاق ★



★ هارون هاشم رشيد ★



*** كتب جديدة ***

● « **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان** » ، تأليف **حسين خوجه** ، تحقيق **الطاهر المعموري** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب** .

● « **التوحيدي وقراءة جديدة في الإمتاع والمؤانسة** » ، تأليف **محمد الحبيب حمادي** ، صدر عن **دار صفاء للنشر والتوزيع والصحافة بتونس** .

● « **الجرح المسافر** » ، مجموعة شعرية للشاعر **محمد علي الهاني** ، صدرت عن **الإخلاء بتونس** .

● « **مثل عليا من قضاء الإسلام** » ، تأليف **محمود الباجي** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب** .

● « **العارف بالله الإمام أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية** » ، تأليف **علي الشابي** ، صدر عن **الدار التونسية للتوزيع** .

● « **الطاهر الحداد** » ، تأليف **جعفر ماجد** ، صدر عن **الشركة التونسية للتوزيع** .

● « **أحمد ملاك ـ شاعر الحكمة والملحمة** » ، تأليف **محمد المرزوقي** ، صدر ضمن **منشورات الحياة الثقافية بتونس** .

● « **الأدب العربي** » ، تأليف **أندري ميكال** ، ترجمة **رفيق وناس ، صالح حيزم ، الطيب عشاش** ، صدر عن **الشركة التونسية للفنون والرسم** .

● « **جامعة الدول العربية** » ، تأليف **الشاعر هارون هاشم رشيد** ، صدر عن **دار سراس للنشر بتونس** .

● « **اللهجات العربية في التراث** » ، تأليف **الدكتور أحمد علم الدين الجنيدي** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب** .

● « **تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور** » ، تأليف **الدكتور محمود عبد المولى** ، صدر عن **الشركة التونسية للتوزيع** .

● « **الجرح المسافر** » ، مجموعة شعرية للشاعر **محمد علي الهاني** ، صدرت عن **منشورات الاخلاء** .



سيكولوجية الصيام

الصيام فريضة على كل مسلم قادر أن يؤديها ، وهو كغيرها من الفرائض يقرب بين العبد وربه ويقوي من إيمان الفرد . وأداء الصيام فيه طاعة لله ورسوله ، وفيه فرصة للخلاص من الذنوب والخطايا والمعاصي ، وفيه فرصة للتوبة والعودة للإيمان بالله ورسوله ، وبالدين وقيمه ومبادئه ، والتمسك بها قولا وفعلاً .

هذا من الناحية العقائدية ، أما من **الناحية النفسية** فإن للصيام قيمة نفسية كبيرة في حياة الفرد الذي يؤديه مخلصاً . فالصيام بوجه عام يؤدي إلى تنمية شخصية الفرد وقوتها ، والمعروف في **علم النفس** أن قوة الشخصية ليست فيما يستطيع أن يقوم به الفرد من عنف وشدة أو قسوة وغلظة ، وإنما قوة الشخصية في القدرة على ضبط النفس والقدرة على التحمل والقدرة على الحزم والحسم والقدرة على التعاطف مع الغير . . . إلخ .

ومن **الناحية السيكولوجية** فإن الصيام يساعد الفرد على التدريب على ضبط النفس والتحكم في انفعالاته وثوراته والقدرة على تحمل الحرمان ، والقدرة على تأجيل اشباع دوافع الفرد الراهنة في سبيل تحقيق أهداف أكثر سمواً ورفعة . وفي الصيام تدريب أيضاً على التحمل والجلد والصبر ويؤدي ذلك إلى **قوة الإرادة** . وتطويع القوى الحيوانية في الإنسان **للقوى الروحية** فيه ، بحيث يخضع الشهوات واللذات والرغبات إلى عقل الإنسان ووجدانه وضميره . ويمكن بذلك السيطرة عليها بحيث لا يسعى الفرد إلى اشباع هذه الدوافع اشباعاً مباشراً وبطريقة حيوانية بدائية فجة ، وإنما لا يشبعها إلا عن طريق مشروع ومقبول اجتماعياً وخلقياً ودينياً . فالإنسان مثلاً يؤجل اشباع دوافعه الجنسية حتى يتزوج ويشبعها اشباعاً مشروعاً .

والقدرة على الجلد والتحمل والصبر والمثابرة ليست من قبيل التدين والزهد وحسب وإنما هي من القدرات الضرورية اللازمة في حياة الفرد مع بني جنسه في المجتمع البشري .

من الآثار النفسية العظيمة للصيام أيضاً شعور الفرد بالطهارة والنقاوة والصفاء والخلاص النفسي . وتؤدي حالة الصفاء هذه إلى الاتصال الروحي بين العبد وربه . كذلك فإن الشعور بالصفاء والطهارة يؤديا إلى شعور الفرد بالرضا والسعادة والغبطة العميقة .

إن الصيام ينمي في الفرد القدرة على **النظام والطاعة** ، فتناول الطعام والشراب في مواعيد محددة والتوقف عن تناولها في مواعيد محددة مدعاة إلى احترام النظام والطاعة .

ولا شك فالإنسان يشعر بالسعادة وبرضا الضمير عندما ينجح في أداء فريضة عظيمة مثل فريضة صيام **رمضان المبارك** . والإنسان دائماً يشعر بالسعادة عندما ينتصر حتى وإن كان هذا الانتصار على ذاته ومطالبها . وللصائم فرحتان فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه .

ومن **الناحية الاجتماعية** فإن من شأن اشتراك الفرد مع غيره من ملايين المسلمين في أداء هذه الفريضة المشتركة أن يجعله يشعر بالمشاركة الوجدانية مع إخوانه وأهله وعشيرته وأرباب ديانته . . . . والصيام يعمل على تنمية الشعور الجماعي ، والشعور بالانتماء إلى جماعة المسلمين ، والانتماء إلى الدين الإسلامي الحنيف ، والإنسان يشعر بالنقص والضياع إذا لم يجد جماعة أو وطناً ينتمي إليها ويتوحد معها . وإلى جانب هذه القيم النفسية العميقة لصيام رمضان المبارك فإن الصيام يساعد الفرد على الشعور بما يشعر به الفقراء من جوع وحرمان وألم ، وبذلك يدفع هذا الشعور الفرد إلى الصدقة والعطف على الفقراء ، وفي ذلك ضمان للتماسك الاجتماعي ، وحماية المجتمع لأفراده من الضعفاء والمرضى والشيوخ والمحتاجين . ولا بد أن هذه الصدقات تبعث الأمل في نفوس هؤلاء الضعفاء وتجعلهم يشعرون بالأمان ، في مجتمع يجب أن تسود فيه الرحمة والشفقة والتآخي والتآزر والاطمئنان والتكافل .

دكتور
عبد الرحمن محمد عيسوي
أستاذ علم النفس بجامعة الإسكندرية



وفاة مؤرخ الحضارة الأمريكية

توفي في (**نيويورك**) المؤرخ «**هوارد محفورد**» وذلك عن ثمانية وثمانين عاماً، اشتهر في حياته بتدريس الثقافة والحضارة الأمريكية لمدة (٣٠) عاماً في الجامعات، وألف أكثر من (٤٠) كتاباً أشهرها «**عالم جديد وغريب**»، نشر عام ١٩٦٤م، حاز في حياته على **جائزة (بولتزر)**. من أشهر أعماله «**المدنية على مَرّ العصور**»، وقد ترجم إلى اللغة العربية.

عبد العزيز بنعبد الله وحقوق الإنسان

بعد بحثه (**الإسلام وحقوق الإنسان**) الذي ألقي في مؤتمر **عالمي نظمته (اليونسكو)** في **تايلاند** اختير مدير مكتب تنسيق التعريب في الرباط ليكون **عضواً عاملاً في منظمة حقوق الإنسان** التي تتخذ من (**واشنطن**) مقراً لها.

وفاة (ويليام شتاين)

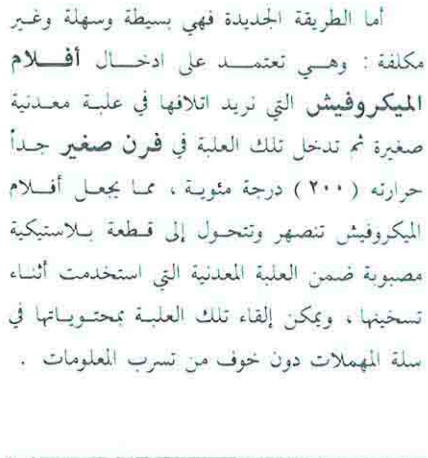
توفي العالم الأميركي «**ويليام شتاين**» عن ٦٨ عاماً، والذي تقاسم **جائزة نوبل** عام ١٩٧٢م، مع العالم الأميركي **ستاكفورد مور** وذلك لاكتشافهما (١٢٤) مركباً لحامض أميني خاص بأحد البروتينات المتعددة الأطوار.

وفاة (جوزيف هاشيت)

عن (٨٤) عاماً توفي **جوزيف هاشيت** والذي قام بتأسيس إمبراطورية من المجلات وكتب الأطفال كما ساهم في برنامج رعاية الطفل ثقافياً، فهو الذي قام بنشر مجلة (**الآباء**) عام ١٩٢٦م، ثم (**مختار الأطفال**) ثم (**رعاية الأطفال**).

* أحدث الكتب *

● «**مسؤولية فريدة في العالم**»، تأليف **الدكتور كورت**



اليوم والغد

آلة لاتلاف (الميكروفيش)

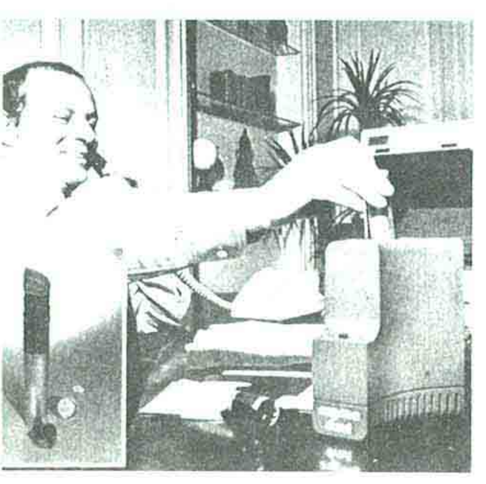
الميكروفيش نظام جديد للفهرسة وحفظ الملفات والوثائق، أصبح يستخدم الآن على نطاق واسع في الدور الحكومية والمؤسسات والأرشيف والمكتبات، وذلك بدلا من استخدام الملفات والمصنفات، **ويتم تصوير أوراق الملفات على فيلم صغير ورقة ورقة** ويمكن للمرء أن يرى ما يحتويه الملف عن طريق تشغيل أزرار خاصة ويتم بعد ذلك رؤية الوثيقة وقراءتها على شاشة تشبه شاشة التلفزيون.

ومن المعلوم أنه يجري التخلص من الملفات القديمة عن طريق احراقها أو تمزيقها بواسطة آلات تقطيع، أما الميكروفيش فإنه عبارة عن (فيلم) تصوير ولا يمكن اتلافه عن طريق التمزيق أو الحرق كالأوراق مثلاً.

وبالطبع فإن اتلاف ملفات الميكروفيش التي تم الاستغناء عنها أمر ضروري جداً نظراً لاحتوائها على معلومات قد تكون سرية جداً، وهو أمر لا بد منه خوفاً من وقوعها بيد الغير، ولكن أفلام الميكروفيش ذات مقاومة عالية فلا يمكن مسحها أو حكها أو شطبها، وهي مقاومة للماء والحرارة.

وقد استخدمت طريقتان حتى الآن في اتلاف ملفات الميكروفيش أو لجعله غير مقروء، أولاهما طريقة ميكانيكية تقوم على تقطيع الأفلام إلى شرائح دقيقة جداً لا يمكن استخدامها، ومع ذلك فإن تلك الشرائح الصغيرة المقطعة يمكن أن تقرأ بواسطة أجهزة تكبير قوية ومثل هذه الأجزاء قد تحتوي على معلومات قيمة حتى بعد تقطيعها. والطريقة الثانية هي تغطيس أفلام الميكروفيش في **سوائل كيميائية** كي تذيب الطبقة الحساسة من الفيلم وهي مثل طريقة الاحراق تنتج مواداً ضارة بصحة الناس.

أما الطريقة الجديدة فهي بسيطة وسهلة وغير مكلفة: وهي تعتمد على ادخال **أفلام الميكروفيش** التي نريد اتلافها في علبة معدنية صغيرة ثم تدخل تلك العلبة في **فرن صغير** جداً حرارته (٢٠٠) درجة مئوية، مما يجعل أفلام الميكروفيش تنصهر وتتحول إلى قطعة بلاستيكية مصبوبة ضمن العلبة المعدنية التي استخدمت أثناء تسخينها، ويمكن إلقاء تلك العلبة بمحتوياتها في سلة المهملات دون خوف من تسرب المعلومات.






★ عبدالعزيز بنعبد الله ★ ★ د. كورت فالدهايم ★

فالدهايم، تناول فيه مشاكل نزع السلاح والسلام في العالم بوجه عام ويركز فيه على مشكلة الوفاق الدولي بين روسيا وأميركا.

*** أحدث الكتب ***

صدر عن شركة «هودر اندستوتون» الكتب التالية:

★ «أزمة التعليم الإسلامي».

★ «أهداف وغايات التعليم الإسلامي».

كما سيصدر عنها الكتب الآتية:

★ «البرامج والمناهج والمعلم».

★ «التعليم والمجتمع في العالم الإسلامي».

★ «نظرة الإسلام إلى العلوم الاجتماعية والطبيعية».

★ «الفلسفة والآداب والفنون الجميلة».

★ «دراسة للتعليم الإسلامي في العالم المعاصر».

وهي سلسلة مكونة من سبعة كتب تصدرها الشركة تتضمن **بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي** والذي عقد **بجامعة الملك عبد العزيز (فرع مكة)** في صيف عام ١٣٩٧ هـ.

● «**سقراط**»، تأليف **جيراسيموس سانتاس**، صدر ضمن سلسلة «**نقاش الفلاسفة**».

● «**تاريخ التحليل الاجتماعي**»، إعداد **توم بوتمور**، صدر عن **هاينمان إديوكيشنال**.

● «**الإدارة الجيدة للموارد الاقتصادية**»، تأليف **سي. م. جاسون**، صدر ضمن **منشورات فرانسيس برنتر**.

● «**العون المالي عن طريق العمل الاجتماعي** ـ دراسة لدور النقد في العمل الاجتماعي»، بقلم **ميشيل پ. جاكسون**، صدر عن **منشورات روتلدج**.

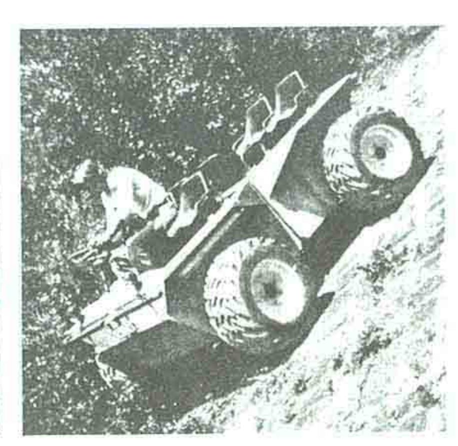
● «**العناية بالأطفال المعوقين**»، تأليف **دافيد ويلكن**، صدر عن **منشورات كروم هيلم**.

● «**إرادة الحياة**»، بقلم **هوغ فرانكس**، صدر ضمن

●● سيارة لكل الطرقات ●●

تم في **سويسرا** تصميم **سيارة** أطلق عليها اسم (**كروكو**) Croco، تستطيع أن تسير في





الأراضي الوعرة والطينية والرملية والمغطاة بالثلج، كما أنها تستطيع أن **تعوم في الماء** كما يعوم القارب. وتستطيع أن **تتسلق التلال** وأن تنزل المنحدرات والمسالك الصعبة دون أن تنقلب نظراً لأن مركز ثقلها منخفض وقريب من الأرض. وتستطيع السيارة أن تحمل (١٠٠٠) كغ إذا كانت تسير على الأرض، و(٥٠٠) كغ إذا استخدمت كقارب.

والعجلات الأربع للسيارة متصلة بجهاز نقل القوة في المحرك (علبة التروس)، ويسمح لها خزان الوقود الكبير نسبياً بالسير عدة مئات من الكيلومترات دون التزود بالوقود.

أنوار تعمل أوتوماتيكياً في السيارة

جهاز إلكتروني جديد يقوم باشعال أنوار السيارة أو إطفائها طبقاً للظروف الجوية مثل الرطوبة أو الضباب وذلك بعد انطلاق السيارة على الطريق بمدة عشر ثوان، ويتكرر هذا عندما تقف السيارة ثم يعاد تشغيلها طالما أن الظروف الجوية تستدعي اشعال الأنوار. **ويقوم الجهاز تلقائياً بإطفاء الأنوار عند ايقاف السيارة إذا نسي السائق أن يطفئها.**

وهذا الجهاز صغير الحجم لأن أجزاءه مثبتة على (دارة مطبوعة) Printed Circuit، ويثبت لاقط الإضاءة على زجاج السيارة الأمامي من الداخل، كما يثبت لاقط الرطوبة على الهواء الداخل إلى مدفئة السيارة (الشوفاج)، مما يسمح للجهاز بقياس شدة الإضاءة الطبيعية أو ضعفها وكذلك الرطوبة التي يسببها الضباب. ويشعل الأضواء إذا دعت الحاجة لذلك.

(شركة مارك ــ مارين بريلا ــ فرنسا).

منشورات روتلدج .

● « **مدخل إلى لغة الطفل** » ، بقلم آنيت كارميلوف سميث صدر عن **منشورات كامبردج پرس** .

● « **المستقبل مع الإلكترونيات الدقيقة** » . بقلم **يان بارون وراي كورنو** ، صدر عن **فرانسيس بنتر** .

يوغوسلافيا

* أحدث الكتب *

● « **حرب داخل حرب ثورة تيتو** » ، تأليف **ميلونان ديجلاس** ، صدر في **الأسواق اليوغوسلافية** ، ويعد أول كتاب بعد رحيل تيتو .

ايطاليا

معرض للفن التجريدي

أقيم في (**روما**) معرض خاص **بالفن التجريدي** منذ عام **١٩٠٩ م** ، حتى عام **١٩٥٩ م** ، وقد افتتح هذا المعرض بهدف تعريف الجمهور بالفن التجريدي خلال تلك الفترة ، وقد ضم ما يقرب من ستين لوحة من الأعمال الشهيرة التي أعدها كبار الفنانين التجريديين آنذاك أمثال **نوتوريست جياكو موبالا وكابوغروس** .

ألمانيا

معرض للأختام السورية

افتتح في **جامعة (توبلجن)** معرض **للأختام الأثرية في العهود السورية القديمة** ، وقد أقامت المديرية العامة للآثار والمتاحف هذا المعرض بالتعاون مع جامعة (توبلجن) الألمانية ، وقد ضم المعرض حوالي (مائة) لوحة .

إحسان عبَّاس والجمعية الألمانية

نتيجة للجهود التي قدمها ويقدمها **الدكتور إحسان عبَّاس** في مجال الترجمة والنقد وفي **الأبحاث الشرقية** ، فقد منح لقب **عضوية الشرف في الجمعية الألمانية للشرق** . ومن المعروف أن **الدكتور إحسان عبَّاس أستاذ في الجامعة الأمريكية ببيروت** ، وقد فاز **بجائزة الملك فيصل العالمية في مجال الأدب العربي** مناصفة مع **الدكتور عبد القادر القط** لعام ١٤٠٠ هـ .

موسوعة لأدب الأطفال

تقوم **جامعة (يوهان فولفجانج جوته) بفرانكفورت** بالإشراف على (**أول موسوعة لأدب الأطفال**) يتم الانتهاء منها عام ١٩٨١ م ، وقد اشترك في كتابتها مائتا خبير ألماني وأجنبي لمدة خمسة عشر عاماً متواصلة وتتضمن حوالي (**ألفي**) مقال ومقالة تتناول المعلومات والأشخاص إلى جانب (٣٠) ألف مادة علمية .

مركز الثقافة العربية

افتتح في **مدينة (كولونيا)** ــ التي تعد من أكبر مدن ألمانيا الاتحادية ــ مركز للثقافة العربية ، هدف منه منشئوه محاربة تغرب الشباب العربي في ألمانيا وآثاره السلبية ، وسيكون من مهمات هذا المركز :

★ **تعليم اللغة العربية للمواطنين العرب والأجانب ممن يهتموا باللغة العربية وأبنائهم** وذلك ضمن دورات دراسية مركزة في جو إسلامي صحيح .

معجم للغة (الإيلامية) القديمة

تقوم **المؤسسة الألمانية للبحث العلمي** ــ وبالتعاون مع البروفسور (**ولتر هينس**) المختص باللغة الإيرانية ــ بوضع **أول معجم « للغة الإيلامية القديمة »** والتي تعتبر أقل اللغات الحضارية شهرة في العالم حيث استعملت في المنطقة الغنية بالنفط في إيران ــ وذلك خلال الفترة ما بين القرن الثالث والسادس قبل الميلاد وسيحتوي هذا المعجم على معاني لـ ٨٠٠٠ كلمة .

جائزة اللغة والشعر

منحت الأكاديمية الألمانية للغة والشعر **المستشرقة (انامار سيلفر)** جائزة « جوهان هارشوف » **في الترجمة** وتقدر قيمتها بعشرة آلاف مارك وذلك لمساهمتها (عن طريق اتقانها للغات الشرقية) في ترجمة عدد من الكتب الهامة من بينها « **كتاب الشعر العربي المعاصر** » و « **القصص الشعبية الباكستانية** » وهذه المستشرقة تقوم منذ عام ١٩٧٠ م ، بالتدريس في **جامعة هارفارد الأمريكية** .

* أحدث الكتب *

● « **عبقرية طفل** » ، تأليف **فريدريك جوخ** ، صدر في



★ د. إحسان عباس ★

بون ، وقد تناول فيه مؤلفه طفولة **معظم العباقرة في العالم** أمثال آينشتاين .

جمجمة عمرها ثمانية ملايين سنة

أعلن مؤخراً أن علماء الآثار الصينيين عثروا على **جمجمة للإنسان** الأول وقدروا عمرها بنحو ثمانية ملايين سنة ، **وقد تم العثور على هذه الجمجمة في منجم للفحم** . ويعتبر هذا الاكتشاف الأول من نوعه في التاريخ البشري ، حيث تنسب إلى العصر الجيولوجي الممتد من ٧ ــ ١٥ مليون سنة .

لغة الاسبرانتو

تقرر أن تستخدم لغة « **الاسبرانتو** » العالمية لأول مرة كإحدى اللغات الثلاث بجانب الإنكليزية والفرنسية في المؤتمر العالمي لعلوم الاتصال الذي سيعقد بمدينة « **نامور** » البلجيكية ، وسوف يتخذ المؤتمر قراراً بشأن استخدام هذه اللغة بشكل دائم أم لا .

فنون القبائل الأسترالية القديمة

أقام معهد العلاقات الخارجية في إحدى المدن الأسترالية ولأول مرة ، معرضاً لفنون سكان **أستراليا** الأصليين ، وقد شاهد زوار هذا المعرض حوالي **١٢٠** قطعة فنية من بينها رسوم وصناعات يدوية وتماثيل تحت شعار « **فنون القبائل الأسترالية القديمة** » وهي القبائل التي قدمت إلى استراليا قبل آلاف السنين من « جنوب شرقي آسيا » .

اليابان

أضخم صالة عرض

افتتحت صالات مزادات « **كريستي** » أضخم صالة عرض لها في « **طوكيو** » ، وتشمل معروضاتها أنواعاً مختلفة من **الفن الغربي والشرقي القديم** ، تصل قيمتها إلى ٢,١ مليون جنيه استرليني . ومما يذكر أن هذه الصالة قد عرضت منذ أحد عشر عاماً عينات من هذا الفن ، وكان من بين المعروضات الحالية آنية زهور رائعة يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر .

تشيكوسلوفاكيا

جائزة بينالي نيوستادت

حصل **جوزيف سكفوريكي** أشهر أدباء وقصاصي **تشيكوسلوفاكيا** على جائزة بينالي نيوستادت العالمية الألمانية وقيمتها عشرة آلاف دولار . وقد اختير ضمن تسعة أدباء آخرين منهم **أجانتر جراسي وميروسلان كارليز ومولك رادج أنان وباتيس ريبتوس** .

روسيا

ميدالية تحمل صورة ابن سينا

صمم رسام روسي ميدالية تحمل صورة العالم والطبيب الإسلامي الشهير **ابن سينا** وذلك بمناسبة مرور ألف عام على مولده . ويبدو في قرص الميدالية البالغ قطرها **١٥٠** ملليمتراً صورة الطبيب الشهير وكتب حولها باللغات العربية واللاتينية والروسية والأعوام ٩٨٠ ــ ١٩٨٠ م ، وقد استعان هذا الرسام الذي يدعى **الكسي بونوف** بصورة ابن سينا التي رسمها العالم الروسي **ميخائيل غيراسيموف** الذي ركز على الجمجمة .

أبو حنيفة

إمام فقه الرأي وموقفه



النعمان بن ثابت بن زُوطي . قيل : إنه من الموالي ، وقيل : إنه من أبناء فارس الأحرار الذين لم يره عليهم رق . ولد سنة ثمانين هجرية ، وأدرك أربعة من الصحابة ، هم أنس بن مالك بالبصرة ، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة ، وعامر بن واثلة بمكة . ولكنه لم يلقهم . ولذا فإنه يعد من تابعي التابعين ، وقيل إنه لقي منهم أنس بن مالك وروى عنه حديث طلب العلم فريضة وبذا يكون من التابعين .

نشأته وحياته العلمية

نشأ أبو حنيفة **بالكوفة** ، وبدأ حياته العلمية بدراسة **علم الكلام** ، وتنقل كثيراً بين **الكوفة والبصرة** من أجل ذلك ، ثم ترك الاشتغال بعلم الكلام **واشتغل بالفقه** ، فدرسه على **حماد بن سليمان** ، وكان يلازمه في درسه وفي بيته ، ويقوم على خدمته ويجلس على بابه ، فإذا جاء من يسأل عن مسألة أجابه هو ، ثم يدخل إلى الشيخ فيستفسر منه ليطمئن على صحة إجابته ، واستمر على ذلك قرابة ثماني عشرة سنة حتى مات حماد .

وكان في صباه يعمل بالسوق ويتخلف على التجار ، ويروى أن **الشعبي** مرَّ يوماً بأبي حنيفة في صباه فتفرَّس في وجهه مخائل النجابة . فسأله عمن يتخلف عليه ؟ فقال : أختلف إلى فلان وفلان بالسوق . فقال الشعبي : أسأل عمن تختلف إليه من العلماء ؟ قال : إني قليل الاختلاف إليهم . قال الشعبي : عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فإني أرى فيك يقظة وحركة .

فاشتغل بعلم الكلام ثم علم الفقه ، كما **سمع الحديث من عطاء بن رباح ونافع مولى عمر وغيرهما** ، وعرف بجودة الفقه والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية والغوص على المعاني ، كما كان قوي الحجة واسع الأفق لبقاً في حواره مكنه من ذلك دراسته لعلم الكلام أولا . قال عنه **الشافعي : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة** . وقال تلميذه **أبو يوسف** : ما رأيت فقيهاً أفقه منه . ووصفه **للرشيد** فقال : طويل الصمت ، دائم الفكر مع علم واسع ، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً . إن سئل عن مسألة كان له بها علم أجاب وإلا قاس مستفتياً عن الناس .

كان رضي الله عنه حاضر البديهة ، ويرى أن جمعاً من فقهاء المدينة جاءوا ليجادلونه فيما يقول : من عدم قراءة المؤتم خلف الإمام مخالفاً بذلك ما عليه فقهاء أهل المدينة . فقال لهم : هل ستناقشونني جميعاً في وقت واحد ، ألا تتخيرون منكم واحداً عنكم ؟ فاختاروا عنهم واحداً منهم . فقال أبو حنيفة : أترضون كلامه وتعتبرونه كلاماً لكم ؟ قالوا : نعم . قال : لقد أجبتم ففيم النقاش والجدل وهكذا فإن قراءة الإمام قراءة للمأموم .

كما كان واسع الحيلة ، ويرى الأخذ بالحيل التي يتخلص بها المرء من الحرام ويخرج به إلى الحلال . ويروى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الله سبحانه وتعالى . فقال لهم : دعوني فإني أفكر في أمر قد أخبرت عنه ، فقد ذكروا لي أن سفينة في البحر فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام . فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل . فقال : ويحكم هذه الموجودات بما فيها وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

ومما يروى من حيله أن رجلاً أتاه بالليل فقال : أدركني قبل الفجر وإلا طُلِّقت امرأتي لأنها امتنعت عن مكالمتي اليوم فقلت لها : إن طلع الفجر ولم تكلميني فأنت طالق ثلاثاً ، وهي مصرة على عدم مكالمتي . فقال له أبو حنيفة : اذهب فاطلب من المؤذن أن يؤذن قبل دخول وقت الفجر . على أن تكون جالساً معها تناشدها مكالمتك ، ففعل الرجل وأذَّن المؤذن . وسرعان ما كلَّمته المرأة قائلة لقد تخلَّصت منك فقد طلع الفجر .

وكان رضي الله عنه يتجه في فقهه إلى احترام حق الفرد حتى منع الحجر على من أصابه السفه أو الغفلة بعد البلوغ رشيداً ، إذ في الحجر عليه اضعاف لأهليته وابطال لعبارته وفي هذا مضيعة لكرامته كما يقول ، كما أنه **لم يجز التسعير الجبري للسلع حفاظاً على حرية المالك** ومنعاً من التحكم في الناس في أموالهم ، وأعطى الفتاة البالغة العاقلة حق مباشرة عقد زواجها بنفسها لكمال أهليتها وصلاحية عبارتها لإنشاء العقود

بقلم : د . محمد سلام مدكور

من السنّة

وترتيب الالتزامات .

وكان أبو حنيفة إذا افتقد النص في مسألة أمضى حكمه على **القياس** ، فإذا قبح القياس يمضيها على **الاستحسان** ، فإذا لم يمض له رجع إلى ما يتعامل به المسلمون . ومن استحسانه ، أنه استفتى فيمن قضى بجلده لثبوت الزنى عليه فلم يكمل عليه الجلد أو أكمل حتى شهد شاهدان بإحصانه ؟ فقال : القياس أن يرجم . ولكن يدرأ عنه حد الرجم وما بقي من حدّ الجلد استحساناً ؛ لأني أكره أن أرجمه وقد أقمت عليه حد الضرب فيكون قد أقيم عليه حدّان في زنى واحد . فهذا قبيح لا يستقيم في الاستحسان ، وإذا بقي عليه شيء من حدّ الضرب فإنه لا يوقع عليه لأنه عقوبة غير مستحقة .

والواقع أن أبا حنيفة كان أول من حاول تنظيم الفقه على أساس القياس مما تسبب عنه أول هجوم منظم ضد مبدأ القياس والرأي واستعماله في الفقه ، كما أنه لم يقف باجتهاده عند المسائل الواقعية بل كان يفترض المسائل ويقلبها على جميع وجوهها ثم يستنبط أحكام كل ذلك مما وسع دائرة الفقه ، وكان أبو حنيفة بحق خير من اشتغل **بالفقه التقديري** وفرض المسائل ، كما عرف بالمهارة في فقه الحديث فسرعان ما يفرع من الحديث ويستخرج الأحكام بعد التثبت من صحة الرواية .

وحقاً إن فقهه تناول الحيل الشرعية في مسائل المعاملات بوجه خاص . وكان ذلك نتيجة السعي وراء التوفيق بين المثل الأعلى والحقيقة الواقعة والتقريب بين الفقه والحياة . **وبالجملة فقد أوجد بمذهبه حياة فكرية حرة جعلت الناس ينقسمون في مذهبه إلى مؤيدين ومعارضين** . والواقع أن فقه أبي حنيفة شاركه فيه أصحابه فكان يلقي المسألة على أصحابه وأبرزهم **أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ابن الهزيل ، والحسن بن زياد** ، ويسمع ما عندهم فيها ثم يعقّب عليهم بما يراه في المسألة ويناظرهم حتى يستقر الأمر . وقد جمع محمد بن الحسن الشيباني هذه الأقوال ونشرها في كتب ظاهر الرواية .

وكانت الأدلة التي يأخذ منها الأحكام كما تفيده الفروع الفقهية المروية عنه ، هي الكتاب والسنّة والإجماع وقول الصحابي والقياس والاستحسان ، فقد روي عنه أنه قال : إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته ، فإن لم أجده فيه أخذت بسنّة رسول الله والآثار الصحاح عنه التي فَشَتْ في أيدي الثقات ، فإذا لم أجد في كتاب الله ولا سنّة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت . ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، فإذا انتهى الأمر إلى أقوال التابعين فلي أن أجتهد كما اجتهدوا .

وكان قياس فقه الرجل عند أبي حنيفة مقدار ما عنده من علم بأقوال العلماء في المسائل المختلف حولها . ويروى أنه وجه إلى **الإمام جعفر الصادق** بناء على طلب الخليفة أربعين مسألة فأجاب عنها جميعها وعدَّد أقوال العلماء فيها مما جعل أبو حنيفة يقول : رأيته أعلم الناس باختلاف الفقهاء .

ويبدو من توسع أبي حنيفة في الاستحسان أنه يدخل فيه ما أسماه غيره **بالمصالح المرسلة** وخاصة أنه لم يعيّن للاستحسان حدوداً وإنما هو أمر مستحدث أوجده الأصوليون بعد . وقد يكون عدم وجود ضوابط محددة للاستحسان أيام أبي حنيفة هو السر في حملة الشافعي على الأخذ بالاستحسان . مع أن الشافعي نفسه كثيراً ما استحسن .

وقد شنع عليه فقهاء مدرسة الحديث واتهموه بأنه يقدم القياس على **خبر الآحاد . روي أن أبا جعفر المنصور** كتب إلى أبي حنيفة يقول : بلغني أنك تقدم القياس على الحديث . فرد عليه قائلاً : ليس الأمر كما بلغك يا أمير المؤمنين ، إنما أعمل أولا بكتاب الله ثم بسنّة رسوله ثم بأقضية الخلفاء الأربعة ، ثم بأقضية بقية الصحابة ثم أقيس بعد ذلك إذا اختلفوا . كما روي عنه أنه قال : **عجباً للناس يقولون إني أقول بالرأي . إننا نأخذ بالرأي ما لم نجد أثراً ، فإذا جاء الأثر تركنا الرأي وأخذنا بالأثر**(١) .

وقال خصومه : إنه ليس له إمامة في الحديث ولا استقلال بعلمه ، ولا يوجد له في أكثر مصنفات الحديث ذكر ، وقالوا : إنه لم يرو إلا سبعة عشر حديثاً(٢) . والواقع أن أبا حنيفة لم يخالف حديثاً بلغه ، بل كان كما يقول عنه صاحبه أبو يوسف : ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة ، وكنا نختلف في المسألة فنأتي إليه فكأنما يخرجها من كمه فيدفعه إلينا(٣) ، وكل ما هناك أنه قد أعلّ بعض الروايات ، واتهم بعض الرواة ، واشترط للعمل بخبر الواحد ما لم يشترطه غيره ، فهو لم يخالف الأحاديث عناداً بل خالفها اجتهاداً لحجج واضحة .

وما قيل من أن مذهبه بني على سبعة عشر حديثاً لا يتفق مع الواقع ، فقد روي أنه انفرد برواية مئتين وخمسة عشر حديثاً سوى ما اشترك في إخراجه مع غيره ، وقد جمع تلاميذه الآثار من مروياته ومنها الآثار لأبي يوسف . فقد جمع فيه ما رواه الإمام من السنّة ورتبها على أبواب الفقه ، وكذلك فعل محمد بن الحسن ، والحسن بن زياد ، وحماد بن أبي حنيفة وغيرهم ، وقد اعتنى **الحافظ أبو محمد الحارثي** بالأحاديث التي رواها أبو حنيفة فجمعها من المسانيد المختلفة ، ثم جمع **الخوارزمي** المتوفي سنة ٦٦٥ هـ ، مسنداً لأبي حنيفة وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ هـ ، وكان سماه **جامع المسانيد** .

وقد طعن **أهل الظاهر** في فقه أبي حنيفة وقالوا : إنه فلسفة فارسية ، وعابوا عليه اعتماده على النظر في المعاني والعلل ، لأنها توجب

الاختلاف والاضطراب . والواقع أن الناظر في أصول المذهب ليطمئن إلى الثقة بأحكامه وأصالة استنباطه ، وكان يرى أن ضعيف الحديث أولى من القياس والرأي فقد قدّم حديث الوضوء بنبيذ التمر في السفر مع ضعفه على الرأي والقياس ، ومنع قطع السارق بسرقة أقل من عشرة دراهم والحديث فيه ضعيف . . وترك القياس المحض في مسائل الآبار لآثار فيها غير مرفوعة[٤] . وكان أبو حنيفة يعتبر الحديث المرسل ما دام الراوي ثقة . وكان شديد الفحص عن الناسخ من الحديث والمنسوخ فيعمل بالحديث إذا ثبت عنده ، كما كان يعرض الأخبار على عمومات الكتاب وظواهره فإذا تعارضا ترك الخبر عملاً بأقوى الدليلين ، كما أنه لا يأخذ بخبر الواحد إذا خالف سنّة مشهورة أو عمل أحد من الصحابة والتابعين .

فأبو حنيفة كغيره من الأئمة يرجع بعد القرآن إلى السنّة لأنها منه بمنزلة البيان ، ويرى كغيره أن التواتر منها قطعي الثبوت ، بل يذهب إلى أن المشهور يرفع إلى مرتبة اليقين أو مرتبة قريبة من ذلك ، وأنه يزاد به على الكتاب . ومن ذلك حد الرجم . فقد ثبت بحديث مشهور عندهم ، وكذا **المسح على الخفين** الثابت بالخبر المشهور ، واشتراط التتابع في صوم كفارة اليمين الثابت بما روي عن **ابن مسعود** واشتهرت روايته عنه .

ويقف من خبر الآحاد في الجملة موقفاً فيه احتياط وتثبت لأنه ظني الثبوت ، ولذا فإنه يخصه بشروط للتثبت من صحته واعتباره من سنّة **الرسول** ﷺ ، فإذا ما اطمأن إلى الرواية أخذ بها وقدّمها على القياس . فقد أثر عنه أنه قال : كذب والله وافترى علينا من يقول إننا نقدم القياس على النص ، وهل يحتاج بعد النص إلى قياس ؟ ![٥]

فليس من منهج الإمام أبي حنيفة تقديم القياس على ما ثبت عن رسول الله ﷺ حتى ولو كان خبر آحاد . يقول **ابن أمير الحج** : « إذا تعارض خبر الواحد والقياس بحيث لا يجمع بينهما قدم الخبر مطلقاً عند الأكثرين منهم أبو حنيفة » ، وإنما نسب القول بذلك في الجملة إلى **عيسى بن إبان** المتوفي سنة ٢٢١ هـ ، وهو من فقهاء الحنفية .

أما إذا كان هناك شك في رواية خبر الآحاد يرجع إلى مخالفة الراوي للخبر ، أو يرجع إلى أنه أمر تعم فيه البلوى مما يقتضي شهرته ومع هذا فلم يشتهر ، أو يرجع إلى أن الراوي غير فقيه والخبر يخالف القياس فإنه عندئذ لا يطمئن إلى رواية الخبر وخاصة أن الوضع والاختلاق على الرسول كان قد شاع في منطقة العراق في عصره ، ولم تكن الصحاح قد جمعت ولا تم وضع الموازين الضابطة ولا فحصت الرواية ومحصت كما حدث بعد عصره .

فكل ما في الأمر أن أبا حنيفة ومدرسته يتشدّدون فيما يشترط في الراوي للاستيثاق من صحة رواية الحديث . فهم كغيرهم يشترطون في الراوي العدالة والضبط . لكن الحنفية شدّدوا في معنى الضبط إذ التزموا ضبط المتن وضبط معناه فقهاً وشريعة . يقول **البزدوي** : « لم يكن خبر من اشتهرت غفلته خلقة أو مسامحة ومجازفة حجة لعدم ضبط المتن ، كما قصرت رواية من لم يعرف بالفقه عند معارضته من عرف بالفقه » . وكثيراً ما فاضل أبو حنيفة بين أخبار الآحاد بالرواة . ومن ذلك قوله **للأوزاعي** في مجادلة علمية حول موضوع رفع اليدين في الصلاة عند الركوع وقد احتج الأوزاعي بما رواه **الزهري وسالم** : « **كان حماد أفقه من الزهري ، وإبراهيم أفقه من سالم » وكان يحتج بما رويا عن رسول الله** .

وكثيراً ما أخذ أبو حنيفة بأخبار الآحاد وبنى فقهه عليها ، واستخرج محلل الأحكام منها ثم يقيس عليها ، وقد روى محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة عدة أخبار قبل فيها أخبار الآحاد ومن ذلك القول بانتقاض الوضوء بالقهقهة في الصلاة ، وانتقاضه بالنوم مضطجعاً ، والبقاء في الصلاة بعد الحدث السابق . بل كثيراً ما رجع عن رأيه وعدل عنه لما علم في المسألة خبراً صحيحاً يعتمد عليه في الاستنباط . ومن ذلك ما روي أنه كان يقيّم دية اليد على منافع الأصابع يتوجب في الخنصر دون ما يوجبه في الإبهام حتى بلغه أن رسول الله ﷺ قال فيما رواه **ابن عباس** : « هذه وهذه سواء » فترك رأيه واتبع الحديث . وروي أنه ترك رأيه الذي اتبع فيه صحابي لما بلغه عن رسول الله في ذلك حديث مخالف .

فإذا كان راوي الخبر صحابي عرف بالفقه والنظر أخذ بروايته وقدمها على القياس دون تردد وذلك كالأخبار التي يرويها **أحد الخلفاء الأربعة** ، أو **ابن مسعود** ، أو **ابن عمر** ، أو **زيد بن ثابت** أو **عائشة** ونحوهم ممن عرفوا بالفقه . أما إذا كان الراوي عرف بالعدالة والحفظ ولم يعرف بالفقه عمل بروايته إن وافقت القياس[٦] . ومع هذا فقد نقل البزدوي عن محمد بن الحسن أنه لا يرد حديث أمثالهم إلا إذا انسدّ باب الرأي . فقد أخذ أبو حنيفة بحديث أبي هريرة في عدم افساد الصوم بالأكل أو الشرب نسياناً وترك به القياس وقال : لولا الرواية لقلت بالقياس ، وأخذ بحديث أنس في أكثر مدة الحيض وعدل عن رأيه ، بل روى عنه ابن أمير الحج أنه كغيره يقدم خبر الآحاد على القياس سواء كان الرواي فقيهاً أم غير فقيه ، كما نقل ذلك أيضاً أبو الحسن الكرخي عن الإمام .

ويكون مرجع ما روي عنه من بعض أحكام لبعض الفروع الفقهية على خلاف ما جاءت به الأخبار عدم علمه بالخبر لعدم وصوله إليه في موطنه بالكوفة وهي تبعد عن موطن الحديث ، أو كان عالماً به لكن له وجهة في ردّه غير عدم فقه الراوي ولا انسداد باب الرأي كعدم الاطمئنان إلى قوله . وقد يكون لاختلاف الإقليم أثر في ردّ بعض الروايات بسبب تمسك كل جهة بما نقل لهم عن أئمتهم . يؤكد اعتبار أبي حنيفة لأخبار الآحاد ولو لم يكن الراوي فقيهاً وتقديمه على القياس ما يقوله أبو اليسر الفقيه الحنفي : المنقول عن أصحابنا أن خبر الواحد مقدم على القياس ، ولم ينقل عن أحد من السلف اشتراط الفقه في الراوي . فثبت أن هذا القول مستحدث[٧] .

وأبو حنيفة يتوسع في اعتبار الأحاديث حتى المرسل منها ، وهو يشمل عنده ارسال الصحابي والتابعي وتابعي التابعي أيضاً ، ما دام الراوي محل ثقة عنده وكان مطمئناً إلى روايته أمثال إبراهيم النخعي والحسن البصري الذي قال : متى قلت لكم حدثني فلان فهو حديثه لا غير ومتى قلت

قال رسول الله فقد سمعته من جمع غفير . مما يفيد أن للحديث المرسل قوة بتعدّد رواته ، وأن مرجع الارسال عنده التخفف من ذكر الرواة . فأبو حنيفة كما أشرنا لم يترك الخبر عناداً وما كان له ذلك أبداً وإنما تركه اجتهاداً ، وأن الخبر إذا صح عنده قدّمه على القياس . أما إذا وُجِدَ خبران متعارضان ، فإنه يلجأ إلى قاعدة نسخ المتقدم بالمتأخر والأخذ بالآخر فالآخر من فعل الرسول ﷺ ، لذلك ذهب أبو حنيفة إلى عدم نقض الوضوء مما مسّته النار ، وإلى رفع اليدين عند افتتاح الصلاة فقط ، وإلى التكبير بأربع تكبيرات في صلاة الجنازة لما ثبت أن ذلك آخر ما فعله الرسول ﷺ . وإذا لم يُعرف المتأخر والمتقدم فإنه يرجع بالقرائن ولذا فإنه يقدم الخبر الذي لا يعارض الأصول المجتمعة عنده ، ولا يعارض عمومات الكتاب وظواهره ، ولا يخالف سنَّة مشهورة ، ولا يعارض خبراً مثله . وإلا رجح بينهما عند المماثلة بوجه من وجوه الترجيح[8] .

ويشترط أبو حنيفة للاطمئنان إلى الراوي والأخذ بروايته ألا يعمل الراوي بخلاف ما يرويه ولذا فإن أبا حنيفة لم يعمل بالخبر الذي رواه أبو هريرة في غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعاً إحداهن بالتراب ، لأن ترك الراوي العمل بما روى قد يفيد أنه يعلم أن هذه الرواية نسخها شيء آخر بعدها .

ويتميَّز أبو حنيفة بالغوص وراء معاني النصوص وما فيها من النكت الفقهية يقول **القاضي أبو يوسف** : «ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من الفقه من أبي حنيفة» . وقال : ما خالفته في شيء قط فتدبَّرته إلا رأيت ما ذهب إليه أنجى في الآخرة ، وكنت ربما ملت إلى الحديث فكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني . فكان إذا صمَّم على قوله درت على مشايخ الكوفة لأجد في تقوية قوله حديثاً أو أثراً . فربما وجدت الحديثين أو الثلاثة فآتيه بها . فمنها ما يقول فيه : هذا غير صحيح أو غير معروف . فأقول له : وما علمك بذلك مع أنه يوافق قولك ؟! فيقول : أنا عالم بعلم أهل الكوفة .

وكان الكثير من المحدثين يعتمدون على أبي حنيفة في الفتوى حتى أن **الأعمش** لما كان يسأل في مسألة يعرضها على أبي حنيفة . فيجيبه ، فيقول له : **من أين لك هذا ؟!** فيقول : من أحاديثك التي رويتها عنك . فيقول : يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة وأنت أيها الرجل أخذت بكلام الطرفين .

ويروى أن **زفر بن الهزيل** كان متفرغاً لدراسة الحديث فنزلت به وأصحابه مسألة فأعيتهم فأتى أبا حنيفة وسأل عنها . فلما أجابه قال له : من أين قلت هذا ؟ قال : لحديث كذا وللقياس من جهة كذا فكان ذلك دافعاً لانتقال زفر إلى درس الإمام .

وإذا كان قد عرف عن الإمام أبي حنيفة أن فقهه تناول الحيل الشرعية خصوصاً في مسائل المعاملات وعرف بها مذهبه ، فإن ذلك كان بقصد التقريب بين الفقه والحياة . وقد اهتم فقهاء الكوفة عموماً في عصره بالحياة العملية واتخذوا الرأي مرجعاً مما اضطرهم إلى اتخاذ الحيل لتيسير هذا السبيل .

وتعاليم أبي حنيفة في الواقع ليست أصولا مخترعة من عنده ولكنها حلقة من حلقات التطور ، كما أنه أجاد بمذهبه حياة فكرية حرة جعلت الناس ينقسمون في مذهبه إلى مؤيدين ومعارضين . ورحم الله أبا حنيفة فقد كان لشدة ورعه يقول : علمنا هذا رأي وهو أكثر ما قدرنا عليه فمن جاءنا بخير منه قبلناه[9] .

ورحم الله الإمام فقد كان صاحب مدرسة وصاحب منهج تبعه فيه تلاميذ كبار وجعلوه هادياً ومرشداً لهم في التعرف على حكم الله . يقول القاضي أبو يوسف في اليوم الذي مات فيه : اللهم إنك تعلم أني لم أجر في حكم حكمت به بين عبادك متعمداً ولقد اجتهدت في الحكم بما يوافق كتابك وسنَّة نبيك وكل ما أشكل عليَّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه[10] .

فأبو حنيفة يحرص على العمل بالسنَّة وابتناء الأحكام عليها بعد القرآن ، لا يخرج على ما صح منها أبداً وإنما يغوص وراء المعاني ويحتاط فيما ينسب للرسول ﷺ ليطمئن وخاصة أن الوضع قد انتشر في عصره وخصوصاً في منطقة العراق .

ولم يقف أبو حنيفة باجتهاده عند المسائل الواقعية بل كان يفترض المسائل ويقلبها على جميع وجوهها ثم يستنبط أحكام كل ذلك مما وسع دائرة الفقه . وكان بحق خير من اشتغل بالفقه التقديري وفرض المسائل وقد كوّن مذهبه بطريق الشورى مع أصحابه .

وقد كان رحمه الله فقيهاً أميناً ثبتاً في رواية الحديث لا يروي إلا الصحيح . واسع المال ميسور الحال مصدر ماله تجارته . فقد كان خزازاً يبيع الخز . أزهد الناس في الجاه والسلطان . رفض القضاء في العهدين الأموي والعباسي فجلد وسجن ونقل عنه أنه كان يرى في القضاء ما يعرضه لغضب السلطان إن أرضى الله وغضب الله إن أرضى السلطان .

وقد اجتمع لمذهب أبي حنيفة من أسباب الانتشار ما لم يجتمع لغيره ففي **العهد العباسي** ازداد نفوذ هذا المذهب وتغلغل في أنحاء الدولة العباسية وكان المذهب الرسمي للدولة العثمانية والبلاد التي تأثرت في تشريعها الفقهي بها . ولقد كان لاتصال أبي يوسف بالخلفاء العباسيين وشدة نفوذه عندهم وتنصيبه على ولاية القضاء الفضل في الانتشار السريع الذي لاقاه هذا المذهب . . وإلى لقاء جديد على صفحات هذه المجلة الغراء إذا كتب الله لنا البقاء والقدرة .

الهوامش

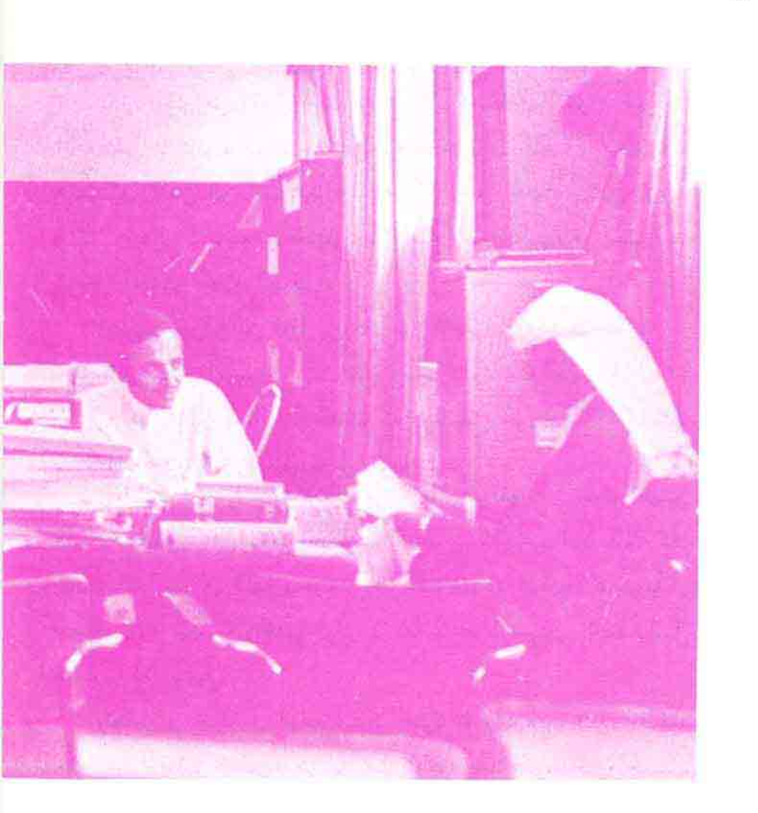
(١) انظر الميزان للشعراني ، ص ٥١ ، وأعلام الموقعين ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ .
(٢) الفكر السامي ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٨ .
(٣) المناقب للمكي ، ج ٢ ، ص ٤٣ .
(٤) أعلام الموقعين ، ج ١ ، ص ٧٧ .
(٥) الميزان للشعراني ، ص ٥١ .
(٦) كشف الأسرار ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .
(٧) كشف الأسرار ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ .
(٨) راجع لنا أصول الفقه الإسلامي «التعارض والترجيح» ، مطبوع سنة ١٩٧٦ م .
(٩) تاريخ بغداد ، ج ١٣ ، ص ٣٥٩ .
(١٠) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٣٠ .

تعددت أنظمة التعليم، بتعدد الأمم والمجتمعات والبلدان، وما يؤثر فيها من عادات وتقاليد ومعاهدات، فمنها من تبنّى نظاماً جديداً في محاولة لتطوير القديم، ومنها من ورث نظاماً ولم يتمكن من زحزحته إلا بعد حين، بحيث بقيت رواسبه، وتراءت ملابساته ماثلة للعيان. ومنها من خلط بين الأنظمة التعليمية سعياً وراء انتقاء الحسنات، واستبعاد المآخذ. وبين هذه وتلك انبثقت أنظمة عدة اصطبغت بصباغات وألوان متعددة، لتخدم مآرب شتى.

نظام الساعات المعتمد

أين نحن منه ؟!

بقلم: د. يوسف المتاضي



ومن بين هذه الأنظمة المتعددة الألوان والمشارب والأهداف، يبرز **النظام السنوي**، الذي كان سائداً في كثير من البلدان العربية ولا يزال، والذي يتخذ من السنة الدراسية كلها مجالا له، وربما تقسم السنة إلى فصلين تخفيفاً على الطلاب من إرهاق المقرر السنوي كله في آخرها.

ومن مزاياه تعيين المقررات الدراسية والمذكرات، لتهضم على دفعات، ويقيم الطلاب على حفظها في نهاية العام الدراسي، بحيث يكون الوزن الأكبر للامتحان النهائي، الذي يكون عادة في نهاية الفصل، أو في نهاية السنة الدراسية. وتترك نسبة مئوية من الدرجة النهائية لأعمال السنة، أو أعمال الفصل الدراسي، تزيد وتنقص من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن كلية إلى كلية. هذا هو النظام الذي درسنا بموجبه وقضينا سنوات المرحلة الإبتدائية والمتوسطة والثانوية في رحابه.

وما إن خلصنا من المرحلة الثانوية، إلى المرحلة الجامعية، حتى تخلّص بعضنا منه، ليس عن تخطيط لذلك، ولكن لأن الظروف هيأت لذلك البعض جامعات تتبع نظام الساعات المعتمدة.

ومع أن هذا النظام آخذ بالانتشار ووضعه موضع التنفيذ في كثير من المراكز العلمية والجامعات، إلا أن قسماً كبيراً من الزملاء أساتذة الكليات

والجامعات ، والقسم الأكبر من الآباء وأولياء أمور الطلاب ، لا يعرفون إلا النزر اليسير عنه . ولربما يكون ما عندهم من معلومات وصلتهم مغلوطة ، أو مشوهة من حيث صحتها . لذلك ، فإن توضيح مفهوم نظام الساعات المعتمدة ومناقشة مراميه وغاياته وأسسه ، أصبحت من الأمور الملحة ، للاطلاع عليها وفهمها . **فما هي غاياته ومراميه ؟؟! وما هي متطلبات تطبيقه في كلياتنا ومعاهدنا؟؟!**

نظام الساعات المعتمدة ومراميه

يعتبر هذا النظام برنامجاً شاملاً متكاملاً وموزوناً من حيث كفايته ، وحسن مردوده ، لأنه يتضمن الاعتناء بالطالب من جميع نواحي النمو ، أي أنه يأخذ بمبدأ النمو المتكامل الذي يعتني بالنواحي العقلية ، والنواحي

الاجتماعية ، والنواحي النفسية ، والنواحي الجسمية . فغايات هذا النظام ومراميه تهدف إلى مساعدة الطالب وتوجيهه حسب ميوله وحاجاته ، ليكون نموه ونضوجه نمواً ونضوجاً متكاملاً ، أي ليشمل النواحي المذكورة أعلاه . **ويعتبر هذا التوجيه أساساً رئيسياً من أسس التربية الحديثة ، التي يؤكد عليها ديننا الحنيف ، ويعمل على تحقيقها علماء التربية ، المؤمنون بربّهم ، والحريصون على مصلحة النشء الجديد من أبناء بلدهم** . فهذا النظام ، أي نظام الساعات المعتمدة ، يكفل للطالب الأمور التالية :

١ ـ الاعتناء بالطالب من جميع الوجوه :

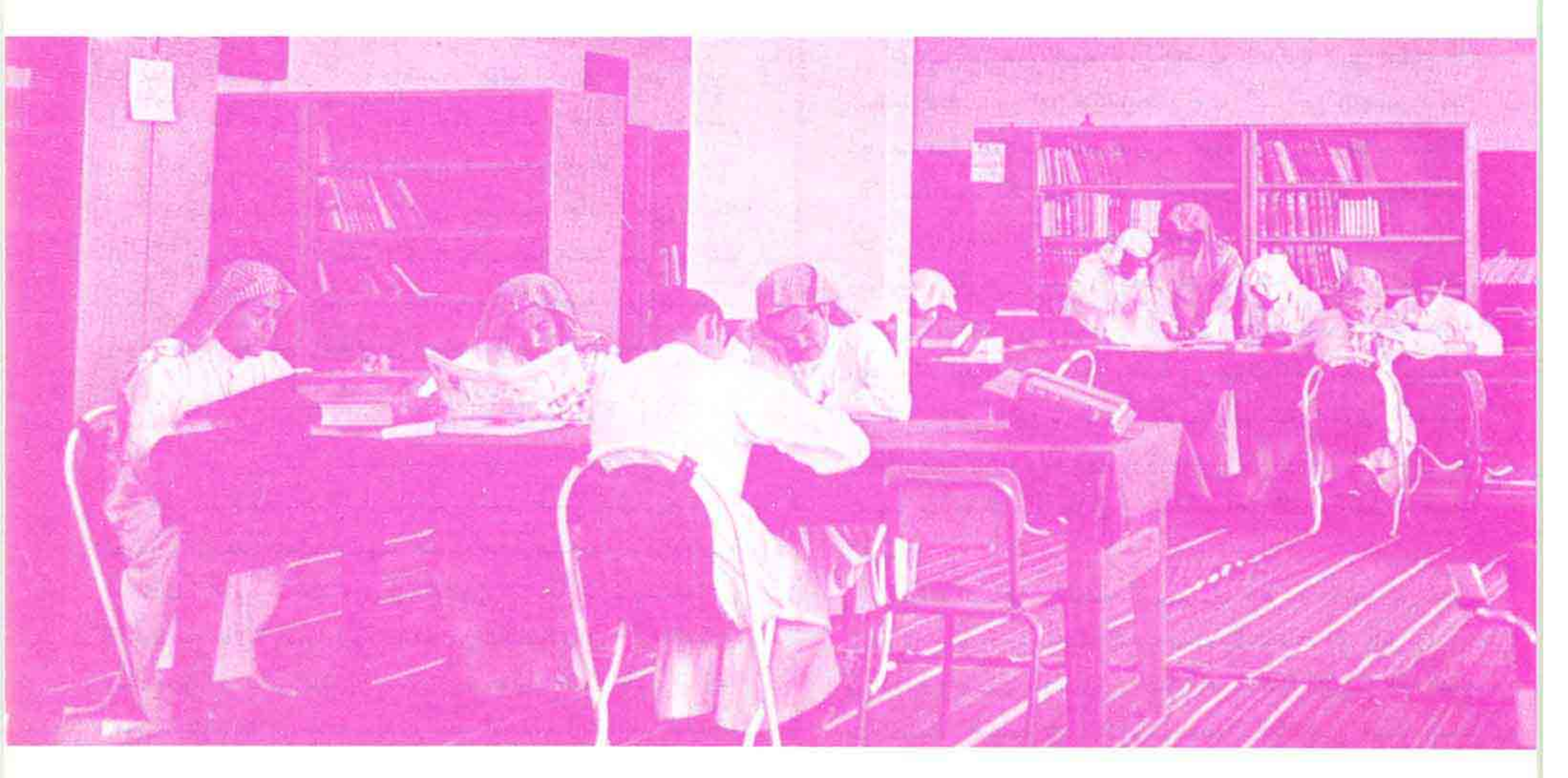
أي من جميع النواحي العقلية ، والنفسية ، والخلقية الاجتماعية ، والجسمية . لأن الطالب لا يعيش في فراغ ، وأنه يعيش في مجتمع له فيه حقوقه ، وعليه واجبات تجاهه . فعليه أن يطور نفسه ليكون قادراً على المفاهمة والتعاون مع من يعملون معه ، وإلا لا تنفعه معلوماته التي حصلها في دراسته إذا كانت مجرد معلومات تحفظ لذاتها . أما إذا تمكن من استعمال تلك المعلومات التي حصلها على شكل اختصاص من الاختصاصات ، وطبقها في نشاطاته وأعماله التي يمارسها لمنفعة المجتمع الذي يعيش فيه ويعمل ، فعندها تعتبر المعلومات وسيلة لا غاية في تحقيق هدف أسمى منها وأنفع ، ألا وهو **منفعة الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه** ، وبذلك يعم نفعها الجميع .

٢ ـ تزويد الطالب بالقدرة على التعلم المستمر :

ذلك عن طريق تشجيعه على القيام بالنشاطات وتحصيل المعلومات اللازمة لتنفيذها من مصادرها ، بحيث تصبح عنده عادة يتبعها . فالتعلم المستمر ينبع من ذات الإنسان ، ويدفعه لتقصي الحقائق والاستزادة من المعرفة والعلوم النافعة ، وتنفيذها لما فيه خير المجتمع . وذلك عن رغبة منه ودون إكراه أو إلزام .

٣ ـ إعطاء حرية الاختيار للطالب :

إيماناً بمبدأ الفروق الفردية بين أفراد المجتمع ، من حيث القدرة والمواظبة والميول والاتجاهات وقوة الاحتمال والصبر ، فقد وفر نظام الساعات المعتمدة للطالب حق اختيار ما يناسبه من دراسات ونشاطات واختصاصات ، ووضع له اللوائح والإرشادات ، وهيّأ له المرشدين لينتفع



بآرائهم ، ويعرف متطلبات ما يختار من نشاطات ودراسات وهكذا نرى أن هذا النظام ، مع أنه أعطى حرية الاختيار للطالب ، إلا أنه حافظ على مستوى التخصص ، حتى لا ينخفض نتيجة لاختيار غير موفق ، أو توخى فيه السهولة . فكل طالب يحمل من الساعات المعتمدة قدر طاقاته وميوله وحاجاته في دراسته .

٤ ـ تحمل المسؤولية :

من الأهداف التي يرمي إليها نظام الساعات المعتمدة إتاحة الفرصة للطالب ليتعود ويتعلم تحمل المسؤولية ، وذلك عن طريق إفساح مجال الاختيار له من حيث التخصص أو النشاطات أو من حيث الحمل الدراسي الذي يقدر على حمله وأداء واجباته . فهو سيد نفسه في هذه الأمور ، وعليه أن يفكر ويخطط ويختار وينفذ ما يراه مناسباً له ومفيداً لمستقبله . وإذا استعصى عليه أمر من الأمور ، استشار مرشده فيه ،

فالمرشد ذخر الطالب عند الحاجة ، يلجأ إليه ويرجع إذا استدعت الأمور ذلك . والنشاطات في معظمها تتجه هذا الاتجاه في نظام الساعات المعتمدة ، من حيث اعتماد الطالب على نشاطه وتفكيره وتخطيطه ، داخل حجرة الصف أو خارجها ، وعند عمل البحوث والتقارير وكتابتها ، وفي الإعداد والتخطيط والتنفيذ للنشاطات الهادفة على اختلافها .

٥ ـ التعاون بين الطالب والمرشد وأعضاء هيئة التدريس :

نتيجة لما سبق من أمور تربوية هادفة ، فإن نوعاً من التعاون الهادف الذي ينبع من يقين وثقة بين الطالب وأعضاء هيئة التدريس عامة ، والمرشد له في نشاطاته ودراساته بصورة خاصة ، ويُراعى فيه المصلحة العامة للمجتمع ، والمصلحة الخاصة للطالب . هذا التعاون الهادف ، هو من ضمن الأهداف التربوية التي تتضمنها العملية التربوية ، الذي يتأصل في نفوس الطلاب ، ويتميز في سلوكهم ونشاطاتهم ، حيث يحملونه معهم بعد التخرج إلى ميدان العمل الفسيح في بلدهم المعطاء .

ولإمكانية تحقيق ما فصّلنا من أمور ، فإن نوعاً جديداً من النظام المدرسي والمناهج يجب أن يطبق ، بحيث يكون مرناً وشاملاً لنواحي النمو المتكامل من النواحي العقلية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والجسمية . وسأحاول توضيح هذا النظام من حيث متطلباته وشروط تطبيقه .

متطلبات نظام الساعات وتطبيقه

لهذا النظام متطلبات علينا مراعاتها لنضمن حسن أدائه وإمكانية تطبيقه . من هذه المتطلبات تفهم أعضاء هيئة التدريس ، والإدارة ، والطلاب له ، ومن ناحية أخرى فإنه يحتاج إلى برنامج مرن يساعد على التحرك من خلاله بصورة أوسع وأنشط من النظام السنوي ، أو الفصلي . وثالثاً ، توفر عدد من المرشدين الذين خبروا هذا النوع من أنظمة التعلم . بالإضافة إلى مكتبة غنيّة بمراجعها الأصلية والثانوية ، ليغترف الجميع منها ما يحتاجون إليه من معلومات تساعدهم على النمو والتطور وحسن الأداء .

لذلك ، فإن علينا أن نسأل أنفسنا عن توفر هذه المتطلبات قبل البدء بتطبيقه ، لأنه لا يكفي أن نوفر القرطاسية والبطاقات والجداول اللازمة للتسجيل ، بل علينا أن نتأكد من تفهم أعضاء هيئة التدريس لهذا النظام ومتطلباته من حيث التطبيق ، والهدف من كل خطوة في تطبيقه . وكذلك ، فإن تفهم الإدارة لهذا النظام من الشروط الرئيسية لإمكانية تطبيقه تطبيقاً نافعاً ، لأن عدم تفهم أعضاء هيئة التدريس والإدارة للمرامي التي يهدف لها هذا النظام ، ينتج عنه اختلال في توخي فوائده والوصول إلى الأهداف التي رسمناها لتحقيقها .

وبالإضافة إلى الشرطين السابقين ، فإن هذا النظام يحتاج إلى إدارة متفهمة لعملها الإداري ، ولهذا النظام ومتطلباته ، لتسهم في جني فوائده ، ولا تكون حجر عثرة في سبيل تطبيقه . ويتفرع عن الإدارة العامة ، إدارة متخصصة هي **إدارة التسجيل والقبول** ، والتخصص شرط أساسي للقائمين على هذه الإدارة ، بالإضافة إلى تفهم مزايا هذا النظام .

ويتبع هذا النظام عادة مكتبة غنية بمراجعها المختلفة ، القديمة منها والحديثة . فأي نقص في هذه الأمور يؤدي إلى عرقلة هذا النظام ، وإلى التخبط في تطبيقه فتنتفي نتيجة لذلك ، الفائدة المرجوة منه ، وينهدم الأساس الذي يبنى عليه . ولتوضيح أهمية متطلبات هذا النظام وإمكانيات تطبيقه ، فإنني سأحاول شرح بعض النقاط الأساسية الهامة التي أشرت إليها أعلاه ، ومنها ما يلي :

١ ـ تفهم أعضاء هيئة التدريس لمتطلبات هذا النظام :

التدريس هو جزء لا يتجزأ من العملية التربوية التي تؤدي إلى مساعدة الطالب على النمو المتكامل من جميع النواحي وتفهم المدرس لمتطلبات هذا النظام من النظم التربوية ، يقود إلى تفهم الطلاب لمتطلباته والاستفادة منه . فكما نعرف ، أن **التدريس ، والتعليم ، والتعلم** ، هي من العمليات التربوية التي لاتنحصر بمجرد حفظ لمعلومات وتسميعها ، بل هي أوسع من الحفظ والتسميع بكثير ، لأنها من المفروض أن تعتني بالطالب من الناحية الفكرية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والجسمية ، ليعرف كيف يفكر ويخطط ، وليعرف كيف يتعاون ويتصرف مع أفراد المجتمع الذين يرتبطون به ويرتبط بهم عن طريق العمل ، وليعرف كيف يتحمل المسؤولية ، والمثابرة ، والصبر ، ولا ينكص على عقبيه ، عند مقابلته لأول فشل أو مشكلة ، وهي كثيرة ، وتشاركنا حياتنا العادية .

فنظام الساعات المعتمدة ينمي في الطالب القدرة على التعلم المستمر ، ويعطيه حرية اختيار المواد والعلوم والنشاطات التي يميل إليها ، ويعلمه تحمل المسؤولية والتعاون . فتفهم أعضاء هيئة التدريس لهذا النظام من المتطلبات الرئيسية لامكانية تطبيقه تطبيقاً نافعاً ، من حيث إفادة

الطالب داخل الصف وخارجه . فحضور المحاضرات ضروري ، وتبنى عليه النشاطات الأخرى المتممة لها ، مثل عمل البحوث ، ومعرفة استعمال المكتبة ومراجعها ، ومقابلة أفراد المجتمع ، والتعاون مع زملائه في كل هذه الأمور ، التي تساعده على النضوج الفكري والاجتماعي والنفسي ، فيشبّ قادراً على مواجهة تحديات العصر الذي يعيش فيه ، مستفيداً من المعلومات والخبرة التي حصلها أثناء سعيه لتجميع المعلومات اللازمة لبحثه مثلاً ، أو للقيام بنشاط هادف من النشاطات المنوعة التي يهيئها هذا النظام . فإذا كان على الطالب أن يقوم بهذه الأمور ، وهو حديث العهد بالقيام بمثلها ، فمن يساعده على تخطي الصعاب والعقبات التي يصادفها ؟؟ لقد تنبه هذا النظام لهذا التساؤل ، فكان **أن أكد على وجوب تواجد «مرشد» لكل طالب** ، على أن لا يزيد عدد الطلاب عن أربعة أو خمسة طلاب لكل مرشد . **فما هي واجبات هذا المرشد ؟؟**

٢ ـ المرشد وواجباته :

إيماناً منّا بالمبدأ القائل بأن كل إنسان يختلف عن الآخر في أمور كثيرة ، ويلتقي معه في أخرى ، فإن نظام الساعات المعتمدة يتعامل مع الطلاب كأفراد لهم ظروفهم الخاصة ، وميولهم وقدراتهم وأحاسيسهم التي فطرهم الله سبحانه وتعالى عليها ، وخصّهم بها . وانطلاقاً من مبدأ الفروق الفردية بين الناس ، فقد تنوعت المشكلات والعقبات التي تعترض سبيل كل واحد منهم . وهذا ينطبق على الطلاب أيضاً ، فهناك مشكلات دراسية تعترض سبيلهم ، وهناك مشكلات متعلقة بالبيئة والوالدين ، وهناك مشكلات تتعلق بالحالة الاجتماعية والقدرة على التفاهم مع أفراد المجتمع الذين يتعاملون معهم . بالإضافة إلى مشكلات اقتصادية ، وصحية ، ومعيشية لا يمكن حصرها .

والحالة هذه ، **فما هي واجبات المرشد تجاه طلابه ؟ وهل يفترض تشابه العقبات والمشكلات لديهم والتحديات فيرشدهم كمجموعة متجانسة ؟ أم هل يعطي لكل طالب حقه من الإرشاد حسب ظروفه واحتياجاته وميوله ؟**

إن مبدأ الفروق الفردية يوضح لنا أنه مهما تشابه اثنان ، فإن مجال المفارقة بينهما موجود . وعلى هذا فإن إرشاد كل واحد من الطلاب حسب الظروف المحيطة به أمر واجب في نظام الساعات المعتمدة . فما هي بعض واجبات المرشد ؟
يمكننا إيجاز مهام المرشد كما يلي :

(أ) تحديد الأهداف ووضوحها من الأمور التي يساعد المرشد الطالب فيها ويهتم بها .

(ب) المساعدة في تخطيط الأهداف للطالب وطريقة بلوغها عن طريق التنفيذ ثم التقويم .

(ج) مساعدة الطالب نفسيًّا وتعريفه بذاته وإمكاناته وقدراته وميوله ، وتشجيعه للمضي في تنفيذ ما خطط له وبلوغه هدفه ومرامه .

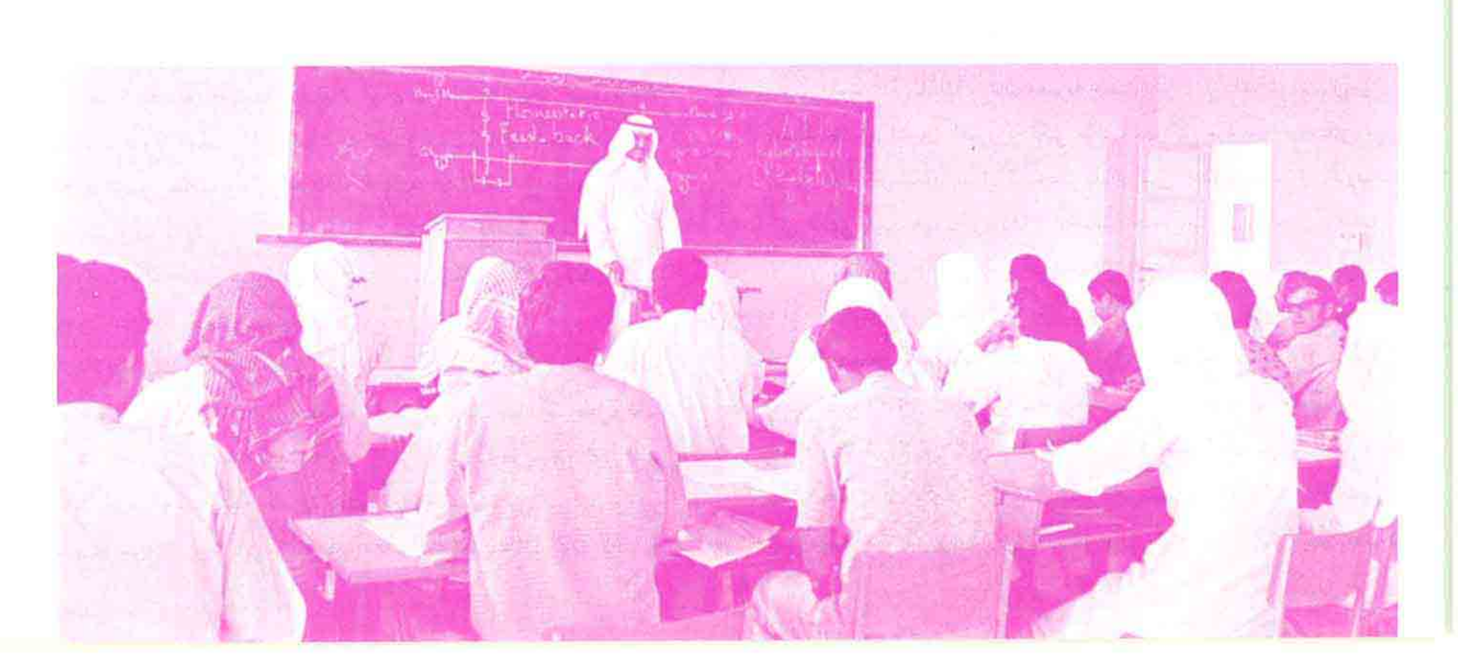
(د) التعاون مع الطالب في اختيار ما يناسبه من حمل دراسي ، ونشاط هادف ، وعمل مناسب يتناسب وقدراته العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية .

(هـ) تنمية ثقة الطالب بالله عز وجل ثم بنفسه وغرس روح العزم والتصميم والمثابرة لديه .

(و) مساعدة الطالب بالتخطيط للاشتراك **بالنشاطات الصفية واللاصفية** ، لما لها من أهمية في تثقيفه ومساعدته اجتماعياً ونفسياً وجسمياً وعقلياً .

(ز) مساعدة الطالب بإرشاده للطرق التي تساعده في الحصول على المعلومات التي يحتاج إليها في دراسته وعمله ، وذلك بحثه في الذهاب للمكتبة والتعرف على أمينها وعمله فيها ، وعلى المراجع ، والطريقة التي سيخرج بواسطتها ما يريده من معلومات في أقصر وقت وأيسر سبيل .

(ح) التعاون مع الطالب في عمل برنامج مناسب لدراسته بحيث يتأكد من عدم تضارب أوقات المقررات الدراسية والمحاضرات . كما ويأخذ بعين الاعتبار العبء الدراسي للطالب ، فلا يحمله أكثر أو أقل مما يمكنه حمله ودراسته .



(ط) لفت نظر الطالب لمراعاة أوقات التسجيل والحذف والإضافة ومتطلبات دراسة كل مقرر قبل تسجيله في الجداول الأولى ، وإتمام تسجيل المواد بمسمياتها ورموزها وساعاتها المعتمدة .

٣ ـ الإدارة المشرفة على تطبيق النظام :

إتمام أي عمل يتطلب التعاون من قبل جميع العاملين فيه ، واعتباره متمماً لبعضه البعض . أي أننا إذا أردنا إنجاز عمل ما ، فعلينا التأكد من إنجاز العمل كله لا بعضه ، لأن إتمام الجزء لا يجزي في كثير من الأحيان . ومن ناحية ثانية ، فإن تضافر الجهود من قبل جميع القائمين على العمل ، وتفهمهم له يعتبران ركنان أساسيان لإتمامه وإنجاحه .

وهذا ينطبق على القائمين على تطبيق نظام الساعات المعتمدة ، كما ينطبق على أية نظام آخر معمول به . فإنه لا يكفي أن يكون أعضاء هيئة التدريس متفهمين لهذا النظام وحسب ، ولا يكفي تفهم الطلاب له . بل يجب أن تكون الإدارة التي تسيّر الأمور التربوية والتعليمية متفهمة له ، عارفة لأبعاده ومراميه . فإن كثيراً من الارتباك حدث نتيجة لغلطة تتعلق بتسجيل طالب لمادة هو لم يسجلها فعلاً ، بل أضيفت على بطاقتها نتيجة لخطأ في التسجيل أو التسيير . أو يكون الخطأ قد وقع نتيجة لوضع اسم طالب بدل اسم طالب آخر ، أو من عدم اكتشاف انسحاب الطالب من مادة ما في الوقت المناسب ، أو من إضافته لها ولم تظهر في خانة الإضافة على البطاقة .

فالإدارة النشيطة المتفهمة لعملها ، تتفادى الوقوع في مثل تلك الأخطاء المتعمدة أو غير المتعمدة . وتحاول إصلاح الخطأ بالسرعة الممكنة في حالة وقوعه . لذلك ، ينصح أن تكون الإدارة المشرفة على تطبيق نظام الساعات المعتمدة ، متفهمة له ولأهدافه ، تماماً كالتأكد من تفهم أعضاء هيئة التدريس له ، والطلاب ، حتى يضمن للنظام سيراً طبيعياً ، ونجني فوائده على أسس علمية سليمة ، تتناسب وأهدافه الموضوعة له .

٤ ـ تواجد مكتبة غنية بمراجعها الأصلية والثانوية :

المكتبة المصنفة المفهرسة الغنية بمراجعها ، على أنواعها ، ضرورة لكل كلية أو مركز أو معهد . فمن متطلبات نظام الساعات المعتمدة قيام الطلاب بعمل بحوث وتقارير ميدانية علمية مختلفة . وهذه تتطلب معلومات وافية ، ودراية بعمل البحوث والتقارير . فلا بد والحالة هذه ، من تواجد مكتبة غنية بمراجعها ، وكتبها ، ودورياتها ، تمد الطلاب بما يحتاجون من معلومات بصورة مستمرة .

والافتقار لمثل هذا النوع من المكتبات ربما يؤدي إلى إرباك السير بموجب هذا النظام ، لأن من متطلباته العمل والبحث ساعات طوال بعد ساعات المحاضرة المخصصة للمادة ، ولا يجوز الاتكال على المذكرات التي يقدمها بعض أعضاء هيئة التدريس كمرجع وحيد لمادة من المواد ، بل من الضروري تنويع المراجع التي تتوفر فيها معلومات عن تلك المادة لإفساح المجال أمام الطالب للاطلاع بنفسه عليها ، ومقارنته لها ، واستخلاص رأي فيها .

فالتربية لا تقتصر على كيفية استيعاب المعلومات والحصول عليها ، بل تتعداها إلى معرفة كيفية توظيفها والاستفادة منها في نمو الطالب ، وتطوير مفاهيمه ، وتطبيقها في حياته العملية ، داخل المدرسة وخارجها .

٥ ـ العبء الدراسي :

يتميز نظام الساعات المعتمدة بأنه يعطي للطالب الحرية في حمل عدد من الساعات المعتمدة تتناسب وقدراته ، ودقته ، وعمله ، وذلك ضمن الحد الأدنى والحد الأعلى للساعات المسموح بها . وهذا يتمشى مع مبدأ الفروق الفردية ، فالطالب النشيط يمكنه أن يختار ويسجل عدداً من الساعات المعتمدة ، أكثر من عدد الساعات التي يمكن أن يختارها ويسجلها التلميذ العادي . ومساعدة المرشد له في الاختيار والتسجيل من الضروريات الأساسية لهذا النظام .

٦ ـ ثبوت عدد المحاضرات الفصلية :

فلو فرضنا أن عدد المحاضرات المقررة على الطلاب لمادة من المواد هو (٤٥) خمس وأربعون محاضرة في الفصل . فإن هذا العدد لا ينقص إذا صدف وتعطلت الدراسة في يوم من الأيام لسبب ما ، بل يبقى كما هو ، وعلى المدرس أن يعوض ما تعطل منها بالاتفاق مع التلاميذ ، بحيث يبقى عدد المحاضرات الفصلية المقررة ثابتاً . ولا ينقص منه شيئاً . لذلك نرى أن كثيراً من الكليات والجامعات تعمد إلى تمديد فترة الدراسة الفصلية حتى تضمن العدد المقرر .

٧ ـ توازن التسجيل بين المواد :

بما أن المواد المتجانسة التي تخدم تخصصاً واحداً ، تتفاوت من حيث المستوى ، وتعتمد على بعضها البعض في تفهمها ودراستها وتطبيقها من حيث المستوى ، لذلك ، فإن معرفة مستوياتها ، وأوقات تدريسها ، ومتطلباتها من الأمور الضرورية لكل طالب ، ولكل مرشد ، ليتمكن من إرشاد طلابه ومساعدتهم في تسجيل المواد التي يحتاجونها ، في الأوقات التي تعطى فيها حسب ورودها ، وحسب مستوياتها في الفصول المختلفة .

وكمثال على ذلك ، قبل أن يتمكن الطالب من التسجيل لمادة « الإدارة المدرسية » ، عليه أن يعرف ما هي المواد التي عليه أن يأخذها قبل أن يسمح له بتسجيل هذه المادة ، وفي أية فصل من فصول الدراسة تعطى هذه المادة . كذلك ، عليه أن يعرف كم ساعة معتمدة مطلوبة منه في الاختصاص الأول ؟ وكم ساعة مطلوبة في الاختصاص الثاني ؟ وكم ساعة مطلوبة في الثقافة العامة ؟ حتى يخطط لتوزيعها على الفصول وتسجيلها حسب ورودها . وإلا فلربما صار عليه لزاماً أن ينتظر فصلاً

آخر ، أو فصلين ، إذا لم يسجل ما هو بحاجة إليه من ساعات معتمدة في أوقاتها ، وحسب حاجته لها . وهنا يبرز دور المرشد في توجيه الطالب لوضع خطة محكمة من واقع المقررات المطلوبة حسب ورودها في الفصول المختلفة .

ومن ناحية أخرى ، فإن التسجيل المكثف لمواد التخصص ، وإهمال التسجيل في مواد التخصصات الأخرى المطلوبة ، كالتخصص الثاني ، يخلّ بالتوازن الذي يتوجب على الطالب التخطيط له ومراعاته ، ومن نتائج ذلك الإخلال تأخير تخرج الطالب ، لأنه سيضطر إلى الانتظار فصلاً أو فصلين ، حتى يتمكن من التسجيل للمواد التي تنقصه لإتمام واستكمال شروط تخرجه . وحتى لا يتأخر الطالب ، ولمساعدته في أخذ ما يلزمه حسب الخطة التي وضعها له مع مرشده ، فإن إدارة التسجيل تعلن عن إبتدائه قبل مدة كافية ، كما أنها تخصص أياماً للحذف والإضافة ، لتتيح الفرصة للطالب ، ليفكر في ما سجله من مواد ، وليحذف أو يضيف حسب حاجته ومقدرته ووقته .

٨ ـ الموازنة بين التخصص والثقافة العامة :

مع أن التخصص يعتبر ضرورة من ضروريات العصر الحاضر ، إلا أن اكتساب ثقافة عامة تهيئ للإنسان قاعدة اجتماعية تساعده على التعامل مع أفراد مجتمعه . فمن هنا باتت الثقافة العامة من متطلبات عصرنا . ولذلك ، فإن نظام الساعات يحرص على الاعتناء بالطالب من الناحيتين ، **ناحية التخصص ، وناحية تزويده بالثقافة العامة** ، ويوازن بينهما قدر الإمكان .

النظام السنوي ونظام الساعات

والآن ، وبعد أن استقر الرأي في بعض البلدان النامية للأخذ بنظام الساعات المعتمدة ، فإنه من المتوقع أن تقع أغلاط وتجاوزات ، مقصودة أو غير مقصودة ، في تطبيقه ، لأن هذا النظام يتطلب ، كما شرحنا سابقاً ، تفهماً له من قبل أعضاء هيئة التدريس ، ومن قبل الطلاب ، ومن قبل العاملين في الإدارة وفروعها .

ومن الأخطاء والتجاوزات التي تقع عادة ما يلي :

١ ـ الخلط بين النظامين ، القديم والحديث :

إن من عاصر النظام السنوي لا يمكن أن ينسلخ عنه بسهولة ، ويتحول إلى نظام آخر كنظام الساعات المعتمدة ، الذي له متطلباته وتخطيطه وأهدافه ، ويعمل فيه عضو هيئة التدريس بجد ونشاط وحيوية ليقدم للطالب ما يحتاجه ويساعده في تفهم عملية التخطيط والتنفيذ والتقويم واستخلاص النتائج .

فعضو هيئة التدريس الذي تعود على اتباع النظام السنوي ، سيخلط بين متطلبات النظامين عند تحوله إلى النظام الجديد ، لأن رواسب كثيرة تعشعش في نفسه وتسدُّ عليه الطريق ، وفي الغالب ، فإن جهله بالنظام الجديد يوقعه في متاهات وأخطاء كثيرة . لذلك بات من الضروري تدريب الأساتذة والمدرسين الذين لا يعرفون عن نظام الساعات شيئاً ، ليتعرفوا على متطلباته ويخبروا خفاياه ومآربه .

٢ ـ تهشيم النظام الجديد :

بالإضافة للخلط بين النظامين من قبل فئة لا تعرف عن نظام الساعات شيئاً ، فإن هناك فئة تحاول تهشيم النظام الجديد ، لأنها لا تعرف عنه شيئاً ، ولأنها لا تريد أن تعترف أنه أفضل من النظام الذي درست بموجبه وترعرعت وبنت مستقبلها عليه ، فلو أن تلك الفئة تحولت إليه ، لشعرت باختلال بمركزها ، ولتقدمت عليها فئة المدرسين الذين تمرسوا على النظام الجديد .

لذلك ، ترى تلك الفئة تحاول جاهدة تهشيمه كما أسلفنا ، إما حبًّا في لفت انتباه الطلاب والمدرسين ، أو كرهاً لكونهم أنهوا تحصيلهم على نظام مغاير ، فتبنوا **النظام القديم** ، وأخذو يفاخرون به ويمجدونه . وهذه الفئة عادة صعبة المراس ، ويتطلب تليين عودهم صبراً وحنكة ودراية ، حتى لا يقع احتكاك نحن في غنى عنه .

٣ ـ عقدة المذكرات والمتاجرة بها :

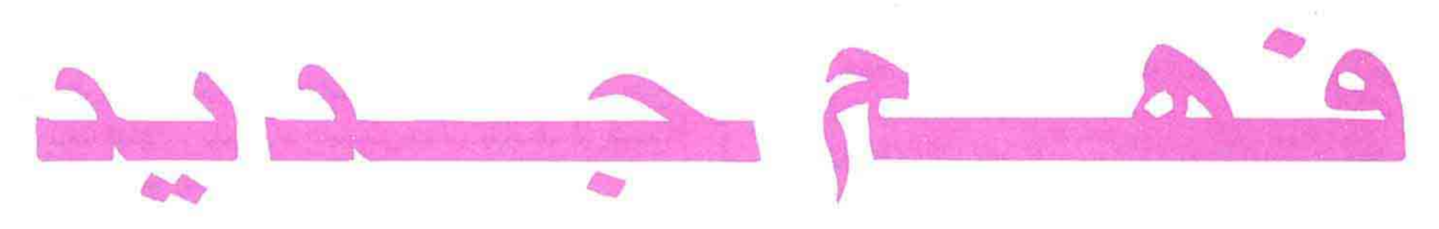
وعقدة المذكرات تنبثق عن تعود الطلاب عليها بصورة مركزة ، وعن تمسك المدرسين بها وتقيدهم بنصوصها ، إما لأنها أسهل في التدريس والتطبيق لهم وللطلاب مع انتفاء الفائدة من ذلك ، أو لأنهم يعدّونها ويبيعونها ، وتوقفها يوقف عنهم الربح المنتظر منها .

ومهما كانت الأسباب لوجود المذكرات ، فإنها من ناحية تربوية تعتبر قاصرة ، لأنها تحدد رؤى الطالب ، وتقيد تفكيره ونموه ونضوجه . ولأن الطالب بحاجة إلى مراجع أخرى يستنير بها ويكتسب منها علماً وخبرة عن طريق استيعابها وتطبيقها في حياته العملية ، وبحوثه العلمية الميدانية . فهل بالإمكان تحول هذه الفئة من المدرسين الذين يعتبرون المذكرة كافية لنمو طالب من النواحي الفكرية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والجسمية ، نعم تحولهم إلى نظام الساعات المعتمدة ، الذي يحث على تدريب الطلاب ومعاونتهم وتشجيعهم على التخطيط والتنفيذ والاستفادة من الوقت قدر المستطاع ؟ والذي يتطلب استمرار تقويمهم طوال الفصل الدراسي وبسبل شتى للتقويم كالمناقشة ، والملاحظة والبحوث العلمية الميدانية ، والنشاطات الاجتماعية ، والصفية واللاصفية ؟

والذي يتطلب التطوير المستمر للامتحانات والاختبارات ، والتقليل من وزن الامتحانات النهائية والتخفيف من آثارها لأنها لا تمثل التقدير الصحيح لمستوى الطالب ؟

فلنظام الساعات المعتمدة فوائد كثيرة بيّنا بعضها فيما سبق من كلام ، وله متطلبات كثيرة يجب أن تتحقق قبل أن نتمكن من الحكم له أو عليه .

تتغير دلالات المصطلحات الأدبية والفنية من جيل إلى جيل، إذ يتاح للحياة الأدبية ناقد مقتدر يمنح المصطلح الأدبي والفني مدلولا جديداً، وذلك بعد أن يستعرض ثمراته الأدبية أو الفنية، محاولا أن يستخرج من الملامح المتناثرة قسمات وجه محدد واضح. ولعل أدرج مصطلحين أدبيين عرفهما الإنسان هما: الكلاسيكية، ثم الرومانتيكية. وهما كذلك أكثر المصطلحات إغراء للناقد بإعادة النظر ومحاولة إعادة تحديد القسمات.



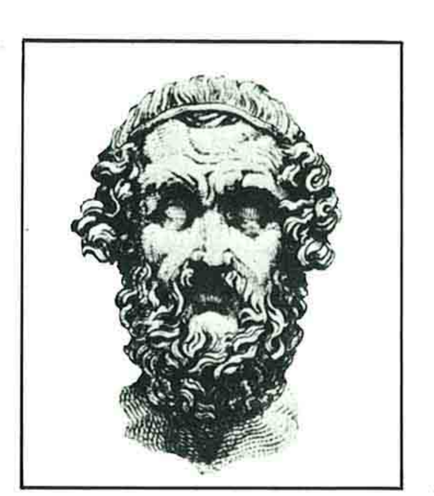
فهم جديد

أما مصطلح الكلاسيكية فقد جرى العرف حين أعيد النظر في النقد الأدبي الأوروبي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، على أن يقترن مفهومه بمفهوم الآداب الكلاسيكية التي أبدعها الإغريق والرومان الأقدمون. فإذا ذكر الشعر فإن الكلاسيكي منه هو ما حلق في هذه الأجواء السحيقة، وحرص في اختيار ألفاظه على الاغتراف من معين البلاغة والوضوح، وإذا ذكر المسرح فهو مسرح الوحدات الثلاث كما شرعه **أرسطو**، أو بالأحرى كما فهمه شارح أرسطو الإيطالي «**لودفيجو كاستلفترو**» مترجم «فن الشعر» إلى الايطالية في القرن السادس عشر، حين أوجب أن تكون المسرحية واحدة الحدث لا تشتغل إلا بغرض واحد، واحدة المكان لا تدور إلا في مكان واحد أو مواضع متعددة من مكان واحد، واحدة الزمان لا تستغرق إلا يوماً واحداً أو يوماً وليلة واحدين أو دورة شمس واحدة كما قال كاستلفترو. وذلك رغم أن أرسطو لم يذكر في كتابه إلا الوحدة الأولى، وهي **وحدة الحدث**، وذلك حين قال في الفصل الثامن من كتابه «**فن الشعر**» «وكذلك يجب في **القصة** ـ من حيث هي محاكاة عمل ـ أن تحاكي عملاً واحداً، وأن يكون هذا العمل تاماً، وأن تنظم أجزاء الأفعال بحيث أنه إذا غير جزء منها أو نزع انفرط الكل واضطرب، فإن الشيء الذي لا يظهر لوجوده أو عدمه أثر ما ليس جزءً لازماً للكل».

كان دعاة الكلاسيكية في القرنين السابع والثامن عشر أكثر تأغرقاً من الإغريق، وذلك لأن أوروبا قد توهمت أنه في حضارة الإغريق، وأسلافهم الرومان يكمن ماضيها الذهبي، فهي إذن تحاول بعث هذا الماضي واحيائه، والتمثل به، ومحاكاته محاكاة قد تخرج أحياناً إلى شطط التقليد.

يقول **الشاعر الإنجليزي الكساندر بوب** (ت: ١٧١١م) في قصيدته مقال في النقد:

وإليك كيف عرفت اليونان القديمة قواعدها النافعة المدونة



★ هوميروس ★

متى تقمع، ومتى تغفر.
لقد كشفت لأبنائها، من فوق قمة جبال البارناس،
وأومأت إليهم نحو تلك الطرق المضنية
حيث تتألق بعيدة، عالية، الجائزة الخالدة
وحثت «**الجميع**» أن ينهضوا بنفس الخطى
وعلمتهم من خلال المثل العالية التي رسمتها لهم
ماذا قد يقتبسون من السماء.

ولا شك أن كلمة «**الجميع**» التي أوردها «بوب» هنا تشير إلى معاصريه من الأوروبيين، ولعلنا نجد على الضفة الأخرى من البحر صوتاً أسبق من صوت «بوب»، ذلك هو صوت «**بوالو» الفرنسي**، (ت: ١٦٩٤م) وهو يردد نفس الأفكار في كتابه (تأملات ـ الجزء السابع حول الناقد الروماني كاسيوس لونجينوس) حين يشير إلى **نظرية الأدب السامي المنسوبة إلى لونجينوس**. فالأدب عنده ليس جميلاً فحسب، بل هو سام وجميل أيضاً. ومن هنا فإن أشخاصه يجب أن

بقلم : صلاح عبد الصبور

لكلمتين قديمتين



★ ت . س . إليوت ★

يكونوا من أرفع البشر أو من هم فوق البشر ، ولغته يجب أن تكون سامية محلقة ، رفيعة لا تكاد تتدنى إلى ألفاظ العامة الدائرة . وكذلك العواطف التي تدفئه يجب أن تكون عواطف سامية نقية .

هذه هي الكلاسيكية كما فهمها القرن السابع والثامن عشر ، حتى احتجت عليها الرومانتيكية في القرن التاسع عشر ، وقد بدأت حركة الاحتجاج في المسرح ، إذ إنه أقدم الفنون الأوروبية بعد **الملحمة** ، ويهمنا هنا أن نشير إلى أن لونين من الابداع الأدبي لم يتأثرا بهذا النزاع بين الكلاسيكية والرومانتيكية إلا قليلاً ، وهذان الفنان هما فنا الرواية والملحمة .

اما فن **الرواية** فلأنه كان حديث النشأة ، لا ينبعث عن أصول إغريقية أو رومانية ، بل هو نمط مستحدث مصاحب لنشوء المدن الأوروبية الكبيرة . وكان أيضاً بطبيعته أقرب إلى الواقع وأحرص على تناول شخصياته من البشر العاديين ، أما الملحمة فإنها لا تكون جديرة باسمها إلا إذا حاكت ملاحم اليونان والرومان ، ومجال الابتكار والتجاوز فيها محدود .

ولقد بدأت حركة الاحتجاج في المسرح بمسرحية **فيكتور هيجو** الشهيرة « هرناني » . وليس هنا مجال إعادة ذكر ما صحب عرضها من ضجة ولد في حمياها ذلك التيار واكتسب ملامحه الواضحة . ولكن مما تجدر الإشارة إليه أن احتجاج هيجو لم يكن هو الصوت الوحيد ، بل واكبته أصوات أخرى في **ألمانيا وإنجلترا** ، حين أشار الكاتب **الشاعر الألماني** « **نوفاليس** » إلى ثراء عالم الأحلام بالصور والخيال ، وحين عكف **كولردج** و **وردز ورث** في إنجلترا على نفسيهما يستمدان منها الصور الوجدانية والأحاسيس التأملية الحزينة .

ولقد كان الكاتب الفرنسي **ستندال** (ت ١٨٤٢ م) هو أول من صك هذا المصطلح ، وهو حين صكه جعله نقيضاً للمصطلح القديم ، الكلاسيكية ، ولكن تتالي صدور النتاج الأدبي الذي يحمل هذه الراية جعل لهذا اللفظ الجديد دلالات شتى تتناقض الدلالات المستقرة للكلاسيكية ، **فإذا كانت الكلاسيكية فن الإحكام والتدبير ، فإن الرومانتيكية هي فن العفوية والانطلاق . وإذا صدرت الكلاسيكية عن العقل المتأمل فإن الرومانتيكية تصدر عن الخيال الخصب ، وإذا اهتمت الكلاسيكية بعالم الموضوع ، فإن الرومانتيكية تهتم بعالم الذات .**

كانت هذه هي صورة الفرق بين هذين الأسلوبين الأدبيين حتى تصدى النقاد المحدثون لإعادة البحث في الدلالات الأدبية المتوارثة ، وكان من ألمع هؤلاء النقاد الشاعر والناقد الإنجليزي **ت . س . اليوت .**

يرى اليوت أن الفنان الناضج هو أقدم المخلوقات وأحدثها في ذات الوقت ، فهو إذن كلاسيكي ورومانتيكي في آن واحد . وهو يقول في وضوح « أعتقد أن الفنان أشد بدائية وأشد تمدناً من معاصريه ، فتجربته أعمق من المدنية وهو إنما يستعمل مظاهر المدنية ليعبر عنها » .

فالفنان إذن تاريخي ، بمعنى أنه ينتمي إلى التاريخ بجملته ، وهو الإنسان القادر على أن ينظم كل شذرات المعرفة التي اكتسبها من قراءاته


★ فيكتور هوجو ★

ومطالعاته وتجاربه في أنماط قولية محكمة معيداً ترتيبها لكي تكتسب دلالات إنسانية شاملة تستطيع أن تخاطب البشر أياً يكن موطنهم أو عصرهم .

والفنان الناضج عند إليوت حين يقرأ التاريخ لا يقرؤه كتاريخ ، بل يقرؤه كوقائع حادثة في زمن معاصر أو في لا زمن أو في كل الأزمان ، وهو « **حين يعالج الوقائع القديمة يستخلص منها ما لا يزال في جوهره حياً ، وقد لا يلحظ إلا الأمور العارضة حين يعالج حياة المعاصرين** » .

ولقد قادت هذه النظرة إليوت إلى نظريته في الموروث الأدبي . وهي نظرية ترى أن نهر الفكر والثقافة يتدفق واحداً متصلاً من أقدم العصور حتى الآن ، وأن **الشاعر الحق هو من يستوعب تيار الشعر المتصل ، ويحس بانتمائه إليه** ، وبأنه قطرة من قطراته تفيض من النهر لتصب فيه ، بل إن **الشاعر الكبير حقاً هو من نرى فيه ظل أسلافه من الشعراء** . ولعل أوضح مقال في هذا الرأي هو قول إليوت نفسه : نحن قد نرضى على تميز الشاعر عن أسلافه ، وبخاصة تميزه عمن سبقوه مباشرة ، ونحاول أن نجد شيئاً ينفرد به عما عداه لنستطيع الاستمتاع به وحده ، مع أننا لو مارسنا قراءة الشاعر ، ونحن خالصون من هذا الميل الجامح فقد نجد أن خير ما لديه ، بل النواحي المتفردة في نتاجه هي في واقع الأمر ، تلك التي ترك عليها أسلافه الموتى من الشعراء طابع خلودهم بأسطع الألوان » .

ولنسأل عندئذ : هل الشعر تقليد ، وهل الشاعر مقلد لمن سبقوه من الشعراء ؟

ويجيبنا إليوت قائلاً : إن هناك أربع طبقات من الشعراء ، شاعر فج يحاكي من سبقوه ، وشاعر ناضج يسرقهم ، وشاعر سيء يشوههم ، وشاعر حق ، وهو ذلك الذي يجمل ما يأخذه ويجعله شيئاً جديداً بما يضيفه إليه من قيم وفهم جديد للحياة . ويضيف إليوت في موطن آخر أن كل التراث الإنساني الشعري لازم للشاعر ومباح له . فالشاعر الحق يحس بأمرين :

● **أولهما** : أن جيله مستكن في جلده وعظمه .

● **وثانيهما** : أن أدب الإنسان منذ **هوميروس** حتى العصر الحديث يؤلفان في نفسه نسقاً متصلاً ، وبالأحرى فإن الشاعر الحديث يعيش في الزمان واللازمان معاً .

ولكن إذا كان هذا هو قدر ثراء الشاعر بالثقافة والتجربة ، فكيف إذن ننسق هذه الثقافة والتجربة في نفس واحدة دون أن تتشتت وتتداح . . . ؟

ذلك أمر لا يدرك إلا بالموهبة ، « فالشاعر هو الشخص الذي يسبك جوانب التجربة المتباعدة ، فإن تجربة الرجل العادي الثقافية والحياتية فوضوية لا قياسية مبعثرة ، فهو قد يقع في الحب أو يقرأ سبينوزا ولا علاقة لواحدة من هاتين التجربتين بالأخرى أو بضجة الآلة الكاتبة أو رائحة الطبيخ في مطبخه ، أما الشاعر فإن هذه التجارب كلها تتشكل في ذهنه ساعة الابداع الشعري في نسق مطرد » .

ولعلنا لا نستطيع أن نتحدث عن إليوت دون أن نشير إلى نظريته الثانية في « **المعادل الموضوعي** » ، ومختصر هذه النظرية هو أن الشاعر لا يعبر عن عواطفه ولكنه يهرب منها . فهو يتخير لعواطفه صورة لا تنتمي إلى شخصه بقدر ما تنتمي إلى الوجدان العام . وذلك هرباً من النزعة المغالية في العاطفية التي عرفها القرن التاسع عشر ، فهو حين يريد أن يعبر عن ضيقه وملله يقول « **لقد قست حياتي بملاعق القهوة** » ، وهو قد يبحث في التاريخ أو الوجدان العام لكي يجد معادلا موضوعياً لحالته العاطفية أو النفسية فيستعيره من سياقه لكي يورده في سياق جديد .

وهنا نجد أن إليوت قد صال صولة بعيدة المدى عميقة القصد ، فأعاد طرح مصطلحي الكلاسيكية والرومانتيكية من جديد .

لقد أفزع إليوت ما تردت فيه الرومانتيكية من ولع باستعراض الذات ، واسراف عاطفي فج ، فرأى أن الرومانتيكية قد ختمت حياتها وأتمت دورتها وغدت مستهلكة بالية .

ورأى إليوت أن الشعر يجب أن يعود إلى العقل ، وهو لا يعني بالعقل هنا العمليات العقلية من استنتاج واستنباط وقياس ، ولكن العقل بمعنى حدة الذكاء وتألق الوعي . وحين يعود الشعر إلى العقل يصبح الشاعر أكثر حساسية ، فتتألق عندئذ حساسيته كما يتألق تفكيره ، ويتآلف الجوهران معاً لكي يصنعا الشاعر المتفكر ، الذي هو مختلف عن الشاعر العقلاني ، بقدر ما يختلف الفنان عن الثرثار .

بعد ذلك كله يحاول إليوت من خلال تراثه النقدي كله أن يضع تعريفاً جديداً للكلاسيكية والرومانتيكية . فالكلاسيكية عنده هي النضوج الذوقي والعقلي ، وهي الاحكام في بناء القصيدة ، والبعد بها عن منحدرات العاطفية المسرفة . وهي ليست تقليداً للأقدمين أو استحياء لهم ، ولكنها تمثل التجربة الشعرية الكونية وتجاوزها .

والرومانتيكية عنده هي الإسراف العاطفي والولع بالوهم دون الخيال ، والتفكك في بناء القصيدة ، والضحالة في فكرها .

وبهذا المعنى يجهر « إليوت » بأنه كلاسيكي في الأدب ، رغم أنه كان من ألمع المجددين .

شاعرة هندية مسلمة ، شغلت الدنيا وفتنت المثقفين في القرن السابع عشر ، وتُرجم ديوانها إلى الإنجليزية ، فبهر المثقفين في الغرب ، ونقل أكثره إلى العربية فرأى قراؤها نمطاً رفيعاً من البيان يتضمخ بعبير الإسلام ، أما اللغة الفارسية فقد سعدت بالشاعرة حقاً ، لأنها نظمت أشعارها بهذه اللغة المحظوظة ، كانت الشاعرةُ تلميذةً لشعراء فارس العظام ، فُتِنت **بفريد الدين العطار وسعدى الشيرازي ، وعمر الخيام** ، ولكن شاعرها المفضل كان **حافظ الشيرازي** ، فقد استهواها حتى حفظت جميع ما قال ، وحاكت قصائده في عهدها الأول ، عهد المرانة والتدريب ، ثم استقلت فيا أبدعت من شعر رقيق ، ولكن أثر حافظ الشيرازي يترقرق في شعرها كالسكر في الماء ، تتذوقه دون أن تراه .

زين النساء

شاعرة هندية مسلمة

بقلم : د . محمد رجب البيومي

أسرة ملكية عريقة

زين النساء أميرةٌ نشأت في مهاد النعمة ، رأت مجد جدّها الإمبراطور **(شاه جهان)** وحظيت حيناً ما بعطف والدها الإمبراطور **(أورانجزيب)** ، وهي حفيدة ملوك الإسلام الكبار في الهند ، حفيدة جدّها الأكبر **(بابر)** وحفيدة **(جهان جير)** وحفيدة **(شاه جهان)** ، وكلّهم ملوكٌ عظام ، لهم مجدٌ ذائع حافل ، وكفاح شهير ، وقد نشأت في كنف والدٍ غيور يشتغل بالحروب ويعيشُ متوتر الأعصاب غضوباً عنيفاً بمخالفيه ، ولم يكن يبتسم إلا حين يخلو بابنته الشاعرة (زين النساء) حيث كانت برق السعادة الذي يلوح لعينه بين ظلمات الليل المتراكم ، وبين جلجلة الرعود الصاخبة ، لذلك منحها ما تبتغي من السعادة المادية ، وإن قسا عليها فحرمها أجمل من كانت تود ، وأحلى ما تمنت أن يتحقق ، حرمها الحبيب الذي اختارته ليكون زوجاً لها ، ومنعها راحة النفس التي لم تُغن عنها اللآلئ الثمينة ، والقصور الشاهقة ، والحدائق الناضرة الغناء !

نشأة ممتازة

ظهرت بوادر النبوغ على الأميرة حين استطاعت أن تحفظ **القرآن الكريم** في سن الثامنة ، وقد ابتهج والدها بما أحرزته من توفيق علمي في طفولتها اليانعة ، فأقام احتفالا كبيراً حضره الوزراء والأعيان ، ومنح الدولة إجازةً علطت فيها المرافق الحكومية والمدارس التعليمية يومين ، وسار الجنود في مواكب الاحتفال ابتهاجاً بنبوغ الأميرة ، ووفد الزائرون الكبار على القصر الملكي مهنئين ، وكان هذا التقدير الباهر دافعاً للأميرة الصغيرة إلى أن تعكف على الثقافة الإسلامية ، فقرأت **الحديث النبوي** ، وحفظت **سيرة الرسول** ﷺ ، وكانت تفهم العربية فهماً جيداً ، فاستطاعت أن تقرأ أمهات الكتب في تراثنا العلمي ، ونظمت الشعر بالعربية ، ولكن أستاذها الفارسي **(رستم غازي)** أخذ يهجن شعرها العربي ، ويقول إن نبوغها سيكون في الشعر الفارسي ، وكانت في سن الخامسة عشرة فوقعت تحت تأثيره ، وانصرفت عن قراءة دواوين الشعر العربي ، على حين حشد لها أستاذها عشرات الدواوين الفارسية ، وكان البلاط الملكي مليئاً بمن يجيدون الفارسية ، ويحرصون على قراءة أشعار الأميرة ، فرأوا من إبداعها الشعري ما خلب وفتن ، ولكن ثقافتها الدينية قد ظهرت في إنتاجها الأدبي فقالت شعراً كثيراً في مدح **النبي** ﷺ ، وفي الحنين إلى **مكة المكرمة** قبلة الإسلام .

ومن حسن حظ العربية أن أكثر ما قالته الأميرة قد ترجم إليها الأستاذان **عبد اللطيف النشار ، وحسين محمود البشبيشي** ، ونحن ننقل عنها ما نستشهد به ، وكانت الترجمة عن الإنجليزية لا الفارسية ، فأعجب لشعر عالمي تتنازعه اللغات المختلفة ، ويتهاداه المثقفون في الشرق والغرب على اشتياق .

حنيـن إلـى الحجـــاز

حين حنَّتْ الشاعرةُ الأميرة إلى الحجاز ، مهد الإسلام ، لم تصغ حنينها الوجداني صياغةً تقريرية تُضعف حرارته المشبوبة ، ولكنها أرسلت جذواتها المشبوبة في رسائل إلى حبيبها الذي تحدثه عن أشواقها الروحيّة كما بثته لواعجها الإنسانية فهي تخاطبه بمثل قولها :

يـا نـاعماً بـالمنام جهلت شجو الغـرام
أيامَ هـمّ طـوال أواه مـن أيـامي
متبـوعة بليـال مـريـرة الآلام
كأنهـا في سراهـا تمضي لغـير ختـام

* * *

هنـا مـكان صـلاتي وهـا هنـا محـرابي
فـأين مـكة مـني يـا حـيرتي واكتئـابي
هـل مـن دواءٍ لـدائي وهـل شـفاء لما بي
مـواجعي وهـمـومي كثـيرة الأسـباب

* * *

ورحلـة يـا حبيـبي تقـودني أنت فيهـا
لقـد طـوينا صـحارى ولم نـزل نـطويهـا
إلى الحجـاز فهـذي نهـاية تشتهيهـا
شـقت علينـا ولـكن هـي الـتي نبتغيهـا

* * *

وأمثال هذه الجذوات المشتعلة مما يتوهج في ديوان الشاعرة حنيناً إلى مكة المكرمة ! ولك أن تـدرك **سمـوها النفسي** حين لم تنس في عهـد الصبا والأحلام أشواقها العارمة إلى مواطن الإلهام والهداية ، وقد درست **الفتوح الإسلامية** ، فبهرها أن تمتد راية الدين إلى آفاق المعمورة ، ثم عادت إلى ما رُوي من خطب الرسول ﷺ وأحاديثه ، فـرأت فيضاً مـن الحكمة النبوية نقع غليلها ، ومحا ظمأها فهتفت بما تحس حين قالت :

يـا نبيًّـا ظلّـلت رايتـه
هـذه الـدنيا طـوال الحقـب
دينـك السمح حَـوى في لحـظةٍ
سؤدد الفـرس ومجـد العـرب

* * *

شـفتا المبعـوث لما افـترتا
كافترار الـورد عـن نفح يضـوع
جـرت الحـكمة مـن بينهما
منـطقاً عــذباً بترجيع بديعْ

* * *

لم تحضَ النـاسَ لا بـل فتنـت
طائر الـروض فغنّى وطـربْ
أيّ حس وجـمـال بـارع ؟
أترى الألفاظ صيغت من ذهبْ

وفي هذا الأفق المشرق ، طار جناحُ الأميرة الشاعرة ، فـاستشرفتْ أجواءً عالية ذات سنى وسناء .

مـأسـاتـان لا مـأسـاة

كان الإمبراطور **(شاه جهان) والد (أورنجزيب)** قـد خـطب حفيدته الأميرة الشاعرة زين النساء إلى ابن عمها الأمير **(دارا)** ، وكان الأمير من علو الهمة ورهافة العاطفة ، ورقة الشمائل بحيث أحبته الأمـيرة ، وجعلته فارس أحلامها ، ونظمت في حبه قصـائد رقيقـة تنفـح بعبـير الشوق ، وكان مما قالته مترجمة عن أثر هذه العاطفة الخفاقة في قلبها :

فيـك يـا قلـبُ وحشـة
وحشـة البيـد في الغلسْ
طـاف بي الحب فـانجلت
وحشـة القلـب وائتنسْ
أصبح القلـبُ جنـة
عنـدها الأنس يلتمسْ

* * *

لـو تحـوّلت يـا أحـا
سيسَ قلبي أغـانيا
لغـدا الحـبّ نغمـة
تـترك السمع صـابيا
مثـل داود في المزا
مـير يشـدو قـوافيا

غير أن الريح قد جاءت بما لا تشتهي السفن ، إذ كان والـد الأميرة قاسياً جباراً ، يظن الظنون السيئة في أقاربه جميعاً وقد قتل أخاه وسجن أباه ، وأحسَّ أن (دارا) خطيب ابنته ذو تطلع إلى الرئاسة ، فخافه على ملكه ، ولم يكن في إحساسه صادقاً ، إذ كان في استطاعته أن يجـذبه لنفسه ، فهو صهره ، وابن أخيه ، ولا مانع أن يرث العرش مـن بعـده ما دام قد حرم الأبناء ! وأنَّى لمثله أن يفكر هـذا التفـكير ، إذ أنـه استجاب إلى هواتف الشر ، فدبر ميكدة للأمير الشاب ، وذهب صريعاً

إثر سمٍّ قاتل شربه بتدبير (الإمبراطور)، وعرفت ذلك الأميرة فجن جنونها، واعتزلت الناس حقبةً طويلة، وحاول والدها استرضاءها فكانت تنفر من لقائه، ولكن الأيام تُبرئ الجراح، فبعد أشهر تفرغت زين النساء إلى تنسيق حديقتها وأمرت باستحضار شتى الزهور المختلفة والأشجار المتنوعة والطيور المتعددة لتملأ فراغها في هذا الفردوس الذي اصطنعته اصطناعاً ليملأ وقتها بالنهار، فإذا جاء الليل خلت إلى دواوين الشعراء، لترى في مآسي السابقين وأنين المفجوعين ما تتأسى به، فالحزين يتأسى بالحزين، وقد تحدثت عن حديقتها التي خلبت المشاهدين بمنظرها البهيج فقالت، وكأنها تحلم، مخاطبةً حبيبها البعيد :

أسأل الله لا الثراء ولا الحسب
ولكن حديقة مكنونهْ
أشتهي أن أعيش فيها وإيا
ك قريناً في الحب لاقى قرينهْ

ثم حلت المأساة الثانية حين ذهبت إلى (لاهور) مع والدها، وكان حاكم المدينة (عقيل خان) فارساً شاباً شاعراً، عرف أنباء الأميرة وروى شعرها، وتسامع بحديث جمالها، فاشتاق أن يراها، وحالفه التوفيق فلمحها على سطح القصر قبيل الفجر في غلائلها البيضاء تكتب الشعر تحت مصباح أخضر جميل، فجن بها شوقاً، ثم علم بخروجها إلى بعض البساتين لترى مظلّة من الرخام أقيمت على نسق طريف، فتخفى في زيّ بستاني أجير، وحمل الفأس والمكتل، وأخذ يشذب الزهور ويرمقها من بعد في شوق عارم، ثم تجرأ وراسلها بالشعر، وقد أعجبت به الأميرة فردت عليه من البحر والقافية، ولا بد لمثل هذه العلاقة أن تشيع، ولا بد أن ينشط الواشون إلى الإمبراطور الجبار، فأقام الأرصار حتى داهمه مع الأميرة يتناقشان في الأدب لا في أمور القلب! وكانت هذه كبرى الجرائم لدى الوالد، فقتل الحاكم الشاب شر قتلة، إذ عذّبه عذاباً شديداً حتى لفظ أنفاسه، ولم يعبأ بدموع ابنته التي يأست من حياتها، فأغلقت الباب عليها أشهراً طويلة مستسلمة للدموع، وقد نظمت في هذه الحقبة أفجع ما نظمت من أشعار الألم والأسى! وحق لها! فقد تعدّدت المأساة، وضاعف الجرح الجديد أحزانَ القلب الذي لم يكد يلتئم به جرحه القديم، ولم تتكسر النصال على النصال بل توغلت جميعها في أعماق الأعماق.

محاولة فاشلة

كانت لزين النساء مربية فاضلة ذات أدب ودين وحياء، وقد ترعرعت الأميرة على يدها معتزةً بتوجيهها الأدبي، وسلوكها الخلقي، فرأى الإمبراطور أن تذهب (مياباي) وهو اسم المربية إلى تلميذتها لترغبها في الزواج من إنسان اختاره الإمبراطور دون أن يحوز قبول الأميرة، وأن تحدثها عن طاعة الوالد وضرورة الاقتران، وأن تعلمها أن عصيان هذا الأمر يثير غضب الله، وكانت الأميرة من الحصافة بحيث علمت أن المربية مأمورة تمثل دوراً فرض عليها دون أن تعتقده، فهشت لها في أدب، ثم كتبت لوالدها تقول إنها تفرغت لرضا الله حقاً إذ تبرعت بكل ما تملك من حلي للفقراء، وأنها خصصت دخلها السنوي، وقدره ٤٠٠,٠٠٠ روبية، للنفقة على المحتاجات ولتهيئة من يردن الحج ممن لا يقدرن على نفقة الارتحال، كما جعلت رواتب شهرية لأسر فقيرة تشمل الأرامل والأيتام!

وقد ثار الوالد الذي لم يعهد أحداً يخالف أمره، فأمر بسجن الأميرة، واعتقلها سريعاً في موضع لا يبعث على الارتياح، ولكنها قضت أشهر السجن دون اعتراض، حتى يئس والدها فأطلقها وفي نفسه شجون، فاستسلمت لترتيب مكتبتها العامرة، وجعلت تطلب ما تسمع عنه من المؤلفات، وتأنس حين ترى المكتبة تنمو وتزيد، وكأنها وجدت في متعة العقل شفاءً لأسى القلب! أو هكذا تخيلت، غير أن ذكرياتها كانت تهيج وتحتدم فلا تجد غير الشعر يطلق ما تجمع في صدرها من أوار محتبس، ولولا ما نظمته لاحترقت بما يتأجج في جوانحها من تباريح. .

ولعل الأميرة كانت تتخيل أملها الراحل ماثلاً بين عينيها فتناجيه قائلة :

يا جمالا مثله ما شهدت
أعين العالم في دنيا الشبابْ
أين لا أين طريقي أقتفي
أثر الأقدام في داجي الترابْ ؟

* * *

قلبي المجروح أدماهُ الهوى
فتنزى قطرات من دم
فانظر الآن تشاهدْ عجباً
زهراً أينع تحت العندم

* * *

زهرات يانعات نبتت
من عروق فجّرتها الحسرات
موضع الأشواك لما دُسته
نبت الزهرُ مكان الخطوات

الخاتمة

وكان لا بد أن تمرض الأميرة الحزينةُ رازحةً تحت وطأة الآلام، وقد اهتم والدها بما تقاسي من أوجاع النهاية، فأحضر لها خير الأطباء، ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ففاضت روحها الطيبة، وأصر والدها على أن تُدفن في حديقة الزهور لتكون وردةً بين الورود، وحينئذ فاضت دموع الوالد القاسي حين لا يجدي البكاء! وجادت بوصلٍ حين لا ينفع الوصل.



في الطائرة!!

شعر : طاهر زمخشري

إلى الصديق .؟ الذي وجد نفسه طبيباً فأخذ يعالج الدوار الذي قعد بالمضيفة عن أداء عملها في الطائرة . .

عاشت يمينك يا أسي مضيفتنا   إن الدواء الذي قدمت عطارُ
إن الدوار الذي عالجت علته   قد كاد يقضي عليها فهو إعصارُ
قاومت حدَّته بالعطر فانتصبت   كأنها الغصن قد وشته أزهارُ
ففوق وجنتها وردٌ ، وفي فمها   ناي ، ترانيمه للحب قيثارُ
لمَّا تهادت أفاضت من بشاشتها   ما كان يرجوه ركَّاب وطيارُ

* * *

في جوف طير بلا ساق ولا قدم   لكنه في مدار النجم سيارُ
يعلو فتسبح في الأجواءِ خطوته   ودونها تنطوي في الأرض أمصارُ
له جناحانِ من بَرْدٍ ولاهبةٍ   وصوتُهُ ناغم والرجع هدَّارُ
إذا تأنَّى سرى كالبرق ، ما لحقت   مواقع الخطو من مسراه أبصارُ
وإن مقلته محشوة لهباً   لكنها لاكتشاف الدرب منظارُ
في صدره الرحب يطوينا ويجمعنا   كأننا في الحواشي منه أسرارُ

* * *

قالوا « فلبينيَّةٌ » للشرق نسبتها   وليس بدعاً فكم في الشرق أقمارُ
مخارج الحرف فيها لكْنَةٌ عَجَبٌ   في حلو منطقها نُورٌ ونُوَّارُ
تلطفتْ فسقتنا من لواحظها   خمراً بنشوتها قد هام سمَّارُ
وأومأت فأرتنا سحرَ فتنتها   وكيف يُسكر بالألحاظ سحَّارُ
وردية اللون ؛ والصبح المنير له   على الجبين أسارير وإسفارُ
قد طارحتنا على متن الأثير هوًى   في كل نابضةٍ من لذعه نارُ

* * *

أثابك الله يا من فيك موهبة   فيها تحدق بالإعجاب أنظارُ
فالعين ترنو إلى يمناك معجبة   وفي تلفتها شكر وإكبارُ

مدينة وتاريخ



صنعاء

أو مدينة أزال

بقلم : ابراهيم عبد الله مفتاح

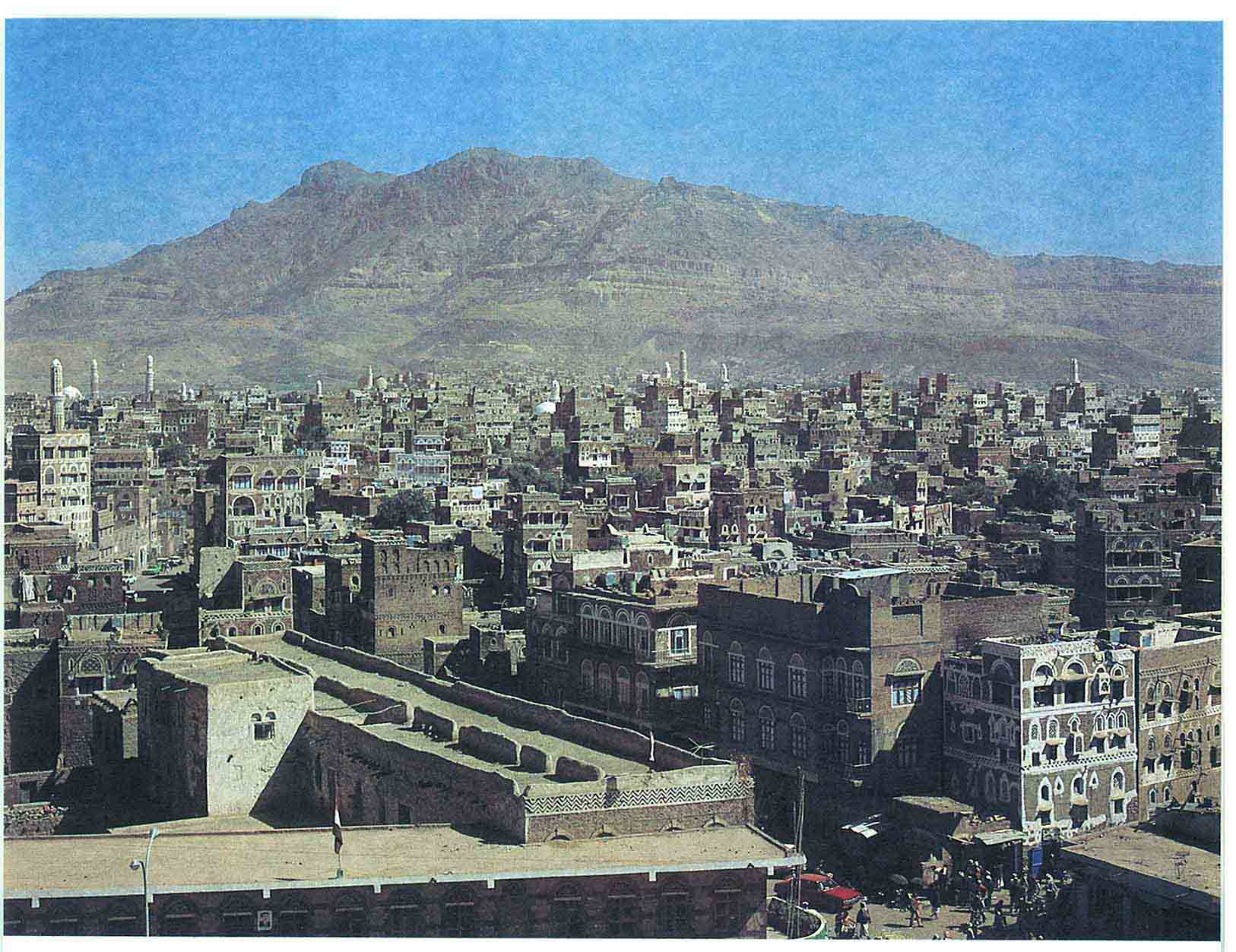
الكتابة عن مدينة كصنعاء يقال إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان ، وإن بانيها هو «سام بن نوح» ، والتعرف على زواياها التاريخية البائدة والباقية ، ومشاركتها في حضارات «اليمن السعيد» بكل معطياتها .. الكتابة عنها ليست أمراً ميسوراً لمجلة سيارة في وقت هناك عدد من المؤلفات العديدة الخاصة عن المدينة .

إذن فالكتابة عن صنعاء عاصمة اليمن الشقيق مهمة لها أكثر من جانب ، وكل جانب يمثل في حد ذاته كثيراً من المعالم والمآثر لو أردت أن تفيها حقها لاستغرقت صفحات طويلة من مساحة المجلة .

ولكن الأمر لا يصل إلى مرحلة الصعوبة إذا استطعنا أن نأخذ شيئاً من أشياء كثيرة ، وأن نشير مجرد الإشارة إلى بعض الأشياء ، وهذا ما فعلناه في هذا الاستطلاع .

ومع ذلك تظل مدينة صنعاء مجالا رحباً لدراسات واستطلاعات متعددة قضية قائمة لمن أراد أن يتعمق فيها ، وأن يتناولها بكل أبعادها المختلفة .

★ الجامع الكبير في صنعاء ★



★ منظر عام لجانب من مدينة صنعاء ★

صنعاء في الشعر

لعل إيراد نماذج شعرية مما قيل في مدينة صنعاء، يعكس العلاقة التي تربط الإنسان بها .. وهذا واحد من أبعاد هذه المدينة التاريخية العريقة ..

قال عنها أبو بكر، **محمد بن أحمد بن يوسف بن أفنونة**، عندما تولى القضاء بها:

وحبذا أنت يا صنعاء من بلد
وحبذا عيشك الغض الذي اندرجا
لولا النوائب والمقدور لم ترني
منها وربك طول الدهر منزعجا

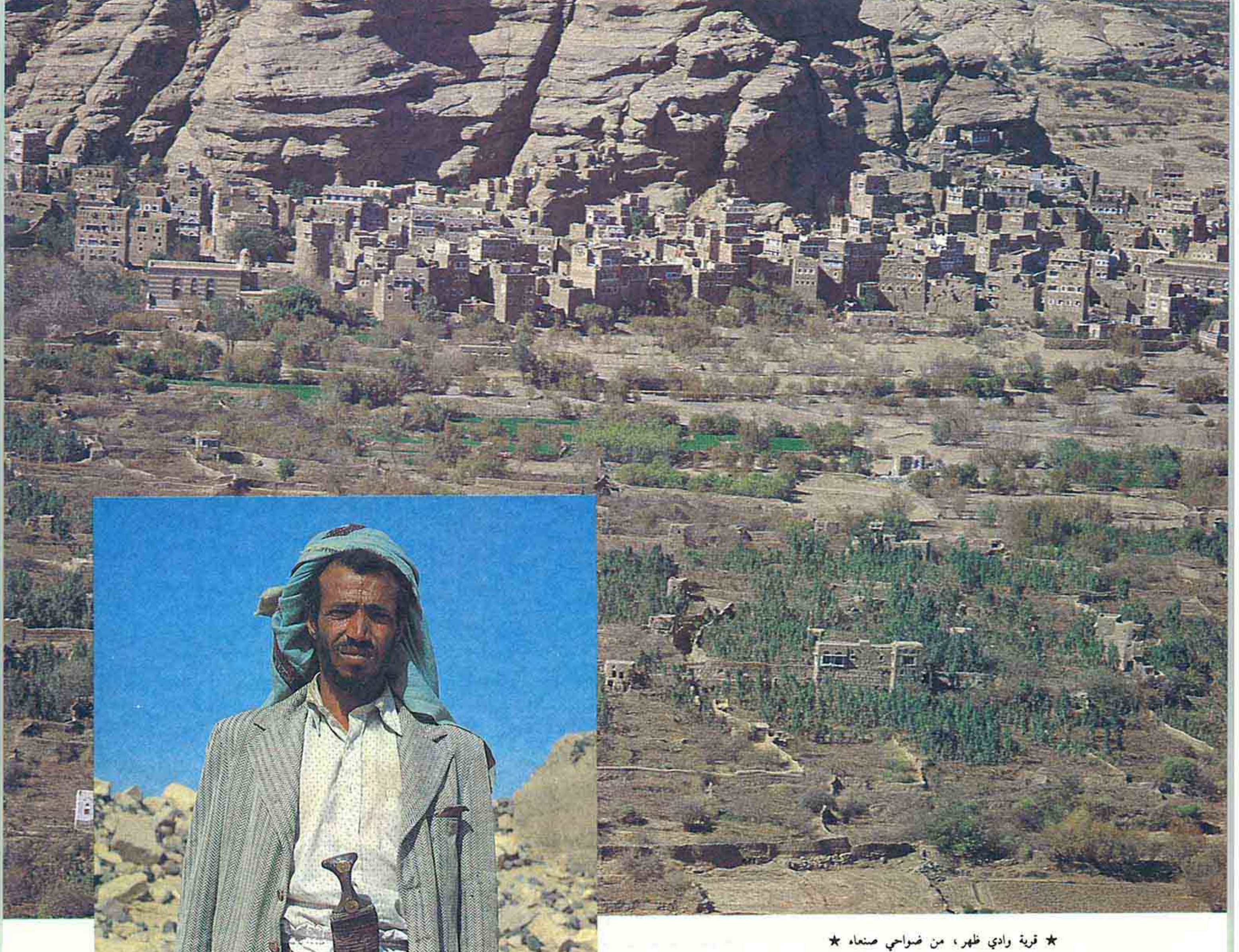
فكف يا صاح عني بعض لومك بي
إن النوى زرعت في قلبي الهوجا

ويأتي شاعر حديث آخر ليقول:

«صنعاء» يا دار الحضارة والعلى
ومحط كل سميدع ومليك
«باريس» دونك في الجمال ولندن
وعواصم الرومان والأمريك

وقديماً قال الحادي:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر
لطيبها والشيح فيها من دبر (١)



★ قرية وادي ظهر، من ضواحي صنعاء ★

★ وجه يمني ★

نشأة صنعاء

هذه المدينة يقال : إن أول من اختطها هو « **سام بن نوح** » لذلك فهي تسمى باسمه « **مدينة سام** » . كما يقال : إنما سميت **صنعاء** نسبة إلى « **صنعاء** » **بن أزال بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح** ، ومن أسمائها أيضاً « أزال » وهو اسم لا يكاد يجهله يمني حتى اليوم .

ويرجح تاريخياً أنها **أول مدينة بنيت بعد الطوفان** ، وإن كان المؤرخ اليمني وكيل الهيئة العامة للآثار ودار الكتب ، **زيد بن علي عنان** ، يعتقد أن صنعاء بنيت في القرن الأول الميلادي ، لكنه يستدرك قائلاً : « الله أعلم بذلك » ، ومهما يكن الأمر فإن تعدد الآراء والأقوال يدل على قدم هذه المدينة وعراقتها في التاريخ .

الموقع

تقع مدينة صنعاء في قاع يسمى « **قاع سنحان** » بين جبلين كبيرين هما : جبل « **نقم** » الذي يطل عليها من الشرق وجبل « **عيبان** » الواقع في الجهة الغربية منها .

كما تقع في شمالها مناطق « **شعوب والروضة والجراف** » ، وتشتهر



★ جانب من مبنى جامعة صنعاء ★

بالكروم والمياه الجوفية المتدفقة وإلى الجنوب منها تقع « **حدة** » التي أصبحت الآن جزءاً من صنعاء لامتداد العمران . ومن الضواحي القريبة « **سنع** » التي تشتهر مع حدة بالمياه العذبة والشلالات والأشجار الكثيفة .

وترتفع صنعاء عن سطح البحر بحوالي ٢٢٠٠ متر ، وهذا يجعل جوها معتدلاً تقريباً بحيث لا تصل درجة الحرارة فيها إلى أقل من خمس درجات مئوية شتاءً ، ولا ترتفع أكثر من خمس وثلاثين درجة في الصيف ، والزائر لهذه المدينة يحس بأن جوها ومناظرها الطبيعية لهما نكهة خاصة ترتاح النفس إليها .

المعالم

وصنعاء اليوم تفتح ذراعيها لاستقبال حداثة العصر إلا أنها تحتضن حياة الماضي المتمثل في المحافظة على طراز مبانيها القديمة ، حيث ما زالت الحجارة المنحوتة والعقود والنقوش القديمة ، تغلب على طابع التجديد فيها إذا استثنينا بعض المباني الحديثة ، لأن الصنعانيين يعتزون بطرازهم المعماري القديم اعتزازهم **بأزيائهم الوطنية المتعددة الألوان** ، والخناجر المغروسة في حزام كل واحد منهم ، وكمحافظة غالبية نسائهم على العباءة والنقاب الذي لا تظهر منه سوى العينين .

ومن معالم صنعاء التي ما زالت موجودة ، بقايا سورها ذي الثمانية أبواب **وقصر غمدان وجامعها الكبير وقصر الحجر** الواقع في أحد الأودية القريبة منها ، بالإضافة إلى بعض المعالم الحديثة **كجامعة صنعاء ودار الكتب الوطنية** .

السُور والأبواب

كانت صنعاء إحدى عواصم الملوك الحميريين حتى أن أحد ملوكهم



★ قصر الحجر في وادي ظهر ★

وهو «**شعير أوتر**» في القرن الثاني الميلادي بنى سوراً حولها، وأعقبه بعد ذلك الملك المدعو «**كرب إل وتر**» الذي ساهم بعد سلفه في بناء هذا السور. وعندما جاء «**طغتكين الأيوبي**» سكن خارج صنعاء في بستان السلطان وبنى حوله سوراً، قام فيما بعد بوصله بسور المدينة القديم الذي بناه الحميريون، وكان هذا العمل قبل ثمانمئة عام.

هذا السور كانت له ثمانية أبواب لم يبق منها إلا باب واحد فقط هو «**باب اليمن**». أما الأبواب الأخرى التي لم تعد موجودة الآن فهي: «**باب السلام، وباب خزيمة، وشعوب، والسبح، وعصر، والبلغة، وباب الروم**»، وقد استبدلت هذه الأسماء جميعها بأسماء حديثة **كباب صنعاء الجديدة، وباب الإذاعة، وباب الشراعي..** الخ.

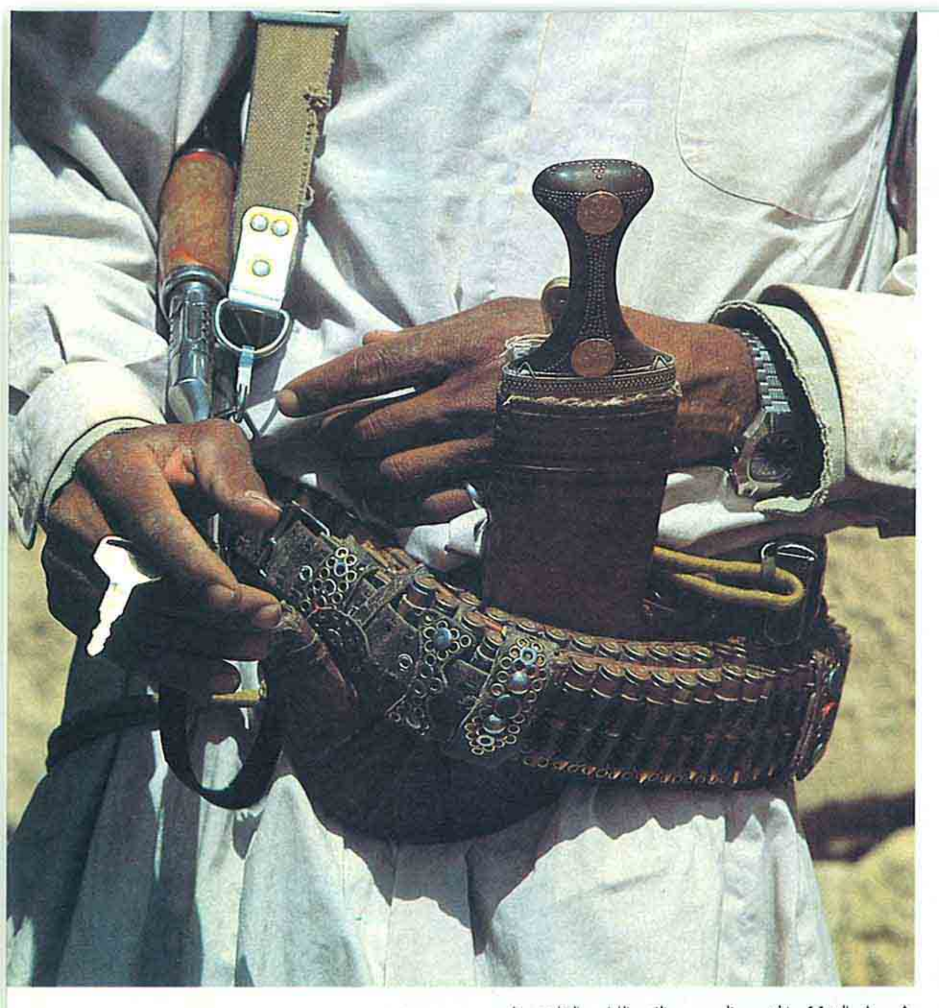
كما أنشئ **متحف صنعاء** حديثاً ويضم كثيراً من الآثار. ولا تزال الأسواق القديمة ومحلات صنع وبيع الصناعات التقليدية موجودة بكثرة حيث تعرض الخناجر والسيوف والحلي التي تجتذب الزائرين والسياح لشرائها وهذا ما يجعل تلك الأسواق غاصة بالمشترين الأجانب.

قصر غمدان

يقع هذا القصر الأثري القديم على **أكمة سوق القبو** بالقرب من سوق النجارين والحدادين حالياً، ويمتد إلى الجامع الكبير وإلى مكان يسمى «**عديل**»، ولا يزال ما تبقى من بنائه شامخاً على تلك الأكمة.

وينسب قصر غمدان إلى آخر ملوك القرن الأول بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وهو الملك «**أليشرح بن يحصب**». وقد أورد **ياقوت الحموي في معجم بلدانه، والهمذاني في «صفة جزيرة العرب»** أن هذا الملك هو الذي بناه، وكان - كما يقول المؤرخون - يتكون من عشرين طابقاً.





▲ ★ البندقية والخنجر مظهر من مظاهر اللباس التقليدي ★



★ أحد أبواب صنعاء ★

★ وجوه وأزياء ★ ▼





★ مئذنة وقبة مسجد البكيرية في صنعاء ★

وتدل بقاياه على أنه قد شيد من **حجر الجرانيت ومن الرخام والمرمر**. ويقال : إن الملك الذي شيده أقام بلاطه في أعلى طبقة منه ، ولما بلغ غرفته العليا غطاه برخامة شفافة كان يميز من خلالها نوع الطائر الذي يمر به .

ومما أورده المؤرخون أن أركانه الأربعة كانت عليها تماثيل أسود صنعت من **البرونز** مجوفة وقد صممت بحيث تكون رجل الأسد في الدار ورأسه وصدره خارجان عن القصر ، وما بين فمه إلى مؤخره محركات مدورة إذا هبت الريح ودخلت أجوافها سمع لها زئير كزئير الأسود .

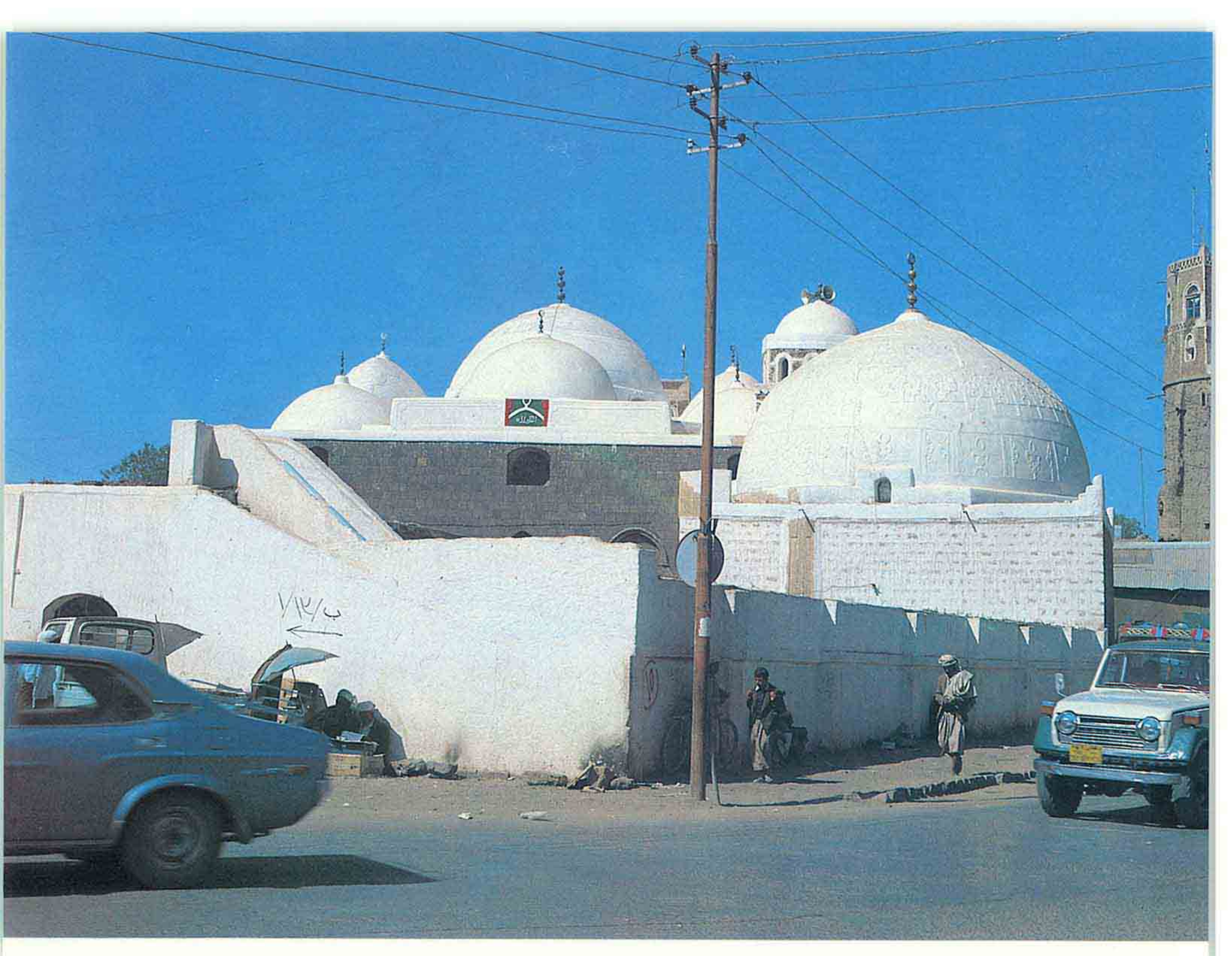
وبسبب ارتفاعه الشاهق كان يشاهد ليلاً من مسافات بعيدة عندما يسرج ليلاً بالقناديل ، وفي إحدى قصائد الهمذاني وصف له وقد تجلبب بالغيوم :

يسمو إلى كبد السماء مصعداً
عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة
ومن الغمام ممنطق ومؤزر
وبكل ركن رأس نسر طائر
أو رأس ليث من نحاس يزأر

وقد احتفظ هذا القصر ببنائه حوالي ٦٣٠ عاماً أي حتى عهد الخليفة « **عثمان بن عفان** » رضي الله عنه في أوائل القرن الهجري الأول ، ولا تزال أجزاء منه باقية ومدفونة تحت التراب ربما تضيف ـ مستقبلاً ـ أشياء جديدة إلى الآثار الموجودة حالياً في متاحف اليمن .

الجامع الكبير

تختلف الروايات حول بناء هذا الجامع فبعضها يذكر أن بانيه هو



★ مسجد المتوكل ★

« وبر بن يُحَنّسْ الأنصاري » بأمر من النبي ﷺ ، وبعضها يقول : إن « أبان بن سعيد بن أمية » والي صنعاء من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام ، هو الذي بناه بأمر منه . ورواية أخرى تشير إلى أن « فروة بن مسيك المرادي » هو الذي أسسه عندما بعثه ﷺ إلى صنعاء .

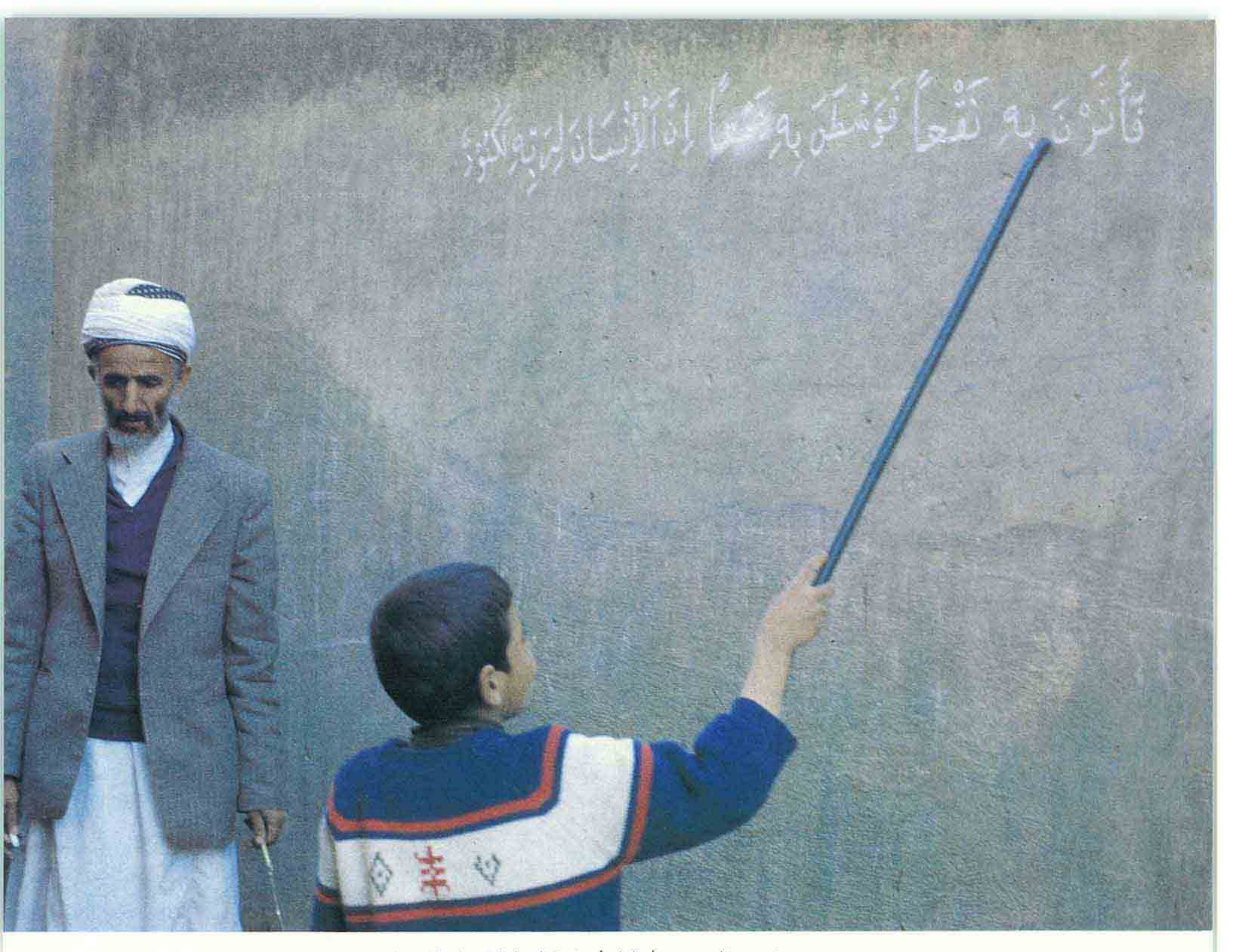
هذه بعض روايات جاءت ضمن أقوال متعددة عن تأسيس وبناء « جامع صنعاء الكبير » ، ومهما يكن الأمر ومهما تختلف الروايات فإن هذا الجامع يعد أثراً من آثار عاصمة اليمن فهو يعكس بتاريخه اهتمام الحكام المسلمين ـ في مختلف عصورهم ـ بالحفاظ على بيوت الله عامرة ليذكر فيها اسمه وتقام فيها شعائره .

فقد جاء أن الخليفة « الوليد بن عبد الملك بن مروان » كتب إلى « أيوب بن يحيى الثقفي » بالولاية على صنعاء وأمره أن يزيد في بناء مسجدها ويبنيه بناء جيداً محكماً فبناه أيوب وزاد فيه من نحو قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم .

الجامع والملكة أروى

ومن الذين ساهموا مساهمة كبيرة في بناء هذا الجامع الملكة الصليحية « أروى بنت أحمد » التي يستغرب المؤرخ اليمني زيد بن علي عنان من أين جاء لها هذا الاسم ؟ اسم « أروى » ، إذ يقول : إن اسمها الحقيقي هو « السيدة بنت أحمد » التي لا تمر مناسبة إلا وتتغنى اليمنيون بأمجادها حيث عاشت بلادهم عهداً زاهراً أيام حكمها تجارة وعمراناً وأمناً ورخاء .

ويقال : إن فترة من الفترات التي حكمت فيها هذه الملكة الصليحية هطلت على اليمن أمطار غزيرة ، وانحدرت سيول جارفة على مدينة صنعاء ، تهدمت على أثرها الدور والمنازل ، وأحدثت خراباً كبيراً ، كان من ضمنه ما لحق ببعض أجزاء الجامع من تصدع وانهيار . كان ذلك في القرن الخامس الهجري إبان حكم هذه الملكة ، فأمرت ببناء الجزء الذي حدث فيه التصدع وهو الجزء الشرقي أو الجناح الشرقي كما يحلو للصنعانيين



★ يسهم المسجد بدوره في التعليم في مواجهة الضغط المتزايد على المدارس ★

أن يسموه .

ومما يذكر أن اسم باني هذا الجناح كان مكتوباً على لوحات من الرخام الأبيض في نفس المبنى إلا أن بعض الأيدي العابثة سطت عليها ولم يبق منها إلا اللوحة التي كتبت **البسملة** عليها .

ولعل ما يدعو إلى الغرابة حقاً أنه رغم ما هو متعارف عليه من أن الملكة أروى أو السيدة بنت أحمد الصليحي هي التي بنت هذا الجناح ، إلا أن **تاريخ الجنداري** ينفي أن تكون الملكة الصليحية قد قامت بشيء من هذا العمل .

أما الأبواب فقد اعتُني بها في عهد « **هشام بن عبد الملك** » ، وفي أيام **المهدي** تمت فيه إصلاحات كثيرة ، لأن كل خليفة أو ملك كان يود أن يحس بأنه ساهم وقدّم شيئاً يخدم به الدين الإسلامي الذي تتمثل فيه عظمة أمته وبقاؤها .

وآخر وضع لهذا الجامع هو ما وضعه عليه « **محمد بن إبراهيم بن يعفر** » ، ومعظم أحجاره مأخوذة من قصر غمدان ، يدل على ذلك بعض الرسوم والنقوش الموجودة على أبنيته .

وعندما كان « **سنان باشا** » - أحد حكام الأتراك - موجوداً في اليمن في القرن العاشر الهجري بنى القبة الموجودة حالياً في وسط صحن المسجد ، وكان الغرض منها حفظ **زيت السمسم** « **السَّليط** » الذي كان يستعمل للإضاءة في ذلك الوقت وإيداع النقود التي يحصل عليها الجامع من دخل الأوقاف التابعة له .

الأسواق التقليدية

هذه الأسواق تمثل جانباً بارزاً من جوانب الحياة اليمنية القديمة في العاصمة صنعاء .

حوانيت متجاورة وباعة ومتجولون . لا توجد أسواق متخصصة لأنواع معينة من البضائع ، لكنها أماكن متداخلة ومتجاورة . البعض يبيع

أصحابها **الزبيب اليمني** الجيد **واللوز البلدي** الذي يرتفع ثمنه عن الأنواع الأخرى ، والبعض يباع فيها البن وأخرى تعرض فيها البهارات والتوابل .

الحداد قريب من بائع الذهب ، والبقال يجاور بائع الكتب ، وآنية الفخار يطل صاحبها على بائع الخناجر والسيوف ، ومشتري الطعام لا يجد صعوبة إذا أراد شراء قماش أو عطور .

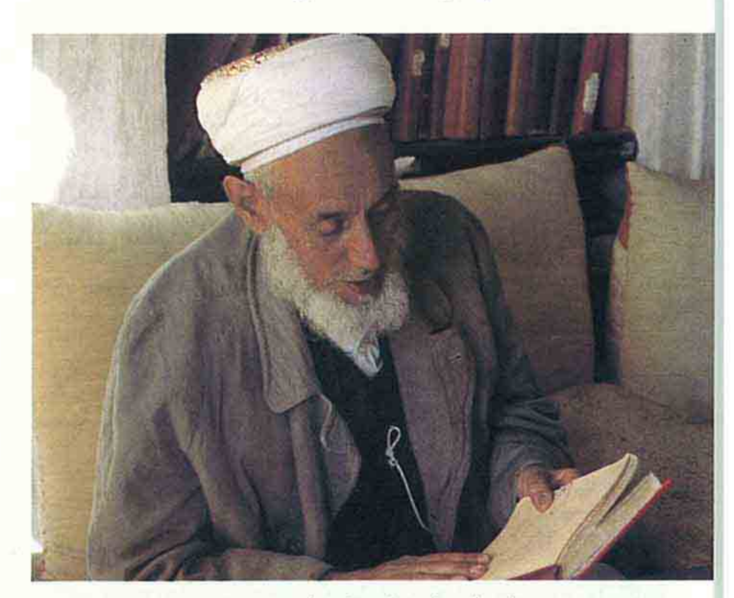
أنماط مختلفة من التجارة يتداخل بعضها في بعض ، وهذا لا يعني أن صنعاء تخلو من الأسواق الحديثة والمعارض والمكتبات وإنما هي صور تقليدية لا تخلو منها أي مدينة من المدن التاريخية العريقة لكنها في صنعاء أكثر وضوحاً منها في أي مدينة أخرى .

المخطوطات

تضم أرفف مكتبة الجامع مجموعة نفيسة من المخطوطات في مختلف العلوم تبذل نحوها عناية كبيرة من المسؤولين عنها من حيث المحافظة عليها ومن حيث الترتيب والتصنيف ، وقد بلغ حرص هؤلاء المسؤولين - وهم شيوخ أجلاء - أنهم لم يسمحوا بتصويرها خوفاً من تسرب بعضها بطريقة غير مشروعة ، ولعل هذا التراث يرى النور على أيدي المحققين وأصحاب الاختصاص ففي ذلك إثراء كبير للمكتبة العربية .

وتوجد في جامع صنعاء مجموعات من حلقات الدرس ، فهذه حلقة يقوم فيها معلم بتدريس **القرآن الكريم** ، وثانية يدرس فيها **الحديث الشريف** ، وثالثة لتدريس **الفقه وأصوله** ، وفرادى هنا وهناك بعضهم يستظهرون القرآن وبعضهم يقرؤون علوماً مختلفة .

★ أحد المشايخ يقرأ القرآن في الجامع الكبير ★



★ أحد أمناء مكتبة الجامع الكبير في صنعاء ★

★ طلاب في المسجد ★



وفي مساجد أخرى **كمسجد قبة البكيرية ومسجد المتوكل** يوجد بعض المعلمين الذين يقومون بتدريس الطلاب من البنين ، وعملية التدريس هذه تتم بالشرح على أجزاء ـ تشبه السبورات ـ من حيطان المسجد ، وهذا يعود إلى ازدحام المدارس التي يضم الفصل الواحد منها

ما بين ٨٠ ــ ١١٠ من الطلاب ، وهذا النوع من التدريس في المساجد يقتصر على القرآن الكريم والقراءة والحساب .

متحف صنعاء

واحد من مجموعة من المتاحف التي أنشئت حديثاً في المدن اليمنية تمتلئ صالاته وجنباته بنماذج مختلفة من الآثار ، والزائر له يشاهد الآثار السبئية والحميرية والمعينية التي تروي ـ رغم صمتها ـ تاريخ أمم عاشت لتعمل وتبني .

ومع أن العناية المبذولة للحفاظ على تلك الآثار جيدة إلا أن معظمها مجهول النسبة ، ويقول المسؤولون : إنه رغم السطو غير المشروع على الآثار اليمنية ، بالإضافة إلى ما عثر عليه بطريقة البحث والتنقيب ، فإن ما اكتشف حتى الآن لا يتجاوز ٢ ٪ منها ، وإنهم ليتمنون اليوم الذي يتمكنون فيه من اكتشاف كنوز التراث الهائل وضمه إلى التراث الحضاري والإنساني .

قصر الحجر

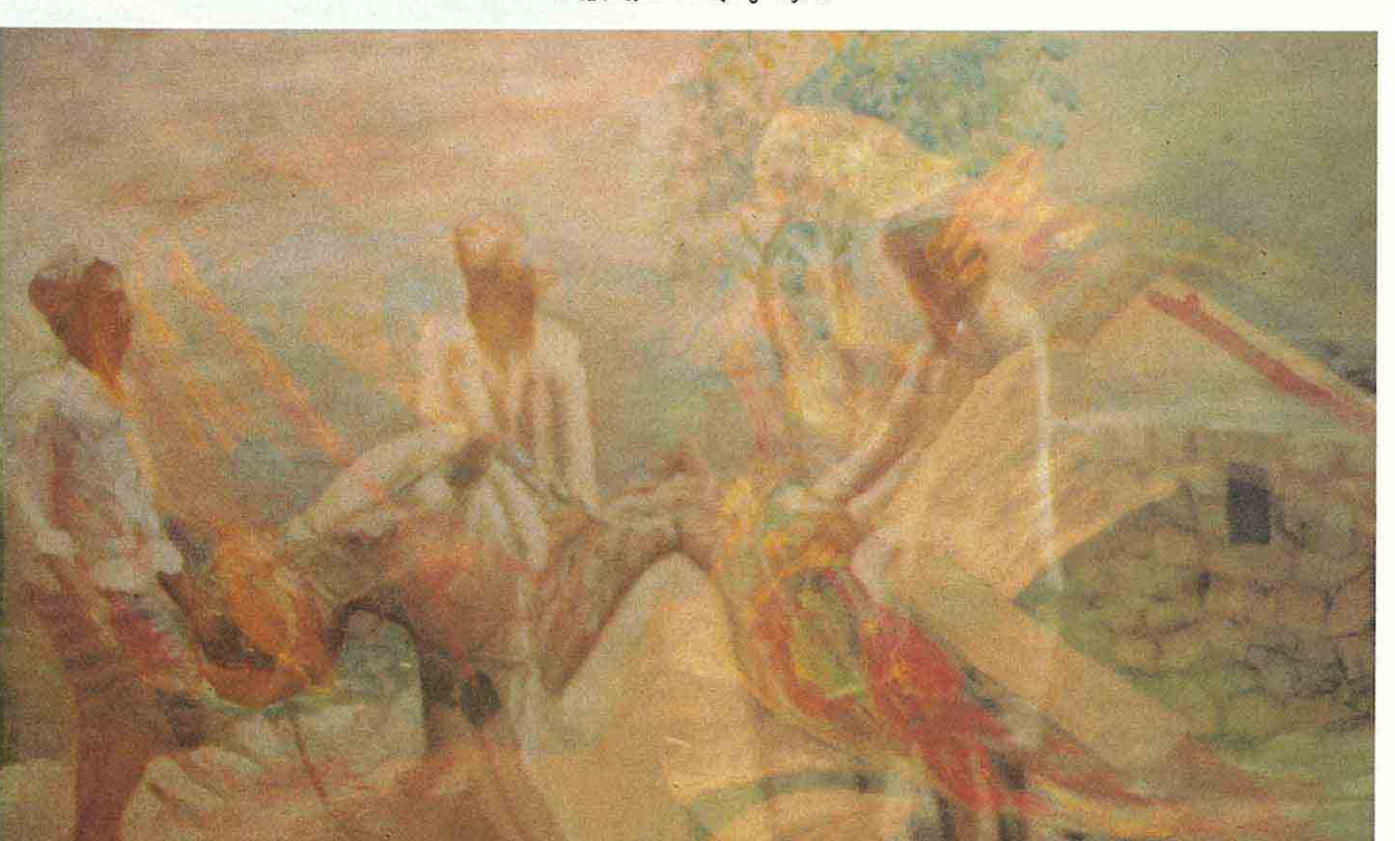
في الشمال الغربي من مدينة صنعاء يقع « **وادي ظهر** » بجباله الشاهقة وبساتينه وأشجاره وآثاره الحميرية . طوله يبلغ حوالي ٦ كم وبجواره تقع قرى « **القابل والروض** » بحصونها الأثرية « **كطيبة وفدة** » وغيرهما . لكن أبرز ما في هذا الوادي هو « **قصر الحجر** » الذي لم تورد المصادر التاريخية عنه شيئاً يشبع شهية الباحث . ورغم اهتمام المؤرخين اليمنيين بكل قطعة أثرية في بلادهم إلا أنه إذا ذكر فلا يشار إليه بأكثر من أنه بناء عظيم في هذا الوادي أو أن « **الإمام الناصر** » هو الذي بناه وأنه تهدم بعد ذلك وأعيد بناؤه في عهد قريب بشكله الذي هو عليه الآن .

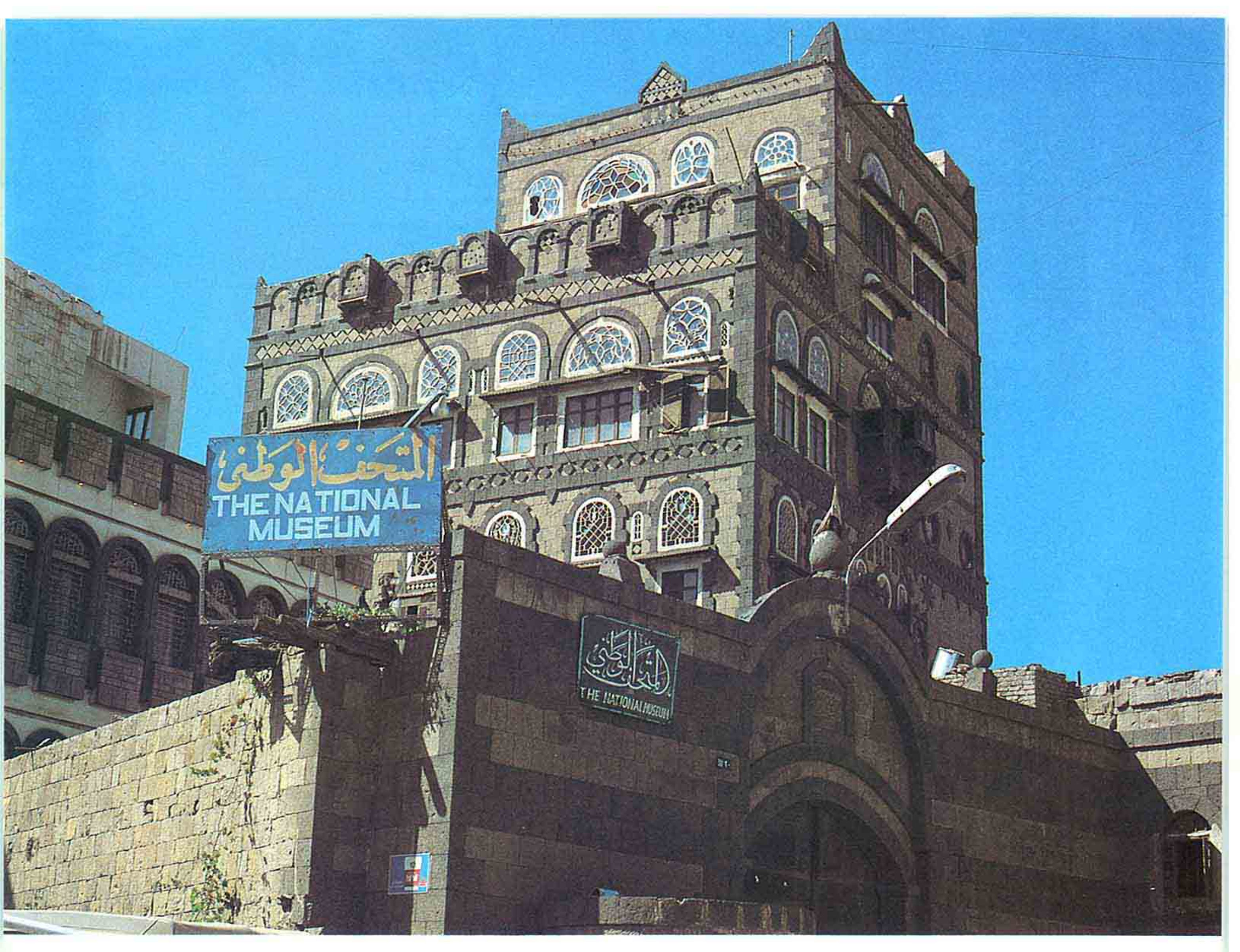
دار الكتب الوطنية

ونعود مرة ثانية إلى قلب صنعاء نعبر العصور ونتجاوز الأزمنة لنصل إلى بعض معالمها الحديثة الهامة وهي : « **دار الكتب الوطنية** » التي تعتبر إحدى ثمار التعاون بين اليمن وبعض البلدان العربية الشقيقة .

بدأ بناؤها في سنة ١٩٦٤ م ، وتسلمتها الجهة المختصة في سنة ١٩٦٩ م ، وانطلاقاً من الخوف الشديد والحرص على صيانة المخطوطات القديمة أبقيت في مكتبات الجامع الكبير واكتفي بنقل **الكتب المطبوعة**

★ لوحة من أعمال أحد الفنانين اليمنيين ★





★ المتحف الوطني في صنعاء ★

فقط إلى الدار الجديدة التي تراود القائمين عليها فكرة إنشاء بناء آخر بجانب الدار أو إقامة طابق آخر فوقه تمشياً مع الرغبة في توسعته ليتمكن من استيعاب أكبر عدد ممكن من الكتب في شتى نواحي المعرفة . أما المخطوطات فستبقى في الجامع الكبير.

جامعة صنعاء

في إطار ما تعيشه اليمن من تطلع إلى المستقبل الأفضل ، ومن منطلق بناء يمن جديد تواكب حياته العصر ويتحمل أبناؤه مسؤولية النهوض به ، يقول المهتمون بشؤون التعليم : إن خطواتهم يجب أن تكون أكثر امتداداً وانطلاقهم أكثر نمواً محاولين اختصار الزمن والانتشار على ساحته بكل ما لديهم من جهد وإمكانات بما في ذلك تأهيل الطاقات الوطنية الشابة على أسس متينة مبنية على الأصالة والتراث ومتمشية مع المفاهيم السليمة للواقع .

من هذا المفهوم أنشئت «**جامعة صنعاء**» في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من سنة ١٩٧٠ م ، وكان من بين أهدافها سد حاجة الوطن بالمتخصصين والفنيين والخبراء في فروع العلوم المختلفة ، وبعث الحضارة العربية والإسلامية ، وتأكيد القيم والتقاليد الأصيلة .

وقد بدأت هذه الجامعة تمارس نشاطها العلمي في العام الدراسي ٧٠ / ١٩٧١ م ، بكليتين : الأولى «**كلية التربية**» وكانت تضم الطلاب الراغبين في دراسة الآداب أو العلوم أو التربية ، والثانية «**كلية الشريعة والقانون**» .

وفي عام ٧١ / ١٩٧٢ م ، تم تعديل اسم كلية التربية لتصبح «**كلية الآداب والعلوم والتربية**» ، وفي العام ٧٣ / ١٩٧٤ م ، انقسمت هذه الكلية إلى كليات ثلاث هي : «**كلية الآداب**» و«**كلية العلوم**» و«**كلية التربية**» ، وفي نفس العام افتتحت شعبة **للتجارة والاقتصاد** وألحقت آنذاك بكلية الشريعة والقانون ثم استقلت وأصبحت كلية للتجارة والاقتصاد في ٧٤ / ١٩٧٥ م .

★ حانوت في صنعاء ★

واستناداً إلى الإحصاءات فقد بلغ مجموع طلابها في العام الدراسي ٧٩/١٩٨٠م (٤١٢٣) طالباً وطالبة، كما بلغ مجموع الخريجين في العام الدراسي ٧٨/١٩٧٩م (١١١١) خريجاً وخريجة.

وبعد

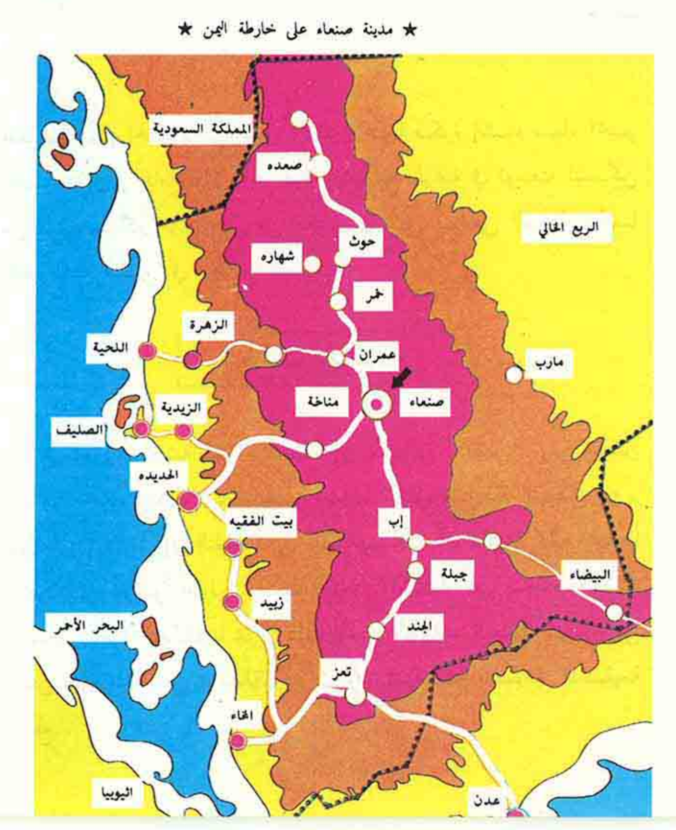
هذه جولة قصيرة بين زوايا **تاريخ صنعاء** عاصمة اليمن الشقيق وآثارها ومخطوطاتها لا تفي المدينة حقها ولكنها تلقي بعض الضوء على مدينة كانت وما زالت **حاضرة** في أغلب حقب تاريخ اليمن وأول مدينة بنيت فيها.

الهوامش

(١) دبر: بلدة كانت قريبة من صنعاء.

مجلة الفيصل العدد (٣٩) ص ٤٨

★ مدينة صنعاء على خارطة اليمن ★




الشباب
عودي الطموح
سلاح المدرعات
بالجيش العربي السعودي
يدعوك ... ويحقق لك المستقبل الزاهر
شروط ومزايا الالتحاق :
أن يكون سعودي الجنسية .
أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥ .
حامل شهادة أقل من رابعة ابتدائي يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريالاً .
حامل شهادة رابعة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريالاً .
حامل الشهادة الابتدائية وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٣٢٣٠ ريالاً .
حامل الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريالاً .
حامل شهادة الكفاءة المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريالاً .
مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط .
مميزات أثناء الدراسة :
تأمين الإعاشة .
تأمين السكن .
تأمين الملابس العسكرية .
تأمين العلاج للطالب وعائلته .
مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - ٧٥٠ ريالاً .
مزايا كثيرة للطالب بعد التخرج :
يمنح راتب شهرين بدل تعيين .
يمنح الرتبة والراتب والعلاوة الفنية التي تناسب مستواه الثقافي .
إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران .
العلاج المجاني له ولمن يعولهم شرعاً .
إتاحة الفرصة له لاستكمال دراسته المدنية .
أجازة سنوية مع إركابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الأجازة داخل المملكة .
بعد إكمال الخدمة النظامية فله الخيار في الاستمرار أو الاستقالة .
يصرف للفرد المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .
بادر بمراجعة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها .. أو
قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى
لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون
رقم ٤٠٤٢٨٨٢ / ٠٨٢ أو رقم
٣٠٠٩٣ الرياض .
سلاح المدرعات

الرياض نيويورك الرياض

عن طريق الظهران

رحلات يومية

على طائرات ٧٤٧ إس پ العملاقة

• للحجز والاستعلام

الرياض ت ٣٣٣٣٣

الظهران ت ٨٦٤٢٠٠٠

نيويورك ت ٧٥٨٤٧٢٧ - ٢١٢

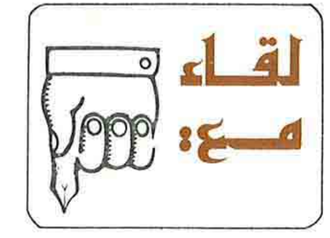
أو الاتصال بأقرب مكتب سفريات تتعامل معه



السعودية

مفتاحك إلى قلب أمريكا









يعرف الشيخ **عبد الله العلايلي** كواحد من علماء المسلمين في لبنان .. كما عرف دأبه ونشاطه في حقلي التعليم والتأليف .

فقد أصدر عدة كتب منها « **مقدمة لدراسة لغة العرب** » ١٩٣٨ م ، وآخر كتاب صدر لـه كان بعنوان « **أين الخطأ ؟** » حيث يعالج فيه بعض المسائل الفقهية .. وسوف يجمع كل أعماله ليصدرها في المستقبل القريب .

يعمل أستاذاً للفكر العربي في الجامعة اللبنانية ، ويرئس تحرير مجلة « **الفكر الإسلامي** » التي تصدر في بيروت .

● الإسلام منهج كلي لا يدرس أجزاء معزولة

القديم والحديث

●● بدأ الحديث مع الشيخ عبد الله العلايلي حول « القديم والحديث » حول الماضي والحاضر والمستقبل ، قال الشيخ :

ـ موجات التاريخ كلها صراع مع ابهامات لفظية ، وعندما تفتش في جوهر القديم وفي جوهر الحديث تجد كلاً جامعاً ، وقيمة الإنسان هي في القدر الجامع وليس في الوحدات الزمنية .

حتى الانتفاضات ليست إلا مختزناً لقيم إنسانية لم تستطع سبيل البروز بألفاظ وحروف فبرزت بحركات عنيفة . إذن هي تخمّرات قبلية ، سابقة ، قديمة ، وجدت سبيل انطلاقها في عمل عنيف .

هناك قائد ألماني فذ معروف بنظرياته في **الحروب الكبرى** وصلتها بالمجتمع البشري ، له وجهة نظر تعبر عن حقيقة . إنه يعتبر **أن الحروب نفسها شكل من أشكال النزاع السياسي** ، والنزاع السياسي يعتبره شكلاً من أشكال الحروب : إذن هناك حلقة متكاملة لا تنفصل .

الماضي والحاضر والمستقبل هي من خُدَع الألفاظ ، من الألفاظ الموهية . هناك إنسان شرفته الماضوية ، وإنسان شرفته المستقبلية ، وإنسان شرفته المكوث في الحاضر . القديم والحديث عبارة عن مواقف أنت تقفها . نسبتك في وقفتها تسميها قبل وبعد . هناك الهنيهة التي مرّت في الأتيّ (**كانت العرب تسمي السيل المنهمر أتيًا**) . هذا الأتيّ نفسه له هنيهات ، إنما أنت لا تلحظها . هناك هنيهة . والإنسان هو الذي يحددها .

أصول التجديد

●● ونسأل الشيخ كيف نجدد ، وما أصول التجديد ؟

ـ الواجب الأولي للكاتب هضم كل المعطيات الموجودة في عصره وكونه والتفاعلات القائمة فيه وتمثيل الهضم التمثيل الكامل .

من الضروري أن يتمثل هذا الهضم حتى يصبح سائلاً غذائياً يمتصه الدم فيشيعه في الجسم العام . معنى ذلك أن التفاعل إذا لم يكن كاملاً مع كل المعطيات فلن يكون له سبيل في نطاق الرؤية الآنية بوضوح لما هو يحياه . وعندما تكون رؤيته لمعطيات ما يحياه حقيقية ، عندئذ يبدع ، يجدد ، ويصبح الإبداع عفوياً ، وكذلك التجديد .

لماذا لم يجدد فلان من الكتّاب ؟ لأنه تلقى كل المعطيات ومع ذلك لم تتبلور في ذهنه ولم تتمثل . **إن التمثل في الذهن كتمثل الغذاء في المعدة ، وعندها يعطي الغذاء قوة جديدة ، وعضلات جديدة .**

إنك تعيش في معطيات عصرك كما تتناول موجودات مائدتك . وهذا التمثل الكامل يحدث حتماً نوعاً من **الرؤية الجديدة** أو التجديد .

إن التجديد شيء عفوي . الذي لم يجدد هو الذي لم يهضم ولم يمثل . فالمعطيات تبلورت في ذهنه ولكنها لم تتمثل . وعندما أقول معطيات العصر أقصد معطيات الماضي أيضاً ، فالماضي والحاضر والمستقبل ـ كما قلت لك ـ هنيهات في الأتيّ ، في الصيرورة الزمنية . الهنيهة السابقة نسميها الماضي ، أما الهنيهة لما بعد فنسميها المستقبل .



● كل توقف في التكيف داخل أطر يصيب الأفراد

● التغير يصيب الهيكلية السلوكية بعد كل

إنك لا تنفصل عن والدك وعن جدك ، واذهن شأنه شأن الكائن . هل هناك إنسان يأتي من الهواء ، بدون أب وأم ؟ إن إنسانهم ، هؤلاء الذين ينكرون الماضي ويتجاوزونه عبثاً ، لهو إنسان من فراغ . وكما أنه لا عطاء من فراغ ، كذلك لا ماض من فراغ .

العودة إلى الأصول

●● في العالم العربي والإسلامي حديث لا ينقطع عن الإسلام كنظام حياة ، وعن وجوب العودة إلى الأصول والينابيع ، فما رأيكم في هذا الحديث ؟

ـ الإسلام في جوهره حل من الحلول الكبرى وفكروية (أي أيديولوجية) متكاملة ، له مميزاته المستقلة التي هي وحدها سرّ قيمته ومجلى



شخصيته .

نعم هو منهج كلي لا يؤخذ تفاريق ، ولا يُدرس أجزاء معزولة .. إنه يضع في خط الحلّ الواحد المتد ، الحياة وما يختلف فيها ، والتحرك الإنساني وما يستشرف إليه .

لكنني مع ذلك أضع يدي على قلبي من التسرع الذي قد يلصق ما يستتبعه من أوضار ، بالشريعة نفسها كنهاً وجوهراً . فيجب قبل الإقدام القاطع على تعديل النُظُم وفق الشريعة ، الأخذُ بالأناة والروية وإعمال الفكر والرويّة ، لتجيء النقلة قدراً وفاقاً مع ما يعتمل العصر به من موضوعية ، وعلاجاً لما يتفاقم من داء دويّ ويتساوره من نغل عصيّ .

وهذه الشريعة العملية التي لا يخالجني ريب في أنها القمينة برمّ ما يفري عالم اليوم ، من سقم عياء ويستبد به من حمّى برحاء .. ينعكس فعلها في الفكر والمجتمع ومناهج السلوك ، إذا ظلت أسيرة قوالب جامدة . وهذا ما حاذره المبعوث بها في قوله الشريف : « **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها** » .

والحديث الكريم هذا ، هو في نظري دستور كامل لحركية الشريعة وديناميّتها في مجال صيرورة الزمن ، فهي تجدُّدٌ دائم يدوس أصنام الصيَغ في مسار طويل ، فشأنها أنها غضة الأماليد أبداً .

وتبرز عظمة المبعوث المقدس بهذا التحديد الزماني « **مائة سنة** » ، إذا أدنينا من وَعْينا ما قرره العلم بقطع وتأكيد في « **البيولوجية** » : أن التغير يصيب الهيكلية السلوكية وينفذ حتى الصميم ، بعد كل ثلاثة أجيال ، **ومعروف أن الجيل البيولوجي يُقدّر بثلاثين سنة أو دونها قليلاً** .

فالكائن الحي ، وهو ابن البيئة فيما يختلف عليها من محرّضات ، يتعرض لتغيرات وتبدلات ، وما أعمقها في حقبة مقدرة حددها الرسول بمائة سنة وحددها العلم بعده بآماد طوال ، بثلاثة أجيال ، إذن فلا قوالب ولا أنماط ولا مناهج ثابتة بل تبدلية عاملة دائبة ، وكل توقف في التكيف داخل أُطُر ، يصيب الأفراد والجماعات بتحجر يؤول إلى حتمية تخلف ، بل انحدار ذريع ولا سيما فيما يُعرف لدى الكتّاب المعاصرين « **بالأبنية الفوقية** » للمجتمع وصوابه : النهائض أي المؤسسات السياسية وأنظمة



والجماعات بتحجر يؤول حتمية تخلف ثلاثة أجيال

الحكم وطرائق السلوك والفنون بمختلف أشكالها. وقد أحسّ القدماء بدواعي التغير، فلا ينبغي أن يؤخذ الخلف والسلف جميعاً بالمقتضى الواحد «فقد خُلقوا لزمان غير زمانكم».

والنهائض أكثر ما تكون عرضةً للتبدل، ومن أهمها في النظر الاجتماعي: أنظمة الحكم وما يتصل بها من طرائق سلوكية وعرفية، كما أن الخفائض «**الأبنية التحتية**» في تيار التغير وسيل الصيرورة.

ونقع في الحديث الشريف على عبارة «يجدد دينها» وهي أمعن في الدلالة على «**التشكل والتكيف**» بحسب الموجب أو المقتضي، لأنها تتجاوز الترميم إلى الإبداء والإنشاء إنشاء آخر، فلم تخص التجديد بشأن دون شأن أو بأمر دون أمر، بل أحياناً في أمورها مجتمعة وهذا واضح بكلمة «دينها» الذي هو هنا بمعنى الأقضية والنظم.

ولا يتبادرن إلى الذهن أن في هذا خروجاً على المقولة المقررة في علم الاستدلال: استصحاب الأصل، فعدا عن أنها محل خلاف كبير بين أصحاب المذاهب، فسّرها من اعتدّ بها واعتمدها: ببقاء الأمر على حاله ما لم يوجد ما يغيره (ارشاد الفحول إلى علم الأصول للإمام الشوكاني ص ٢٢٠).

وإذا ضممنا الحديث السابق إلى مثيل له وهو: إني بُعثت بالحنيفية السمحاء، يتضح ببيان جلي أن خاصية الشريعة الأولى هي الطواعية ومجافاة التزمُّت والحرج والرهق.

وقد استبانت هذه الخاصية بكل سطوع عند القدماء وصاغوها في كليات أصولية فقهية:

أ ــ **المشقة تجلب التيسير.**

ب ــ **الضرورات تبيح المحظورات.**

جـ ــ **إذا ضاق الأمر اتسع.**

د ــ **الرخص حيث الموجبُ تقدَّم على العزائم.** (بمعنى أن الأخف يَفْضُلُ الأشق غالباً).

فالشريعة العملية إذن هي من الليان بحيث تغدو طوع البنان، إزاء الظرف الموجب مهما بدا متعسراً أو متعذراً. ولكن ويا للأسف ابتلي الحقل الفقهي بمن هبطت مداركهم حتى عن حسن التناول، فكيف بالاستنباط المحض. وأرجع إلى الخاطر أن الباحثين في موضوع استخراج الأحكام، صنفوا ذويه في أربع مراتب:

١ ــ مجتهد مطلق **كأبي حنيفة والشافعي**.. إلخ.

٢ ــ مجتهد الأقوال **كأبي يوسف** حنفياً **والمزني** شافعياً **وأبي يعلى** حنبلياً.. إلخ.

٣ ــ مجتهد الوجوه **كالدامغاني** حنفياً **والجويني** شافعياً **وابن تيمية** حنبلياً.. الخ.

٤ ــ مجتهد الفتوى وأرباب هذه المرتبة أكثر من أن يُحصوا، وشرطه حسن تداول أدلة صاحب المذاهب وأصحاب الأقوال والوجوه ثم التخير. والمؤلم اليوم أن ذوي المرتبة الرابعة هم من القلة بحيث يُعدّون على أصابع الأكفّ، فكيف الحال بما فوقها.

●● ما رأيكم بهذا التصنيف؟

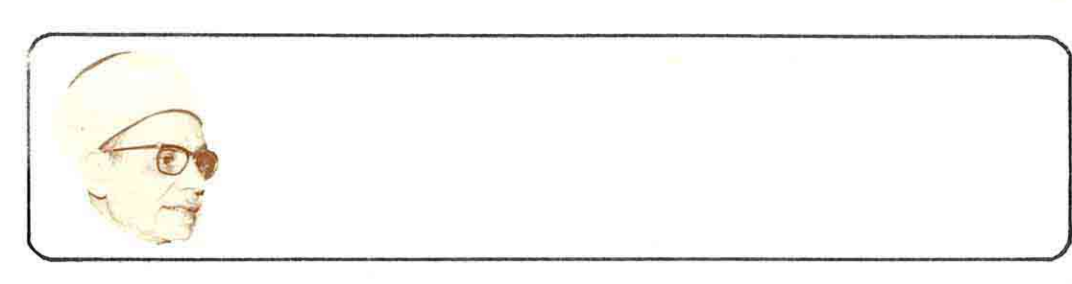
ــ أتقبله في حدٍ ما وعلى نحوٍ ما، لأكشف للمتأثمين الذين يضيقون حتى البرم بأي شيء من معطيات العصر ويقفون أمام تحدياته عاجزين، أنهم يرجعون بالشريعة العملية القهقرى، فهم لا يُحَيُّوْنها ليومهم ولا يُحَيُّوْنَ يومَهم بها.

أقول، أنا لا أطالبهم بأن يكونوا من أصحاب الأقوال أو الوجوه، بل أطالبهم جاهداً بالأقل الأقل، بأن يكونوا من ذوي المرتبة الرابعة «مجتهدي الفتوى» فقط. وبذلك لا تتحداهم معضلة تَخْدِش ولا تشوكهم مشكلة تَخِز.

وإنما قررت أني أتقبل هذا التصنيف في قدر ما، لأني في الواقع لا أقول ولا أعتدّ إلا بالتنزيل الكريم وبالمشهور من الحديث الذي هو في قوة المتواتر، وبالمنطق الفقهي الشامل «لعلوم الخلاف والأصول والاستدلال». وما عدا ذلك، لا أرتفع أو أرقى به عن مقام **الاستئناس** إلى مقام **الحُجيّة**، لأكون قويماً لحُاً أو صميماً مع الإسلام العملي الصحيح. فقد جاء في الحديث: «**والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليس عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يُعطى رجلٌ في كتابه**».

وإذا كان الأمر الشرعي بينهما فقط، أي القرآن، والزكانة الفطنة في معقوله.. وشأن الفهم المعبر عنه في الحديث أنه طُلَعَة يتفاوت بين حين وحين عمقاً ووعياً، فلا نعجب من إمام كالشافعي يكون مذهبه مزدوج





الانتحاء فله قديم وحديث ، مع العلم بأن هذا الإمام هو واضع « **علم الأصول** » أو ما أسميه وأنعته بالمنطق الفقهي .

ونحن حين نمعن النظر في تعبير « إلا فهماً يُعطى رجل في كتابه » ، والعدول عن السائغ « يعطاه رجل » ، ندرك أن المقصود به اللقانة أو الفهم المعطى إلهاماً ، وندرك من التعرية من العاطف في جملة حاصرة ، أن مثل هذا الفهم المعطى هو المضمون القرآني أو صنوه .

وهاك مثلاً مما ينبغي للفقيه أن يكونه من سعة الأفق والإدراك وحسن الفهم والتناول ، فقد اتفق ووقعتُ على رأي **للإمام ابن حزم** في قول الناس (عليّ الطلاق) بأنه لغو محض ، بناه على أن الطلاق من باب الإيمان ، بينما صيغة (عليّ كذا) من باب النذور وهي لا تنعقد بالمعصية أو شبهها بل بالقُرُبات ، والطلاق مُبغَض إلى الله كما ورد في الحديث ، فاستعماله بصيغة النذر يُبطله ويلغيه (انظر طبقات الحفاظ للذهبي في ترجمته) .

●● وما الذي تقصدون إليه بالضبط؟

ــ إني أقصد أن تُرى القضية في الصورة بكل أبعادها وجوانبها ، وأنه يجمعها سلك دقيق هو كيف يجدر بنا أن نعالج الشريعة العملية من جديد ، توصلاً إلى حصيلة يمكن أن تكون أساساً لتقديم الشريعة تقديم « الفكروية : الأيديولوجية » الحاوية لعناصر الخلاص في المضمار الاجتماعي العام ، المتزوبع اليوم على ذات نفسه تزوبع الأعاصير السافية .

وأرى هذا المسعى أكثر من واجب ، وليس على الباحثين فقط بل على كل الدول الإسلامية بإنشاء المؤسسات العاملة عملاً جاهداً في هذا الحقل ونشر فروعها في كل مكان من العالم ، وليس على أساس كون الشريعة ديناً بل على اعتبار أنها منهج حياة وسلوك ، وأقيّد هذا التقييد جرياً مع الدواعي التي أملتها ظروف هذا القرن الكبرى .

●● وما الدوافع التي كانت وراء هذا التفكير عندكم ؟

ــ لقد لاحظت أن **الحرب العالمية الأولى** كان من نتائجها انتصار الفكر القومي الذي تفاقم حتى الذروة فمهد **للحرب العالمية الثانية** التي شرعت الأبواب لصراع الفكرويات (الأيديولوجيات) بتشعباتها ، وكان من صراعها ما نرى ونشهد من حميات تفري فرياً في كل محيط ، وبلغ من أثرها أن تهافت الأفراد والجماعات على ألوان من الخلاص الهروبي كالتعلق **بالعدمية أو العبثية** ، أو الادمان على ما ينسي المرء واقعه ، وتزايدت **النزعة الهروبية** بالقفزة التقنية الخارقة التي أحدثت هوة ثقافية بعيدة الأغوار بين نمطية الحضارة المتزايلة والشموخ التكنولوجي فحققت الأزمة في الضمير الإنساني الذي بات في حالَيْ تمزق وضياع .

إن الإنسان المعاصر يتلمس في حرقة الصيغة المتوازنة التي بدونها سينتهي القرن ولما يزل غارقاً في حمأة دخائله التي باتت آسنة .

وصاحب هذا كله ، ضمور فكرة المكان وتضاؤل ظاهرة المسافات حتى الإمحاء ، فبدت بادية التداخل العالمي على نحو غير متناسق بل مشوب متنافر أحياناً . فارتفعت الصيحة بشعار « **التعايش السلمي** » ، وهو وإن يكن إيجابي الصيغة ، سلبي المحتوى يعبر عن يأس من إيجاد الحل والاكتفاء بالعيش ولو في ظل الواقع المتنافر ، ولكن ما بني على فاسد فهو فاسد . بينما في الشريعة العملية لون من التعايش ، بنته على أساس إيجابي من التعاون الحق ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ وبهذا اللون الإيجابي شكلاً ومضموناً يحق السلام في دنيا الناس حكاية حياة ، ﴿ **ادخلوا في السلم كافةً** ﴾ « البقرة ٢ : ٢٠٨ » وحين لا يكون التعايش داخل هذا الإطار ، يضحي لغواً وعبثاً ، فالمبتدأ البر بالإنسان ، والخبر نبذ ما يشوبه الإثم والعدوان ، كما رأيت في الآية الكريمة .

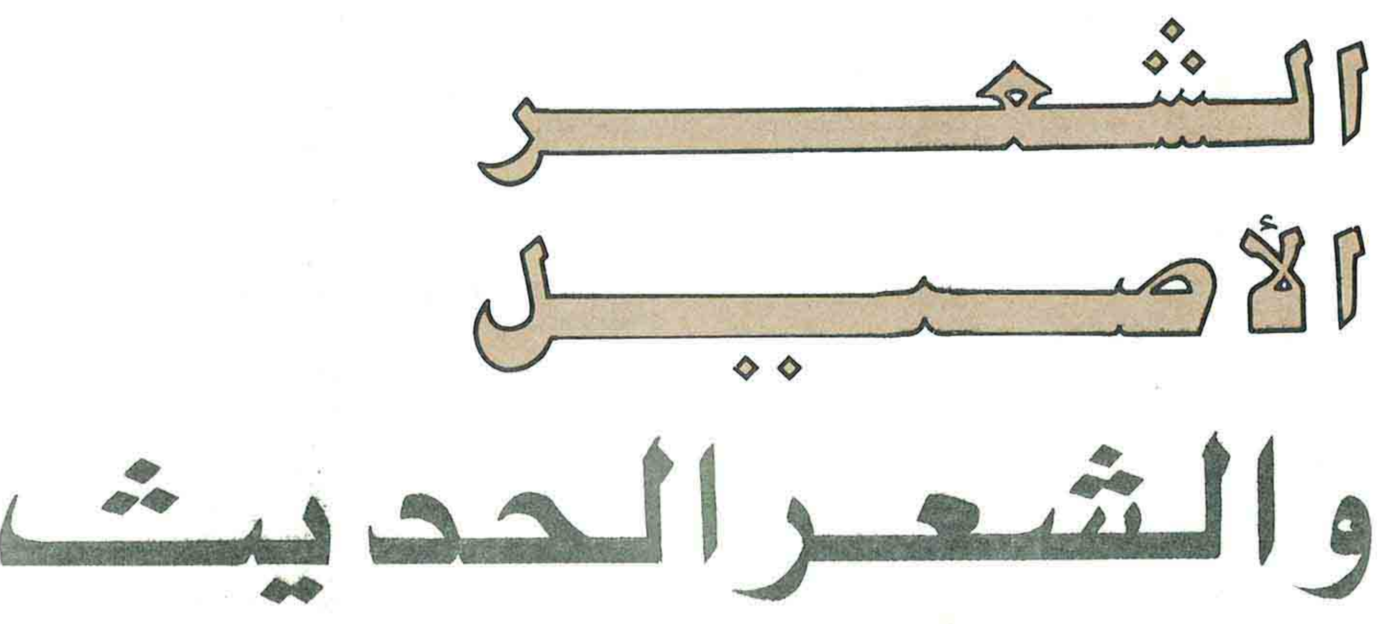
ثم تسامت الشريعة فجعلت السلام تعايشاً وتعاشراً ، تحية عابر وركزته في القلوب حبات سرائر وضمائر . ولو درى هؤلاء التائهون في دروب الحياة مغزاه ، لوقعوا على ما ينشدونه في السراب لاهثين .

فالسلام فيها ، نعم هو تحية ، ولكن سره الأروع ينهض على أن المسلم الحق هو من جعله صراطه ، لا كلمة تقال بل نهج حياة ، فيدور على الشفاه للغادي والرائح ، حتى من لم يرده « ردته الملائكة » كما ورد في الحديث . وأحَبّ إلى النفس . وأعلق بالفؤاد عرفانُ أن تحيتك لها في سمع الملأ الأعلى وَقْعٌ وعلى لسانه مجيب .

واستعلى الإسلام استعلاءه فلم يحجبه حتى عن الطائش المتنفج استكباراً جنونُ العظمة . . ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ . . فالمسلم بتحيته كزارع المحبة وناثر الوداعة كيفما اتفق وأنى اتجه ، ولا بد لزارع هذا شأنه أن يصيب التربة الزكية فتنبت وتزهو بالودعاء ﴿ **الذين يمشون على الأرض هوناً** ﴾ .

وختم الشيخ عبد الله العلايلي حديثه قائلاً :

إذا كان الإسلام العملي مصدر إبداع ، فقد صوره الحديث النبوي بما هو أجمع وأكمل : بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ ولكن لا كما فهمه القدماء بظنهم أن كلمة « غريباً » من الغربة ، بل هي من الغرابة ، أي الإدهاش بما لا يفتأ يطالعك به من جديد حتى لتقول إزاءه في كل عصر « إن هذا لشيء عُجاب » .



بقلم : إلياس قنصل

ليس قصدي أن أدافع عن الشعر الذي يسميه بعضهم «الشعر العمودي» وفي هذه التسمية سيل من الخطأ المبين، فهو «الشعر العربي الأصيل» الذي لم يسمح للحملات المتسعرة المتوالية أن تصل إلى ما تبغي من خفض شأنه، فبقي كما شاء النبوغ الذي اصطفاه. وظل – وإن كره من أشعل نيران الحملات – ملء الخواطر والأسماع، وسيظل هكذا إلى أبد الآبدين.

ومن حق هذا الشعر أن يترفع عن الرد على الهمازين اللمازين، وأن يتعالى عن ردع المشّائين بنميم، فهو يعلم أن أولئك جميعاً إنما يرمون إلى إحراز الشهرة من هذا السبيل بعد أن عزّ عليهم أن يأتوا بما يماثله، وبعد أن عجزوا عن اللحاق بفرسانه الذين واصلوا إمتاع العربية بهذه السلسلة من الطرائف التي لم تنقطع حلقاتها منذ أمد بعيد.

وكيف ننتظر من هذا الشعر أن يعمد إلى الدفاع عن ذاته، ووجوده حتى الآن بعد ألف وخمسمائة من الأعوام، يعرض عبقريته الفريدة في حيواته المتواصلة، هو الحجة التي لا يرقى إليها التأويل على أصالته التي تسبح في آفاق رحاب من الإلهام؟

إن هؤلاء الذين يتحاملون عليه، ولا يقع تحاملهم إلا موقع الصفح منه، لا يبرحون إلى يومنا هذا ينشدون متى أرادوا أن يشيروا إلى شيء أحرز من ذيوع الصيت ما يُغبط عليه: «**هو أشهر من قفا نبك**».

إن هؤلاء الذين يتهجمون عليه، فينأى عن مكاره بغضهم، لا يزالون يرددون عندما تتعاصى عليهم أمنية: «**تجري الرياح بما لا تشتهي السفن**».

إن هؤلاء الذين يلصقون به تهماً هو براء منها عن حسد ينتكل ضلوعهم في صباح ومساء، يهتفون حيناً يشهدون مظهراً للتدني مردّه إلى انهيار الطبع: «**وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت**».

إن عداوتهم لهذا الشعر لا تستدعي مزيداً من الاهتمام، فإن خالجة البغض هي من طبيعة المرء، وقد تتجلى – أحياناً – واللهب يكتنفها، وتختبئ – أحياناً – تحت الرماد، وهو مسوق إليها في سوانح عدة دون أن يدري لها داعياً أو يجد لها تبريراً، وكثيراً ما تنقلب إلى عقدة نفسية ذات خطر، **ولكني استغرب أن يُعنى ذو العقل الحصيف بالمقابلة بين القصائد الرائعة التي تفتقت عن أذهان أسلافنا وبين ركام من رمم معلقة على ضفة هاوية يطلع علينا بها الذين ينعون علينا تمسكنا بالديباجة العربية.**

المآخذ عليه

فإن سألنا الغاضبين الحانقين:

– ما هي مآخذكم على الشعر العربي الأصيل؟

ترددوا، وهم غير واثقين بسداد ما يفكرون به وصحة ما يعلنون عنه، وأجابوا، والاضطراب يشمل عباراتهم، وظلمات الارتياب تطبق على ألفاظهم:

– هو لا يجاري روح العصر الحديث.

فإن سألنا، لا لإحراج موقفهم، بل للدلالة على خطل تفكيرهم:

– وما هي روح العصر الحديث التي تتشدقون بها، بعيدين عن موازين المنطق؟

لم يجدوا في أذهانهم شيئاً، لأن حججهم مِزَقٌ من خواطر أخذوها من هنا



★ خليل مطران ★



★ أحمد شوقي ★



◀ ★ حافظ إبراهيم ★



وهناك ، لا تجمعها رابطة ، يجهدون ليتعلموها غيباً ، كما يتلقن الأطفال قطعة من الشعر أو النثر يتلونها حين تلوح لهم رشوة الحلوى .

ونلاحقهم بالسؤال من جديد ، لا لتخجيلهم من عكرة استنتاجهم ، بل لإرشادهم إلى الطريق السوي بعد أن لبثوا دهراً وهم محكومون بشريعة الحقد الدفين :

ـ أتحسبون أن العاطفة الإنسانية قد تبدلت على عهدكم الميمون خلقاً آخر ؟

ـ أتظنون أن الحرقة التي كانت تلذع فؤاد البدوي ، يوم النوى ، تختلف عن اللوعة التي تخالج ـ الآن ـ صاحب الأربة الزاهية والحذاء اللماع لفراق من يحب ؟

ـ أتخالون أن حنان الأم العربية منذ عشرة أجيال ، وهي تشهد ابنها ينضم إلى كتائب الفتح ، هو غير حنانها ـ الآن ـ عندما تعاين وحيدها يعرّض صدره للرصاص دفاعاً عن كرامة وطنه ؟

وماذا فعل الشعر العربي الأصيل ؟

ألم يترجم أحاسيس الناس ، ويزفها في حلل من بلاغة رصينة ؟

ألم يكن تعبيراً صادقاً عما يمور في السرائر من رغبات وأماني ، لا ينزل درجة عما يحدده كبار النقاد لمهمة الشعر الصحيح ؟

ألم يكن المرآة الصافية التي تجلت على صقالها البيئة التي عاش فيها ؟

ألم يكن الأداة الوفية التي بسطت حوادث التاريخ في أحقابه العديدة ؟

إذن ، فهو أمين في الرسالة التي أداها .

وهل تطلبون من الشعر أكثر من هذا ؟

وما دمتم تشهدون بأمانته في التعبير ، فاشهدوا كذلك بأن الذين يحاولون احتقاره هم من القوم المنحرفين الذين غذّتهم الأغراض بلبانها .

ولا نسمح للمعتدين بهدنة ، ونلاحقهم بالسؤال ، ونحن نترصد فشلهم المحتم :

ـ ما هي مآخذكم على الشعر العربي الأصيل ؟

فيرجعون إلى التردد الذي يشتمل على شكوكهم الخفية بصدق ما يقولون ، ويقولون وكأنهم يستحيون مما يقولون :

ـ إن تعابيره قديمة عتيقة بالية .

فنبري لتهديم هذه التهمة المتداعية ، دفعة واحدة :

ـ أوتعتقدون أن الكلمات هي أزياء يجد من أمرها في كل نهزة طارئ غريب ، فتذهب وتختفي لأن ذوي مصلحة خاصة قرروا ذلك ؟ أو أنها شبيهة برداء يكتسيه المرء مدة قبل أن يبدأ سداه بالتهرؤ **ولحمته بالانحلال ، ثم يهرع إلى استبداله بغيره من مستحدثات الأزياء ؟**

إن كلمة « **سماء** » هي هي منذ وجدت السماء ، فهل أصبحت قديمة عتيقة بالية لكثرة ما استعملتها الألسن ؟

الزمن هو الذي يغربل الكلمات ويفرز صحيحها من فاسدها ، ولو كان على عهد **زهير بن أبي سلمى** شعراء حديثون « ينظمون ما ينظم زملاؤهم في هذا العصر من مقاطع مهلهلة الأسلوب والمعنى » ، لبطلت من قصائدهم الكلمات التي بطلت من قصائد الشعراء الفحول .

الزمن هو الذي يستأصل شأفة الكلمة التي لا تتمتع بالقوة التي تتطلبها الحياة ، ويضع مكانها كلمة فيها قوة توافق جدارة الحياة : **سنّة الله في خلقه ، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً .**

أما إذا كان هؤلاء يقصدون أن « **التراكيب** » لا الكلمات هي التي تقدم وتعتق وتمسي فريسة لأنياب التلاشي ، فنحن نرد بأن الحكم على هذه هو الحكم على تلك سواء بسواء . والزمن هو الذي ينسخ من هذه ما يعوق إقدامه وينسخ من تلك ما يثقل خطاه ، مستنداً في عمله إلى دستوره وقانونه .

إن الكلمة تغدو قديمة عندما يحل محلها مرادف لها أفضل منها . والجملة تمسي عتيقة حينا تجد مكانها جملة أحسن وأحق بالمعاصرة .

لقد ماتت كلمة « **استشزر** » لأنها ثقيلة على اللفظ ، غليظة على السمع ، ولأن كلمة « **فتل** » نابت منابها ، لا لأن أحد الشعراء القدامى استعملها في بيت غير موفق . ولو جرت تلك الكلمة على لسان « **شاعر حديث** » في العهد القديم ـ على فرض وجود شاعر حديث في العهد القديم ـ لانسلّت إلى كفنها على كل حال .

هاتوا لنا كلمات أجمل من التي نستعملها على أن تؤدي المدلول نفسه ، ونحن راضون عنها وعنكم ، ومعترفون بأنكم عماد التجديد والتفنن .

هاتوا لنا تعابير تنطبق على ما تودون أن تعرضوه من خواطر ، ونحن تاركون ـ الساعة ـ تعابيرنا التي لا تستسيغونها لأن أذواقكم قاصرة عن استيعابها ، وأذهانكم عن استملاحها أقصر .

ويأبى أرباب « **الشعر الحديث** » أن يذعنوا للحق ، بعد أن دمغناهم بالبراهين السابقة ، فينبسون بما يلي غير ظافرين من جوهر الإقناع بطائل :

ـ إننا إذا ترجمنا « **الشعر العمودي** » إلى أية لغة أجنبية فَقَد جميع ما تزعمون له ، وما أمكننا مقارنته ببقية الشعر العالمي .

ونحن نرد على هذا الكلام المتكامل له حظه من خامد الفطنة ، المتداعي بعضه فوق بعض :

ـ إن الشعر العربي الأصيل لم يعثر حتى الآن ـ لسوء الحظ ـ على مترجمين لهم من إجادة اللغة العربية ومن إحسان اللغة التي يراد النقل إليها ما يؤكد أنهم يحتفظون بما فيه من بجدة وروعة .

وليقلبوا الصفحة ، وليأتونا بالشعر الأجنبي مترجماً إلى العربية ، **فماذا فيه ؟** إننا نلق ما يلقاه الغرباء عنا حين نقدم لهم شعرنا مترجماً إلى لسانهم .

وبعد ـ **فالترجمة ، يا ناس ، هي للعلوم الرياضية ، للحسابات المادية ، للملابسات العددية .**

إن الترجمة في أقوى الإيمان ـ لا في أضعفه ـ هي **للنثر العادي** ، ويكاد يدفعنا الحماس إلى التنويه بأنها ليست حتى **للنثر الفني .**

ورب كلمة في بيت من الشعر ـ عربياً كان أم أعجمياً ـ في مكانها من تناسق الصيغة وفخامة الإيقاع تفتح للافهام النيّرة أفقاً من الفتنة لا تفتح مثله مترجمة إلى لغة أجنبية . **وأنا أضع مثلاً قريباً وأتحدى أياً كان ، أن يترجم كلمة « عذول » إلى أي لسان من ألسنة الدنيا ، إلى أية لهجة من لهجات العالم ، وأن يوازن بين أثرها في السمع العربي وفي النفس العربية وأثرها في بقية الأسماع والنفوس .**

وفي شعرنا مئات ومئات من أشباه هذه الكلمة .

وفي الشعر الأجنبي مئات ومئات من الكلمات التي يبدو لنا جمودها ـ متى تُرجمت ـ وتحملنا على الاستفهام عما فيها من جمال ذاتي وحسن انسياق .

ولماذا نكون مضطرين إلى ترجمة الشعر العربي الأصيل ليتضح لنا منه رونق الديباجة ؟

لقد طلع علينا بهذا الابتكار الرخيص « **جهبذ** » هبط عليه النبوغ في برهة غفلة ، فتمسك بما فيه أولئك الذين يريدون لأدبنا القديم الضرر والشر ، ومضوا يرددونه هانئين بهذا المقياس الذي ما أنزل الله به من سلطان .

الوزن والقافية

ويستمرون في ضلالهم فيعلنون أن **الوزن** غلّ يحمل الشاعر ـ معظم الآناء ـ على تحويل المعنى من قصد إلى قصد ، وأن **القافية** قيد يمنعه من الحركة العفوية

ويفرض عليه كلمات معينة لا يتاح له أن يتعداها .

نحن نعرف ــ والدواوين أمامنا ــ أن الشاعر الملهم هو من « يطبّع » الوزن الذي اختاره للمعنى الذي أراده ، والوزن لا يتمرد إلا على من ليس بالشاعر الشاعر .

نحن ندري ــ والشواهد حيالنا ــ أن الشاعر المطبوع هو من يجعل القافية كلمة تأخذ مدارها الخاص لا أكثر ولا أقل ــ من اتساق البيان في البيت ، وأنها تثور على من ليس له إلمام بمفردات اللغة .

إن هذين القيدين ــ الوزن والقافية ــ ومتى أشرنا إليهما فقد عنينا الموسيقى ، هما اللذان جعلا للشعر عامة ، وللعربي منه خاصة ، ميزة مشهورة كلها روح وريحان . ولو كان الشعر من السهولة في المرتبة التي يودها هؤلاء لعدل عن أن يكون طليعة الفنون الجميلة ، ورجع عن أن يرفع النفوس إلى أجواء تتوفر فيها السعادة المعنوية المنشودة .

وإذا كان أولياء « **الشعر الحديث** » الذي تضرب الصفرة الشاحبة على قصائده حجاباً يغطي عاطفته وخياله ونسيجه يبتغون أن يجردوا الشعر من وزنه وقافيته ــ لا أن يحرروه منها ــ **فأي فرق يبقى بينه وبين النثر ؟**

ولماذا لا يضيفونه إلى حقل النثر ــ مرة واحدة ــ ويتركون للشعر مجاله يرسمه طابع من العبقرية تأخذ بالألباب ؟

أمسكوا قصيدة **لابن الرومي** ــ مثلاً ــ أو لغيره من فطاحل الشعراء ، وبدلوا قوافيها بكلمات تماثلها أداءً ، وغيروا مواضع العبارات بحيث يلبث جوهرها ويختفي الوزن ، **فماذا يكون ؟**

ألا يصبح نثراً ؟

ولماذا تعب الشاعر حتى أخرج لنا الصورة التي أحببها في هذا الإطار ، فتجاوزت الأجيال إلينا ، وستتجاوزها إلى أحفادنا وأحفادهم ؟

إذا كان هؤلاء يكرهون الشعر العربي الأصيل ، لأنه لا يتسنى لهم أن يجولوا في مضماره ويسابقوا أبطاله ، فليكتبوا ما يكتبون بلا وزن ولا قافية ــ كما يفعلون الآن ــ وليسمّوا ما يتناثر من أقلامهم نثراً ، وليسبغ الله عليهم بركة العفو والغفران .

نحن والصهيونية

نحن العرب ــ لسنا نعاني « **مركب نقص** » لا نستطيع منه فكاكاً ، يحملنا على اعتبار فئة معينة من الناس أعداءنا ، ولكننا نعرف أتم ما تكون المعرفة وضعنا الصحيح ، وندرك أشمل ما يكون الإدراك ما لفلسطين وقضيتها من علاقة بمصيرنا العام ، وقد استبانت بوادر الاهتمام العالمي بها وبنا .

إن **الصهيونية** التي خبرناها مزاجاً من حية رقطاء وثعلب رواغ تريد لنا الأذى وهي التي تبدأت بالاعتداء الجارح والعداوة اللدودة ، وتعتبر أن ساحة العراك بيننا وبينها هي الدنيا بما فيها ، وترمي إلى إضعافنا مادة ومعنى : في العلم والاقتصاد ، في الفن والتنظيم ، في الأدب والتنسيق ، وتقصد إلى بلبلة الصف العربي ــ كيفما كان ــ وإلى زعزعة بنيانه المرصوص ، وتنوي أن تدس فيه عوامل شخصية تتعرض لتيارات الأهواء المتباينة .

والصهيونية التي تلعب في صدرها أمواج السخيمة كل ملعب ، ماكرة خبيثة ، **فكيف يفوتها أن روابط عديدة تجمع العرب ، واللغة أقواها وأرسخها ؟** فهي ــ في زمن ما ــ قد حولت جهودها إليها ، إلى إيهانها ، ولكنها أدركت ــ مرغمة ــ أن ثمة حائلاً يردها خاسرة فيمحي عتادها من أمل بعيد ورجاء خلب وهو الكتاب الخالد ــ **القرآن** ــ الذي لولاه لما كان **التماسك العربي** ما هو ، ولا غرابة إذا فشلت ، فقد طلبت أمراً لا يستنال ، وتطلعت إلى هدف هو أول المستحيلات لا رابعها ، وتورطت في إخفاق رافقها في مراح ومغدى .

أهداف العدو

كل سلاح وصل إلى يدها ــ إلى يد الصهيونية ــ استعملته محاولة القضاء على القومية ، مدركة أن انتحارها سيكون على يد هذه القومية التي تفتقت في الآونة الأخيرة حدثاً من الأحداث السياسية الاجتماعية العالمية ، يبعد مدى يوماً عن يوم ، يشير إليه أعداؤها أنفسهم والدهشة تعقد ألسنتهم .

صبّ **الاستعمار** ، ومن ورائه الصهيونية ، على المدن العربية قنابله الآثمة ووجه إلى صدور أبنائها رصاصه المجرم ، وهدم وخرب وشرد واعتقل ، ما شاء له طبعه اللئيم ، ثم حاول ــ وقد أبصر أن بطشه المكشوف لم يجد ــ خلخلة الوعي القومي العربي من الداخل ، فرشا الأنصار ، وجند الأعوان ، واشترى الضمائر ، ولكنه ، على الرغم من ذلك ، تميز غيظاً من فشله ، فقد كان هؤلاء الأنصار والأعوان من القلة ، وكانت اليقظة الشعبية من الشمول بحيث أخفقت محاولاته ، ورأى نفسه كما رآه العالم عامة كافة ، ذليلاً يرتد متعثراً بأذيال الفشل ، لا يكاد يلملم ذاته من حفرة حتى يقع في حفرة تالية ، ولا بد أن تتحول إحداها إلى مقره الأخير .

وإذا كان قد اكتسى رداء سابغاً من الخذلان ، فليس المعنى أن المعركة التي استهدفت لها الأمة أو بعبارة أصح أن المعارك التي ساقها إليها كانت هينة لينة . . كلا ، كانت جولات عنيفة تركت في جوانب الأمة جراحاً ضمدت بعضها ، ولا يزال بعضها ينز بالدم حتى الآن ، وما يبرح ، وهو يتلظى بالبغضاء ، ويستكمل أضغانه بالمؤامرات .

صوّب الاستعمار تسانده الصهيونية ، أو صوبت الصهيونية يساندها الاستعمار حرابه ــ وحداناً وزرافات ــ إلى سائر مقومات الأمة العربية :

إلى أخلاقها يريد أن ينتهب الفجور مناعتها فينهار تضامنها ،

إلى تاريخها يريد أن يشوه معالمه العالية ، ويحوله إلى أداة استحقار وهو شارة اعتزاز ،

إلى نشئها يبغي أن يكسوه صبغة من الانفلات تذيب شخصيته المأمولة ،

إلى اقتصادها يرمي إلى وقفة عند حد محدود فلا يضمن الابتداع والاستحداث ولا يتفاعل مع إمكانات النشاط العالمي .

اللغة العربية

وقد كان للغة العربية نصيب وافر من تلك الحراب التي تقطر بالسم الزعاف .

طلعت الدعوات العديدة إلى وجوب البحث في تطور اللغة ، ولم يكن المرمى من ذلك لا التطور ولا ما يشبه ذلك من قريب أو بعيد .

كان القصد ايجاد التفرقة في أجزاء هذه الأمة التي تتكلم هذه اللغة ، وإحداث شكل من أشكال الفوضى ، قد يمتد إلى عوامل كثيرة لها علاقة وثيقة باللغة .

كانت الغاية منها ــ إلى ذلك ــ إشغال فئة من حملة الأقلام بالأخذ والرد ، **والمماحكات البيزنطية** ، وصرفهم عن إذكاء الحماس لمحاربة الأعداء .

لا نقول إن جميع الدعوات التي تعالت بالإصلاح كانت من إيحاء الاستعمار أو الصهيونية ، فقد تنزه بعضها ، ولكننا نقول إن معظمها كان مدفوعاً منه أو منها ، يظهر بستار من الإصلاح ليس وراءه غير الوقيعة .

والذي يراجع تاريخ هذه الدعوات ينتهي به البحث والتنقيب إلى ظاهرة من أغرب الظواهر التي لا يمكن أن تكون من عمل الصدف : كانت هذه الدعوات تطل برؤوسها عندما يشتد ضغط الشعب مطالباً بالحقوق المغصوبة .

إن هذه الدعوات لم تكن تظهر أبداً في فترات السكون السياسي والاستكانة القومية ، وهي الفترات الحريَّة بأن تبدو أثناءها ، لأن هذا الإصلاح ــ إذا صح أنه

إصلاح ـ يفتقر إلى درس وامعان لا يتمان إلا تحت ظلال الاطمئنان . **فهل يلام من يستريب ؟**

قال هؤلاء فيما قالوا :

ـ إن اللغة العربية فوق سوية الجمهور ، وإنما وقف على طبقة معينة من الأمة . وهذا عيب من عيوبها ، تلافيه أن تكتب بلغة الشعب .

ولو تم لهم ما أرادوا لقضي القضاء المبرم على واسطة التفاهم بين الأقطار التي تضمها **الفكرة العربية .**

لقد رأى هؤلاء أن اللغة في حالتها الحاضرة ينفسح صدرها للألفة العربية **فتجمع السوري إلى السعودي ، كما تجمع المصري إلى الكويتي ، كما تجمع العراقي إلى اللبناني** ، حتى لا يكون بين المجتمعين أي فارق مهما كان ضئيلاً ، فكأن المقيم في أقصى **القارة الإفريقية** كالمقيم في أدنى **القارة الآسيوية** ، وكأن الأيدي قد تصافحت ـ بإشراف هذه اللغة ـ والقلوب تعاقدت على حب وائتلاف .

رأى هؤلاء المطالبون بإصلاح اللغة ، ذلك ، فهالهم الأمر الذي يكاد يكون منقطع النظير في أساليب التفاهم ، فتمنوا تفكيكه ، وبرزوا بالنغمة الشلاء : **تحويل اللغة الفصحى إلى العامية** ، أي وضع حدود أو شيء أشبه بالحدود بين اللهجات المختلفة بحيث يستحيل التفاهم بين قطر وقطر ، وإذا لم يستحل فلا أقل من أن يكون صعباً .

ولو كانت نية هؤلاء ما أعلنوا عنه ، لدعوا إلى رفع العامية من مستواها إلى المستوى الذي تتقرب فيه من الفصحى ، **فالإصلاح هو أن تتجه إلى الكمال لا أن تنحدر إلى النقص** . ومن البدهي الذي لا يكابر فيه أن الفصحى هي رمز الكمال لا العامية ، وهي التي يجب أن تفوز بالحظ الأوفى من الاعزاز .

وقال هؤلاء فيما قالوا :

إن اللغة العربية ذات صرف معقد ونحو غامض يكابد من يخوضهما جساماً من المصاعب ، وإن الأفكار تنصرف عنها لهذه الدواعي التي يستطاع إزالتها بمحو جميع العقد منها وملاشاة الغموض ، أي بترك الحبل على الغارب لمن يريد أن يتلمس تجاربه وفق هواه ، وبتحويل الإعراب فيها من قضايا منطقية ذات قواعد إلى مجموعة من عناصر التشويش التي لا يضبطها أصل ولا تنتظم في قاعدة . وينسى هؤلاء أو يتناسون أن جميع لغات الدنيا التي تتداولها المحافل المحترمة لا تخلو من قواعد وقياسات وأنظمة تجمح وتتأبى ، وأن في بعض هذه اللغات التي يعتبرونها مثالية متناقضات لا تقاس إليها ما في **لغة الضاد** من عامة الشواذ .

وقالوا فيما قالوا :

إن **الأحرف العربية** في هندستها الحالية الراهنة ليست أحرفاً تماشي الحضارة ، وإن الواجب يقضي علينا باستبدالها بحروف فرنجية أو بحروف لا هي بالفرنجية ولا هي بالعربية . وما يرمون إليه من هذا الاقتراح واضح : إنهم يريدون أن يقضوا ـ كرة واحدة ـ على ثمرات الفكر العربي في الأجيال الماضية ، وينسون أو يتناسون أن التراث الفكري العربي لا يشكل مفخرة من مفاخر العبقرية فحسب ، بل يصل إلينا وهو خلاصة التجارب الفكرية في المدى العربي ، وهو عصارة الفلسفة العربية في نظرها إلى الحياة وما فيها من مشاكل .

وقالوا فيما قالوا أموراً كثيرة لا تخرج عن هذا النطاق ، ولكنها مكشوفة المقاتل ، مفضوحة النيات ، تحس فيها الكراهية مجسمة .

لقد استطاعت اللغة التي حاربها أعداؤها والذين تجندوا تحت لواء أعدائها ، أن تمنح الناس روائع البيان ، وأن تعبّر عن أدق الخوالج الإنسانية ، كما استطاعت أن تستوعب دقائق الفنون والعلوم في مختلف العصور الفائتة ، فكيف تتعثر الآن في طريقها المعبد ، وتعجز عن النهوض بمسؤوليتها وقد سهلت أمامها الوسائل التي لم تكن معروفة في القرون الغابرة ؟ كيف تعجز عن ذلك وقد تكشف للعلماء كثير من أسرار تراكيبها ومشتقاتها كانت مغلقة على الذين نقلوا إليها العلوم والآداب من الأمم الغربية ؟

نحن لا ندعو إلى الجمود . إننا نعرف أننا في عهد التعرف والكشف والتحليل والتعليل ، وأن تقدم الحضارة يتطلب أن ترافق اللغة ما يظهر من اختراعات ، غير أننا نعرف كذلك أن اللغة العربية في وسعها أن تجاري التقدم مجاراة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فهي لغة لها اتساعها في مفرداتها وجملها ، ولها دقتها في جلاء أخفى ما تنطوي عليه النفس من شعور ، ولها غزارتها في منح ما يتطلبه الراغب في استيعاب مكنوناتها الدفينة ، ولها جمالها الذي لا يفوقه أي جمال في أية لغة أخرى .

إن اللغة العربية فيها « **حياة** » يكاد المرء يلمسها كما يلمس الحياة في الكائن الإنساني ، وهي ـ إلى أنها أداة للتعبير والتفاهم ـ آصرة من أواصر القومية ، كان لها عملها في الاحتفاظ بهذه الروح التي نجدها الآن في العالم العربي تسعى لفرض إرادتها .

وأعداؤها لم يكونوا على خطأ حين وجدوا فيها قوة من قوى العروبة ، بقاؤها على جبروتها نذير بأن الوحدة العربية التي يخافون منها ، باقية الأصول يغذيها الزمن ، وينميها الجهد المتواصل .

أربعمئة سنة أو تزيد بقيت اللغة العربية تجابه الطغيان العثماني مجابهة خرجت منها فائزة منتصرة وارتد الجور مضطرب الأعصاب ، مدحوراً ، مكسوراً .

وعادت قوى الشر التي حشدها الأعداء ، فشنوا عليها الغارات منذ ابتداء **الحرب العالمية الأولى** ، ولم تكن النتيجة إلا ما شاء الحق : بقيت اللغة العربية في حرز حريز من مناعتها الطبيعية ، ولم تؤثر عليها غضبة الموتورين .

والعروبة التي أخذت تسجل في الآونة الأخيرة ، الانتصار تلو الانتصار ، تعرف أن صون اللغة هو أحد الأسلحة الفعّالة في درء الأخطار المحيطة بها ، وهي لذلك تحرص على سلامتها حرصاً لا يتسرب إليه الوهن ، وهي لذلك تمر بالدعوات التي تبرز بين الحين والآخر مرور الامتهان ، لأنها تدرك أن الداعين لا يضمرون لها الإخلاص ، ولو أضمروه لتوجهوا إلى ايجاد الإصلاح الحقيقي ، لا إلى هذه المحاولات التي لم تعد تخدع أحداً بما تحمله من أمائر التواضع وما تطلي به وجهها من مساحيق التصنع .

إن الضاد التي قدرت على أن ترافق أمتها في جميع أدوار التاريخ ، ستماشي هذه الأمة في مراحلها إلى الأمام ، لأنها جزء منها تكشف لأبنائها ، كل يوم ، دنياوات جديدة تعمر بأشكال من الروائع .

الشعر الحديث

وظلت **الصهيونية** ومن ورائها **الاستعمار** تبحث ، وقد فشلت في محاولتها السابقة ، إلى أن ظنت ـ وبعض الظن إثم ـ أنها وجدت بغيتها : **الشعر العربي الأصيل .**

وتكتل الأعداء ـ أعداء العروبة ـ وكأنهم في حالة استنفار . فليهاجموه ، وتأهبوا ما وسعهم التأهب ـ ولتكن قضية الشعر الحديث المسرب الذي ينفذون منه إلى أمانيهم ، وكان لهم بعض ما أرادوا ، وارتسمت على وجوههم بسمات ، وما غايتهم إلا بتر الصلة بين التراث الأدبي العربي وبين الحاضر الذي نجاهد في ميدانه ومن ورائه المستقبل الذي ننتظره ونلمح فجره الوضاح .

وما هدفهم إلا ايجاد هذه الثغرة بين القديم الذي نسميه قديماً لبعد الزمن الذي نماه ـ لا لأن عهده انقضى ـ وبين الجيل الطالع الذي نعتمد عليه لاستعادة حقنا الهضيم ، ما لم يتمكنوا منه بحملتهم على اللغة الفصحى ـ تمكنوا منه ـ بعض الشيء ـ متذرعين بالطفرة الفكرية التي يدعونها « الشعر الحديث » .

ونود أن نكون منصفين : إن كثيرين من الذين انساقوا إلى هاوية هذا الشعر لا يلحظون أن هذه البدعة هي إحدى محاولات الصهيونية لإضعاف عرى الاتحاد

العربي . وإن كثيرين من الذين انساقوا إلى هاوية الشعر الحديث هم أبرياء من تهمة التواطؤ مع عدونا ، وإن كانوا قد سهلوا له ، بما فعلوه ، الوصول إلى آرابه التي يأباها المنطق السليم ، وينفر منها الحق الصريح ، ويرفضها الخلق العالي .

تراثنا الخالد

ويحق لأعدائنا أن يخافوا لأنهم يدركون أننا إذا سلكنا السبيل الذي شرعه لنا تراثنا ـ ونحن واثقون أن فيه عَلَمَ النجاح الأتم ـ وجدوا أنفسهم أمام قوة ترد كيدهم إلى نحورهم ، وتضع الحق في مكانه من النفوس والأجسام . لأنهم تأكدوا من أن هذا التراث هو الذي حمل بند العروبة إلى أنحاء الأرض ، ورفع عن النفوس ظلمات من الجهل والهمجية . لأنهم على ثقة أنه ما دام هذا التراث حياً في خواطرنا فلا خطر على تيار المجد الذي يتدفق في بنيتنا ، وقد تلاقي في مسيرتها عثرات وعثرات ، بيد أنها لن تترنح ولن تتهاوى ، لأنهم علموا أن تراثنا هو **النبالة** مجسمة في مآت تتعزز فيها أركان الأخلاق ، وتُبنى عليها صروح السيادة والكرامة .

شاهد أعداؤنا ذلك ، فتمونوا بالحذر الذي يقيهم خطره ، وحركت رغباتهم شخوصاً ضعاف الأرواح كادوا ينوبون عنهم في تجارب ستبوء ـ على الرغم من ستارها ـ بالفشل الذريع .

اندفاع الشباب

وما في اندفاع الشباب أي سر : إن حماسته لا تدع له فسحة من الوقت للإمعان والتفكير والاستنتاج . وهو يجهل منبت الدعوة ويحسبها سبيلاً للاتيان بما هو أفضل ، ويجهل أنها تخضع لدوافع وملابسات لا علاقة لها بالأدب والفن . فإذا أضفنا إلى ما سبق أن « **صب** » الشعر الحديث لا يكلف العناء الذي يكلفه « تدبيج » الشعر العمودي ـ ففي الأول إغراء بالكسل والقعود وفي الثاني حفز إلى التجويد ـ تمت لنا معالم الأسباب التي دفعت بالشباب إلى قبول هذه الدعوة التي تخالف الأصالة والذوق .

فإن نأسف لشيء فلأن هؤلاء الذين هم ركيزة الحاضر ورجاء الآتي ، قد تحولوا من حيث لا يشعرون إلى حلفاء لعدونا :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

ألا ترون أننا حتى في لوم المبعدين عن جادة الصواب وفي العتب عليهم لا بد لنا من أن نعود إلى « قديمنا » لنقبس منه بيتاً ، يكون أقرب إلى أفهامنا منالا ، ينطبق على حالتنا وحالتهم انطباقاً لا تستطيع مقالة نثرية برمتها أن تحل محله ؟

سيعود هؤلاء الشباب ، وهم بحاجة إلى دروس تنفث فيهم مقومات العروبة ، سيعودون إلى الصراط السوي ـ وللعرب ردات مشهورة ـ وسيتوخون فرصة الرجوع إلى حظيرة الصواب ، ويتنكبون عن الدرب الذي درجوا عليه . إن خسارتنا إياهم هي إلى حين ، فحسب ، ولن يلبثوا أن يطلعوا على ما يراد بهم من خلال هذه الدعوات التي سيكونون هم ـ لا سمح الله ـ أولى ضحاياها .

شعر المناسبات

لم يصل إلينا الشعر القديم لأنه شعر احتفظ بالقافية والوزن بل لأنه شعر أصيل ـ كما قدمنا ـ يعبِّر عن خلجات النفس العربية ، ويترجم عواطف الأمة العربية في مختلف عصورها ، ويضع أمام مطالعه رسماً أميناً صادقاً للعهود التي عاش فيها .

تمتع الشعر القديم بهذه السيرورة لأنه صدر عفواً من قائليه لم يرغمهم عليه راغم ولم يدفعهم دافع ، وإذا كانت بعض الظروف والملابسات هي التي أسهمت في اظهاره فما كانت الظروف إلا الغلاف الذي ينطوي على شعور القائل ، ولا بد من وجوده لأنه مكان الثوب من الجسد ، وما كانت الملابسات إلا الفتيلة التي أضرمت النار في المستودع ، فأحدث الانفجار الذي تحول إلى هدية للفكر وخيراً للناس .

وانفردت فئة من المتحاملين على الشعر العربي الأصيل فقالت ، وفي كلامها تموج الحزازات صاخبة : **إنه شعر مناسبات .. ومن ينكر فضل المناسبات على الأدب العربي وعلى غيره من الآداب ؟**

معظم القصائد التي وصلت إلينا في هذه الحقبة الطويلة من الزمن هي وليدة المناسبات . والشعر ، القديم منه والجديد لا توجده المناسبة وإنما المناسبة هي التي تظهره لأن الشاعر يكون قد حفظ في مخيلته الخواطر ـ مادة خاماً ـ ويكون مفتقراً إلى عامل يهيئ جلاءها فيجدها في مدح أمير أو تعزية وزير أو تهنئة خطير ، وهي شؤون تعين الأفكار على أن تكون بعدها طليقة في تحليقها . ومن هنا هذا التعدد في المواضيع التي يتناولها الشاعر الواحد ـ عادة ـ متطرقاً إلى صور لا تمت إلى مجرى المناسبة إلا بصلة الوزن والقافية .

ولو كنا منصفين لوجب أن نشكر للمناسبات « لمعظم المناسبات » ، ما أتاحته لنا ـ وللخلود ـ من قطع فنية لولا المناسبات القومية والاجتماعية لما تسنى لشعراء **المغتربات الأميريكية** أن يؤدوا الرسالة التي أدوها ويسجلوا المغامرة الفكرية التي لا شبيه لها في آداب العالم .

وهذه دواوين الشعراء الذين كانوا همزة وصل بين الشعر العربي الأصيل الذي قيل قديماً والشعر العربي الأصيل الذي قيل حديثاً ـ **شوقي وحافظ ومطران** وغيرهم ـ تكاد تكن ـ في أكثرها ـ قصائد مناسبات ، أو قصائد نظمت مطالعها في مناسبات ، ثم كانت الأبيات الرائعة .

والقصائد الفنية الخالصة ـ أليست قصائد مناسبات ؟

إذا وقف الشاعر تجاه البحر فسحره هذا المدى البعيد فيه ، المليء بأسرار الآباد ، ونظم فيه ـ **ألا تكون هذه القصيدة قد نُظمت بمناسبة وقوف الشاعر أمام البحر ؟**

الخواطر مهيئة في ذهن الشاعر وما عليه إلا أن يلبسها حلتها من الكلمات وأن يخترع مدخلاً لها أو مخرجاً . إن المناسبة لا تهمه بمقدار ما تهمه الفكرة المخبوءة المصقولة .

مظاهر الحياة

من علامات الشاعر الحقيقي أنه يمر بالمشهد الذي يمر به الناس ولا يرون فيه إلا صوراً لا تستحق أن تشغل فسحةً من تفكيرهم ، فيرى هو مشاهد فنية تتلاحق زاخرة فيعرضها من خلال الكلمات عرساً للفكر والقلب .

من شارات الشاعر الحقيقي أنه يسكب في هذه المشاهد حيوية من روحه لا عهد لنا بها ، وجمالا من إبداعه لم نكن نلمح له أثراً ، سواء رآها بأم عينه أم بعين خياله ، ويلم بسائر دقائقها ويجلو لنا كل خافية جلاء كاملاً ، فإذا نحن أمام دفقة من البهاء كادت تفوتنا . **وهل في الوجود مجلى واحد ـ حركة كان أم سكوناً ـ خال من الحياة ؟**

إن لم نكتشف مظاهر الحياة في مظانها ، فالذنب علينا لا عليها ، عيوننا هي القاصرة وخيالنا هو العاجز .

الشاعر الحقيقي يبدع من المنظر البسيط العادي محيطاً برمته يميس بالأحاسيس المتباينة ، دون الالتجاء إلى التزويق والمغالاة .. فما من لمحة يرسم خطوطها وظلالها إلا توشك أن تهتف حيالها : **هذا ما كنت أبصره ولا أملك التعبير عنه .**

هكذا نفثات الشاعر الحقيقي ، لا ذلك الهراء الذي يدعيه أعداء الشعر العربي الأصيل جاعلين من أبياتهم « أعياد مساخر » : كلمات وأفكار هي براقع من الورق الملون إن غسلتها حالت بين يديك هباء مبلولا .

من رواد جائزة الملك فيصل العالمية

الشرق شرق ! !

خلال جولتك في قرى **الهند** ومدنها الإقليمية ، وحتى في مدنها الكبرى **كدلهي وبومباي وبنارس ولكهنؤ** تحس بطعم خاص للحياة ... يختلف ــ تماماً ــ عن الطعم الذي تحس به وأنت في بلد أوروبي أو أميركي .

فمع أن الهند تتعدد فيها العقائد واللغات بدرجة كبيرة ، ومع أحسن الفروض ، فإن نسبة المسلمين في الهند لا تزيد عن (١٨ ٪) .. مع ذلك فثمة صياغة معينة للحياة ... وطعم خاص لها ... ورائحة تفوح مع كل نسمة هواء .. كلها يؤكد تلك القولة التي أصبحت مسلمة من المسلمات ــ في رأيي ــ وهي أن « **الشرق شرق** » ! !

أبو الحسن الندوي

إنها الحياة الطبيعية الهادئة الرتيبة ، التي لا زال لإنسانية الإنسان ــ على الرغم من تخلفه وفقره ــ دور ملموس فيها .. ولا زال للنواحي الروحية ــ على الرغم من سذاجة أكثرها وبدائيته ــ هيمنة وسيطرة شاملة ! !

أما مناخ الحضارة الغربية ... فهو مناخ ميكانيكي مادي محض لا روح فيه .. « إنها حضارة لا هدف لها ... كالبعير المجتر الذي يجتر ما في بطنه .. ما هنالك شيء جديد .. إنها الآن تعيش لنفسها فقط ، وأصبحت كما يقول الشاعر **الدكتور محمد إقبال** : « من أين نبحث عن الذوق اللطيف ، وعن الأفكار السامية ، وعن النظرة الطاهرة في الحضارة الغربية ، وهي حضارة غير عفيفة ، قد لوثت ومسخت من زمان »[(١)] ! !

ومن الغريب أن العلامة **أبا الحسن الندوي** ــ مع إيمانه بأن الإسلام ليس ديناً إقليمياً ولا جغرافياً ــ إلا أنه ــ مع ذلك ــ لم يفته أن يعلن أثناء معايشته للمناخ الغربي في محاضرته التي ألقاها بمدينة (**نيوجرسي**) بأميريكا الشمالية سنة (١٣٩٧ هـ) ، **أن الإسلام ــ مع عالميته تلك ــ « يحتاج إلى جو خاص وذوق خاص مسيطر على التفكير والشعور وموازين الأشياء والقيم ، تشم رائحته من بعيد .. إنه يحتاج إلى مناخ إسلامي ... وطقس ودرجة حرارة وبرودة معينة ؛ لأنه دين حي إنساني ... ليس ديناً عقلياً يعيش في المخ أو يعيش في الفلسفة أو يعيش في مكتبة »**[(٢)] .

إنها قضية « **البيئة** » التي لا يمكن إغفال دورها ... وتأثيرها ، سواء على مستوى الحضارة ، أو على مستوى المجتمع ، أو على مستوى الفرد .

بيئة أبي الحسن ونشأته

نشأ أبو الحسن (كما حدثنا عرضاً عن بيئته) في بيئة آمنت بأن الإسلام هو رسالة الله الأخيرة الخالدة ، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال ، وأنه للإنسانية كسفينة نوح لا ينجو إلا من ركبها ... وقد عاش ــ أطال الله عمره ــ في ظلال تاريخ الدعوة الإسلامية وقصة بطولاتها وصنائعها وعجائبها تُتلى في بيته وأسرته ... وقد نظم بعض أفراد أسرته المتقدمين الملاحم الإسلامية **بالشعر الأوردي** القوي المثير ، مقتبسة من **فتوح الشام للواقدي** ، والأغاني الشعرية الخاصة بالسيرة النبوية ، وأخبار الصحابة وفضل الحضارة الإسلامية ودور العرب في بناء العالم الجديد ، فامتزج ذلك كله بلحمه ودمه وتكونت به عقليته ونفسيته ...

وقد ولد في أسرة كان شعارها منذ زمان طويل الجمع بين **العقيدة السلفية النقية ، وبين الربانية الصحيحة الصافية وبين الزهادة والعبادة ، وبين بذل الجهد لإعلاء كلمة الله ، ورفع راية الجهاد حيناً بعد حين ، والسعي الحثيث في الجمع بين إشراق القلب وصفاء الروح وقوة العاطفة**[(٣)] ...

في هذه البيئة ولد « **أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي** » **الحسني الندوي** ، وينتهي نسبه إلى « **عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي رضي الله عنهما** .

ووالده هو الشريف العلامة عبد الحي بن فخر الدين من العلماء الكبار في عصره ، وله كتب كثيرة منها المطبوع ومنها المخطوط ، وأشهرها كتاب « **نزهة الخاطر** » الذي يقع في ثمانية مجلدات ، طبعت منها سبعة مجلدات في **حيدر آباد** ، ويشتمل على خمسة آلاف ترجمة لأعيان الهند ، وقد توفي هذا الوالد الكريم ــ رحمه الله ــ سنة ١٣٤١ هـ[(٤)] .

وكان مولد السيد أبي الحسن سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) ، أي أنه لم يحظ بصحبة والده إلا تسع سنوات ، فتولى أمر تربيته والإشراف عليه بعد والده أخوه الأكبر الدكتور الطبيب السيد **عبد العلي الحسني** الذي تخرج من **ندوة العلماء ومعهد ديوبند وجامعة لكهنؤ** ، وجمع ــ بالتالي ــ بين الثقافتين الدينية والعصرية وأصبح مديراً لندوة العلماء في لكهنؤ .



★ أبو الحسن الندوي ★

... مفكر وداعية

بقلم : د. عبد الحليم عويس

وفي صغره تعلم « الندوي » اللغتين **الأوردية والفارسية** ، ثم بدأ وهو في الثانية عشرة من عمره يتعلم **الإنجليزية والعربية** معاً ، وبدأ تعلم العربية على الشيخ **خليل بن محمد اليمني** ، وتوفر سنتين كاملتين على دراسة الأدب العربي وحده ، وقرأ كثيراً من كتب الأدب ، وشغف بها على خلاف العادة يومئذ في الهند ، ثم التحق بجامعة لكهنؤ ، حتى أتم دراسته الأدبية على الشيخ الدكتور **تقي الدين الهلالي المراكشي** (رئيس تدريس الأدب العربي بندوة العلماء) ، ثم دخل ندوة العلماء ومكث بها عامين يدرس علوم الحديث ... وسافر إلى **لاهور** حيث درس التفسير على **الشيخ أحمد علي** المفسر المشهور ، ولم تكن دراسته في أغلبها للشهادات [٧] ، بل كانت دراسته حرة خالصة لوجه الله تعالى .

أساتذة وكتب أثرت في الندوي

إنه لمن البديهي أن يكون أستاذ كالعلامة الندوي قد تأثر بكثيرين ، على أنه ــ في اتجاهه المعتدل والسلفي والروحي في الوقت نفسه ــ قد تأثر على نحو أقوى بالإمام **أحمد بن حنبل** ، **وبشيخ الإسلام ابن تيمية** ، **وبالشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي** ــ الذي كتب عنه كثيراً ــ وهو من **سرهند** بالبنجاب (توفي سنة ١٠٢٤ هـ) ، ويرى فيه الأستاذ الندوي المصلح الذي ساقه الله ليحافظ على الإسلام في الهند ، في فترة تعرض فيها لخطر كبير ، إذ كان إمبراطور الهند المسلم (**السلطان جلال الدين أكبر**) قد انحرف عن الإسلام ، ومال إلى الهندوس ، وتزوج منهم ... **والسرهندي هو صاحب الرسائل المعروفة في الشريعة والحقيقة ومحاربة البدع والخرافات** .

وفي « **تكية كلان** » ، وهي أشبه ما تكون بضيعة عائلية خاصة ، يطلق عليها (**زاوية الشيخ علم الله الحسني**) وفي حمى مدينة (**رائي بريلي**) التي تقع على بعد سبعين كيلومتراً من لكهنؤ وتتبع ولاية « **اترابرديشك** » ــ من الولايات الشمالية ــ في هذه الضيعة الإسلامية المنعزلة ، وفي (رائي بريلي) أيضاً ، ولد وترعرع السيد أبو الحسن الندوي ، فتعلم **القرآن الكريم** في البيت ، حيث كانت تعاونه على ذلك **أمه** ، التي كانت من فضليات النساء ومن السيدات الصالحات المثقفات ، تحفظ القرآن وتكتب ، ولها عدة مؤلفات وديوان شعر مجموع وقد عمرت رحمها الله طويلاً ، وماتت سنة (١٣٨٨ هـ) .

ولما وصل إلى التاسعة من عمره اختار الله والده إلى جواره ، فقام أخوه الدكتور السيد عبد العلي الحسني بتربيته ، بدءاً من هذه السن الصغيرة .

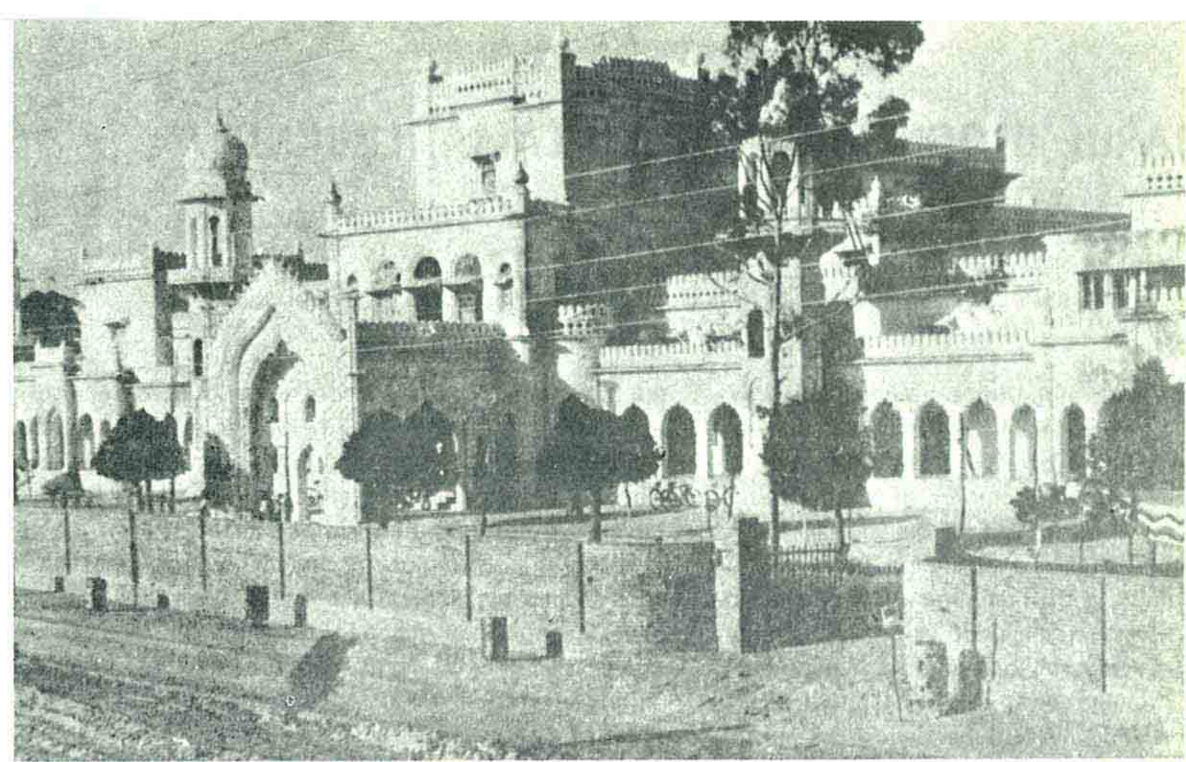
وعن هذا الأخ الكريم يقول السيد أبو الحسن :

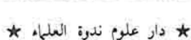
« لقد كان مؤمناً جمع بين سلامة العقيدة وقوة الإيمان ، القلب المتفتح والعقل النير الواسع ، والعلم الحديث ، وحب الواقعية والجد ... لا يرى تناقضاً بين العلم والدين والقديم والحديث ، وقد اقتبس من الثقافتين : القديمة والحديثة ، والغربية والشرقية أفضل عناصرهما وأجملها فمزج بينهما مزجاً جميلاً ، وأصبح برزخاً بين بحرين لا يبغيان ... شديد الحب لله ولرسوله ولعشيرته وقومه ولغته وبلاده ... عميق الفهم للإسلام ... شديداً في الحدود والنصوص ، مرناً في المباحات والاستفادة بالحكمة والتجارب .. ذلكم أخي وأستاذي ومربي عقلي وثقافتي » [٥] .

« وقد كان أخي ــ وهو الذي تولى تربيتي وتثقيفي بعد وفاة أبي ، وقد توفي وأنا في التاسعة من عمري ــ موفقاً كل التوفيق في اختيار الكتب التي كان يحب أن أطالعها في صغري » [٦] .

وقد توفي أخوه رحمه الله في ذي القعدة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .

★ ★ ★





★ دار علوم ندوة العلماء ★

ومن هؤلاء الذين أثروا فيه أيضاً مجدد الهند في القرن الثاني عشر **الشاه «ولي الله الدهلوي»** المتوفي سنة ١١٧٦ هـ ، وصاحب **حجة الله البالغة** ... ومن هؤلاء كذلك السيد «**أحمد بن عرفان**» الشريف الحسني الشهيد ، وهو من أسرة السيد أبي الحسن الندوي ، ومن أشهر المجاهدين وأخلصهم في تاريخ الإسلام في الهند ، ويعتبره الأستاذ الندوي أنموذجاً من الأئمة المهديين (١٢٠١ ــ ١٢٤٦ هـ) ، وقد خصه برسالة صغيرة أطلق عليها (**الإمام الذي لم يوف حقه**) وبكتاب كبير من أمتع ما ألف الأستاذ الندوي ، وهو كتاب : «**إذا هبت ريح الإيمان**» ! !

ومن أساتذته المباشرين الذين تأثر بهم : الدكتور **تقي الدين الهلالي المراكشي ، والشيخ خليل بن محمد اليمني ، والشيخ حسين المدني ، والشيخ أحمد علي ، والشيخ محمد إلياس** ، وهو من أعظم أساتذته ، **والشيخ عبد القادر الريوي** .

أما الكتب التي أثرت في نفسه فكثيرة على رأسها ــ بالطبع ــ **كتاب الله ، وكتب السنّة الشريفة** ، بيد أن لكتب السيرة النبوية تأثيراً خاصاً في نفس الأستاذ الندوي ، نظراً لحبه العميق لشخصية خاتم النبيين **محمد عليه الصلاة والسلام** .

ومن أهم الكتب التي لا ينسى الأستاذ الندوي فضلها ، ويشيد بها بين الحين والحين ، كتاب «**سيرة رحمة للعالمين**» لمؤلفه القاضي **محمد سليمان المنصوري فوري** .

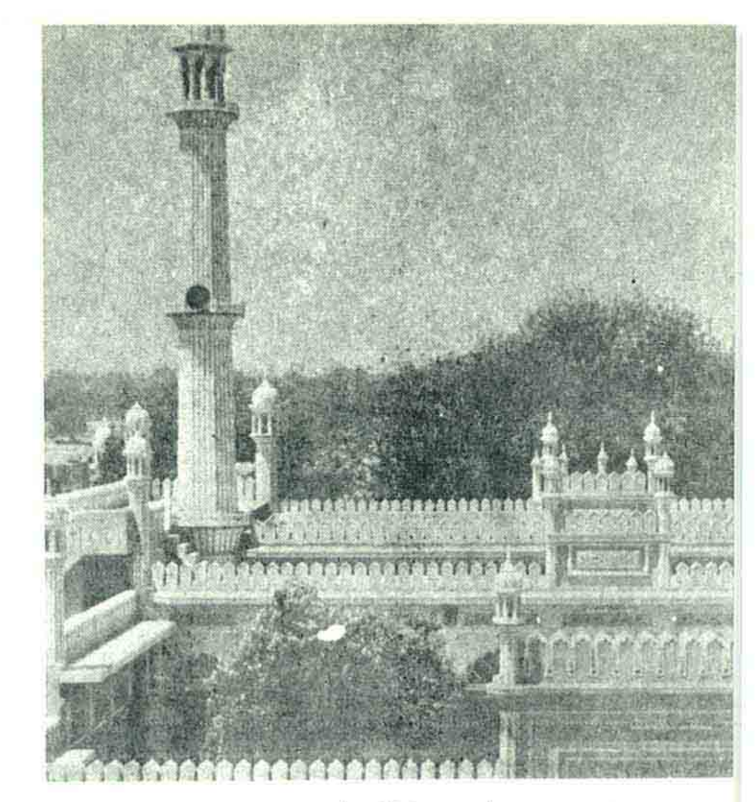
وفي الأدب العربي تأثر الأستاذ «**بالحماسة**» و«**نهج البلاغة**» و«**دلائل الإعجاز**» ، كما أنه تأثر بكتاب الأغاني إلا أنه أخذ على الأصفهاني تركيزه على زاوية واحدة من زوايا المجتمع ، وترك الزوايا الكريمة الأصيلة التي كانت تستحق الإبراز والتنويه .

أنشطته ومؤلفاته

في لكهنؤ عين أبو الحسن الندوي مدرساً بدار العلوم وبقي بها مدرساً مدة عشر سنوات ، وساهم خلال هذه الفترة في تحرير مجلة «**الضياء**» التي تصدر باللغة العربية والتي كان يرأسها الأستاذ مسعود الندوي ، وبعد ذلك بفترة رأس تحرير مجلة «**الندوة العلمية**» التي كانت تصدرها ندوة العلماء بالأوردية ، ثم أصدر مجلة «**التعمير**» بالأوردية ، وهي مجلة نصف شهرية ، وقد أسس جمعية **لنشر الإسلام** بين الهندوس أصدرت كثيراً من الرسائل باللغة الإنجليزية .

ولما تولى الأستاذ الندوي رئاسة (**جامعة دار العلوم ــ ندوة العلماء**) أدرك أهمية البحث العلمي والفن الصحافي ، فأنشأ في مايو/ أيار سنة ١٩٥٩ م ، المجمع الإسلامي (أكاديمية البحوث الإسلامية) ، ومع أن هذه الأكاديمية نشأت برأسمال ضعيف جداً ، قدره ألف روبية (٤٠٠ ريال سعودي) .. وبدون أي موظف ، إلا أنها استطاعت أن تتغلب على هذه العقبة ، ونجحت في عامها الأول في نشر كتابين باللغة الأوردية ، وإصدار نشرة باللغة العربية ... وبعد خمسة عشر عاماً ، وفي عام (١٩٧٤ م) بالتحديد كان ما نشرته هذه الأكاديمية (١٤٤) مؤلفاً منها (٩٣) طبعة أولى ، و(٥١) طبعة ثانية . وفي عام ١٩٧٤ م ، نفسه نشرت حوالي (٢٩) كتاباً[٨] . وتحتل مؤلفات الأستاذ الندوي الصدارة في منشورات المجمع العلمي ، ونحن نحاول هنا تقديم حصر لمؤلفاته نرجو أن نوفق فيه ، وهي :

١ ــ الإسلام والعالم .
٢ ــ حديث مع الغرب .
٣ ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .
٤ ــ مذكرات سائح في الشرق العربي .
٥ ــ نحو التربية الإسلامية الحرة في بلاد المسلمين .



★ مسجد دار العلوم ★

٦ ــ الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية .
٧ ــ مختارات من الأدب العربي .
٨ ــ الديــن والمدنية .
٩ ــ الإيمان والمادية في سورة الكهف .
١٠ ــ المسلمون في الهند .
١١ ــ السيــرة النبــوية .
١٢ ــ رجال الفكر والدعوة في الإسلام (مجلدان) .
١٣ ــ الأركــان الأربعة .
١٤ ــ ربانية لا رهبانية .
١٥ ــ القــاديــانية .
١٦ ــ القراءة الراشدة (٣ أجزاء) .
١٧ ــ إذا هبت ريح الإيمان .
١٨ ــ روائع إقبــال .
١٩ ــ الطريق إلى المدينة .
٢٠ ــ قصص النبيين للأطفال (في خمسة أجزاء) .
٢١ ــ النبي الخاتم .
٢٢ ــ إلى الإسلام من جديد .
٢٣ ــ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن .
٢٤ ــ أحـاديث صريحة في أميريكـا .
٢٥ ــ مجموعة رسائل أخرى ، بعضها مقالات ، ومحاضرات .

وجـدير بـالذكر أن كثيراً من كتب الأستاذ النـدوي طبعت خارج الهند في بيروت والكويت ومصر والسعودية وغيرها . وقد طبعت بعض كتبه نحو عشرين طبعة ، كما أن معظم مؤلفاته قـد ترجم إلى أكثر اللغات الحية .

ولم تغفل (دار العلوم ــ ندوة العلماء) الجانب الصحافي ، فأصدرت عدة صحف بالأوردية وصحيفتين بالعربية هما : **البعث الإسلامي ، والرائد .**

ولا زال الأستاذ الندوي ــ رغم كبر سنه ــ عـالي الهمـة دؤوب النشـاط يشرف على كل هذه الأعمال . . بل إن له عشرات الرحلات التي قام بهـا إلى مختلف بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي . . . يلقي المحـاضرات ، ويعقـد الندوات ، ويخطب في المساجد ، وبعض كتبه عبارة عن المحاضرات التي ألقـاها في هذه السياحات .

وقد اختير عضواً مراسلاً في **المجمع العربي بدمشق** سنة ١٩٥٧ م ، كما أنه عضو في **المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،** وعضو مراسل في **مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،** وهو رئيس **للمجلس التعليمي لولاية «أتربـرديشك»** وعضــو المجلس التنفيــذي لمعهــد **(ديبوند)** ومن أعضاء المجلس التنفيذي **لــدار المصنفين** بـأعظم كرة بالهند ، وأحد رؤساء التحرير لمجلة **(معارف)** ، وهي المجلة العلمية الأكاديمية التي تمثل المسلمين في شبه القارة الهندية .

أبو الحسـن ومناهـج العمـل الإسلامي

يدعو «أبو الحسن» إلى أن يكون الإسلام هو الـوسيلة والغـاية ، وإلى أن يتخلص المسلمون من الشعارات والأحزاب التي قـد تـدفع بعضـهـم لمحـاربة بعض ، وتجعل بأسهم بينهم .

والسبيل إلى ذلك هو الاتصال المباشر بـالقرآن والسنَّة وسـيرة السـلـف الصالح ، بالإضافة إلى نكران الذات . وهو يقول :

«إن مسؤولية العلماء والمفكرين المسـلمين في العصر الحـديث ــ بعـد مواجهتهم للتحديات المعاصرة وإثباتهم أن الإسلام قادر على قيادتها وترشيدها والسمو بها ــ هي أن يفضلوا الإسلام على كل جماعة ومؤسسة ومدرسة وطائفة وحزب ، وإذا رأوا أن بقاء الإسلام يتطلب أن تمحى جميع الأسمـاء والـلافتات والشعارات والشارات والأحزاب والجماعات ، فليكن ذلك موضع عنـايتهم ولا يقعن تلكؤ منهم أو إحجام للحظة واحدة ، ولتـكن مصلحة الـدين والعقيـدة مفضلة على كل مصلحة حزبية أو جماعية ، وليكن واضحاً أن الـدين والإيمـان وانتصارهما هو الهدف ، سواء رجع الفضل إلينا أو إلى غيرنا مـن الإخـوان في العقيدة والدين»[٩] .

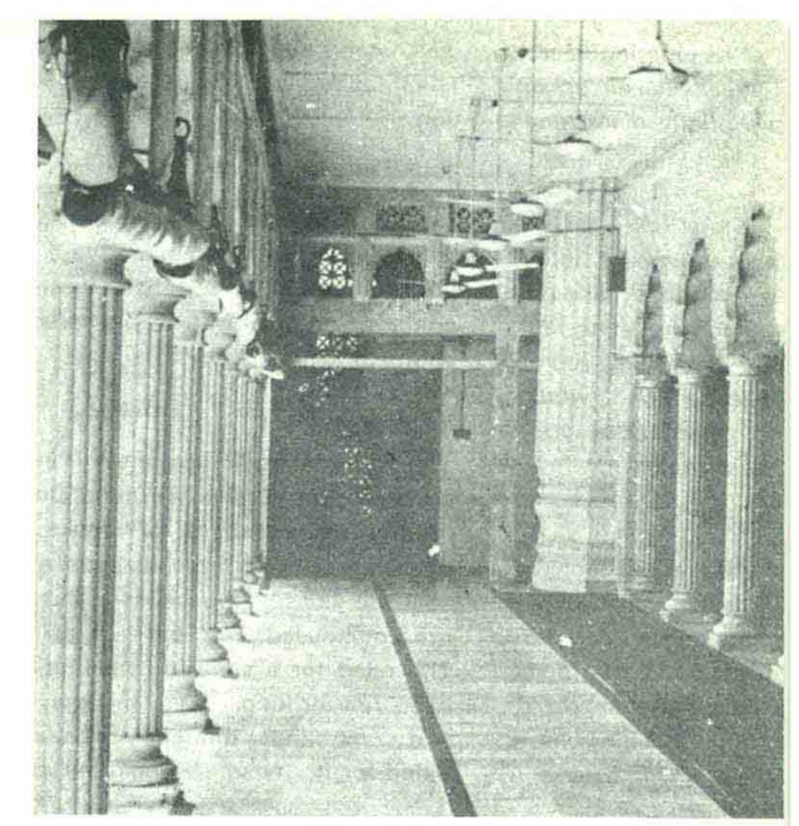
«إن العالم الإسلامي مصاب بالمرض اليـوم ، وبـلاد المسلمين مـريضة ، فلتتركز العناية على الشفاء والدواء سواء وقـع الشفـاء في حسـاب هـؤلاء أو أولئك ولا يجوز أن نكترث بما عسى أن يسجله المؤرخون ، وأي جماعة يجنـدونها وأي حزب يعطونه الأولوية لدى المدح والثناء»[١٠] فـالمهم مـا عنـد الله ، وأن يشفى المريض بالدواء الصحيح ! !

مـاذا خسـر العـالـم بانحطاط المسلمين ؟

ومن القضايا التي بحثها العلامة الندوي ــ بتقص وعمق ــ قضية خسارة الحضارة الإنسانية بانحطاط المسلمين .

ولعل كتابه الذائع الصيت (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) قد احتـل مكانة رفيعة لم تدانيه فيها إلا كتابات قليلة . . . . وقد طبع أكثر مـن عشريـن طبعة ، وترجم إلى اللغات الحية كلها تقريباً .

ونحن لن نرجع إلى الـكتاب في محـاولة تلخيص أفكـار المؤلف الـكبير ،



★ مسجد ندوة العلماء من الداخل ★

فذلك عمل صعب بالنسبة للحيِّز المتاح في هذا المقال ... وإنما سنلجأ إلى العلامة الندوي نفسه ، في محاضرة له ، ألقيت تحت العنوان السابق نفسه ، وطلب منه فيها إبراز أهم شيء خسره العالم بانحطاط المسلمين ... فقال :

« في الحقيقة إن العالم قد خسر جوهره ، خسر أغنى ما عنده وأحوج ما يكون إليه ، وقد خسر قيمته بانحطاط المسلمين ؛ لأن المسلمين هم الذين كانوا يضفون على هذا العالم القيمة المعنوية وجدارة الحياة والبقاء والغاية الرشيدة التي يتجه إليها العالم » .

« ما هي غاية الحياة؟ لماذا خلق الإنسان؟ لماذا خلق هذا الكون؟ لماذا خلقت هذه الوسائل الكثيرة الوفيرة التي بثها الله في الأرض والجو؟ لماذا أودع الله هذه القوة الهائلة في العقل الإنساني؟ هذه كلها أسئلة وجيهة ، كان المسلمون هم الذين يعلِّلون ويفسرون هذه الخصائص البشرية ، والتي تمتاز بها البشرية ، كان المسلمون وحدهم حاملي رسالة أكرمهم الله تعالى بها عن طريق محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وكان للمسلمين وحدهم أن يفسروا هذا المخطط الدقيق الواسع الشامل الذي خلق الله عليه الكون ، وهذه الحكمة الدقيقة العميقة التي خلق الله لأجلها الإنسان واستخلفه في هذه الأرض »[11] .

وهذا أهم ما خسره العالم ... العالم الذي نسي نفسه وحقيقته ــ بانحطاط المسلمين ! !

دور الإسلام والمسلمين في الحياة

وفي يقين أبي الحسن الندوي ، ومن أركان دعوته الأساسية ، **أن يعود الإسلام (وممثلوه) إلى قيادة الحياة من جديد ...** إنهم ليسوا أتباعاً ولا زملاء للعصور ... إنهم الشهداء والأئمة للحضارة الحقة ... لو فقهوا دورهم .. يقول أبو الحسن :

« إني لا أؤمن بالإسلام كتراث (Legacy) ، ولا أرى ذلك تعريفاً لائقاً بالإسلام .

ولذلك فإني لست معجباً بالكتب التي وضعت على (Legacy of islam) و (Heritage of islam) إني أرى الإسلام رسالة للحياة ، لا أراه قادراً على مسايرة الزمان فحسب ، بل أراه قائداً للزمان وموجهاً لـه ، لا أراه رفيقاً للزمان في رحلة الحياة ، بل أراه محاسباً للزمان ومراقباً له (Gaurdian) ، فإذا كان هناك مثقف بالتعليم العالي يقع فريسة الشك والارتياب في جميع قيمه وتصوراته ومعتقداته ، أو يعود يراها دمى يتسلى بها الصبيان والأطفال ، أو أسطورة يتعلل بها السذج والجهال ، أو يصبح عقيدة لا يتحمس لها ، ولا يقاتل في سبيلها ، ولا يدافع عنها ، ولا يغامر من أجلها إذا مست الحاجة إلى ذلك ، إذا كان ذلك فإن هذا التعليم عدو لدود لمن يحصله يجب أن يُفَرَّ منه فرار الإنسان من الأسد ، بل أكثر من ذلك »[12] .

« إننا أمة الحاضر وأمة المستقبل ، قد كتب لنا الخلود والنصر ، لأننا أصحاب دعوة ورسالة نبوية ، وهي الرسالة الأبدية التي قضى الله بخلودها وظهورها ، فلسنا تحت سيطرة المادة وحكم الزمان ، بشرط أن نقوم بدعوتنا ونستقل برسالتنا ونعود أمة دعوة نبوية كما بدأنا ، دعوة فيما بيننا معشر المسلمين ودعوة في غيرنا من الأجانب في الدين »[13] .

وبعد ... فالمقام لا يتسع لعرض بقية آراء العلامة أبي الحسن الندوي ، ولا لحصر كل جهوده في مجالات الدعوة .. بالقلم .. والمحاضرة .. والخطبة .. والتربية والتعليم .. والإسهام في أكثر ما يحفل به العالم الإسلامي من أنشطة ايجابية ، تعمل على بعث الأمة الإسلامية ، وإعادتها إلى أن تتبوأ مكانها الذي وضعها الله فيه « **خير أمة أخرجت للناس** » .. أطال الله عمر العلامة أبي الحسن الندوي ، وجزاه عن أمة الإسلام خيراً .

الهوامش

١ ــ أبو الحسن الندوي : أحاديث صريحة في أمريكا ــ مؤسسة الرسالة ، ص ٢٩ .
٢ ــ المرجع السابق ، ص ٧٤ .
٣ ــ الإسلام الممتحن ــ تأليف المرحوم محمد الحسني (مقدمة الأستاذ الندوي) . والجدير بالذكر أن والد المؤلف هو الأخ الأكبر لأبي الحسن ، وهو الذي قام على تربيته بعد وفاة أبيهما .
٤ ــ انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (مقدمة الدكتور أحمد الشرباصي) .
٥ ــ انظر الإسلام الممتحن (المقدمة) .
٦ ــ أبو الحسن الندوي (الكتاب الذي لا أنسى فضله) البعث الإسلامي ، عدد ربيع الأول ، ١٣٩٩ هـ .
٧ ــ انظر الهامش رقم ٤ .
٨ ــ انظر نشرة المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ .
٩ ــ أبو الحسن الندوي : واجب العلماء والطبقة المثقفة ، البعث الإسلامي ، عدد ربيع الأول ، ١٤٠٠ هـ .
١٠ ــ المكان السابق .
١١ ــ البعث الإسلامي ، عدد ذي الحجة ١٣٩٩ هـ ، مقال : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .
١٢ ــ أبو الحسن الندوي : البعث الإسلامي ، عدد صفر ١٤٠٠ هـ ، مقال (غاية التعليم والتربية في العالم الإسلامي) .
١٣ ــ أبو الحسن الندوي : إلى الإسلام من جديد ، ص ١٧ ، طبع القاهرة .



بقلم: د. محمد احمد العزب

نشأ النقد في **اليونان القديمة** ، حين توفّر شعراؤها وفلاسفتها على ملاحظة الظواهر الفنيـة الشائعة في **الإبداع** ، ثم حين حاولوا أن يؤصلوا لهذه الظواهر وأن يعودوا بها إلى أصول كونية قـديمة قـدم هـذا العـالم الكبير ، وكانت جهود اليونانيين في هذا الصدد موازية لجهود أخرى بذلوها على صعيد التأصيل للفكر الفلسـفي والفكر الاجتماعي والفكر السياسي والفكر الأخلاقي .

وطبيعي أن تكون نشأة النقد كنشأة غيره من العلوم ، ساذجة وفطرية بادئة ، وقد مارس الشعراء هذا النقد البادئ حين راجعـوا إبـداعهم الشعري مرة بعد مرة ، وحين عَنَّ لهم في القـراءة الثـانية والثـالثة لهـذا

الإبداع أن يغيروا هنا وأن يحوّروا هناك ، حتى استوت لهـم نـوعية مـن الابداع المتكامل شكلاً ومضـموناً تمثـل في ملحمـتي **هـوميروس** (**الإلياذة**) و (**الأوديسا**) . . وإذا كانت أصول الأدب اليوناني القديم قد فقدت ولم يبق لنا إلا أن نبدأ هذا الأدب اليوناني بهوميروس ، فإن من المؤكد أن ملحمتيه السـالفتين لم تـوجدا مـن لا شيء كما لاحـظ ذلك « **باورا** » : « وأن عمل هوميروس كان خاتمة تـراث طـويل مـن شـعر الأناشيد ، وأنه مدين لهذا التراث بقصصه وعـروضه وكثـير مـن حيلـه الشعرية التي جعلت شعره سهلاً أخاذاً ، ولعلـه قـد أدرج في شـعره شذرات من قصائد سابقة . وإن كان يحتمل أنه قد غيّر فيها كثيراً خـلال عملية بناء شعره هو »[1] .

الـــــرواية والـــــرواة

ثم تلت ذلك **مرحلة الرواية** والرواة الذين تدخلوا بالتغيير اللغوي والبياني في بعض ما رووه من شعر « هوميروس » وشعر « هيسيود » الـذي عاش بعده بنحو قرن ، وتوجه بإبداعه الشعري إلى التعبير عـن حيـاة الفلاحين وأعمالهم وما يموج في أعماقهم من رؤى وانفعالات . . وقد ظل الرواة يمارسون هذا الفعل النقدي فيما يروونه مـن أشـعار حـتى القـرن السادس قبل الميلاد حين دونت هذه الأشعار .

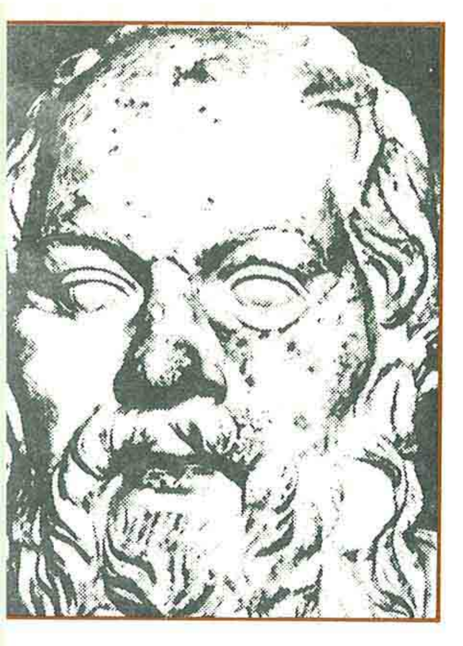
وكان هذا التدوين نفسه مرحلة تالية لمرحلة النقد الـذي مـارسه الرواة ، بما صاحب هذا التدوين من تحقيق ودراسة للنصوص بعد جمعهـا واستقصائها ، مما يعد بحق أول مراحل النقد العلمي النـابع مـن واقـع إبداعي فرض نفسه ـ بتدوينه ـ على ذاكرة التاريخ الصحيح .

ثم تطور النقد اليوناني حين بحـث في أسـاليب الأنـواع الشـعرية وموضوعاتها وأغراضها . « ونحن نلمس عند « **أريستوفان** » تطور النقد عند اليونان ورقيه فلم يعد مقصـوراً على شيء مـن الاصـلاح والتهـذيب يتناول الشعر في أثناء روايته أو تدوينه ، بل أصبح يثير مشـاكل الشعر الأساسية ، ويجيب عليها ، فهو يبحث في موضوعاته وأساليبه وأغراضه ، وليس من شك في أن ملهاة « **الضفادع** » وما عـرضت لـه مـن نقـد ، تجعلنا نعجب اليوم كيف استطاع اليونان في هذا العصر المتقدم أن يعالجوا مسائل الشعر على هذا النحو ويصوروها في مسرحياتهم »[٢] .

وحين حملت الفلسفة عبء التصدي للإبداع بـالنقد ، كان ذلك بداية لتأصيل الأنواع الأدبية وتجسيداً لقوانينها التَّقْنيَّة والجمالية ، وقـد بـدأ أبو الفلسفة اليونانية « **سقراط** » هذه الرحلة بتحديد مصادر الشعر فرأى أن الإلهام ـ لا الحكمة ـ هو المنبع الذي يصدر عنه الشعراء في إبداعهم الشعري . « فالشعراء لا يصدرون في الشعر عـن حـكمة . ولـكنه ضرب من النبوغ والإلهام »[٣] .

كما رأى أنه ما دام الإلهام هو المصدر الحقيقي للشعر العظيم ، فلا بـد أن يكون هذا الإلهام صادراً عن النشوة الشاعرية . « أما ذلك الذي حرم النشوة ، ثم يجترئ على الاقتراب من أبـواب الشـعر ، واهمـاً أن الصـنعة تكفي لإيجاد الشاعر ، فإنه لن يكون سوى شاعر نـاقص . لأن شعر المرء البارد العاطفة يظل دائماً لا إشراق فيه إذا ما قرن بشعر الملهم »[٤] . . .

وهكذا وضع سقراط أساس **نظرية الإلهام** ـ لا الصنعة ـ في الشعر ، هذا إذا سلّمنا بأن المحاورات هي بالفعل من أقـوال **سـقراط** ، وليسـت وليدة خيال **أفلاطون** الذي يمكن أن يكون قد تمثّل شخصية أستاذه تمثّلاً صحيحاً كما يفعل الروائي بأبطاله ـ وأنـطقها ـ على النحـو الـذي فعـل



★ سقراط ★

بكل المضامين التي أراد أن يؤصل لها هو في الفكر الأدبي اليوناني[٥] .

أفـلاطــون والشعــــر

أما أفلاطون فقد أرسَى نظرية في الشعر عرفت في تاريخ النقد الأدبي بنظرية (**المحاكاة**) . **وخلاصة هـذه النـظريـة أن الـوجود يتسلسل في ثلاث دوائر : دائرة المثل والمدركات العقلية** وهي دائرة الحقائق الكلية ، **ودائـرة العـالم المحس أوالعـالم الـطبيعي وما فيه من أحياء وأشياء** ، وكل ما في هذه الدائرة الثانية هو تقليـد أو محاكاة لمثاله المجرد في الدائرة الأولى ، ثم **دائرة الفن** بما فيه من شعر وتشكيل وتصوير ، وكل ما في هذه الدائرة الثـالثة هـو تقليـد أو محـاكاة للمحاكاة ، وهو من هذه الوجهة كذلك ينبغـي أن يـذاد ويـطرد عـن **جمهورية أفلاطون المثالية**[٦] .

ولأفلاطون في الخطابة آراء نقدية جهيرة . فهـو يـرى أن الخـطابة السديدة يجب أن تؤدي إلى الحقيقة « ففن الكلام الحق الذي لا يقـود إلى تملك الحقيقة لا وجود له ، ولن يوجد أبداً »[٧] . ولكي تؤدي الخطابة إلى الحقيقة لا بد من توافر المبدأين : أن يقسم المرء الأشياء إلى أنواعها بحيث تظل الأشياء المتجانسة ـ طبيعية ـ منـدرجة تحت جنسـها لا يحـاول أن يفصل أي جزء منها كما يفعل المثَّال الـرديء الـذي يشـوه بعملـه مـا يصنعه[٨] .

ويرى أفلاطون أن على الخطيب أن يعرف إلى من يتوجه في قـوله . أي عليه أن يراعي مقتضى الحـال « فعلى المرء ـ لـكي يـكون قـادراً على الخطابة ـ أن يعرف ما للنفوس من أنواع ، وعلى قدر هذه الأنواع تـكون الصفات . وهو ما يختلف به الناس في أخلاقهم . . . ولكل حالة نفسية نوع خاص من الخطابة . . . فعليّ ، إذن ؛ كي أولد في النفوس نوعاً من الاقناع ، أن أطابق بين كلامي وطبيعتهـم ، وإذا تـوافرت للمـرء هـذه المبادئ عرف متى يجب أن يتكلم ، ومتى يجب عليه أن يمتنع عن الـكلام ،



★ أرسطو ★

ومتى يليق أن يكون موجزاً أو مطيلاً أو مبالغاً . أما قبل الوقوف على هذه المبادئ فلا وسيلة له إلى التعرف على ذلك »[٩] . . .

ثم يتحدث أفلاطون عن تواتر أجزاء الخطابة في نسق عضوي متناغم فيقول على لسان سقراط يخاطب فيدروس : « أحسب أنك توافقني على أن كل خطاب يجب أن يكون منظماً ، مثل الكائن الحي ، ذا جسم خاص به كما هو ، فلا يكون مبتور الرأس أو القدم ولكنه في جسده وأعضائه مؤلف بحيث تتحقق الصلة بين كل عضو وآخر ، ثم بين الأعضاء جميعاً »[١٠] .

أرسطو والنقد

وبظهور أرسطو تتغير ملامح الحركة النقدية اليونانية تماماً ، فقد ارتضى منهج (**الاستقراء**) في مواجهة منهج (**الاستنتاج**) الذي كان قد ارتضاه من قبل أستاذه أفلاطون ، واستطاع أرسطو من خلال منهجه الاستقرائي أن ينتهي به إلى قواعد عامة جعلها أساساً لعمله النقدي والعلمي : النقدي كما في كتابيه (**الشعر**) و (**الخطابة**) . والعلمي كما في سائر أعماله التي خاض بها في مجالات المنطق ، والحيوان والنبات ، وفلسفة ما وراء الطبيعة .

وإذا كان ما يهمنا هنا هو الجانب النقدي من فكر أرسطو ، فإننا نلاحظ أن نظرية المحاكاة التي نادى بها أفلاطون من قبله قد استقطبت جانباً كبيراً من نشاطه النقدي ، حتى ليمكن أن يقال : إن هذه النظرية ظلت محوراً لفكره النقدي ، فقبل جوانب منها ورفض جوانب أخرى ، ووافق على بعض أسسها الفلسفية كما هي وخطا ببعضها الآخر إلى الأمام خطوات هائلة أو حائلة . . .

فقد وافق أرسطو أستاذه أفلاطون على أن الشعر ضرب من ضروب (المحاكاة) للطبيعة ، ولكنه خالفه في طبيعة هذه المحاكاة ، فهي ليست تقليداً حرفياً للطبيعة ، ولكنها محاولة للتعمق في الطبيعة ، ثم مضى أرسطو في مخالفة أستاذه خطوة أخرى ، فرأى أن الشعر إذا كان يحاكي الطبيعة ، فإن الطبيعة لا تحاكي شيئاً وراءها ، على النقيض مما رأى أستاذه من أن الطبيعة تحاكي بدورها عالم المثل . . . وقد أعطى أرسطو للقضية تفصيلات مفيدة ، فزعم أن بعض الفنون التي تحاكي الطبيعة باللون والشكل (كالتصوير والنحت) تقترب من نقل الطبيعة كما هي ، وأن بعض الفنون التي تحاكي الطبيعة بالصوت (كالرقص والموسيقى والشعر) تبتعد عن نقل الطبيعة كما هي ، لأنها تعيد صياغة الطبيعة كما يراها الفنان أو كما يراها الشاعر . . . وكما يحدث في نقل الطبيعة الجامدة أو محاكاتها يحدث في نقل **الطبيعة الحية** (الإنسانية) ومحاكاتها ، فالشاعر يضيف إلى الطبيعة أو يختصر ، ويصور العواطف خيراً أو شراً مما هي ، أي أن الفن في النهاية ليس نقلاً حرفياً موازياً للأصل المحاكى .

ويقسم أرسطو **المحاكاة** وفق عناصر ثلاثة :

١ ــ **وسيلة المحاكاة** : التي تختلف باختلاف الفنون المعبر بها عنها ، لأنها في الأدب غيرها في التصوير غيرها في الموسيقى ، فمثلاً هي في الشعر **الوزن أو الإيقاع واللفظ والنغم** ، وهي في الفنون التشكيلية **الامتداد المكاني الذي يقابله الامتداد الزماني في فن الشعر** .

٢ ــ **موضوع المحاكاة** : فالفن يحاكي الطبيعة الجامدة والطبيعة الحية ليس كما هما ، وإنما أفضل أو أدنى مما هما .

٣ ــ **منهج المحاكاة** : الذي يختلف كذلك باختلاف الفنون ، فهي إما **محاكاة سردية** عن طريق الرواية ، أو **محاكاة تشخيصية** عن طريق المسرح ، لأن الرواية في المحاكاة الأولى تحاكي الفعل بالرواية عنه ، ولأن المسرحية في المحاكاة الثانية تحاكي الفعل بالفعل ذاته .

ويرى أرسطو أن المحاكاة من جهة ، ولذة العلم من جهة ثانية ، هما الحافز الحقيقي الذي دفع الإنسان القديم إلى قول الشعر ، لأن المحاكاة نزعة راسخة في طبيعة الإنسان ، والشعر كفن إيقاعي يتوافق مع ميل هذا الإنسان المبدئي إلى الإيقاع والانسجام . . ولأن لذة العلم نابعة من شره الإنسان إلى المعرفة ، والشعر كفن مقلد للطبيعة عن طريق المحاكاة الفاعلة يحقق للإنسان نوعاً من السرور الدافع إلى مزيد من الكشف والمعرفة ، أي أن المتعة والمنفعة هما السبب الحقيقي الحافز وراء عملية الإبداع الشعري .

الشعر في رأي أرسطو

والشعر ــ كما يرى أرسطو ــ لا يصور الحياة كما هي ، محدودة تافهة التفصيلات ولكنه يصورها كما ينبغي أن تكون ، على أن نثق أن عالم الممكن الذي يصنعه الشاعر أكثر حلولا ماديًا من عالم التجارب ، لأنه يُحَلّق فوق الأشياء الواقعية ويمد طموحه إلى ما ينبغي أن تصبح عليه هذه

الأشياء . . . **ومن هنا فإن الشعر يعكس الجانب العام ، لا الشاذ ، وهذا هو الفرق بينه وبين التاريخ** ، فالتاريخ يركز على الخاص ، أما الشعر فإنه يركز على العام ، وإن كان يقتنص هذا العام من استقراء الملامح الخاصة لمجمل الظاهرة .

ويقرر أرسطو : « أن الشعر أسمى من التاريخ منزلة فلسفية وأخطر منه مضموناً ، وذلك لأنّ أقوال الشعر أقرب في طبيعتها إلى طبيعة الأحكام الكلية ، على حين أن أقوال التاريخ تجيء عن أحداث جزئية فردية » . وليس معنى ذلك أن أرسطو يعمم الأحكام أو يقرر حقائق كلية تصدق على مفردات كثيرة في آن واحد ، لأن القصد هنا متوجه إلى جانب صميمي من الحقيقة ، وهو : (ضرورة الحدوث) . . . « **ومن هذا الجانب نستطيع أن ننظر إلى التاريخ على أنه وصف للحوادث التي تنبهم الروابط السببية بينها ، بحيث لا نرى رؤية واضحة كيف تجيء الحادثة الفلانية علة أو معلولا للحادثة الفلانية ، بسبب كثير من التفصيلات التي تكتنف المواقف وتلفها في ضباب الغموض** ، وأما الشعر **والتراجيديا** بصفة خاصة ، فيصور الرابطة الضرورية المحتومة التي تجعل مصير الإنسان نتيجة لازمة عن شخصيته وطرائق سلوكه » (١١) .

وقد قسم أرسطو الشعر إلى أنواع : قصصي ، وغنائي ، وتمثيلي . . . .

ولكنه لم يشترط الوزن في الشعر حتى يصبح شعراً ، لأن من النظم نظماً موزوناً ، ولكنه لا يرقى بحال إلى مرتبة الشعر الحقيقي .

كما أنه فرق بين الملحمة والمأساة على أساس أن الملحمة حكاية إخبارية تعتمد على وزن خاص ولا تتحدد بزمن معين ، ولذلك كانت تطول طولا مسرفاً ، بخلاف المأساة التي تجسد الفعل عن طريق الحضور المسرحي في مصاحبة نوع من الأوزان والأنغام محددة بوحدة زمنية قصيرة .
وقد وضع أرسطو للمسرحية أصولا يجب أن تراعى ، وهي :

- وحدة الزمان .
- وحدة المكان .
- وحدة الفعل .

وإن كان لم يركز تماماً على وحدة الفعل ، أي وحدة الموضوع ، أما وحدة الزمان ووحدة المكان فقد أشار إليها إشارة عابرة ، لأنه لا يمكن التزامها حرفياً .

ومهما يكن من شيء ، فقد ظل كتاب (الشعر) لأرسطو يملي شرائعه النقدية على الكتاب والمبدعين حتى استحالوا جواره إلى ظلال باهتة ، وما تزال أصول تنظيمية كثيرة ضمها هذا الكتاب الرائد تعمل عملها الفاعل في تاريخ الحركة النقدية والإبداعية المعاصرة ، مع التسليم بحتمية تطوير بعض من مقولاتها الفنية والفكرية لتلائم منطق العصر وطبيعة الإبداع فيه .

وفي الخطابة ــ كما في الشعر والدراما ــ ترك أرسطو مجموعة من المقولات النقدية العميقة ضمنها كتابه (**الخطابة**) ، حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام : تحدث في الأول عن أنواع الخطابة من سياسية إلى قضائية إلى حفلية ، وأبان عن ملامح وخصائص وغايات كل قسم منها . . . وتحدث في الثاني عن عواطف السامعين وطرق الإقناع ووسائله . . . وتحدث في الثالث عن العبارة وكيف أننا مطالبين ليس بأن نعرف فقط ماذا نقول ، بل كيف نقول ما نعرف بشكل بليغ يمتلك عواطف المتلقي أو السامع ، ثم يفيض في طبيعة الفرق بين لغة الشعر ولغة النثر ، ملاحظاً أن طرائق البيان في النوعين واحدة ، كما أنه يلاحظ أن كل نوع من أنواع الخطابة له أسلوبه الذي يلائمه .

وهكذا نرى أن أرسطو لا يتناول عناصر الأدب تناولا يتسم بالشمول فحسب ، ولكنه يميل ــ إلى جانب الشمول والاستقصاء ــ إلى دراسة الأنواع الأدبية على أضواء من الفلسفة وعلم النفس وعلم الجمال جميعاً ، ثم يفضي من هذا المنحى التحليلي إلى منحى آخر أخطر وأعظم ، هو منحى التأصيل والتنظير في مثل هذه المرحلة الباكرة من عمر الزمن والتاريخ والإنسان .

واستجابة لهذه السطوة الفكرية التي فرضها أرسطو على الفكر النقدي ، دار النقد الروماني في فلكه وسار في غباره ونوع على اللحن الأساسي الذي أطلقته قيثارة هذا الرائد الجليل ، فكانت أعمال (**شيشرون . . . وكوينتليان . . وهوراس**) متابعة فاهمة للأعمال النظيرة في الفكر اليوناني . وكانت أعمال (لونجينوس) نوعاً من **الانطلاق المكبل** إذا شئنا أن نقول ، فقد أتيح له شيء من المقارنة بين الآراء اليونانية والآراء الرومانية في بعض مسائل الأدب والفن ، وإن ظل أسير المدى الذي تركه الفكر اليوناني مليئاً بكنوز الكشف ولآلئ الأعمال .

الهوامش

(١) س . م . باورا ــ الأدب اليوناني القديم ، ص ٨ .
(٢) د . شوقي ضيف ــ في النقد الأدبي ، ص ١٢ .
(٣) محاورات أفلاطون ــ ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، ص ٧٦ .
(٤) انظر : النقد الأدبي الحديث للدكتور غنيمي هلال ، ص ٢٦ .
(٥) انظر : محاورات أفلاطون ــ المقدمة .
(٦) انظر : جمهورية أفلاطون ترجمة د . فؤاد زكريا ــ الكتاب العاشر ، ص ٣٥٩ وما بعدها .
(٧) أفلاطون : فيدروس ، ص ٢٦٠ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .
(١٠) انظر : أفلاطون ــ فيدروس ، ص ٢٦٤ .
(١١) د . زكي نجيب محمود ، في مقدمة كتاب (الشعر) لارسطو ، ص (ز) .

مع الفكر

شعر : سليم الرافعي

يُحيِّرني الفكرُ : هلْ سرُّهُ   إذا غاب أوْ سرُّهُ إنْ حَضَرْ ؟
أأستقبلُ الفكر في حُلّةٍ   من الخزِّ أمْ كِسْوة مِنْ وَبَرْ ؟
بعيدُ المنال قريبُ الخُطا   يُوسْوسُ كالموج أوْ كالخَطَرْ
يُحدِّثُ في لغةٍ لمْ أزَلْ   أُراكضُها .. وهي طيفٌ عَبَرْ
جوادٌ عنيدٌ إذا ما جرى   يُحمحمُ مِنْ نزوةٍ أو ضَجَرْ
ويفري حديدَ اللّجام إذا   أحسَّ القيودَ عليه نَفَرْ ..
يُحلِّق نسْراً فلا يُرتَجى   ويعدو غزالا فلا يُنتَظرْ
نسيمٌ عليلٌ يُثير الهوى   وَنَارٌ وعاصفةٌ إنْ هَدَرْ
أأسجنُهُ ؟ وهو مِنْ جِدّةٍ   وسِحْرٍ تعدّى حُدودَ الصُوَرْ
أأُطْلقهُ ؟ وهو في خاطري   أسيرٌ عزيزٌ على مَنْ أسَرْ
دمي كلماتٌ إذا صُغْتُهُ   أليستْ حروفاً دِماءُ البَشَرْ ؟
أليستْ براكينَ تلك الرؤى   تُمزِّقنا في رقيق الوَتَرْ ؟
هو العبقرية في مُضْغةٍ   من القول أو نُطْفةٍ مِنْ شَرَرْ
فَهلْ جَسَّدَ الفكر إلا الذي   تغلغل في البرق حينَ اسْتَعَرْ ؟
يُحيِّرني الفكرُ .. هَلْ وردُه   هو الوردُ أمْ شوكُهُ والإبَرْ ؟ !



بقلم : د. محمد بن سعد الشويعر

يندر في التاريخ ، أن تتوفر صفات متعددة ، في شخص واحد ، وأن يوصف صاحبها بالاجادة والإبداع ، في أنواع مختلفة من فنون المعرفة .

ولئن كانت حياة بعض الأفراد مليئة بالجمع بين صفتين ، أجاد في إحداهما ، وامتهن الأخرى عن هواية ، أو محاكاة .

إلا أن أبا الفتح «**كشاجم**» قد اشتهر بعدة علوم ، كان يجيدها ، ويتقنها ، فقد قال المتتبعون لحياته : إن لقبه هذا «كشاجم» منحوت من علوم مختلفة : فالكاف **للكتابة** ، والشين من اتقانه **الشعر** الذي أجاد فيه ، والألف من **الإنشاء** ، والجيم من **الجدل** ، والميم من **المنطق** ، ومع هذا فقد كان يضرب المثل بملحه فيقال : **ملح كشاجم** ، (شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٣٧) .

وهذه الصفات لا تتأتى إلا لمن منحه الله تعالى ذكاء متوقداً ، ونفساً صافية ، وذهناً مستنيراً .

وهذا اللقب الذي لا يوجد له اشتقاق في كتب اللغة ، رغم أن **الزبيدي** جعل له وزناً هو «**علابط**» إلا أنه اعتبره كلمة جامدة لا معنى لها ، إلا المدلول الذي جمعت الحروف من أجله **(راجع تاج العروس ٩ : ٤٦)** .

نقول إن هذا اللقب قد ألفه أبو الفتح على نفسه ، حتى غلب على اسمه الحقيقي ، وعندما سئل عن ذلك قال معللاً : **الكاف** من كاتب ، **والشين** من شاعر ، **والألف** من أديب ، **والجيم** من جواد ، **والميم** من منجم .

ومع هذا فلم يقتصر على هذه العلوم ، بل طلب **علم الطب** حتى مهر فيه ، وصار أكبر علمه ، فزيد في اسمه **طاء** من طبيب ، وقدمت فقيل «**طكشاجم**» ، ولكنه لم يشتهر بهذا اللقب ، كما قيل إنه أخذ هذا اللقب : لأنه كان كاتباً ، شاعراً ، أديباً ، جميلاً ، فقيهاً (راجع **حلية المحاضرة للسيوطي** ١ : ٥٦٠ ، **الأعلام للزركلي** ٨ : ٤٣ ، **معجم المؤلفين لكحالة ١٢ : ١٥٩ ، تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان** ٢ : ٢٥٤) .

اسمه وأسرته

هو الشاعر الكاتب **أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك** ، هكذا أثبتت اسمه معظم الكتب التي تعرضت لحياته مثل **شذرات الذهب** (٣ : ٣٨) ، **ومعجم المؤلفين** (١٢ : ١٥٩) ، **وكشف الظنون** (٢ : ١١١٠) .

إلا أن **جلال السيوطي** في حلية المحاضرة يقول عنه : اسمه محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك **يكنى أبا نصر** (١ : ٥٦٠) .

وزاد الزركلي في حاشية الأعلام بعد شاهك بن زادان ، بن شهريار (٨ : ٤٤) ، ورغم أن جده السندي بن شاهك ، كانت له مكانة في الدولة العباسية ، وفي عهد **هارون الرشيد** (١٤٩ ـ ١٩٣ هـ) ، بالذات إذ

كان صاحب الشرطة والحرس عنده ، **(مقدمة المصايد والمطارد تحقيق للدكتور طلس ص ٧)** .

إلا أن التاريخ لم يسجل لهذه الأسرة شيئاً يذكر ، غير ما ذكره **الجاحظ** (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ) ، عن مكانة ولديه إبراهيم ونصر عندما قال : إن إبراهيم ونصر ابنا السندي من موالي **عبد الله بن علي** (١٠٣ ـ ١٤٧ هـ) ، **وداوود بن علي** (٨١ ـ ١٣٣ هـ) ، عمّا **السفاح** (١٠٤ ـ ١٣٦ هـ) ، **والمنصور** (٩٥ ـ ١٥٨ هـ) ، **(البيان والتبيين للجاحظ ٢:١٣٢)** .

ولعل نصر هذا هو جد شاعرنا ، الذي اكتسب كنيته « أبا نصر » عنه .. ولكن نصر هذا لم يثبته أحد ممن تعرض لنسب هذا الشاعر ، وقد يكون سقط من تسلسل أجداده .

وقد قال **ابن خلكان** (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) ، في ترجمة **موسى الكاظم** (١٢٨ ـ ١٨٣ هـ) ، إن الرشيد حبسه ، وكان الموكل بمدة حبسه ، السندي بن شاهك ، جد كشاجم **(وفيات الأعيان ٢ : ١٣٢)** .

والمعروف تاريخياً أن حبس موسى الكاظم ، كان في حج عام ١٧٩ هـ ، في البصرة سنة واحدة ، ثم نقله الرشيد لبغداد ، فتوفي بها سجيناً عام ١٨٣ هـ .

أما كشاجم ، فقد توفي على الأرجح عام ٣٥٠ هـ ، وبين هذين التاريخين قرابة ١٧٠ عاماً ، لا أتوقع معه في أغلب الأحوال : أن يكون آباء كشاجم هم : الحسين بن السندي بن شاهك ، ولا إضافة واحد كما حكاه السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) ، هو : محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك ، إذ للمؤرخين نظرة علمية ، يحددون فيها أن القرن يشمل في الغالب ثلاثة أجيال .

ومن هذا فإنني أعتبر السندي هو الخامس ، في السلم الهرمي لنسبه ، معتبراً : أن نصراً الذي ذكره الجاحظ هو والد الحسين ، وهو جد والد كشاجم ، وأنه قد أسقطه المتتبعون لنسبه غير عامدين إلى ذلك ، وحكم ذلك حكم الغلطات التي جاءت في أسماء أجداده كما مر : الحسين والحسن والسدي والسندي ، شاهك شهاق .

ويصبح عندي بهذا أنه : محمود بن محمد بن الحسين بن نصر ابن السندي .

وقد قال الجاحظ عن نصر هذا ، بأنه صاحب أخبار ، وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث **ابن الكلبي ، والهيثم بن عدي** (البيان والتبيين ٢ : ٢٢٤) .

كما كان الجاحظ ، معجباً بإبراهيم بن السندي أخي نصر هذا ، وينقل عنه كثيراً في كتابيه : البيان والتبيين ، والحيوان ، قال عنه في البيان والتبيين : وأما إبراهيم فإنه كان رجلاً لا نظير له ، كان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان نحوياً عروضياً ، وحافظاً للحديث ، راوية للشعر ، شاعراً ، وكان فخم الألفاظ ، شريف المعاني ، وكان كاتب القلم ، كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل في الخراج بعمل زاذان فروخ الأعور ، وكان منجماً طبيباً ، وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً بالدولة ، وبرجال الدعوة ، وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً ، وأصبرهم على السهر (١ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤) ، كما كان الجاحظ ينقل عن إبراهيم هذا كثيراً ، فهو يحدثه عن أبيه (انظر البيان والتبيين ج ٣ ص ١٠ ـ ١١) .

هذا الرأي من الجاحظ (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ) ، نستدل منه على ذكاء متأصل في أعماق هذه الأسرة ، وحب للاطلاع والمعرفة ، ورغبة في النهل من جميع العلوم والمعارف ، وعلى مركزهم الاجتماعي في الدولة العباسية .

فالشاعر أبو الفتح كشاجم محمود بن محمد ، أو أبو النصر كما يسميه بعضهم ، لم يكن فريد زمانه ، ووحيد أسرته ، بهذه العلوم ، التي برع فيها ، بل قد سبقه أحد أفذاذ هذه الأسرة ، وهو عم والده على رأي الدكتور طلس ، في تحقيقه المصايد والمطارد لكشاجم (المقدمة ص ٧) .

وقد يكون هو جد الشاعر ، إذ لم نجد من ربط بين نسبه ، وبين قول الجاحظ عن ابن السندي بن شاهك ، فما ورد في كتب الأدب والتراجم ، يبدو أن فيه نقصاً في الآباء ، على رأي علماء التاريخ والاجتماع ، كما أسلفنا .

ولم يأت في كلامهم ، ذكر لكل من إبراهيم ونصر ، اللذين أخبر عنهما الجاحظ (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ) ، وهو ممن عاصر السندي هذا ، ونقل عن ابنه إبراهيم .

وكما تأصل الذكاء في كشاجم ، امتداداً من ذكاء أسرته ، فلقد ذكر الزركلي نقلاً عن **حبيب الزيات** ، ما يشير إلى تسلسل هذه الخصلة في عقب كشاجم ، وذلك أن ابنه أحمد المعروف بأبي الفتح ، **كان يقرأ فص الخاتم باللمس** ، دون الرؤية ، قبل اختراع قراءة العميان (الأعلام ٨ : ٤٤ الحاشية) .

موطنه

اتفقت الكتب التي تعرضت لحياته على أنه **من أهل الرملة بفلسطين ، وأنه فارسي الأصل** ، إلا أن بروكلمان قال بأن جده ـ وسماه ـ شهاق السندي **هندياً** (تاريخ الأدب العربي ٢ : ٧٧) .

وقد تنقل بين **بغداد والقدس ، ودمشق ، وحلب** ، حيث استقر به اتصاله بسيف الدولة ، ذلك الأمير الشاعر الذي عرف بشغفه بالأدب والشعر ، وتقريبه للشعراء واكرامهم ، والتفاف أكابرهم حول مائدته **كالمتنبي** (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ) ، **وابن عمه أبي فراس الحمداني** (٣٢٠ ـ ٣٥٧هـ) ، والصنوبري (... ـ ٣٣٤هـ) ، الذي قيل بأن كشاجم استفاد منه في منهج الوصف في شعره ، ومن ثم انضمامه إلى زمرة الشعراء والأدباء في ذلك العهد وهم كثيرون (راجع مقدمة الدكتور طلس لكتاب كشاجم المصايد والمطارد ص ١٠) .

ولما كان عهد بني حمدان غير مستقر ، ولا تتوفر فيه دعائم الدولة المتمكنة لكثرة الزعازع والحروب ، فقد شابه شاعرنا المتنبي في كثرة التنقل والترحال ، وقد اعتبره السيوطي من الشعراء والأدباء الذين كانوا بمصر ، وقال نقلاً عن **صاحب الهديل** : كان أقام بمصر مدة ، فاستطابها ، ثم رحل عنها ، فكان يتشوق إليها ، ثم عاد إليها فقال :

قد كان شوقي إلى مصر يؤرقني
فالآن عدت وعادت مصر لي دارا

وكما جهل مكان وتاريخ ولادته ، ومكان وفاته ، فإن تاريخ الوفاة أيضاً صار موضع خلاف بين الباحثين .

فقد اعتبر وفاته بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٢ : ٧٧) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون في عدة مواضع (٧٠٥ ، ٨٠٧ ، ١١١٠ ، ١٤٣٢ ، ١٤٥٩ ، ١٧٠٤) . وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية نقلاً عن **عيون التواريخ** (٢ : ٢٥٤) ، في عام ٣٥٠هـ ، وهذا ما أرجحه .

إلا أن الزركلي في الأعلام (٨ : ٤٣)، وكحالة في معجم المؤلفين (١٢ : ١٥٩)، أثبتا أنه توفي عام ٣٦٠هـ.

أما الدكتور طلس في تحقيقه لكتاب المصايد والمطارد فقال : إنه توفي بعد عام ٣٥٨هـ، مستدلا بأنه مدح **كافوراً الأخشيدي**، الذي ملك مصر من عام ٣٥٥هـ، إلى عام ٣٥٧هـ، (المقدمة ص ١٣).

وقد اعتبره حاجي خليفة في كشف الظنون (١ : ٤٩)، توفي في حدود عام ٥٠٠هـ، وهذه في نظري تكون غلطة مطبعية إذ هذا الرأي يخالف منه آراء له أوردها في نفس كتابه بأنه توفي عام ٣٥٠هـ.

مؤلفاته

مركز الأديب العلمي، ومكانته الاجتماعية، تبرز في مؤلفاته، وما يثري به المكتبة المحلية من نتاج.

وما وصف به كشاجم نفسه من العلم والمعرفة، وما قيل في ترجمة حياته، عن العلوم التي أتقنها، وبرع فيها، براهين على مستواه ومكانته.

والمتتبع لحياة هذا الرجل، يجد هذه المرآة تنعكس في مؤلفات نسبت له، تتمثل في :

١ ـ **ديوان شعر** : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١ : ٨٠٧)، وكحالة في معجم المؤلفين (١٢ : ١٦٠)، والزركلي في الأعلام، وقال بأنه مطبوع (٨ : ٤٣)، وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية، وقال بأنه مطبوع في بيروت عام ١٣١٣هـ، (٢ : ٢٥٤).

ويرى بروكلمان أنه مرتب على حروف الهجاء في **مكتبة ليدن** (تاريخ الأدب العربي ٢ : ٧٧).

وقد أورد **الحصري** في زهر الآداب، من شعره قصائد كثيرة بلغت ٢٩٢ بيتاً وأغلبها في الوصف.

٢ ـ **خصائص الطرب** : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١ : ٧٠٥)، وكحالة في معجم المؤلفين (١٢ : ١٦٠)، والزركلي في الأعلام (٨ : ٤٣)، والدكتور طلس في مقدمته لتحقيق المصايد والمطارد (١٢).

٣ ـ **أدب النديم** : قال عنه بروكلمان إنه مجموعة من الحكايات، والأشعار، **ويوجد ببرلين** (تاريخ الأدب العربي ٢ : ٧٨)، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١ : ٤٩)، وكحالة في معجم المؤلفين (١٢ : ١٦٠)، وقال الزركلي في الأعلام بأنه مطبوع (٨:٤٣).

أما الدكتور طلس فقال في مقدمته للمصايد والمطارد نقلاً عن **ابن النديم** في الفهرست إن من كتبه أدب النديم (ص ١٢).

وجرجي زيدان أوضح أيضاً في تاريخ آداب اللغة العربية أنه مجموعة من الحكايات والأشعار، وقد أوضح كذلك أنه مطبوع بمصر عام ١٢٩٨هـ، (٢ : ٢٥٤).

٤ ـ **الطبيخ** : ذكره كحالة في معجم المؤلفين (١٢ : ١٦٠)، وسماه حاجي خليفة في كشف الظنون كتاب الصبيح (١٢ : ١٤٣٢)، وقد يكون هذا تصحيفاً، إذ لم يقل به غيره.

أما الزركلي في الأعلام فقد قال : إنه من أجل هذا الكتاب قيل إنه كان في أوليته طباخاً لسيف الدولة (٨ : ٤٣)، كما ذكره الدكتور طلس في مقدمته للمصايد والمطارد (ص ١٢).

٥ ـ **المصايد والمطارد** : هذا الكتاب قد طبع في عام ١٩٥٤م، بتحقيق وتعليق **الدكتور محمد أسعد طلس، وطبع بدار المعرفة ببغداد**، وهو كتاب يتعلق بالصيد ومطاردته. وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون في موضعين (١٤٦٠، ١٧٠٤)، وأشار إليه كل من كحالة في معجم المؤلفين (١٢ : ١٦٠)، والزركلي في الأعلام (٨ : ٤٣).

٦ ـ **كتاب الطرديات في القصائد والأشعار** : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، (٢ : ١١١٠)، كما ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي نقلاً عن كشف الظنون (٢ : ٧٨).

٧ ـ **الرسائل** : قال الدكتور طلس في مقدمة تحقيقه للمصايد والمطارد، بأن كشاجم جمع فيه ما كتبه من الرسائل الأدبية، والإخوانية، وذكره ابن النديم (ص ١٢). كما ذكره الزركلي في الأعلام (٨ : ٤٣).

٨ ـ **آداب الندماء، ولطائف الظرفاء** : ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، وقال : في الصفحات ٦٢ ـ ١٠٥ قصيدة لأبي فراس الحمداني (٢ : ٧٨).

٩ ـ **كتاب البيزرة** : قال بروكلمان بأنه يوجد في **جوتا**، ولكنه للأسف قطعة فقط من الكتاب، يبحث في الأكثر عن الحصان وعلله، ثم أخيراً عن البيزرة وجوارح الطير (تاريخ الأدب العربي ٢ : ٧٨)، وقال جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية إنه في علم الصيد منه نسخة خطية في **مكتبة غوطا** (٢ : ٢٥٤).

وقد قال الدكتور طلس بأن آثار كشاجم، قد ضاعت إلا كتاب المصايد والمطارد، وكتاب أديم النديم الذي طبع بمصر عام ١٢٩٥هـ.

ولكن مما جاء هنا عن بروكلمان، وجرجي زيدان يتضح لنا أن هذا التراث لا يزال موجوداً وتحتفظ به خزائن المكتبات الغربية، علاوة على ديوانه الذي طبع في عام ١٣١٣هـ، في بيروت.

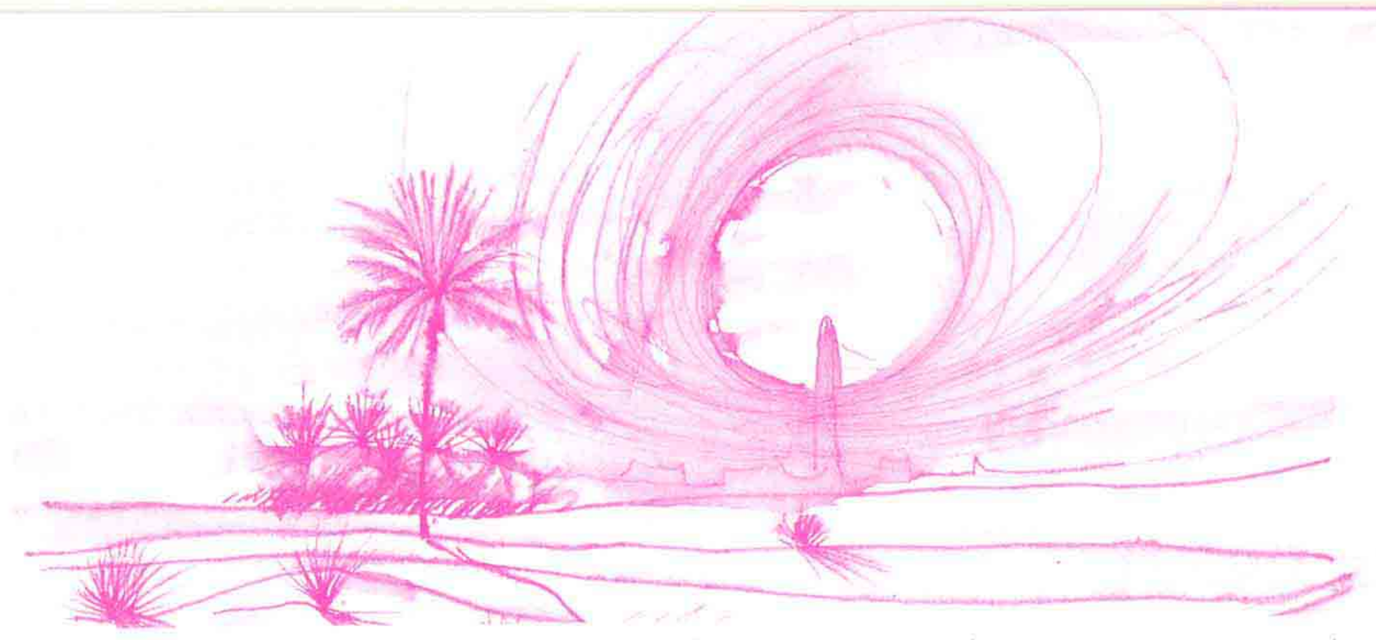
بعضاً من أوصافه

كثرة الأوصاف، ودقتها في شعر الشاعر، دلالة على ملكة قوية، وإحساس مرهف، ودقة نظر، خاصة عندما يبرز ذلك في شعره، بأسلوب رقيق، وعبارات سهلة، وجمل جزلة، هي من **السهل الممتنع** كما يسميه النقاد.

وقد يكون للشاعر ظاهرة معينة في خصلة صارت سمة له **كامرىء القيس** (نحو ١٣٠ ـ ٨٠ق. هـ)، في وصفه الظباء والصيد، **والنابغة** (... ـ نحو ١٨ ق. هـ)، في اعتذارياته. لكن كشاجم وإن كان لا يسمق إلى منزلة شعراء الجاهلية، أو صدر الإسلام، ذلك أن شعراء العصر العباسي الثالث، بما فيهم كشاجم، قد رفعوا مكانة الشعر، وظهرت في أشعارهم القصائد الطويلة، بعد أن كادت كفته تجنح إلى ليونة الحضارة، وتأثير العجمة، بعد أن أخذ طابع التكسب.

وقد ضاهى شعراء هذا العصر في المشرق الإسلامي، شعراء الأندلس في **ظاهرة الوصف** لظهور معالم جديدة تستوجب اعمال الفكر، وتصوير الخيال.

ورغم أن هذا اللون قديم قدم الشعر العربي، إلا أن كشاجم كواحد من شعراء هذا الجيل، قد أطال وتوسع فيه، وتعرض لوصف كل ما يخطر بباله من شمع يتوهج، وثلج يتساقط، وروضة تتفتح، وقدح ينكسر، ومرآة



بيديها ، ومغنية تضرب على طنبورها ، وفرس يتهيأ للصولان ، ومحبرة مدت الأقلام بجانبها ، وبسط الطرس للكتابة ، وغير ذلك كثير عنده .

وقد اهتم أبو اسحاق الحصري (٣٦٣ - ٤١٣ هـ) ، بهذا اللون من شعر الشعراء عامة ، وبما جاء في أشعار كشاجم بصفة خاصة ، ونقل من ذلك الشيء الكثير في كتابه **زهر الآداب** ، نجتزيء منه الشواهد التالية ، لأن المقام لا يتحمل أكثر من ذلك :

١ - لقد أهاجت **أيام الشتاء** ، وثلوجها المتساقطة ، أحاسيس كشاجم ، فقال فيها عدة قصائد ، ولعل هذا من الميادين التي يتبارى فيها شعراء ذلك العصر ، إذ طرقه كثير منهم كالصنوبري (... - ٣٣٤ هـ) ، والبشي (... - ٤٠٠ هـ) ، والميكالي (... - ٤٣٦ هـ) .

يقول كشاجم :

الثلج يسقط أم لجين يسبك
أم ذا حصى الكافور ظل يفرك
راحت به الأرض الفضاء كأنها
في كل ناحية بثغر تضحك
شابت مفارقها فبين ضحكها
طوراً وعهدي بالمشيب ينسك
أربى على خضر الغصون فأصبحت
كالدر في قضب الزبرجد يسلك
وتردت الأشجار منه ملاءة
عما قليل بالرياح تهتك
كانت كعود الهند طري فانكفى
في لون أبيض وهو أسود أحلك
والجو من داجي الهواء كأنه
خلع تعنبر تارة وتمسك
فخذي من الأوتار حظك إنما
يتحرك الإطراب حين تحرك
فاليوم يوزن بالملاحة إنه
سيطل فيه دم الدنان ويسفك

(زهر الآداب ٨٦٩)

٢ - وقال في انحدار دموع الأشواق ، حيث يصف مجرى الدمع بحلية فضة :

ما زال حر الشوق يغلب صبرها
حتى تحدر دمعها المتعلّقُ
وجرى من الكحل السحيق بخدها
خطٌّ تؤثره الدموع السُّبَّقُ
فكأن مجرى الدمع حلية فضة
في بعضه ذهب ، وبعض مُحْرقُ

(زهر الآداب ١٠٦٢)

٣ - والعرب تهتم **بالخاتم** ، وتتباهى باختيار الفصّ الثمين ، ذي المنظر الباهر ، فيأخذ هذا كشاجم في الاعتبار عندما قال في وصف **فص خاتم :**

ساجل بفصك من أردت وباهه
فكفى به كمداً لقلب الحاسد
متألق فيه الفرند كأنه
وجهي غداة ندى وضيف قاصد
لو أن ظمآى منه علت لارتوت
من ماء جوهره المعين البارد
بهر العيون إضاءة في رقة
فكأنني متختم بعطارد

(زهر الآداب ٦٧٩ - ٦٨٠)

لكنه يعود مرة أخرى ليشبه الشفاه اللمس بالخواتم الذهبية عندما يقول :

عرضْن فعرّضْن القلوب من الهوى
لأسرع من كي القلوب على الجمر
كأن الشفاه اللمس منها خواتم
من التبر مختوم بهن على الدّرّ

(زهر الآداب ٦٨٠)

٤ - وتتحرك فيه **العاطفة الدينية** ، فيُسَخّر شعره في المجال الذي يحبه ، وهو الوصف ، فيتجه لوصف أجزاء من **القرآن الكريم** في قصيدة

نشوء وأهمية علم الأحياء الفضائي

من القضايا ذات الأهمية الاحيائية (البيولوجية) بالنسبة لرحلات الفضاء كيفية تأثر الإنسان بفترات **انعدام الوزن**، وكيف يمكن للجسم أن يتحمل القوى التي تؤثر عليه عند **الانطلاق أو الإقلاع**، وعند العودة مرة أخرى إلى **الأرض** Re-entery، وهل يمكن لعقل الإنسان أن يتحمل الاجهاد الناتج عن هذه الرحلات الطويلة بعيداً عن الأرض، وفي ظروف بيئية غريبة. كل هذه الأمور وأمور أخرى غيرها، مثل إمكانية تطوير طريقة آلية لتزويد المسافر بإمدادات مستمرة من الغذاء خلال رحلات الفضاء الطويلة تشغل عقول بعض علماء الأحياء في وقتنا الحاضر، وليس من شك في أن هذه الدراسات والبحوث الهادفة إلى التأكد من بقاء الإنسان حياً خلال رحلات الفضاء على ما لها من أهمية مباشرة في هذا المجال، سيكون لها أيضاً مردوداتها التطبيقية من حيث

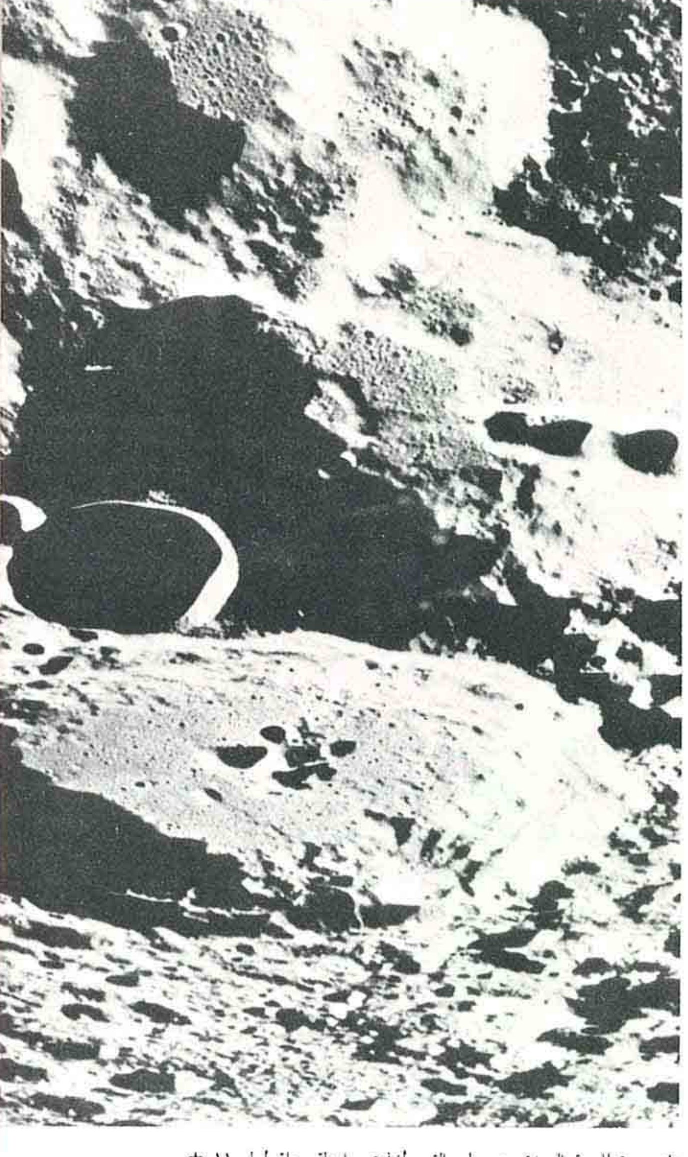
الحياة على كوكبنا الأرضي، **فمشكلة إنتاج الغذاء** للملايين المتزايدة من البشر على سطح الأرض ربما تفيد من التجارب المتعلقة بإنتاج الغذاء الآلي في الفضاء، وليس ببعيد أيضاً أن تستفيد الدراسات المتعلقة بتلوث البيئة في كوكبنا من الدراسات والطرق التطبيقية المستخدمة في تنقية ومعالجة الهواء خلال **الرحلات الفضائية** في المركبة، أو عند الدخول إلى بيئة الكواكب الأخرى.

إن هذا الزخم من المعلومات والأفكار والنظريات العلمية التي أثارتها رحلات الإنسان إلى الفضاء، ومحاولاته غزو الكواكب الأخرى، كان من نتائجه المباشرة نشوء فرع جديد من المعرفة العلمية يعرف الآن **بعلم الأحياء الفضائي** Space Biology الذي ولد مع بداية تفكير الإنسان في الهجرة من كوكبه الأرضي، وسينمو ويتوسع ما بقيت أطماع بني البشر في غزو الكواكب الأخرى.

وطبقاً لما تقدم فإن علم الأحياء الفضائي يعنى في المقام الأول بدراسة جميع الأشياء ذات الأهمية الخاصة ببقاء الإنسان حياً في الظروف البيئية الغريبة والقاسية كما يتوجه للإجابة على السؤال القائم: هل توجد حياة على الكواكب الأخرى؟؟

هل الفضاء فارغ؟

إن الفضاء Space على الرغم مما تقترحه التسمية ليس فارغاً تماماً، بل يحتوي على العديد من المكونات الصلبة الضخمة، والتي تكفي لتحطيم مراكب الفضاء والتي تعرف بالشهب، Meteorites، كما يحتوي الفضاء على كميات هائلة من الغبار الدقيق الحبيبات بالإضافة إلى الإشعاعات الناتجة عن الشمس، وكما هو معروف فإن هذه الأشعة بالإضافة إلى **الموجات الإشعاعية اللاسلكية** Radio Waves ليست ضارة بالنسبة للإنسان أو مركبته، إلا أن هناك اشعاعات أخرى في الفضاء مثل **الأشعة السينية** X Rays وغيرها التي لها آثار ضارة على الحياة بصفة عامة.



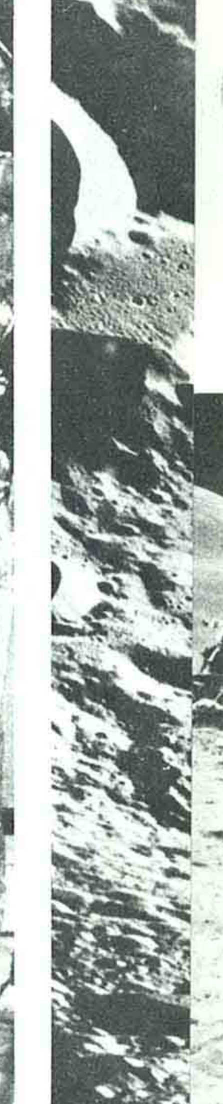
★ صورة للجهة البعيدة من سطح القمر أخذت بواسطة رحلة أبولو ١١ ★

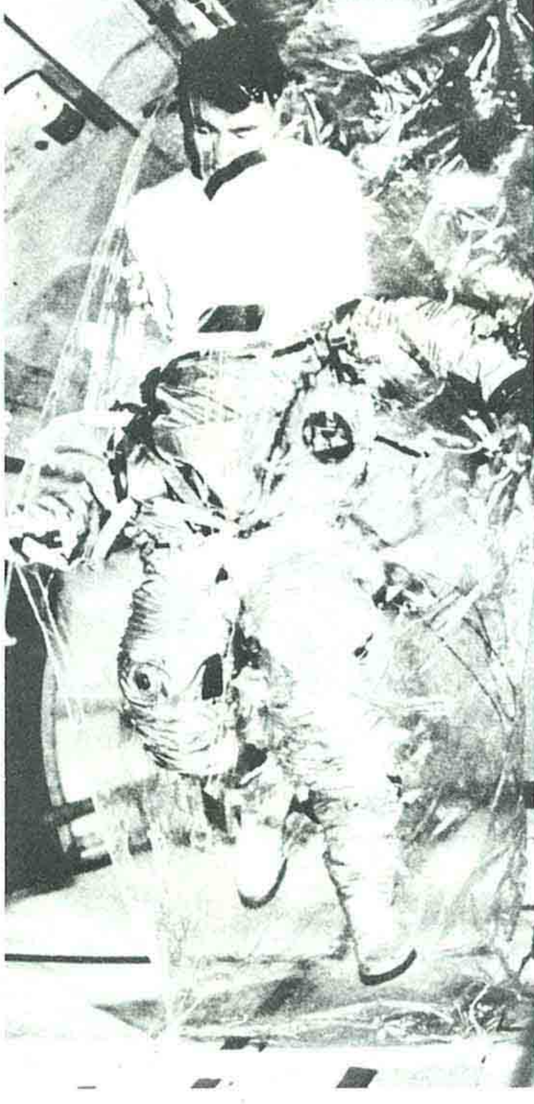
متطلبات الحياة في الفضاء

قبل أن نشير إلى متطلبات الحياة في الفضاء، نذكر أن نجاح الإنسان في الحياة في الظروف الفضائية غير الملائمة جداً ترتكز على ناحيتين:

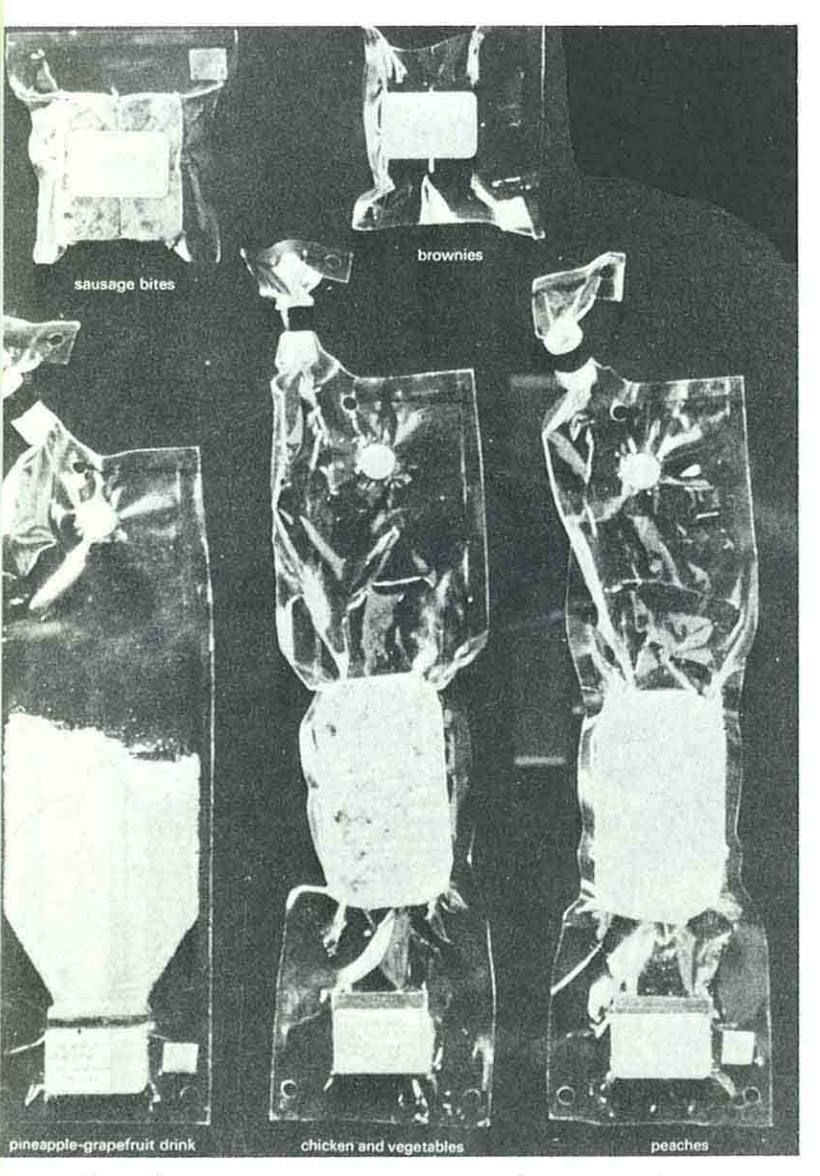
الأولى تتعلق بقدرته على التحكم في وسطه الداخلي المتمثل في **خلايا جسمه** التي يجب أن تتوفر لها معدلات معينة من **درجات الحرارة** بالإضافة إلى تواجدها في سوائل خاصة محتوية على **الأكسجين المذاب والمواد الغذائية** اللازمة.. وهذه ظروف دقيقة جداً، ومحكمة تمام الإحكام وقد كفانا الله مؤنة البحث عن طرق للمحافظة عليها لما أودعه فيها من إمكانية ربانية في تنظيم هذه الناحية.

والثانية تتعلق بقدرته على التحكم في وسطه الخارجي، ونذكر بالنسبة لذلك أن الإنسان، كما هو معروف، منتشر على سطح المعمورة





★ يظل رائد الفضاء خلال معظم الرحلة خارج البذلة الخارجية إلا أنه يمكنه ارتداءها بسرعة عند حدوث تغيرات مفاجئة مثل تخلخل الضغط في المركبة . ويتم ارتداؤها داخل كيس بلاستيكي ضخم لحمايته من الظروف غير المناسبة المفاجئة ★



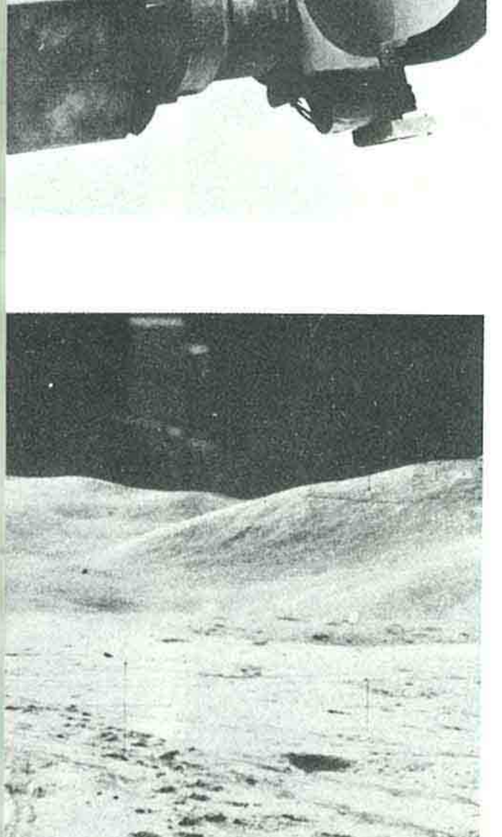
★ الغذاء أثناء الرحلة يتكون من أطعمة مجففة بطريقة التبريد المفاجئ ويتعاطى الطعام ساخناً أو بارداً ومزجه بالماء ثم يتناوله المسافر بواسطة استحداث فتحة في الكيس البلاستيكي ★

من **المناطق القطبية** إلى **المناطق الاستوائية** ، ولولا ما ابتدعه من وسائل معينة لما كان له من القدرة على الانتشار الواسع في مختلف بقاع الأرض ، ولانحصرت إقامته في أماكن محدودة من سطح الأرض حيث الطقس مناسب لحياته ، وليس من شك في أن التحكم في الوسط الخارجي عن طريق عزل الجسم عن المؤثرات الضارة ، يسهل للكائن الحي إمكانية التحكم في **وسطه الداخلي (خلايا الجسم)** . ولقد كان هذا هو الأساس الذي اعتمدت عليه طريقة أقلمة المسافر في الفضاء ، حيث صممت ثيابه أو « **بذلته الفضائية** » لتمكنه من التحكم في الظروف غير المناسبة التي ستواجهه عبر رحلته الفضائية ، إضافة إلى تمكينه من تناول ما يحتاجه جسمه من مواد والتخلص من فضلاته الصلبة والسائلة (**طالع الصور**) .

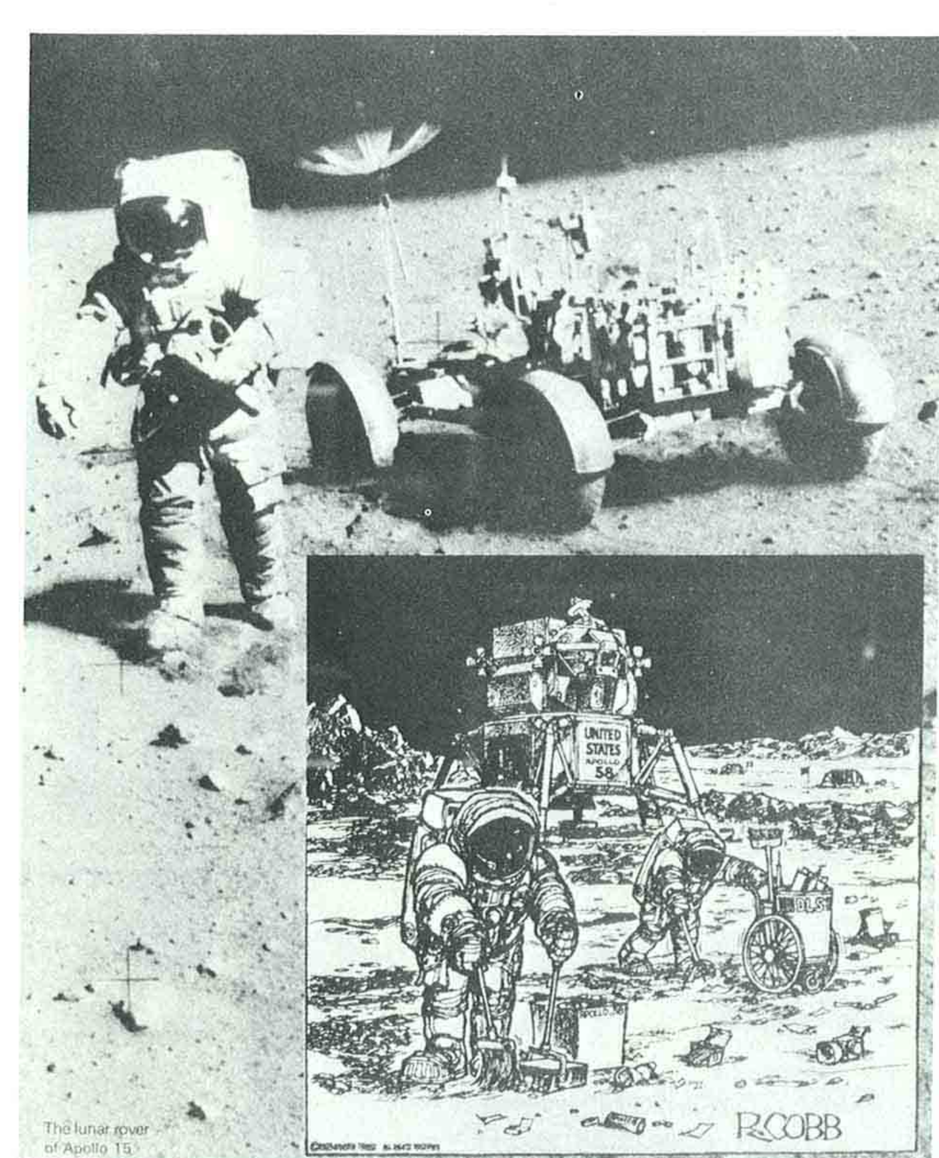
وكما يمكن أن يكون متوقعاً لدى البعض فإنه من العسير لرواد الفضاء أو للمسافرين مستقبلاً أن يبقوا مرتدين بذلتهم الفضائية طول الرحلة ، لذا فإن المركبة الفضائية قد صممت بحيث تمدهم **بالظروف الخارجية** المناسبة للحياة مما يمكنهم في الظروف العادية من التخفف من ملابسهم الثقيلة ، إلا أنه وفي حالات الطوارئ مثل تسرب الهواء أو تخلخله في المركبة أو غير ذلك من المفاجآت فإنه من الممكن لرائد الفضاء الدخول في **كيس بلاستيكي** ضخم يحميه من التفريغ الشديد للهواء ، ويمكنه من ارتداء بذلته الواقية (طالع الصورة) .

الغذاء أثناء الرحلة

لقد لمسنا باختصار شديد كيفية التحكم في الظروف الجوية ومواجهة مختلف متطلبات الحياة أثناء الرحلة ، وهنا نريد أن نعرج على **ماهية الغذاء وكيفية تناوله أثناء الرحلة الفضائية** . يتضمن غذاء المسافر في الفضاء على أنواع من **الأطعمة الخالية من الماء**









★ صورة لرائد من رواد الفضاء أثناء قيامه ببعض الاستكشافات العلمية خلال رحلة أبولو ١٥ ★

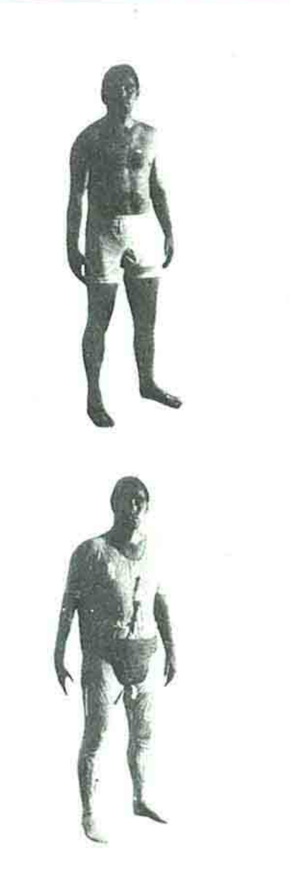
Dehydrated Food ، أو **الأطعمة المجففة بالتجميد** Freeze dried ، والطريقة الأخيرة تمكن من إنتاج وحفظ الأغذية بنكهة جيدة ، ويتم تحضير الغذاء بهذه الطريقة بعد طبخه كالمعتاد ومن ثم يعرض لتبريد مفاجئ (درجة منخفضة تقرب من ١٦٥ تحت الصفر) ويعقب ذلك التخلص من الهواء .

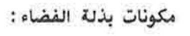
وفي كلتا الطريقتين لا بد من إضافة الماء وتحريكه قليلاً حتى يمكن تناوله . وتهدف عملية التجفيف المشار إليها إلى المحافظة عليه طازجاً ومنع تلوثه بالميكروبات إضافة إلى تقليل وزنه .

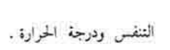
هل توجد حياة في الكواكب الأخرى ؟

انصب حديثنا السابق عن **الإنسان** ، وهو أمر هام بطبيعة الحال إلا **أن علم الأحياء الفضائي يهتم أيضاً بالمخلوقات والكائنات الأخرى** . وقد نكون بهذه العجالة قد تجاوزنا أمراً أساسياً كان يجب أن نتصدى له بادئ ذي بدء ، وهو يتعلق بوجود أو عدم وجود كائنات حية في الفضاء أو الكواكب الأخرى .

هناك الكثير من الخيالات العلمية Science Fiction **التي تصور وجود مخلوقات في الفضاء والكواكب الأخرى ، غير أن هذه المخلوقات لم يثبت وجودها الفعلي حتى الآن** ، ويعتقد العلماء أنه في حالة وجود مثل هذه المخلوقات ، فسوف يكون لها بالضرورة طبيعة كيميائية وحيوية مختلفة عن التي نعهدها في المخلوقات الأرضية ، ربما على هيئة **سوائل أو غازات** ، وهو أمر قريب من المستحيل بالنظر إلى الجفاف الشديد وانعدام الأكسجين في هذه الكواكب ، وقد يتساءل البعض : لماذا إذن اتخذت إجراءات مشددة لحجز رواد الفضاء العائدين إلى الأرض على الرغم من الاعتقاد بأن إمكانية تلوثهم بكائنات خطرة أقرب إلى المستحيل ، ويمكن أن نجيب على هذا التساؤل ببساطة







مكونات بذلة الفضاء :

١ ــ ملابس داخلية مصنوعة من مادة ماصة وذلك لاحتواء الفضلات الصلبة .

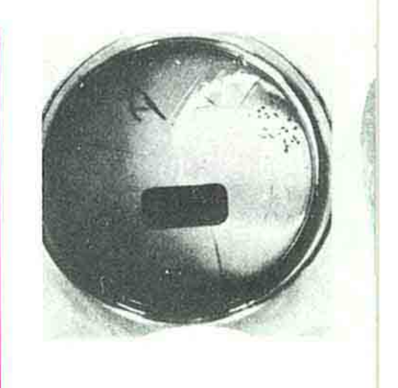
٢ ــ بذلة مصنوعة من العديد من الأنابيب الدقيقة التي تحمل الماء والجلايكول ذات الحرارة الثابتة وذلك لحفظ درجة حرارة الجسم في مستوى مريح بغض النظر عن الظروف المحيطة .

٣ ــ حزام حول الوسط به أجهزة لقياس دقات القلب ومعدل التنفس ودرجة الحرارة .

٤ ــ حزام آخر على شكل رقم ٧ لاحتواء البول .

٥ ــ البذلة الخارجية وتعمل على حماية رائد الفضاء من انخفاض الضغط والشهب الصغيرة وارتفاع الحرارة وانخفاض البرودة بشكل حاد

٦ ــ غطاء الرأس ويحتوي على متطلبات الحياة والراديو وما إلى ذلك .



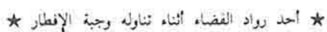


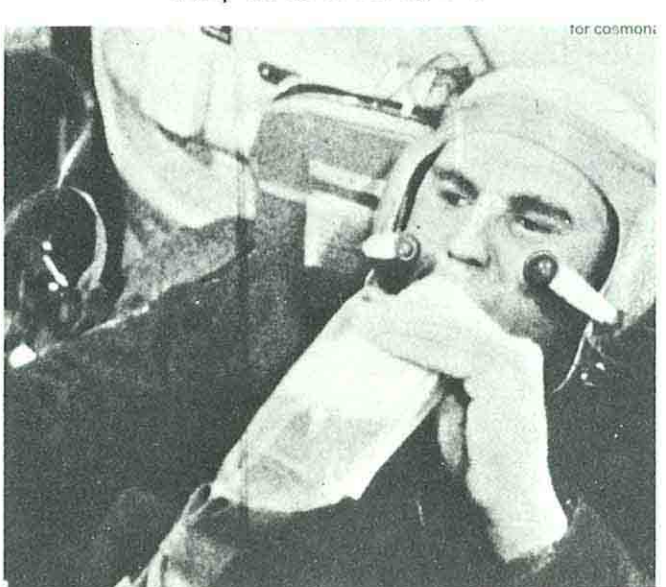
★ الصورة العليا توضح بعض أنواع البكتريا التي استطاعت أن تتحمل ظروف الفضاء لمدة ثلاث سنين حيث تم عزلها من الكاميرا الموجودة في الصور المجاورة (على اليمين) .
الصورة السفلى توضح مركبة الفضاء على سطح القمر ★

متناهية . . فنورد أنه على الرغم من أنه من المستبعد تواجد كائنات لها نفس طبيعة أجسامنا إلا أنه يجوز أن تتواجد كائنات مختلفة عن كائناتنا المعهودة ، لكنها تتحمل الظروف السائدة على كوكبنا الأرضي مع إنه من المفيد أن نذكر أنه حتى هذا الافتراض لم يثبت بعد . . وعلى الرغم من كل ما تقدم فقد لوحظ بقاء بعض أنواع البكتريا كائنات دقيقة ــ التي كانت متواجدة على **كاميرات المركبة** ــ لوحظ بقاؤها حية طوال إحدى الرحلات حيث تعرضت لثلاثة أيام في جو مفرغ من **الهواء** Vacuum وقرابة ثلاث سنين على سطح القمر . . . ترى هل بقاء هذه الكائنات حية طوال هذه المدة سيقود العلماء إلى معرفة جوانب جديدة لإمكانية تواجد مخلوقات في الكواكب الأخرى ؟

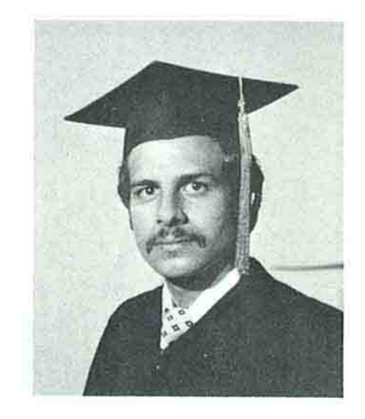
لا أحد حتى الآن يمكنه الإجابة على هذا التساؤل بأي قدر من اليقين غير من عنده مفاتيح كل شيء ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ .

★ أحد رواد الفضاء أثناء تناوله وجبة الإفطار ★









بعد عزوف عن ركوب الطائرات عشرين عاماً جاء موسم تخرج طلاب الماجستير في جامعة «كورنيل» بمدينة «أثيكا» في ولاية نيويورك بأمريكا حيث كان موعد تخرج ابنه الأستاذ المهندس سبأ عبد الله بلخير من تلك الجامعة في الهندسة والاقتصاد فركب الأب الشاعر الهوا في طريقه لحضور حفل تخرج ابنه فكانت قصة هذه الرحلة في هذه المعلقة الشعرية الشجية المتماوجة بالصور والألوان والطيوف، وهي تعكس مشاعر أبوة حانية تجسد مشاعر كل أب يشهد تخرج ابنه الذي يمثل صورة مستقبل ليس للأب فحسب، بل للوطن الكبير.

ركبت الهوا

رَكِبْتُ الهَوا ، مِنْ أجْلِ عَيْنَيْكَ والعُلَى — جَديرٌ بِها أنْ أرْكَبَ الجَوَّ ، والبَحْرا
سَرَى بِي (بُراقٌ) مِنْ حَديدٍ مُجَنَّحٌ — تَرُجُّ جَناحَاهُ (المَجَرَّةَ) ، و(الشِّعْرا)
يَقُودُ جَناحَيْهِ ، عُقَابٌ مُحَلِّقٌ — مِنَ (العُرْبِ) ، يَطْوي البَحْرَ والجَوَّ والبَرَّا
سَرَى بِي مِنَ (البَيْتِ الحَرام) كَأنَّهُ — شِهابٌ ، تَعالَى ، يَقْذِفُ النَّارَ والجَمْرا
سَرَى بِي ، إلى (الدُّنْيا الجَدِيدَةِ) ، والهَوَى — يُسابِقُهُ ، فَاضَتْ بِهِ كَبِدٌ حَرَّى
يُسابِقُ نُورَ الشَّمْس ، وَهِيَ تَخُبُّ في — أشِعَّتِها ، لِلغَرْبِ ، تَنْشُرُها نَشْرا
عَلَى رَفْرَفٍ ، رَفَّتْ جَناحَاهُ ! يَرْجُفُ الـ — فَضَاءُ بِهِ خَفْقاً ، وَيَسْعَرُهُ سَعْرا
إذا انْسَابَ ما بَيْنَ النُّجُوم يَكادُ أنْ — يُذِيبَ سَناها ، ثُمَّ يَعْصِرُهُ عَصْرا

* * *

(سُعُودِيَّةٌ) ، سُلْطَانُها في جَلالِها — إذا ما سَرَتْ يَحْلُو لِرُكَّابِها المَسْرَى
بِها (كِلْمَةُ التَّوحِيد) ، عَوذَةُ عَائِذٍ — بِحافِظِ (مَرْسَاها) عَلَى القَاعِ و(المَجْرى)
تَخافُ (عفاريتُ) السَّماواتِ نُورَها — فَتَصْعَقُ مِنْهُ ، حِينَ يَمْلَؤُها ذُعْرا
ويُحْرِقُها حَرُّ اللَّظَى مِن شُواظِها — إذا اسْتَرَقَتْ سَمْعاً ، أو اسْتَنْكَرَتْ ذِكْرا
أو اسْتَكْبَرَتْ عَنْ أنْ تُسَبِّحَ بِاسْمِهِ — وَتَسْجُدَ لِلْعِلْمِ الَّذِي يُبْطِلُ السِّحْرا

* * *

صُقُورُ شَبابِ العُرْبِ ، في الجَوِّ حَلَّقُوا — لَهُمْ في السَّماواتِ الطِّبَاقِ بِها مَسْرَى
يَجُوبُونَ أجْواءَ الفَضَاءِ كَأنَّهُمْ — أشِعَّةُ شَمْس ، حِينَما انْتَشَرَتْ ظُهْرا
عَلَى كُلِّ رَعَّادِ الجَناحَيْنِ نارُهُ — لَهِيبُ البَراكِين ، الَّتِي زَفَرَتْ زَفْرا
رَأيْتُ فَتًى مِنْهُمْ ، يَقُودُ (بُراقَنا) — كَأنَّ بِكَفَّيْهِ ، وَقَدْ قَادَهُ سِحْرا
تَعالَى عَلَى (جنبو) ، تُدَمْدِمُ تَحْتَهُ — كَما الرَّعْدُ ، فِيها العِلْمُ تَحْمِلُهُ وَقْرا
تَطاوَلَ مِنْ فَوْقِ السَّحابِ جَناحُهُ — يَمِيلُ بِهِ يُمْنَى ، وَيَهْوِي بِهِ يُسْرا
تَعالَى ، إلى أنْ كادَ يَسْتَلِمُ السَّمَا — ويَنْثُرُ مِنْها النَّيِّراتِ بِها نَثْرا

* * *

دَخَلْتُ عَلَيْهِ في عَرِينِ قِيادِهِ — فَأَلْفَيْتُهُ، مِنْ خَلْفِ مِقْوَدِهِ صَقْرا
تُحِيطُ بِهِ الآلاتُ ، واللَّيْلُ مُظْلِمٌ — تُحَيِّرُ مَنْ لا يَدْرِ مِنْ أمْرِها ، أمْرا
تَدِبُّ دَبِيبَ النَّحْلِ فِيها عَقارِبٌ — تَراءَتْ بِها ، خَضْرا ، وحَمْرا ، أوْ صَفْرا

من أجل عينيك !!

شعر : عبدالله بلخير

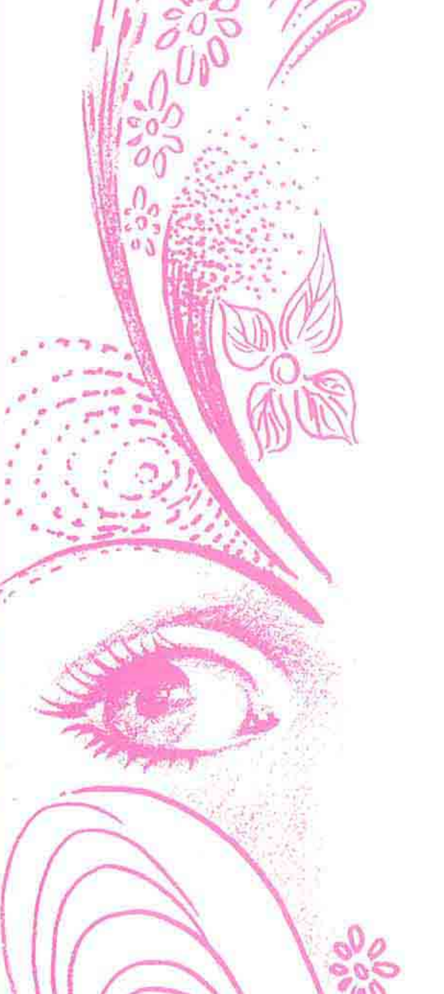
مَحاجِرُها ، غصَّتْ بِها في وَمِيضِها   تُضِيءُ ، كأضْوَاءِ الحُبَاحِبِ في صَحْرا
يَدُورُ عَلَيْها طَرْفُهُ ، مُتَفَحِّصاً   وَيَرْنُو إلى (الرَّادار) ، وهْوَ بِهِ أدْرَى
يُرِيهِ زَوايَا الأرْض ، وهْوَ مُرَفْرِفٌ   عَلَيْها ، وَدُنْيا مِنْ عَوالِمِها الأخْرَى

★ ★ ★

فَتًى مِنْ بِلادِي ، وابْنُ قَوْمِي ، وأُمَّتِي   ألا سَلِمَتْ أُمٌّ ، سَقَتْهُ العُلَى دَرًّا
أُسَائِلُهُ ؟ مِمَّنْ فَتَانا ؟ ، فَقَالَ لِي   بِزَهْوٍ : مِنَ (البَدْوِ) الأُلى غَلَبُوا (الحَضرا)
فَقُلْتُ أَمِنْ عَدْنانَ ؟ ، قَالَ أنا أنْتَمِي   إلى كُلِّ فَخْذٍ ، في (جَزِيرَتِنا) ، الخَضْرا
وَسِيَّانَ عِنْدِي (البَدْوُ) و (الحَضَرُ) ، كُلُّهُمْ   قَبِيلِي ، أَمِنْ (قَحْطانَ) أمْ (مُضَرَ الحَمْرا)
أنا حَضَرِيُّ الدَّار ، لَكِنْ مَوْلِدِي   بِإحْدَى الرِّمالِ السَّافِيَاتِ ، مِنَ الغَبْرا
لِجَدِّي عَلَى كُثْبانِها الحُمْر خَيْمَةٌ   تَرِفُّ بِها أطْنابُها ، الصُّبْحَ ، والعَصْرا
يُشِبُّ بِها (نارَ القِرَى) ، فَيَؤُمُّها   السُّراةُ ، فَيَلْقَوْنَ الكَرامَةَ والبِشْرا
دَرَجْنا بِها ، نَحْبو ، ونَمْشِي ، سِرَاجُنا   بِها نارُ جَدِّي في مَفازاتِها القَفْرا
إلى أنْ تَلَقَّتْنا (المَدارِسُ) في القُرَى   بِأنْوارِها ، أمْسَتْ بَداوتُنا تَقْرا
وَمِنْ ثَمَّ ، سَالَتْ بـ (الرُّعاةِ) مَناكِبُ (الـ   جَزِيرةِ) ، نَحْوَ (الجامِعاتِ) ، بِهِم تَتْرَى
يَعُبُّونَ مِنْ (نُورِ الحَيَاةِ) ، وهَا أنا   مِثالُ (فَتَى العَصْرِ) الَّذِي تُنْجِبُ (الصَّحْرا)
رُوِيتُ مِنَ (العِلْمِ) الَّذِي فاضَ خَيْرُهُ   عَلَى (العُرْبِ) ، حَتَّى أصْبَحَتْ أرْضُهُمْ خَضْرا
وأخْرَجَهُمْ لِلنُّور ، مِنْ ظُلَمِ الدُّجا   وأبْدَلَهُمْ مِنْ بَعْدِ عُسْرِهِمُ ، يُسْرا
فَأَصْبَحْتُ (طَيَّاراً) ، وقَدْ كانَ (وَالِدِي)   و (جَدِّيَ) ، (جَمَّالَيْنِ) ، في عِيشَةٍ عُسْرَى
أَقُودُ (بَعِيرَ الجَوِّ) ، وهْوَ كَما تَرَى   (بُراقِي) الَّذِي يَسْرِي ، (فَسُبْحانَ مَنْ أسْرَى)
فَأَطْوِي بِهِ في سَاعَةٍ ، ما بِمِثْلِها   تَجُوبُ المَطَايا ، مِنْ مَفازاتِها شَهْرا
أَهُزُّ بِهِ (أرْضَ العُرُوبَةِ) كُلَّها   فَتَصْحُو ، وتَمْشِي ، نَحْوَ (وَحْدَتِنا الكُبْرَى)

★ ★ ★

تَبَسَّمْتُ ، مَزْهُوًّا بِما قَالَهُ الفَتَى   وَهَزَّ كِيانِي ، ما أشادَ بِهِ ذِكْرا
وَكِدْتُ مِنَ الشَّجْوِ الَّذِي قَدْ أثارَهُ   أُقَبِّلُ ، في عِرْنِينِهِ ، البَدْوَ ، والحَضْرا
رَأيْتُ بِهِ (صَقْراً) ، سَرَى بِي مُحَلِّقاً   مِنْ (أُمِّ القُرَى) ، يَطْوِي بِنا السَّهْلَ والوَعْرا
طَوَى مِنْ شَمارِيخِ (السَّرَاةِ) هِضابَها   وأَلْوَى بِما قَدْ طالَ مِنْ (آسيا الصُّغْرَى)
وَزَمْجَرَ فَوْقَ (الألْبِ) ، تَهْتَزُّ تَحْتَهُ الذُّ   رَى ، وهُوَ مِنْ عَلْيَاهُ ، يَرْمُقُها شَزْرا



وَمالَ بِنا فَوْقَ المُحيطِ، فَجازَهُ ... كأنْسام فَجْرٍ، لا يُحَسُّ لَها إسْرا
وحَطَّ، عَلَى (نيويورك) كالرِّيح إذْ جَرَتْ ... عَلَى الماءِ، رَهْواً، لا يُحَسُّ لَها مَجْرَى
وأمْسَتْ رُبَى (كورْنيل) مِنَّا كأنَّها ... مِنْ (أُمِّ القُرَى)، وادي (الحَوية) أوْ (شُبْرا)
نَزَلْنا بِها كالمُزْنِ، لامَسَ رَوْضَةً ... فَفاحَتْ بِها أزْهارُ أغْصانِها عِطْرا

★ ★ ★

و(كورنيل)، في (حَفْلِ التَّخرُّج)، مَوْسِمٌ ... إلَيْهِ بَدا (مِعْراجُنا)، ولَهُ (الإسْرا)
تَجَمَّعَ فيهِ (النّاجِحُونَ)، كأنَّهُم ... بـ(أروابِهِمْ)، لَمّا أطَلُّوا بِهِ فَجْرا
مَشَوْا في جُموعٍ، كالمَجَرَّةِ، أشْرَقَتْ ... بِهِمْ، جَنَباتُ الحَفْلِ، قَدْ نَفَرُوا نَفْرا
فَقَلَّبْتُ طَرْفي في الجُمُوعِ، لَعَلَّني ... أرَى (ابْني)، فِيهِم، مِنْ أساريرِهِ السَّمْرا
فَلاحَ لَنا، عالي الجَبين، تَماوَجَتْ ... (ذُؤابَتُهُ)، مِنْ حَوْلِ جَبْهَتِهِ الغَرَّا
يَسِيرُ كَما سارَ (اللِّوا) في جَحافِلٍ ... أو (البَدْرُ)، يَسْري ما بَيْنَ أنْجُمِهِ الزُّهْرا
تَحُفُّ بِهِ الأنْظارُ، تَرْنُو، قَريرَةً ... إلَيْهِ، فَيَزْهُو (والداهُ) بِها شُكْرا
تَسَلَّمَ مِنْ يُمْنَى (الرَّئيس) (شَهادَةَ النَّـ ... جاحِ)، وأوْمَى لي بِها، وبِها (البُشْرَى)
وأحْنَى جَبِيناً، كالتَّحِيَّةِ، مُومِياً ... إليَّ بِها، فاضَتْ مَلامِحُها بِرَّا
فَمَسَّتْ عُرَى قَلْبي، فَهاجَتْ عَواطِفي ... فَأمْسَتْ (سُوَيداءُ الفُؤادِ) بِها سَكْرَى

★ ★ ★

فَيا مَنْ رَأى قَلْباً يُصَفِّقُ لابْنِهِ ... وعَيْنَيْنِ، تَبْكي، في مَسَرَّتِها، كِبْرا
تَرَنَّحْتُ أمْشي نَحْوَهُ، باسِطاً لَهُ ... ذِراعَيَّ، في زَهْوٍ، أتِيهُ بِهِ فَخْرا
أضُمُّ عَلَى قَلْبي حَنَاياهُ لاثِماً ... بِمَفْرِقِهِ، ما قَدْ تَعالَى بِهِ قَدْرا
وأجْهَشَتِ (الأمُّ الحَنُونُ)، بِجانِبي ... ولَمْ تَسْتَطِعْ مِنْ عِظَمِ فَرْحَتِها صَبْرا
فَأسْبَلَتِ الدَّمْعَ الغَزيرَ، وقَلْبُها ... يُصَفِّقُ، مِنْ فَرْطِ الجَوَى، ومِنَ الذِّكْرَى
فَمَنْ مِثْلُها في الأمَّهاتِ، فإنَّهُ ... لَيَوْمُ مُناها، يَوْمُ فَرْحَتِها الكُبْرَى

★ ★ ★

فَيا سَبأي، يا مَنْ مَلأتَ جَوانِحي ... ضِياءً، ويا مَنْ قَدْ جَبَرْتَ بِها كَسْرا
ويا مَنْ تَهادَى في الصُّفُوفِ كأنَّهُ ... وقَدْ سارَ فِيها، في كَواكِبِها، بَدْرا
رَفَعْتَ جَبِيني، يَوْمَ أعْلَيْتَ هامَتي ... وَزِدْتَ عَلَى عُمْري المُقَدَّرِ لي، عُمْرا
وأنْتَ عَلَى (العِشْرين) ما زالَ عابِقاً ... عَلَيْكَ نَدَى فَجْرِ الحَياةِ بِها نَشْرا
تَحُثُّ الخُطَى، نَحْوَ الرُّجولَةِ، وهْيَ في ... مُحَيّاكَ، لِلْمَجْدِ الجَديرِ بِهِ (طُغْرَى)

★ ★ ★

رَكِبْتُ الهَوا، مِنْ أجْلِ عَيْنَيْكَ والعُلَى ... جَديرٌ بِها أن أرْكَبَ الجَوَّ، والبَحْرا

★ جامعة كورنيل بمدينة إثيكا ولاية نيويورك — أميريكا ★

١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

رحلة في







تأليف :

روبن بيدويل

Robin Bidwell

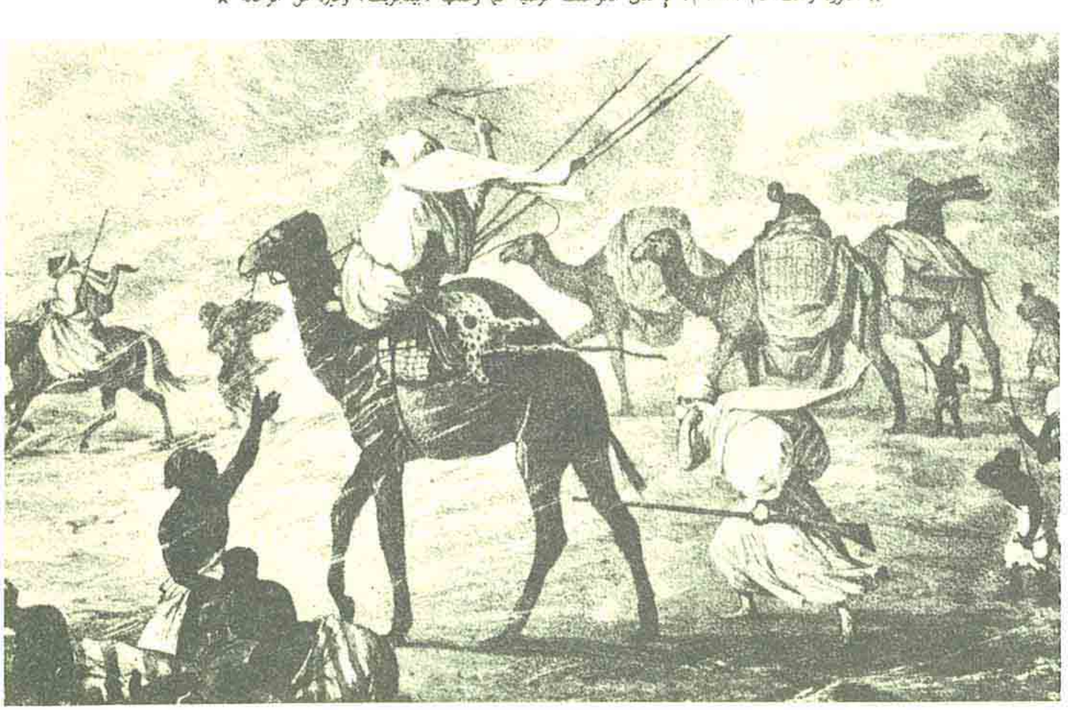
عرض وتحليل :

محمود علي

في المقدمة المختزلة لهذا الكتاب «**رحالة في شبه جزيرة العرب**» يأسف مؤلفه «**روبن بيدويل**» لأن الكتاب فيه «**ما لا يرضي أصدقاؤه العرب**».

وعذره في ذلك كما يقول «إنني لست سيد موضوعي . فدوري هو تسجيل تجارب هؤلاء الرحالة . أما عن رأيي الخاص فإنني أعلن بأن تجربتي الخاصة تختلف عن تجاربهم تماماً . ذلك **أني أحمل عظيم الاحترام للعبقرية الإسلامية . لقد استمتعت بصحبة الكثير من العرب من كل الطبقات . وعلى هذا فإنني على ثقة من أنهم على درجة كافية من النضج لإدراك هذا**».

★ صورة رسمت عام ١٨٢١م، لإحدى العواصف الرملية كما وصفها «بيلجريف» وغيره من الرحالة ★



المؤلف بهذه المقدمة يعتذر نيابة عمن سبقوه . فهو قد عاش تجربة تختلف تماماً عن تجارب الرحالة الذين يتناولهم الكتاب والذين دفعتهم ظروف عصرهم للتجوال واستكشاف جزيرة العرب لأسباب مختلفة كما سنرى أبعد ما تكون عن الموضوعية والحيدة . فقد قدم من عدن أربع سنوات (**١٩٥٥ ـ ١٩٥٩ م**) جاب فيها كثيراً من أقطارها . وفي عام ١٩٦٥ م ، التحق **بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة كمبردج** . . وكتب أكثر من مؤلف عن المنطقة .

ونحن أيضاً لن تصدمنا بعض فقرات الكتاب والتي جاءت على لسان بعضهم . بل إننا نضحك سخرية من بعضها لأنها لا تسيء إلينا بقدر ما تسيء لكاتبها الذي يكشف عن سطحية وهوى . في نفس الوقت نعترف بأن بعض ما جاء في كتاباتهم يلقي الضوء . . إن لم يكن الأضواء على جوانب مجهولة لم يتطرق إليها مؤلفون عرب عاشوا في نفس الفترة ، بل إن ميزة هذا الكتاب بالذات **أنه يضم بين دفتيه وثائق وخرائط وصور نادرة عن الكتب من المدن والمواقع** .

فلنلق نظرة طائر على الكتاب ـ كما فعل المؤلف في استشهاداته بالنصوص التي لجأ إليها ـ خاصة على أسماء الرحالة الأول الذين قد لا نعرف عنهم الكثير . فنحن نعرف عن « **لورانس** » أكثر مما نعرف عن « **بلجريف** » ونعرف عن « **فيلبي** » أكثر مما نعرف عن « **نيبور** » أو « **بيرتون** » و « **تبس** » و « **فارتيما** » .

ثلاثة رحالة .. في مكة

« **لو أنني سئلت عن السبب في رحلتي هذه فإنني لن أقول أكثر من أنها الرغبة الجامحة في المعرفة . وهي نفس الرغبة التي دفعت كثيرين غيري لمشاهدة العالم وعجائب الخالق . ولأن كثيراً من أجزاء العالم قد زارها غيري كان عزمي أن أزور وأصف هذه البلاد التي لا نعرف عنها الكفاية** » .

هكذا بدأ كتاب « رحلات **لويس فيرتمونيوس** . . أو « **لو دفيجو دي فارتيما** » أحد نبلاء مدينة روما » . ولقد نجح في هدفه فترك لأوروبا أول تقرير عن مناسك الحج .

غادر « **لو دفيجو** » البندقية في ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٥٠٢ م ، وبعد زيارة قصيرة **لمصر** زار **دمشق** حيث تعرف على ضابط من الجيش العثماني كان مسيحياً وأسلم ، واتفق معه على أن يصحبه إلى **مكة** ضمن قافلة الحجاج ، كانت القافلة على حد قوله مكونة من أربعين ألفاً ، وخمسة وثلاثون ألف جمل !! تحت حراسة ستين جندياً !! . ومن الواضح كما يقول مؤلف الكتاب أن « **فارتيما** » يملك روح عصر النهضة الإيطالي في التفاخر والمباهاة فهو فضلاً عن الأرقام التي ذكرها يصف معركة ضد البدو فيقول : « **لم نفقد من القافلة سوى جندياً واحداً وسيدة . . في حين قتلنا منهم حوالي ألفاً وخمسمائة ، ولا غرابة في ذلك لأنهم كانوا غير مسلحين . . وعراة تقريباً** » .

لم يكن اهتمام « **فارتيما** » أيضاً بالأماكن قدر اهتمامه بالغرائب فهو لا يتوقف كثيراً عند وصفه للأماكن المقدسة في **مكة والمدينة** في حين يخصص فصلاً بعنوان « **الحيوان وحيد القرن في مكة والذي لا يوجد في أي مكان آخر** » . . مع أنه يذكر أنهم قالوا له إنه هدية من ملك الحبشة ! .

بعد ذلك عزم على مواصلة رحلته دون الرجوع مع القافلة إلى دمشق واتجه إلى « عدن » بحراً من « **جدة** » . ومع وصوله إلى عدن بدأت متاعبه « قبضوا علي ووضعوا الأصفاد في قدمي ، وما إن علموا بأنني مسيحي حتى طالبوا بإعدامي كجاسوس . إلا أن حاكم المدينة لم يكن في سلطته أن يفعل هذا ، فتم ترحيلي إلى **سلطان اليمن** » . وهناك تظاهر بالجنون فأودع السجن . ويحكي قصة هروبه التي يكذبها صاحب هذا الكتاب قائلاً بأن الملكة أو السلطانة شاهدته من نافذتها فأعجبت به ومدته بالطعام .

وبهذا استطاع أن يحرضها على هروبه إلى عدن حيث استقل سفينة عدنية أبحرت به في مارس (آذار) من عام ١٥٠٤ م .

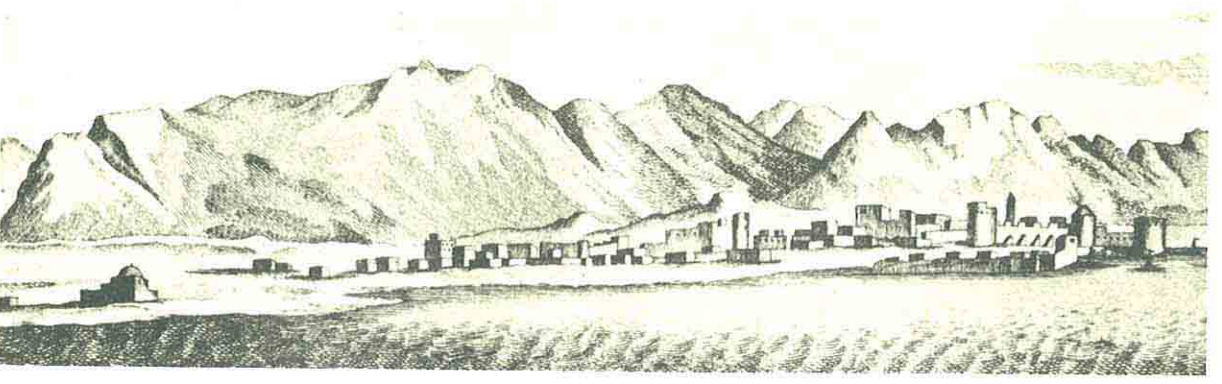
أي أنه عاش في المنطقة عشرة أشهر . ولن نذهب معه أكثر من هذا . . حيث مغامراته في فارس وأثيوبيا وموزمبيق ، يكفي ما سمعناه .

المهم أنه عاد إلى روما في شتاء عام ١٥٠٨ م ، حيث ظهر كتابه بعد ذلك وعليه إهداء إلى أمير إيطالي دون أن نعرف عنه أي شيء آخر .

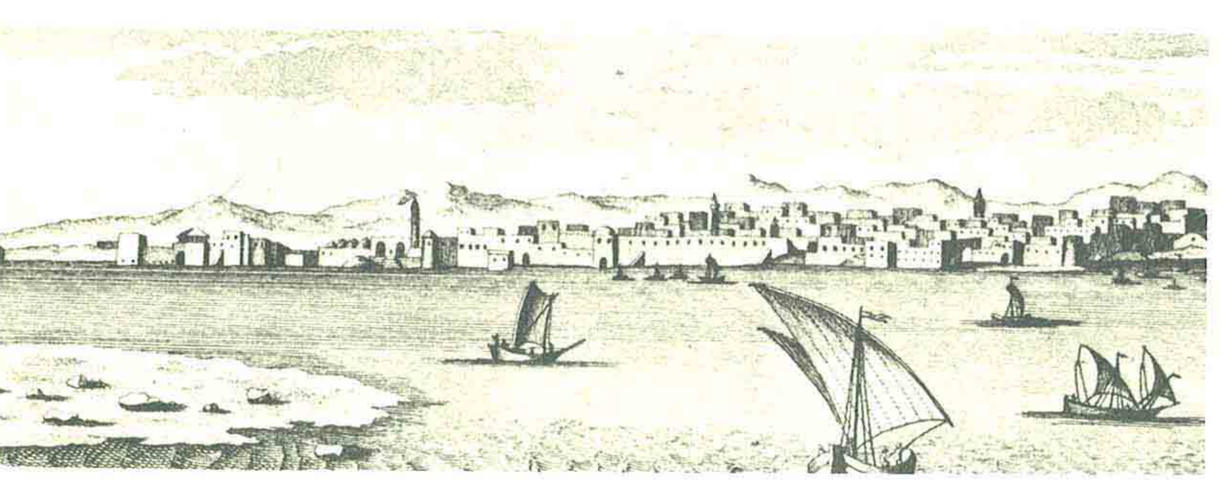
إن تقرير « **فارتيما** » كما يقول « **روبن بيدويل** » كتبه رجل

★ الرحالة « نيبور » . . كما جاء في كتابه « رحلة في جزيرة العرب » الذي صدر عام ١٧٧٦م ★





★ الصورة العليا رسم لميناء «ينبع» والسفلى لميناء «جدة» من كتاب رحلة «نيبور» عام ١٧٦٢م ★





★ بيرتون في طريقه إلى مكة .. بالزي العربي ★

مغامر .. لا يهتم كثيراً بالتفاصيل الطبوغرافية أو مناسك العبادة في مكة، لأنه لا يملك الخلفية التي تؤهله لمثل هذا. ومع ذلك فقد ظل ما كتبه هو كل ما عرفته أوروبا لمدة مائتي عام حتى ظهور كتاب «**جوزيف بتس**» عام ١٧٠٤م، وعنوانه «تقرير صادق لعقيدة وسلوك المسلمين .. مع تقرير عن وقوع المؤلف أسيراً في يد الترك وكيفية هروبه».

و«**جوزيف بتس**» من مواليد عام ١٦٦٣م، تعلم فنون البحر حيث وقع أسيراً في أولى رحلاته لأحد القراصنة الجزائريين حيث بيع كعبد في الجزائر، ثم انتقل من سيد لآخر أرغمه على اعتناق الإسلام. ولم ينقذه من قسوته إلا حين أعدم إثر تدبيره مؤامرة ضد الحاكم .. ليقع أسير سيد عجوز أعزب حظي منه بمعاملة كريمة .. ثم صحبه عام ١٦٨٥م، في رحلته للحج. ورغم أنه لم يعتنق الإسلام عن عقيدة إلا أنه يعترف بمدى تأثره بما شاهده.

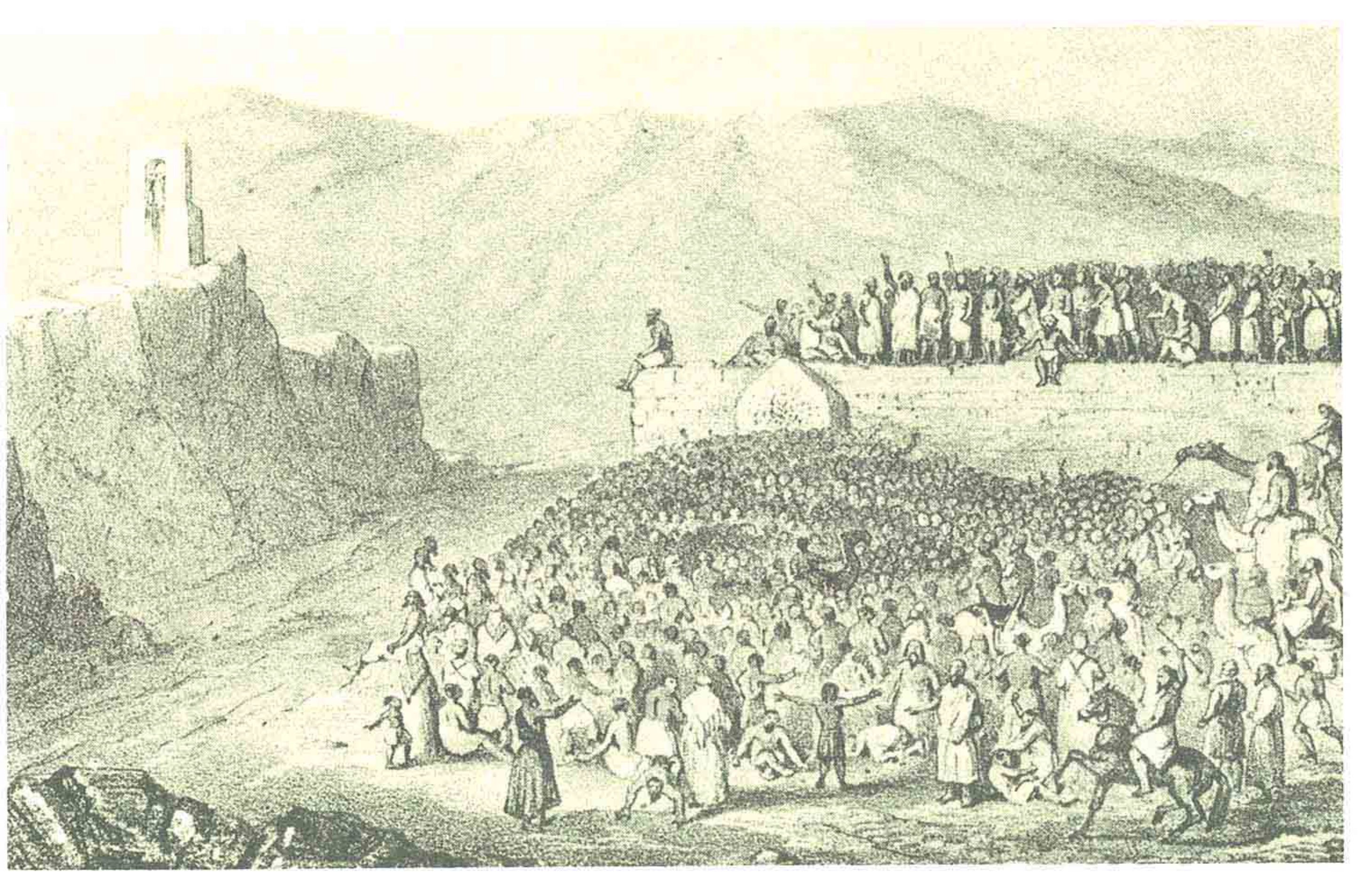
«**كان مشهداً ينفذ إلى القلب .. مشهداً يكفي لأسر كل هذه الآلاف في ثيابهم البسيطة التي تنم عن الزهد وقد تعرت رؤوسهم والدموع تبلل وجوههم .. متضرعين إلى الله أن يغفر ذنوبهم**».

وهكذا عاد «**بتس**» إلى الجزائر حراً بعد أن أدى فريضة الحج ليهرب بعد سبع سنوات ويلتحق بالجيش التركي ثم ليهرب منه بعد ذلك ويعود إلى إنجلترا عام ١٦٩٣م.

لقد عاش «**بتس**» في العالم العربي خمسة عشر عاماً كمسلم وشهادته موثوق بها .. ومع ذلك فيبدو أن ما كتبه ظل مجهولا للقراء فترة طويلة.

لقد رأينا كيف أن «**فارتيما**» ذهب إلى مكة في صحبة قافلة، والثاني «**بتس**» ذهب كعبد، أما الثالث وهو «**علي بك العباسي**» فسيذهب إليها كأمير ينتسب إلى الخلفاء الراشدين كما سنرى. ونحن لا نعرف عنه الكثير من كتاباته وهو أمر غير مألوف .. ففي مقدمة كتابه وبعد أن يستشهد بآية من القرآن بالعربية يقول: «**بعد أن قضيت سنوات عديدة في البلاد المسيحية لدراسة علوم الطبيعة والفنون التي لا غنى عنها لإنسان، عزمت أخيراً على زيارة بلاد المسلمين وخلال أداء فريضة الحج سوف أدرس عادات وسلوك وطبيعة البلاد التي سوف أمر عليها خدمة للوطن الذي اخترته مثواي الأخير**».

هكذا تبدأ رحلة «**علي بك**» بلا مقدمات لنجده في **طنجة** عام ١٨٠٣م. حيث قضى بها عامين خرج منها صديقاً للسلطان الذي أمده بكل ما يحتاجه. وفي طريقه للحج زار مصر والتقى **بمحمد علي باشا** حيث اتجه إلى **ميناء السويس** في ١٥ ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٨٠٦م، في صحبة قافلة مكونة من أربعة عشر جملاً وثلاثة خيول بعد أن ترك خلفه في القاهرة معظم ما يملكه، وبعد رحلة عاصفة في **البحر الأحمر** كاد يغرق فيها وصل إلى مكة في ٢٣ يناير/ كانون الثاني عام



★ رجم الجمرات رسمه «بيرتون» ★

١٨٠٧م، من منزل يجاور منزل «شريف مكة» كان قد أعد له قبل وصوله. بل إن الحاكم نفسه كان يصحبه في تجواله بالمدينة. وبهذا كان أول رحالة يعطي الغرب وصفاً علمياً دقيقاً عن مكة.. كان أيضاً أول من وصف تجارتها بل وحدد موقعها على الخريطة. وقد وجد أن معظم المدينة تحول إلى خرائب وتناقص عدد سكانها من مائة ألف إلى ستة عشر ألفاً.. ليس بها صناعة.. بل إن شريف مكة صحبه في موسم الحج ودعاه ليشاركه في حفل غسل الكعبة. وفي ٢ مارس/ آذار سنة ١٨٠٧م، غادر مكة إلى **جدة** ومنها إلى **ينبع** ميناء المدينة المنورة، حيث قرر زيارتها إلا أنه تعرض لكمين كما حدث مع «**بيرتون**» من بعده عاد بعده إلى ينبع، وحتى لا يتهم بالسحر تخلص من كل العينات التي كان يحملها من الحشرات والزهور كان قد جمعها أثناء رحلته. ومن «ينبع» عاد إلى مصر التي لم يمكث بها كثيراً بعد أن قرر العودة إلى أوروبا لتنتهي رحلته فجأة كما بدأها.. في رومانيا عام ١٨٠٧م.

فمن هو علي بك هذا؟. إن كتابه لا يشير إلى هويته بالمرة.. بل يتركنا أمام لغز اسم «**علي بك**». لكن من الراجح أنه **إسباني** من مواليد **برشلونة** حوالي عام ١٧٦٦م، واسمه الأصلي «**دومنجو باديا**». تعلم العربية والعلوم في الأندلس. وفي عام ١٨٠٢م، زار لندن وناقش مع الجمعية الإفريقية إمكان اكتشاف القارة، وبعد عام بدأ رحلته تحت اسم مستعار وثروة طائلة ويقال إنه كان يعمل لحساب الحكومة الإسبانية وإن كان الأرجح أنه كان يعمل لحساب **نابليون**، الذي كان اهتمامه بالعالم الإسلامي معروفاً، وقد عرفنا بعد ذلك بزمن قصير أنه كان يسبر سراً محاولة احتلال الشاطئ الجزائري بل وإقامة مستعمرة أوروبية في شمالي إفريقية لتموين جيوشه بالحبوب. وعندما دخلت فرنسا الحرب مع روسيا عام ١٨٠٥م، أعاد **نابليون** فكرة إحياء سياسته في الشرق الأوسط عن طريق بعثاته إلى تركيا وغيرها في محاولة الحصول على قاعدة له في «**مسقط**». وهي نفس الفترة التي غادر فيها «علي بك» المغرب في طريقه إلى الشرق، ومن كتاباته يتضح تماماً أنه مسح موانئ البحر الأحمر.

هذه هي الاحتمالات التي يقدمها «**بيدويل**» في محاولة للكشف عن لغز هذا الرحالة، وهي محاولات لا ترتفع إلى مرتبة اليقين الأمر الذي جعله يصل إلى القول **بأنه لا شك كان عميلاً في لعبة كبيرة لم يكشف عنها بعد**.

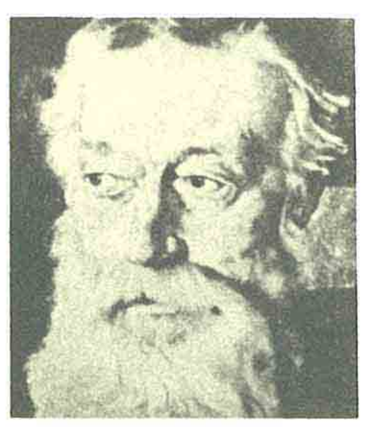
وعندما عاد استقبله الإمبراطور أكثر من مرة بل وعمل في خدمة «**جوزيف بونابرت**» ثم هرب من إسبانيا ليستقر في باريس ويعرف باسم الجنرال «باديا». ولم يعد إلى إسبانيا إلا عام ١٨١٨م، بعد أن منحته الحكومة الفرنسية الأمان المالي له ولأسرته، وشرع في العودة إلى مكة والانضمام لقافلة الحجاج الأفارقة أثناء عودتها عبر «**أثيوبيا**» و«**دارفور**» على أمل اكتشاف نهر النيجر حتى «**تمبكتو**».. إلا أنه مات في أغسطس/ آب سنة ١٨١٨م، بالقرب من دمشق، وترى



★ جوهان لودنبج ★



★ ريتشارد بيرتون ★

★ وليام جيفورد بيلجريف ★

★ مونتا جيودونس ★

المصادر الفرنسية أنه ربما قد مات مسموماً بواسطة المخابرات البريطانية .

ورغم الاختلاف الشديد بين هؤلاء الرحالة الثلاثة إلا أنهم كانوا يمثلون عصرهم تماماً . « **فارتيما** » .. بشوقه إلى اكتشاف عالم جديد مثير .. بينما كان « **بتس** » يعتقد أن كل الناس أفاقين فيما عدا الإنجليز .. أما « **علي بك** » بأسلوبه المنهجي العلمي فيبدو كإنسان عصري .

نيبور .. ورفاقه

كان « **فريدريك الخامس** » ملك الدانمرك الذي تولى العرش عام ١٧٤٦ م ، محباً للفنون ونصيراً للعلوم .. الأمر الذي جعله مقصد رجال العلم والفن . وكان من بينهم العالم « **جوهان ميخائيل جوتنجن** » الذي تركزت أبحاثه في الدراسات السامية . وكان من أوائل الذين نادوا بضرورة معرفة حياة وعادات القبائل التي جرت فيها أحداث التوراة ..

الأمر الذي يساعد على فهم التوراة وتصحيح الكثير من أحداثه وهو ما كان مجهولا حتى ذلك الوقت . حتى خريطة « **دانفيل** » للجزيرة العربية التي نشرت عام ١٧٥٥ م ، لا تظهر شيئاً فيما وراء سواحلها . وعلى هذا فقد اقترح « **ميخائيل** » على الملك بإرسال بعثة لاكتشاف **شبه جزيرة سيناء** .

وكانت المشكلة .. أنه لا يوجد من هو مؤهل لمثل هذا العمل . وكان عليه أن يختار فريقاً لتدريبه استغرق إعداده زمناً .

وفي يناير / كانون الثاني ١٧٦١ م ، كانت بعثته المؤلفة من ستة رجال في **ميناء كوبنهاجن** على أهبة الاستعداد لبدء الرحلة . كانوا كلهم من الشباب ، أكبرهم لا يزيد عن الرابعة والثلاثين وأصغرهم في الثانية والعشرين . كانت التعليمات إليهم أن يسجل كلاً منهم يومياته الخاصة بالرحلة .. « **وحذرهم بالابتعاد عن المغامرات النسائية !!** » في حين زودوا بمجموعة من الأسئلة شغلت ٢٣٥ صفحة معظمها يتعلق بالتوارة وأخرى بجيولوجية المنطقة وأسماكها وحيواناتها ونباتاتها وأمراضها . وكان أفراد البعثة مؤهلون لهذا لأنها جمعت أكثر من تخصص . من الدانمرك « **فون هيفن** » أستاذ اللغويات و« **كريستيان كرامر** » طبيب ، ومن السويد عالم الطبيعة « **بيتر فورسكال** » و« **بيرجرين** » .. خادم البعثة وجندي سابق ، ومن ألمانيا « **جورج فلهلهم بورنفيلد** » الرسام .. و« **كارستن نيبور** » .

كان « **نيبور** » بكل المقاييس أقل رفاقه تأهيلاً علمياً لمثل هذه البعثة ، كان من أسرة ريفية فقيرة . لم يبدأ تعليمه إلا في سن الثانية والعشرين ، التحق بالجيش الدانمركي ، وتعلم بعض العربية على يد أستاذه « **ميخائيل** » . لكن الأحداث سوف تثبت أنه كان أكثرهم حماساً ونشاطاً ومثابرة ! .

بعد ثمانية عشر شهراً كانت البعثة تضع أقدامها على **أرض الجزيرة العربية** . وبعيداً عن مغامراتهم .. بل ومشاجراتهم مع « **فون هيفن** » الذي اتهموه بدسه السم لهم .. فقد أنجزوا بعض المهمات الملقاة عليهم . عثر « **فورسكال** » على نباتات نادرة سرقها منه البدو بعد ذلك ، في حين قام « **نيبور** » بمسح **فرع رشيد** ووضع لنهر النيل خريطة دقيقة ، وحدد ارتفاع **الأهرامات** ! . وزار كلاً من « **فون هيفن** » و« **نيبور** » سيناء حيث عثروا لأول مرة على نقوش بالهيروغليفية .

وبعد رحلة شاقة عبر البحر الأحمر وصلت البعثة « **جدة** » حيث قضت فيها ستة أشهر .. لم تستطع البعثة أن تقترب خلالها من **مكة** ، وعبر قارب صغير أشبه بالبرميل وصلا إلى « **اللحية** » **باليمن السعيد** في ٢٩ ديسمبر / كانون الأول سنة ١٧٦٢ م ، حيث استقبلهم حاكمها استقبال النبلاء وأمدهم بالمال والطعام . وفي حين واجه « **فورسكال** » متاعب في مهمته استطاع « **نيبور** » أن يتجول في قراها ويضع خريطة لليمن ظلت من أفضل الخرائط التي وضعت لها قرابة قرن من الزمان .

كان الأهالي قد اعتادوا على الأجانب من خلال تجاراتهم « **إلا أن أفراد البعثة كانوا مثار ريبة ، فلم تكن مهمتهم التجارة بل دراسة الناس والمكان ، الأمر الذي زاد الشكوك نحوهم .. بل ظنوهم سحرة** » ! .

وفي « **المخا** » بدأت مع الجمارك أول المتاعب الحقيقية ، فقد شك رجالها فيما يحمله « **فورسكال** » من قنينات .. خاصة تلك التي وضع فيها الثعابين في الكحول ، ولم يعد الأمر مجرد شك .. بل يقين من الأهالي بأن هؤلاء المسيحيون قد جاءوا لتسميم المسلمين ! .

كان عليهم أن يهربوا بسرعة . وبالرشوة ومساعدة التجار الإنجليز أمكن لهم التخلص من هذا المأزق ومد فترة إقامتهم . في هذه الفترة سقط منهم واحد بعد مرضه بالملاريا هو « **فون هيفن** » . وبعد أيام من وفاته اتجهت البعثة إلى « **تعز** » أكبر مدن اليمن حيث استقبلهم حاكمها بالترحاب . وفي « **المخا** » سقط ثاني الفريق مريضاً وهو « **فورسكال** » في ٢٥ مايو/ أيار الذي توفي في « **بريم** » . . وأصبح « **نيبور** » قائداً للبعثة التي دخلت **صنعاء** حيث استقبلهم الإمام .

ووصف « **نيبور** » مدينة صنعاء بالجنة . . بأسواقها المكدسة بالبضائع من أوروبا والهند ومنازلها الأنيقة ، ومع أن الحاكم أصر على أن تبقى البعثة بينهم عاماً على نفقته الخاصة ، فقد كان من رأيهم الترحال فوراً بعد أن ملأ الخوف قلوبهم . . خاصة وقد سقط منهم اثنان وربما يلحقهم نفس المصير فتضيع جهود البعثة . هكذا أسرعوا إلى « المخا » بأمل اللحاق بإحدى السفن البريطانية المتجهة إلى الهند . والتي لم يصلوها إلا بعد مشقة بالغة وبعد أن سقط من أفراد البعثة « **بورنفيلد** » و« **بيرهين** » حيث لحقهما « **ترامر** » في **بومباي** ولم يبق من أفراد البعثة كلها إلا « **نيبور** » ! . وفي ديسمبر/ كانون الأول عام ١٧٦٤ م ، قرر العودة إلى بلاده . . إلا أنه في طريق العودة زار الخليج ووضع خريطة له . . ثم **البصرة** التي وصلها صيف عام ١٧٦٥ م ، ومنها إلى « **الموصل** » وكان أول أوروبي يزور مدينة « **النجف** » ومنها إلى « **سورية** » حيث وضع خريطة للقدس . وكانت « **القسطنطينية** » آخر محطة له في طريق عودته إلى كوبنهاجن التي وصلها في نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٧٦٧ م ، حيث استقبل باللامبالاة بعد وفاة **الملك فريدريك** . هكذا وجد « **نيبور** » نفسه أمام تركة مثقلة من المعلومات . وكان عليه أن يقوم بنشرها ويقدمها للعالم . . فوضع مؤلفاً باسمه بعنوان « **وصف جزيرة العرب** » وأخرج أعمال « **فورسكال** » مع رسومات « **بورنفيلد** » ، وهو الجهد الذي عرفنا الكثير عن البدو وعاداتهم . . وعرفنا كما يقول « **أنه من بين تاريخ شعوب العالم فإن العرب أعطوا العالم مثالا ونموذجاً للعراقة والبساطة** » .

إن كل من تبع « **نيبور** » من الرحالة يدينون له بهذا الفضل . . والقليل منهم من اختلف معه في بعض المعلومات الدقيقة التي قدمها للعالم الغربي ، فما كتبه كان بمثابة تقرير رسمي بعيداً عن الهوى لأنه كان ذا عقلية فلسفية وعلمية . وما نعرفه عن « **نيبور** » بعد ذلك أنه تزوج بعد سنوات قليلة من عودته وعمل محاسباً فترة ثم اشترى مزرعة مات بها سنة ١٨١٥ م ، عن اثنين وثمانين عاماً .

بوركهارت . . الرحالة المحترف

لم يكن هدف « **جوهان لودفيج بوركهارت** » زيارة الجزيرة العربية بل كان هدفه الوصول إلى مدينة « **تمبكتو** » لاكتشاف منابع نهر النيجر ، لكن الصدفة غيرت سيرة حياته فالتصق اسمه باكتشافاته في جزيرة العرب ، بل إن أهم اكتشافين في الشرق الأوسط هو صاحبهما . . وهما مدينة « **البتراء** » و« **أبو سمبل** » .

★ خريطة لشبه جزيرة العرب طبعت في باريس عام ١٦٨١ م ، ويلاحظ أن معظم الأسماء من الخيال ولا أساس لها من الصحة مما يكشف جهل أوروبا بالمنطقة ★

ومن الصعب إيجاز سيرة حياته هذه ، فقد عاش حياة عريضة حافلة بالمغامرات والغرائب ، كان مكتشفاً محترفاً من الطراز الأول ، أعد لرحلته إعداداً صارماً ، وكتاباته التي خلفها تخلو من الإثارة ، لأنه لم يدونها بنفسه ، ولذا ظلت هي أساس كل المعلومات عن المناطق التي زارها .

فمن هو بوركهارت؟

من مواليد ١٧٠٤ م ، والده كولونيل سويسري هاجر بلاده مع الغزو الفرنسي ، ودرس الابن في ألمانيا ثم إنجلترا حيث التقى بالسير « **جوزيف بانكس** » عضو الجمعية الإفريقية والذي كان قد تبنى عدة بعثات إلى النيجر انتهت كلها بموت مكتشفيها ، من هنا عرض عليه « **بوركهارت** » خدماته للوصول إلى **تمبكتو** مع قافلة الحجاج القادمة من مكة .

وقد تم الاتفاق . . على أن يتقاضى أجراً يومياً جنيه إنجليزي عن كل يوم . . أي حوالي ٢٠ شلناً ! .

وبدأ إعداده للرحلة ، التحق بجامعة كمبردج عام ١٨٠٨ م ، لدراسة اللغة العربية والطب وعلم الفلك وغيرها من العلوم .

وبدأ في إطلاق لحيته . . والنوم على الأرض . . والمشي لمسافات طويلة . . وقصر طعامه على الخضار فقط . . ثم سافر إلى « **مالطة** » منتحلاً شخصية طبيب هندي ، ومنها إلى **حلب** ، حيث عاش فيها عامين للسيطرة على لغته العربية وترجم أثناءها إلى العربية رواية « روبنسون كروزو » **ودرس الإسلام دراسة جادة وأسلم** . وذاع صيته كعالم حتى أصبح محل ثقة من العلماء المسلمين . . « حتى قاضي مكة اعترف بعلمه » كما يقول هو .

خلال هذه الفترة أيضاً تجول مع البدو وعاش بينهم كواحد منهم خاصة قبيلة « **عنيزة** » . ووصل في تجواله حتى « تدمر » و« نهر

«**الفرات**» ليضع بذلك أول دراسة في السلالات عن القبائل الرحل . كتب عن هذه الفترة يقول :

«**لقد عشت بين البدو أسعد أيام حياتي كما عشت بينهم أيضاً أحلك الأيام**» .

وفي فبراير / شباط سنة ١٨١٢ م ، بدأ يستعد لرحلته إلى **النيجر** عبر سورية ومصر التي وصلها في سبتمبر / أيلول . كان عليه أن ينتظر القافلة المتجهة إلى غرب إفريقية مدة ، فواصل مسيرته إلى أعماق نهر النيل آملاً أن يجد طريقاً له عبر «**النوبة**» .. وليكتشف بالصدفة **معبد أبو سمبل** . وإزاء وعورة الطريق عاد إلى «**أسيوط**» .

واغتنم الفرصة فانضم إلى قافلة الحج التي تقل جماعة من السودانيين والنوبيين .. خاصة وأنه بهذه الصفة ـ كحاج ـ سيتمكن من اختراق مناطق أغلبها مسلمون ، ومعه خطاب توصية من والي مصر الذي قدمه تحت اسم «**الشيخ إبراهيم بن عبد الله الشامي**» ومن «**شندي**» اتجه إلى «**سواكن**» .. ومنها إلى **جدة** عبر البحر الأحمر .. التي وصلها بعد أسبوعين من العذاب داهمه خلالها المرض وأصيب بالملاريا ، بل وجد نفسه بلا نصير بعد أن تخلى عنه مضيفه التاجر واضطر لأن يبيع عبده الذي كان قد اشتراه من «**شندي**» بثلاثة أضعاف ما اشتراه .. ليواصل الرحلة بثمنه .

كان قد قضى في «**جدة**» شهراً .. كتب فيه ما يزيد عن مائة صفحة من الملاحظات الوافية عن تجارة المدينة وعاداتها .. حتى أنواع التبغ . والكتاب للأسف لا يذكر لنا عن هذه الصفحات شيئاً في حين يذكر بتفصيل صفحة عن مؤونة **بوركهارت** من الدقيق والعدس والملح وغيرها مما حمله معه في رحلته إلى الحجاز !

وما إن وصل **الطائف** حتى نزل عند «**بوصيري**» طبيب الباشا الخاص الذي كان قد تعرف عليه في القاهرة ، ورغم حسن ضيافته إلا أنه شعر بأنهم ينظرون إليه على أنه جاسوس إنجليزي فأسرع بالسفر إلى مكة فوصلها في ٨ سبتمبر / أيلول سنة ١٨١٤ م .

وعن إقامته فيها يقول :

«**طوال رحلتي في الشرق فإنني لم أشعر بمثل الراحة التي أحسست بها في مكة . ولسوف أظل دائماً أتذكر فترة إقامتي فيها**» .

عن مكة أيضاً دون في مذكراته ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين صفحة لم يزد عليها من المعلومات من جاء بعده من الرحالة مثل «**بيرتون**» . لقد أحب سكانها ووجد فيهم الذكاء والشجاعة وكرم الضيافة .. لم يكره فيها سوى الأدلاء الذين كانوا يعيشون على خدمة الحجاج . ووصف مسجدها وصفاً دقيقاً حيث تجول فيه خلال **ليالي شهر رمضان** «**حيث تتلألأ في جنباته الأنوار ويهب نسيم عليل بعد يوم حار من الصيام**» .

ومن **مكة** ذهب إلى **المدينة** في أسبوعين .. وككل رحلاته وبعكس الآخرين ، لا يذكر أي أحداث صادفته في الطريق سوى الارهاق الذي حل به . فطوال الثلاثمائة ميل لم يجد مكاناً للراحة . وظل بالمدينة ثلاثة أشهر ، مرض فيها ثمانية أسابيع ، حتى ظن أن الموت يقترب منه جداً . ووصفه للمدينة ينقصه الدقة والشمول اللذين نجدهما في كتاباته عن مكة .

ومن **المدينة** اتجه إلى «**ينبع**» حيث واجه الطاعون وحيث اتهم بالكفر لقوله هذا «**فمن الشائع بينهم أن بلاد الحجاز لا تعرف مثل هذه الأمراض**» .

كانت **ينبع** آخر محطة في رحلته ، عاد بعدها إلى **القاهرة** في ٢٤ يونيو / حزيران .. بعد غياب سنتين ونصف . ورغم انهيار صحته فقد ظل منتظراً القافلة المتجهة إلى **تمبكتو** حتى اكتشف أن انتظاره سيطول فشغل نفسه بكتابة مذكراته حتى مات في ١٥ اكتوبر / تشرين الأول من عام ١٨١٧ م بمصر .

بيرتون .. رجل يكتب في كل شيء !

فيما عدا «**لورانس**» فإن شخصية **ريتشارد فرنسيس بيرتون** من أكثر الرحالة نشاطاً وتعدداً في الموهبة .. بجانب كونه كاتباً . كتب في موضوعات متنوعة .. في التعدين والثعابين والطب والهندسة وتسلق الجبال والدين . كتب رحلات في كل مكان في العالم .. فيما عدا أستراليا . فقد كتب عن إفريقية وحدها ثلاثة عشر كتاباً ، وظلت شبه الجزيرة العربية كما يقول «**أرضه المفضلة**» .

هجر أباه الجيش بعد مولده في سنة ١٨٢١ م ، وعاش حياة تجوال ، ونذر ابنه للكنيسة ، فهرب منها الابن .

وفي اكتوبر / تشرين الأول سنة ١٨٤٢ م ، وصل إلى «**بومباي**» للعمل في خدمة **شركة الهند الشرقية** حيث أظهر نبوغاً في تعلم اللغات . ويقال إنه كان يتعلم أية لغة في بضعة أشهر حتى أنه وقبل وفاته كان يجيد أكثر من ثلاثين لغة .

كان سلوكه غريباً وفوضوياً ، الأمر الذي جعله يشعر أن مستقبله في الهند قد انتهى ، فعاد إلى أوروبا .

كانت الكشوف الجغرافية في منتصف القرن التاسع عشر مثار اهتمام الناس .. كاكتشاف الفضاء هذه الأيام . وعلى هذا تقدم «**بيرتون**» إلى الجمعية الملكية الجغرافية يعرض خدماته عليها من أجل :

«**إزالة العار الذي لحق بنا .. باكتشاف تلك البقعة التي توجد على خرائطنا دون أن نعرف شيئاً عنها**» .

ويقصد بذلك **شبه الجزيرة العربية** .

كان هدفه أن يبدأ رحلته من «**مسقط**» ثم يخترق **صحراء الربع الخالي** إلى **مكة والمدينة** . وقد وجد التأييد من الجمعية الجغرافية والرفض من الشركة التي يعمل بها موظفاً نظراً لخطورتها . ثم عادت فرأت أن عليه بدلا من هذا أن يدرس اللهجات المحلية ، لم يكن لديه الوقت للإعداد ، ورأى أن من الأفضل له أن يذهب إلى المدينة أولا ومنها إلى مسقط ليعود إلى الهند قبل انتهاء إجازته . بالإضافة إلى زيارة شبه جزيرة سيناء وذلك بأمل ـ كما فعل بوركهارت ـ مزيد من الاكتشافات في

الأراضي الإسلامية واكتساب لقب «**حاج**».

في ابريل/ نيسان ١٨٥٣ م، بدأ رحلته متنكراً على أنه نبيل فارسي مسلم. وخلال شهر قضاه في مصر، رأى أن يتحول إلى درويش، ثم إلى طبيب أفغاني تحت الحماية البريطانية. ونزل في إحدى الوكالات، وحضر بعض المحاضرات الدينية في **الجامع الأزهر** حتى لا يقع في أي خطأ قد يكشف عن شخصيته عند وصوله «**مكة**». وفي «الوكالة» تعرف على ضابط ألباني في طريقه إلى بلاد الحجاز، ثم اختلف معه، فقرر الإسراع بالسفر مع أحد بدو سيناء، وفي الطريق تعرف على شاب من مكة اسمه «**محمد البسيوني**» لازمه في رحلته. وما إن وصل «**ينبع**» حتى قصد «**المدينة**» في ٢٥ يوليو/ تموز ١٨٥٣ م.. وقضى بها أكثر من شهر ووضع مجلداً كاملاً عنها بعد ذلك وصف فيها المدينة والشعائر الدينية التي شارك فيها.

وفي ١١ سبتمبر/ أيلول من نفس العام كان في «**مكة**» بصحبة رفيقه «**محمد**» حيث أدى فريضة الحج، وفي هذا يقول:

«**لقد شاهدت شعائر دينية لكثير من الشعوب.. لكنني لم أشاهد أبداً مثلما شاهدته هنا من خشوع ورهبة**».

وما كتبه عن الحج حافل بالملاحظات والهوامش ـ مثل كتبه الأخرى ـ ورغم ما فيه من تحيز وهوى فإنه لم يضف جديداً عمن سبقوه وإن تميز بحبكة السرد ورسم جو الإثارة أكثر منهم.

إن ما يعيبه كما يقول مؤلف الكتاب «**روبن بيدويل**» إنه كان يكتب كثيراً وسريعاً دون أن يضيف جديداً في المعلومات. ومعرفته الموسوعية عن الشرق لا تبدو تماماً إلا في ترجمته لكتاب «**ألف ليلة وليلة**» بحواشيه لأن موضوعه كان يناسبه تماماً.

لقد عاد «**بيرتون**» إلى المنطقة بعد ربع قرن وله مغامرات مع **الخديوي إسماعيل** وفي إفريقية ليس محلها هنا. يقول بعض نقاده إنه ولد قبل عصره.. ولكن الأصوب أن يقال إنه مواطن لا ينتمي لأي عصر، كان شرساً.. وفوضوياً، ولقد قال عن نفسه مرة «**إنني أملك كل المواهب فيما عدا استغلال مواهبي**»!!.

بيلجريف.. العميل الروائي!

يعتبر «**وليام جيفورد بيلجريف**» أحد أبناء أربعة لأب مشهور هو «**السير فرنسيس بيلجريف**». وبرز أبناؤه كل في ميدانه. إلا أن «**جيف**» كما كانوا يسمونه تخلى عن دراسته في **اكسفورد**، ومن عمله بالهند ليحقق أمنية حياته بالعمل في التبشير بين العرب، الأمر الذي جعله يدرس العربية ليقرأ ويتكلم بها كأحد أبنائها.

كانت أول مهمة تسند إليه أثناء الصراع الطائفي في **لبنان** بين المسيحيين والمسلمين والدروز الذي اشتركت فيه أوروبا وتركيا وبعثات التبشير للصيد في مائه العكر.. لكن من خلف الستار. وقد لعب **بيلجريف** دوره ببراعة مما جعل **نابليون الثالث** يختاره كعميل له لتنفيذ طموحه في السيطرة على العالم العربي.

وإن كان مؤهلاً للمهمة تماماً، إلا أنه لم يحقق الكثير في مصر لأن «**ديلسبس**» كان قد سبقه إليها.. والميدان مليء بالمغامرين. فاتجه إلى شبه جزيرة العرب في فبراير/ شباط سنة ١٨٦٢ م، في مهمة ما زالت مجهولة حتى الآن.

كانت وجهته «**نجد**» التي لا يعرف أحداً في أوروبا عنها شيئاً بل لم يدخلها أحد من الرحالة فيما عدا «**سارمر**» منذ ما يقرب من أربعين عاماً. كان «**بيلجريف**» معروفاً في سورية باسم الأب «**ميخائيل كوهين**» أو «الأب **ميخائيل** سهيل» فغير اسمه إلى «**سليم أبو محمود**» وانتحل صفة طبيب متجول ومعه شاب من مواليد لبنان سماه «**بركات**» بدلا من «**جريجوري**».

وكما يقول في مقدمة كتابه، كان هدفه من الرحلة:

«**هي الرغبة في عقد صلات بين نهر الحياة الشرقية الراكدة بتيار التقدم السريع في أوروبا**».

ومن الأردن تحرك الاثنان في ١٦ يونيو/ حزيران سنة ١٨٦٢ م، ومعهما ثلاثة من البدو.

إن من يقارن بين كتابي «**بيلجريف**» ومن بعده «**دوتي**» ليجد تناقضاً مبيناً حتى وكأن كلاً منهما يتحدث عن عالم آخر.

وعلى هذا فإن رحلته تخلو من ذكر الأخطار التي تعرض لها غيره.. إلا من حرارة الصيف. وفي «**الجوف**» أكرمه الأهالي وعرضوا عليه مشاركته في العمل.. إلا أنه فضل الانتقال إلى «**حائل**» حيث استقبله أميرها «**طلال بن رشيد**» الذي صادقه. ومع هذا يقول إن طلالا كان يشك فيه سراً كما اعترف له ولداه، فأعطاه رسالة موقعة باسمه وهو في طريقه إلى **الرياض** ليسلمها لـ **عبد الله بن فيصل بن سعود** يخبره فيها أنها من السحرة.. وهي تهمة عقوبتها الإعدام. وهي الرسالة التي احتفظ بها في جيبه ليدخل الرياض منتحلاً صفة أخرى كعادته حتى التقى **الأمير عبد الله**.

ويعترف بأن الأمير اكتشف شخصيته قبل رحيله ولم ينقذه إلا إحدى حيله ليرحل سريعاً إلى «**الهفوف**» حيث تركه خادمه «**بركات**» ليواصل الرحلة إلى **قطر والبحرين** والمحميات. لقد ظهر كتاب «**بيلجريف**» سنة ١٨٦٥ م، وهو كتاب مليء بالاخطاء والمبالغات، فحديثه عن لقائه **بالأمير عبد الله** ليس صحيحاً.. والكثير مما رواه لا أساس له من الصحة، فليس صحيحاً مثلاً أن عدد سكان **قطر** كان ضعف عدد سكان «**البحرين**»!. وما كتبه عن «**الهفوف**» من معلومات غير دقيقة. و«**فيلبي**» نفسه الذي زار نفس المناطق بعده يقول إنه لم يبعد عن «حائل». وأن بقية روايته محض خيال، وكما قال عنه **ت. لورنس** فيما بعد:

«**من المحتمل ألا نتوصل أبداً إلى التثبت من الحقائق التي أوردها، وعلينا أن نتقبل قول هوجارت من أن «بيلجريف» قام برحلته التي وصفها فعلاً والتي لم تكن تعني له سوى أنها مجرد قصة.. والقصة عمل فني يجب أن يدخل عليه عنصر التنميق والخيال حتى لا يفسد عنصر السرد**».







المسلمون في الصين

بقلم : د . محمد التونجي

كانت السيارة تسرع في عدوها ، عابرة الشوارع الرئيسية ، ثم إذا بها تتهادى شيئاً فشيئاً ، لتنعطف بنا إلى شارع طويل ضيق . ولما لمحت عليه مسحة الإسلام سألت مرافقي : « أعتقد أننا نمر بحي المسلمين » . فأجاب مندهشاً : « نعم ، وكيف عرفت » ؟ قلت : « السكينة والوقار .. ثم هذه القبعات الإسلامية البيضاء التي تحلي رؤوس المارين والبائعين » .

يدعى هذا الشارع « شارع البقر » ، لكثرة ما يَذبح المسلمون فيه أبقارهم على الشريعة . يقطن في هذا الشارع عدة آلاف من **المسلمين في بكين** ، وتتوسطه **الجمعية الإسلامية** ، ومستشفى خاص ، وبعض **المساجد** . فكيف بلغ الإسلام أقصى الشرق ؟ وكيف ثبت ثلاثة عشر قرناً ، رغم الأعاصير ؟

من الأحداث التاريخية العجيبة أن العام الذي عبر فيه **طارق بن زياد** مضيقه إلى الأندلس ، هو نفسه الذي طرق فيه **قتيبة الباهلي** أبواب الصين . ولكن العجيب أكثر أننا نعرف كل شيء عن فتوح العرب للأندلس ، من غير أن نعرف شيئاً يذكر عن دخول الإسلام إلى الصين .

والأكثر عجباً أن الأندلس اليوم خلت من وجود إنسان واحد مسلم وعربي ، في حين أن **الصين تحتضن اليوم ملايين المسلمين وآلاف المعتدين بأصلهم العربي .**

العرب في الصين قبل الإسلام

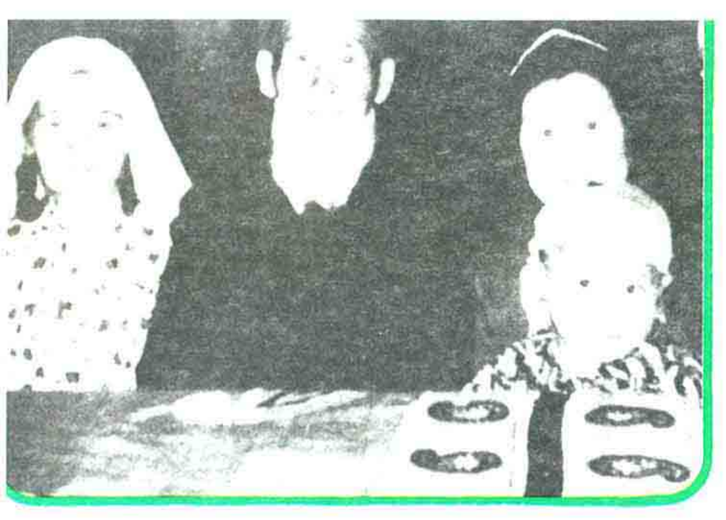
تؤكد بعض الآثار أن العرب كان لهم سبق في الوصول إلى بعض أطراف الصين . فقد جاء في كتاب « **المنقذ من الإيمان في أخبار اليمن** » : لما مات « **ناشر بن ينعم الملك** » تسلم الحكم بعده « **شمر أبو كرب** » ، فسار بجيشه شرقاً لا يصده صاد حتى أطراف الصين ، وحاصر إحدى المدن هناك ثم أمر بهدمها فسميت « **شمركند** » ، أي هدمها شمر ثم حولت إلى **سمرقند** . ويقال إن اسمها حُرِّف عن اسم **التُبَّع** « **شمر يَرْعِش** » المتوفي سنة ٣٠٠ م ، وخلفه « **تبع الأقرن** » فأعاد بناء سمرقند وسار شرقاً حتى توقف في مكان بنى فيه مدينة دعيت « **ثُبُت** » ثم حولت إلى « **تبَت** » . وقد ذكر دعبل الخزاعي كل ذلك شعراً :

وهم كتبوا الكتابَ بمرو ... وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سمَّوا قديماً سَمرقَنْداً ... وهم غرسوا هناك التُبَّتينا

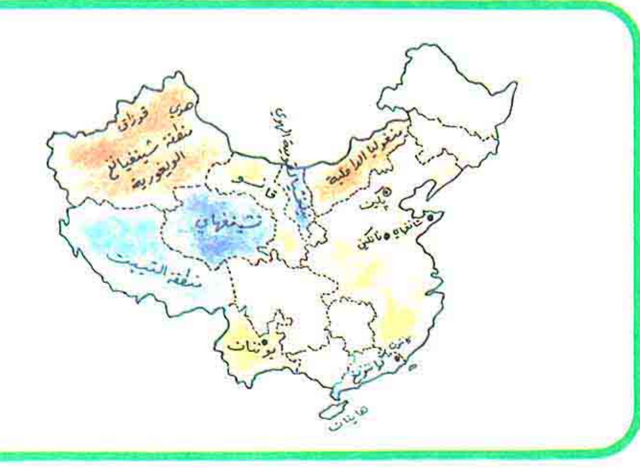
ويروي **أبو دلف رسول نصر الساماني إلى ملك الصين** ، فيقول : « ثم انتهينا إلى موضع يقال له (**القليب**) فيه بوادي عرب ، ممن تخلف عن تبع لما غزا بلاد الصين . يتكلمون بالعربية القديمة . . ويكتبون بالحميرية . . » وظل من يحكمهم يدعى « تُبع » حتى تغير الاسم إلى « خان » .

بواكير الإسلام في الصين

حرص المسلمون على نشر الإسلام في كل بقاع الأرض . ولو اكتفينا بما ذكر المؤرخون العرب عن صلات العرب بالإسلام لقلنا إن مؤرخينا يغالون حباً في دينهم . ولكن أن نقرأ التأكيد والتفصيل في كتب المؤرخين الصينيين القدماء والمحدثين ، ويثبته المؤرخون الغربيون ، فهذا ما يدعو إلى الإجلال والإكبار . فقد **أجمع الصينيون على أنهم عرفوا الإسلام**



★ عائلة ويغورية مسلمة ★



★ أهم المدن والمناطق التي ينتشر فيها المسلمون ★

منذ عام ٦٥١ م ـ ٣٠ هـ . ويؤكدون أن وفداً قدم في زمان رسول الله ﷺ وآخر في زمان عثمان رضي الله عنه . ويؤكد الخبر الباحث الأميركي « ماسون » في بحثه (دخول الإسلام بلاد الصين) .

أول من دخل الصين رسمياً

اختلفت الآراء في شخص أول من دخل الصين سلماً أو حرباً . ولكنهم اتفقوا على أن : **سعد بن أبي وقاص ـ ابن حمزة ابن عم الرسول ﷺ ـ سعيد بن عثمان بن عفان ـ قتيبة الباهلي** ، هم أول من دخلوا البلاد .

١ ـ **سعد بن أبي وقاص** : قيل إن سعداً قدم الصين ومعه ثلاثة من الصحابة وأربعون رجلاً . وأطلق الصينيون على سعد « وقاص بابا » أو « بابا الأول » ، وعلى الصحابة الآخرين « بابا الثاني » و « بابا الثالث » و « بابا الرابع » . ويقال إنهم شيدوا مسجداً **بمدينة كانتون** أطلقوا عليه « **جامع الذكرى** » وذلك عام ٦٢٠ م .

نحن نشك بقدوم سعد إلى الصين ، لأنه ولد سنة ٦٠٣ م ، وكان مشغولا في حياته بالجهاد . ولعل القادم شخص اسمه « وقاص » ، أو كان



★ مسجد في شنغهاي ★

القادم من قبل سعد وهو في العراق ، أو كان « وقاص » أحد التجار المشهورين واختلط الاسم على الناس . ويؤكد أحد المؤرخين أن « وقاصاً » قدم إلى الصين ثلاث مرات ، وقبره الآن في كانتون ، واسمه واضح على الضريح .

٢ ـ **ابن حمزة** : عثر أسقف روسي يدعى « **پالاديوس** » عام ١٨٧٨ م ، ببكين على مرسوم صيني مترجم عن أصل عربي نشره **العلامة الإنكليزي مورغان** ـ Morgan ـ في مجلة **ذي فونيكس** ـ The Fonix ، وفيه أن **ابن حمزة** قدم الصين بحدود ٦٣٢ م ، ومعه نسخة من القرآن الكريم وبصحبته عدد من الرجال . فأحسن الإمبراطور وفادته وسمح له ببناء مسجد يؤدي فيه المسلمون صلاتهم . وتتابعت بعده أفواج المسلمين القادمة من الشرق .

نحن نعلم أن رسول الله ﷺ أرسل بعوثاً تحمل رسائل إلى بعض ملوك العالم ، يحثهم فيها على الدخول في الإسلام . وقد اتفق المؤرخون على أسماء بعض الرسل ، ولكنهم اختلفوا في اسم الرسول إلى فارس ، ولم تذكر الآخرين . وإن اختلفت الآراء في شخصية الذاهب إلى الصين فإنها لم تختلف بالتأكيد على ذهاب أحد الصحابة إلى الصين . وإلا فمن أين جاءت هذه التأكيدات الصينية والغربية والعربية ؟

٣ ـ **سعيد بن عثمان بن عفان** : ولاه معاوية سنة ٥٦ هـ ، على خراسان . ففتح سمرقند . وقد مدحه **يزيد بن مفرغ الحميري** فقال :

فتحت سمرقند له ... وبنى بعَرْصتها خيامَه

٤ ـ **قتيبة بن مسلم الباهلي** : ولي الري في أيام **عبد الملك ابن مروان** . وفي أيام **الوليد** وثب لغزو ما وراء النهر . فتوغل فيها وافتتح : **خوارزم ، وسجستان ، وسمرقند ، وكاشغر ، والصغد وبخارى** . وغزا أطراف الصين . ويروى أن ملك الصين عندما بلغ قتيبة طرفان كتب إليه : أن ابعث إليَّ رجلاً منكم يخبرني عنكم . فاختار عشرة رجال وعلى رأسهم « هُبيرة بن مشمرج الكلابي » وقال له قتيبة : « قل لملك الصين إني حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم على ملوكهم وآخذ الجزية منهم » . وبعد جدال طويل قال الملك : « نحن نخرجه من يمينه ، ونبعث تراب أرضنا فيطؤه ، ونبعث له ببعض أولادنا فيختم عليهم ، ونعطيه الجزية التي يرضاها » . وفي هذا يقول **الشاعر سواد السلولي** يخاطب قتيبة :

ادى رسالتك التي استدعيته ... فأتاك من حنث اليمين بمخرج
لم يرض غير الختم في أعناقهم ... ورهائن دفعت بحمل سمرج



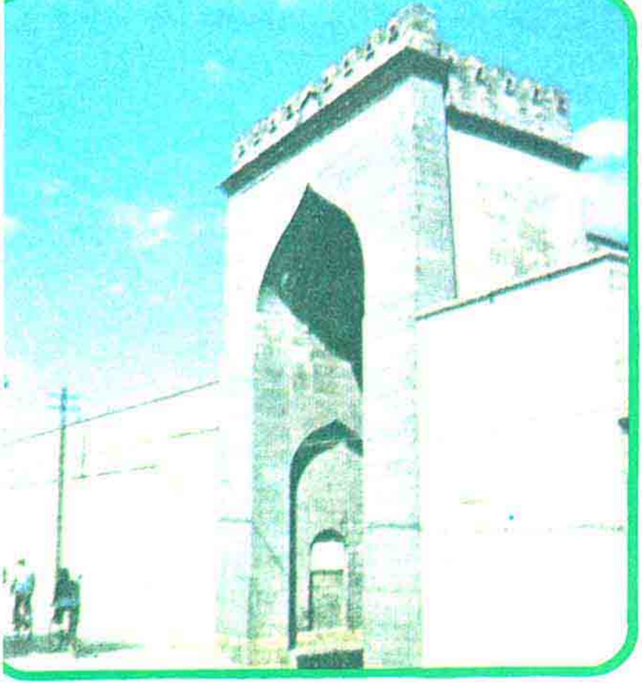
★ مبنى الجمعية الإسلامية في بكين ★



★ يتطلعان إلى نسخة من المصحف المطعم بماء الذهب ★



★ الشيخ «دينغ شيويه لي» في حقله ★



★ مسجد تسينغجينغ أقدم المساجد الإسلامية في الصين ★

وتوقفت حركة الفتوح بعد مقتل قتيبة سنة ٩٦ هـ، ولكن لم تتوقف زحوف المسلمين إلى الصين براً وبحراً. وفي زمان **أبي جعفر المنصور** استنجد أحد الأمراء الصينيين **بأبي مسلم الخراساني**، فأرسل له أحد القواد العرب. وفي **معركة «تالاس»** انتصر العرب في معركتهم، مما زاد من نفوذ العرب في الصين. وقد أشاد **المؤرخ الصيني «تانج شو»** بنجدة أخرى أرسلها أبو جعفر المنصور قوامها عشرون ألف جندي، كان لها الفضل في إنهاء دابر الفتن الداخلية. فازدادت مكانة العرب في الصين وتوافدت جموع التجار. واختار أغلبهم مدينة كانتون، فاختلطوا بسكانها. وهكذا تحول لون صفرتهم إلى سمرة، وقصرهم إلى طول واعتدال.

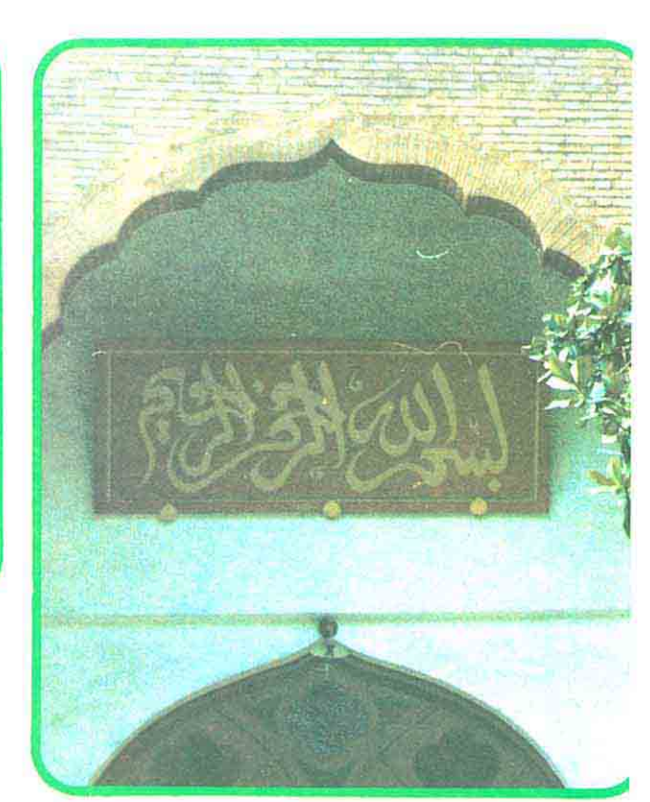
الإسلام يغزو قلب الصين

لم تكن الصين خالية من الأديان عندما استقبلت الإسلام. فقد كانت فيها **البوذية** منتشرة على نطاق واسع، وهي الديانة الرسمية للبلاد. ثم هناك الكونفوشية والتاوية والوثنية. وقبل ذلك كانت عبادة النجوم والأجداد. واستطاع الإسلام أن يحتل مكانته المرموقة بين هؤلاء الأقوام.

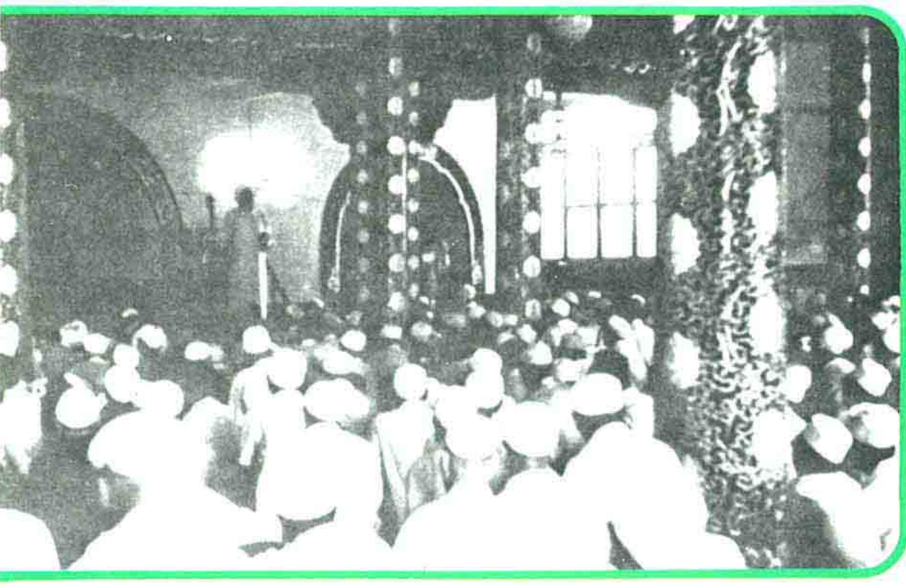
التوزع الإسلامي في الصين

ومما مر ـ وسيمر ـ نرى أن الإسلام مترسخ في الصين منذ فجر نشأته، وكما حددوه بأنفسهم منذ عام ٦٥١ ـ ٣١. وما زال الإسلام حتى اليوم ثابت الأركان في كثير من المناطق والقوميات. ففي الصين خمس وخمسون من القوميات. عشر منها إسلامية هي: هوي ـ ويغور ـ قازاق ـ أوزبيك ـ غرغز ـ تاتار ـ تاجك ـ سالا ـ رونغ شيانغ ـ باوآن، موزعة في كل أنحاء الصين تقريباً، ولكنهم يكثرون في المناطق الشمالية الغربية والجنوبية الغربية.

يزيد عدد المسلمين في هذه القوميات عن ثلاثين مليون نسمة حتماً. وتعتبر قومية «هوي» أكبر هذه القوميات الأقلية. ويرى بعض المؤرخين أن كلمة «هوي» عربية إسلامية، محولة عن (هو). وتعتبر هذه القومية هي الثانية في الصين من حيث العدد والمكانة، وقد



★ مدخل جامع كوانجو ★



★ مسلمون من الصين أثناء صلاة عيد الفطر ★



★ من علماء جامع كوانجو ★



★ التهنئة بالعيد تغمرها غبطة الفرحة عند كل مسلم ★

نشأت من خليط كبير من قوميات قديمة ، بما في ذلك الجالية العربية والفارسية . فحينما كانت الصلات الصينية التجارية واسعة مع مناطق الحجاز والخليج العربي ، كان عدد من التجار العرب والفرس يفدون إلى : **قوانغتشو ، وتشيوانتشو ، وقنجنفو** وغيرها . فتزوج كثير من هؤلاء بنساء صينيات ، واستقروا في الصين ، وتوالدوا فكان منهم قومية « هوي ــ Hui » .

ثم لما دخل **المغول** في القرن ١٣ م ، إلى الصين تزاوجوا مع القوميات الأخرى ، فتكون من الخليط ردف لقومية « هوي » وتكلموا اللغة الصينية مدموجة بكثير من الألفاظ العربية والفارسية . وما زال الهوي شيباً وشباباً مسلمين ، وأكثرهم يجيدون العربية أو يتشوقون إليها . ويلي قومية هوي في الأهمية قومية « ويغور » ويسكنون منطقة « شينغيانغ » . **ويتزاحم المسلمون في الشمال الغربي لأنهم أقرب إلى العالم الإسلامي براً ، وفي الجنوب الغربي لأنهم أقرب إلى الوطن العربي بحراً . وكلهم سنيون أحناف** ، وهذا دليل على أن الإسلام جاء عن طريق العرب أو عن طريق أفغانستان .

كيف دخل الإسلام إلى الصين ؟

اختلف دخول الإسلام إلى الصين عنه إلى الأقطار الأخرى . ونظراً إلى بعد تلك البلاد فإن المؤرخين لم يسجلوا هذه الخطوات . وما نعرضه الآن ليس خافياً بل مطوي في سجلات أقوام تلك البقاع . **وقد كان دخول الإسلام عن ثلاث طرق ، نسجلها حسب أهميتها وحسب تتابعها التاريخي :**

١ ــ طريق التجارة : تشاء الصدف أن يكون العرب والصينيون محبين للتجارة والمغامرة ، ميالين إلى تخطي مواقعهم بحثاً عن الكسب المادي . ولئن عرف الصينيون بلاد العرب براً عن طريق الحرير ، فقد عرف العرب الصين بحراً تجارة ودعوة . وكيف لا ؟ والبحر العربي كانت تجوبه السفن العربية شرقاً وغرباً ، وتؤمه السفن المحملة بأفضل ما عند العرب لتفرقها في شواطئ الصين ، ثم لتحمل ما تنتجه الصين لتفرغها في العواصم العربية وعلى رأسها **مكة** .

ونشطت البحرية العربية في صدر الإسلام ، وأخذت تتطلع إلى

الشواطئ واحداً تلو الآخر ، حتى توقفت في ميناء « تشيوانتشو » . ولقي العرب هوى في هذه المدينة ، فاستوطنها بعضهم وأسموها « تسيتون » ثم غدت « زيتون » . ويقول **ابن بطوطة** : « لما قطعنا البحر كانت أول مدينة وصلنا إليها مدينة الزيتون . وهذه المدينة ليس بها زيتون ، ولكنه اسم وضع عليها . . والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة » . وقد بلغ عددهم عشرة آلاف . ولقوا ترحاباً كبيراً من قبل السكان . فمثلاً انتخب « **أبو شوقي** » رئيساً لدائرة التجارة والملاحة فيها ، وتولى مقاليد التجارة الخارجية فيها مدة ثلاثين سنة . وتذكر مدوناتهم أن أحد التجار العرب امتلك ثمانين سفينة كانت تمخر عباب البحار ، ومركزه أحد موانئ الصين .

ولعل أبرز خبر سمعته أن المكتشفات الأثرية البحرية عثرت على سفينة في قاع البحر عام ١٩٧٤ م ، يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين ١٢ و ١٣ م . وقد عثر في مقصورتها على بعض منتجات الشواطئ العربية . كما عثر على لوح خشبي فيها حفر عليه اسم « علي » برهاناً على عروبة السفينة .

كما كشفت الآثار في مدينة « شيآن » على ثلاثة دنانير أموية سبكاً في مطلع القرن ٨ م . وتعد هذه الدنانير أقدم الآثار الإسلامية المكتشفة في الصين .

لم يكن نزول العرب في الشواطئ الصينية كنزول الدول المستعمرة ، ولا كهجوم القراصنة . بل كانوا تجاراً مسالمين ، ودعاة ناصحين . ولهذا لقي التجار العرب ترحاباً كبيراً من قبل الشعب ومن قبل الإمبراطور ، ومن حسن حظ الإسلام أن التجار كانوا صورة صادقة للمسلم الصادق ، لذا توافدوا على الإسلام يتعلمونه من التجار ومن رجال الدين الذين رافقوهم .

وكانت الحكومة تمنع عن التاجر المسلم الفساد ، ويقولون : لا نريد أن يسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادها . فإذا قدم التاجر المسلم إلى بلد في الصين خُيِّر بين النزول عند تاجر متوطن وبين نزوله في الفندق . فإن نزل في الفندق سلَّم ماله إلى صاحبه ، وعلى صاحب الفندق أن يشتري له ما يحب . ويقول ابن بطوطة : « وأما إنفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له إليه » .

ولم تكن (الزيتون) هي الميناء الوحيد الذي كان ينزل فيه العرب ، بل إن الشاطئ الصيني بطوله كان يعج بالتجار العرب والمسلمين ، ومنه تسربوا إلى قلب الصين .

وأبحرت السفن الصينية بالتالي إلى شواطئ بلاد العرب ، تحمل إليها الحرير والخزف والذهب والفضة والقصدير . وكانت **مكة وعدن وبغداد** مراكز بيعها بحراً ، كما كانت **دمشق وحلب والقاهرة** مراكزها البرية . وقد سجل عدد من البحارة الصينيين ما رأوه في البلاد العربية في مذكراتهم . فـ « **وانغ دا يوان** » انطلق عدة مرات بسفنه من « تشيوانتشو » . وحين استقر في وطنه ألف كتاباً بعنوان « **موجز عن جزر القبائل** » ، تناول فيه الحديث عن المناطق والدويلات الكائنة على



★ عروسان مسلمان ★



★ طفل مسلم يحمل الزهور في حفل زفاف ★

سواحل الخليج وشبه الجزيرة .

كما أن **البحار المسلم الصيني « تشينغ خه »** زار ثلاثين بلداً في الغرب بين ١٤٠٥ ــ ١٤٣٣ م ، كثير من هذه البلاد عربي . وفي عام ١٤٣٣ م ، حمل مسكاً وخزفاً إلى مكة ، ثم عاد بالبضائع العربية . وصور **الكعبة المشرفة** لأن الملك الصيني « يريد أن يطلع على ما يشوق الناس إلى دخول الإسلام ! » . وذكر أحد رجاله في كتابه أن : مكة في تلك الأيام مزدهرة اقتصادياً ، ووافرة المنتجات كالدخان والقمح والقرع





★ عجوز من «هوي» . . وبسمة الإيمان ★



★ وجه مشرق كله إيمان من هوي ★

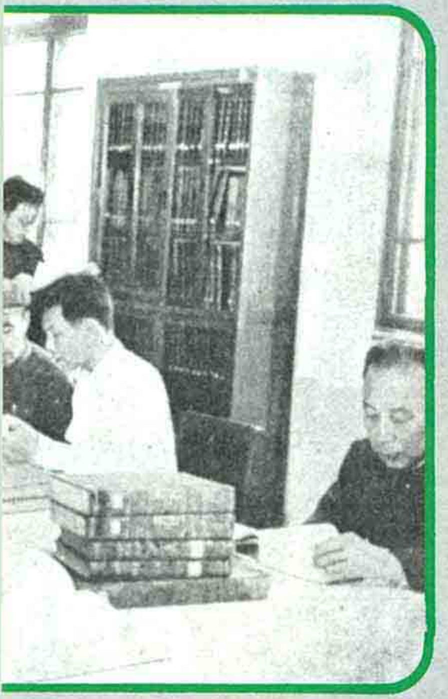


★ جيلان مؤمنان ★

والخضروات والبلح والرمان والكمثرى والخوخ (الدراقن) الكبير الحجم . وتكثر فيها الجمال والخيل والبقر والغنم والدجاج والبط والحمام ، بالإضافة إلى الحيوانات النادرة كالزراف والأسود والنعام والغزلان وكثير من العقاقير والأحجار الكريمة . . وهذا تسجيل رائع عن وضع مكة المشرفة في القرن الخامس عشر .

٢ ــ طريق العلاقات التاريخية : لم تتسم الاتصالات السياسية بين الصين والبلاد العربية بأية سمة عدائية . بل اتسمت بالعلاقات الوطيدة . وكان اسم أمير المؤمنين عندهم (هنسي مومونى) ، ويسمون **أبا العباس السفاح** (أبا لوبا) ، **وهارون** (آلون) . وكان العربي عندهم يدعى (تاشي) . والكلمة محرفة عن (تاجر) . وهذا دليل على أن العربي جاء إليهم ؛ أولا بصفة التاجر . والصينيون لا يلفظون الراء فصارت الكلمة (تاجي) ثم (تاشي) .

ويرى بعضهم أن الكلمة محرفة عن (تازي) الفارسية . ولهذا نرى ضرورة تحليل هذه اللفظة ، لنبين عروبتها . إن كلمة (**تازي**) يطلقها



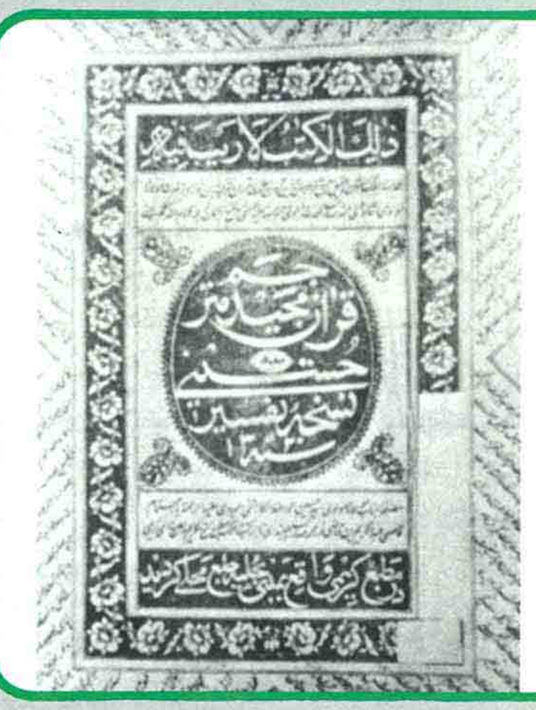
★ جانب من مكتبة الجمعية الإسلامية ★



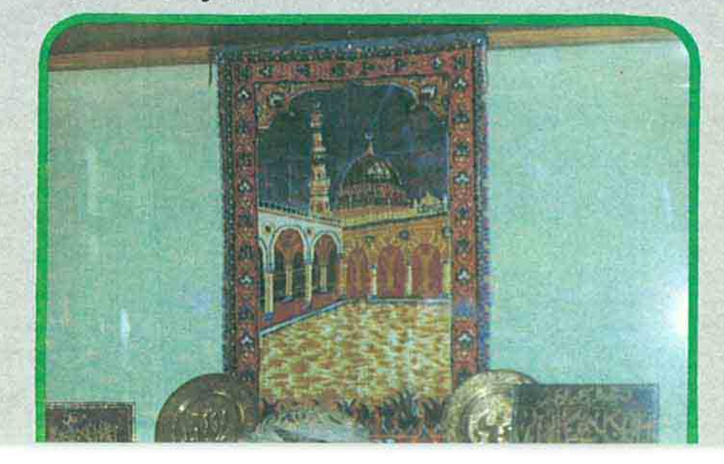
★ من هدايا المملكة العربية السعودية ★



★ من هدايا اليمن ★

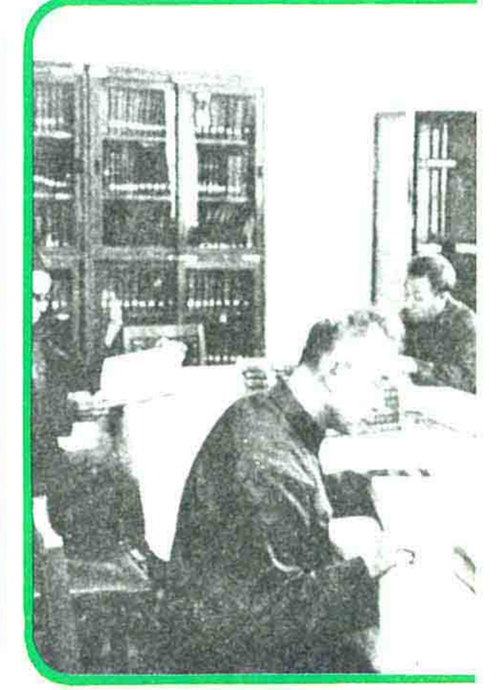


▲ ★ نسخة مفسرة من القرآن طبع بومباي ★



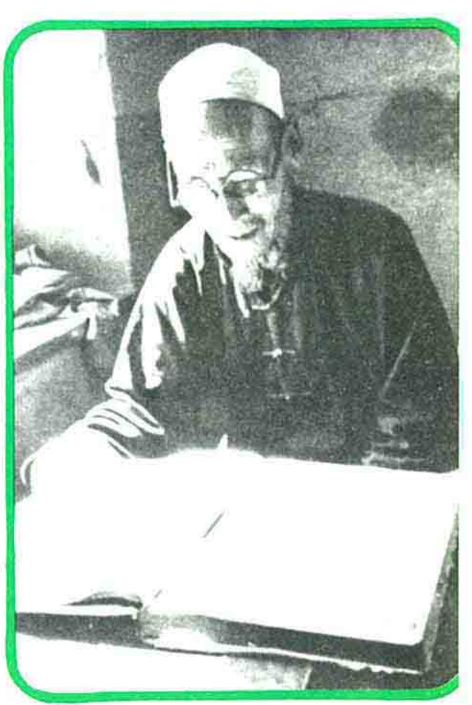
★ من هدايا أفغانستان ★ ▼

الفرس على العرب ، ومعناها في لغتهم (**المغير**) لأن العرب كانوا يغيرون على بلادهم . واشتقوا منها فيما بعد المصدر (**تاختن**) بمعنى الاغارة . والحقيقة أن أصل الكلمة (**طيء**) اسم القبيلة التي كانت مضاربها على أطراف الخليج . فأطلق الفرس اسم الجزء وأرادوا به الكل . وبما أن الطاء غير موجودة في لغتهم نطقوها تاء . ولدى النسبة إلى (تي) قالوا بلغتهم (تازي) ، تماماً كما نسبوا إلى (ري) فقالوا (رازي) . والمعنى الأول أقرب إلى الصواب ، والكلمتان عربيتان على أية حال .





★ من اليمين رئيس معهد اللغات ـ نائب الجمعية ـ إمام جامع بكين ★



★ الشيخ ماتيان تشانغ يطالع أحد كتب التفسير ★

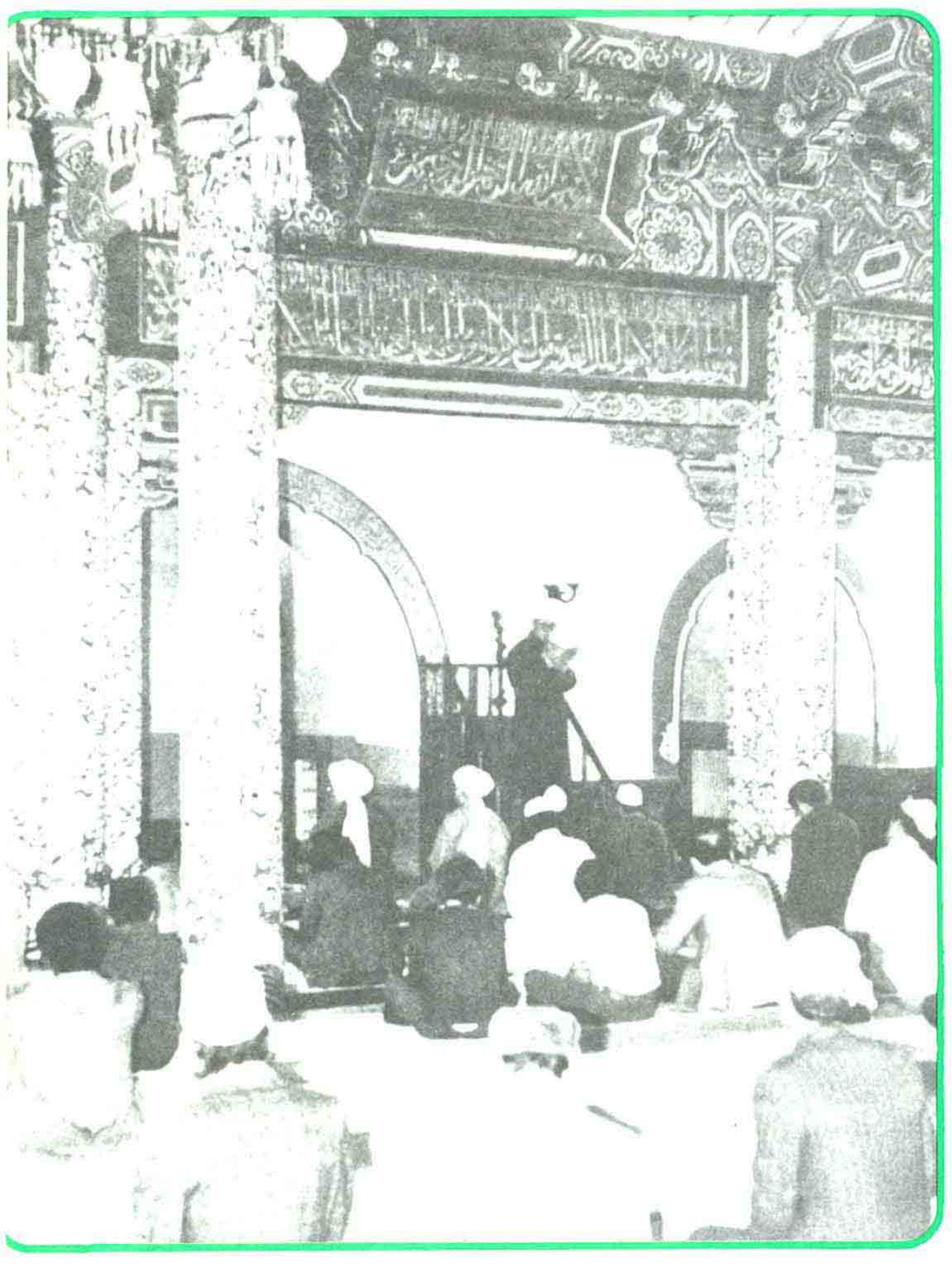


★ كاتب المقال مع الحاج قاسم الكاشغري ★

وكان يؤم الصين بعوث عربية كثيرة ، ولا سيما في **العصر العباسي** . فقد سجلت الكتب الصينية أن العباسيين أرسلوا سبع عشرة سفارة بين ٩٦٨ ـ ١٠٦٣ م . وكثيراً ما يميل بعض المرافقين إلى الاستيطان في بعض أنحاء الصين .

٣ ـ **طريق المغول :** قدم المغول إلى بلاد العرب كفاراً فاتحين بدءً من القرن السابع الهجري ، ثم عادوا إلى **الهند** وشمال الصين مسلمين ، محبين للعرب والعربية . عادوا إلى بلادهم ، وهم يحملون القرآن . ويرافقهم في عودتهم هذه علماء وجنود . . وكلهم مسلمون .

ولعل مما يلفت النظر ، ويدعو إلى الافتخار ، أن يلقى المرء في كل أنحاء الصين الإسلام والقرآن وألفباء القرآن منتشرة بفضل المغول منذ القرن ١٣ م ، حتى اليوم . . والغد . فقد تنبهت إلى وجود حروف عربية الأصل تزين قصور الأباطرة التي زرناها . فسألت عنها فأخبروني أنها ألفباء المغول . ولقد كتب المغول أول ما كتبوا تقريباً بالألفباء العربية . ولن ننسى أن عدد المغول المسلمين يعادل نصف المسلمين .

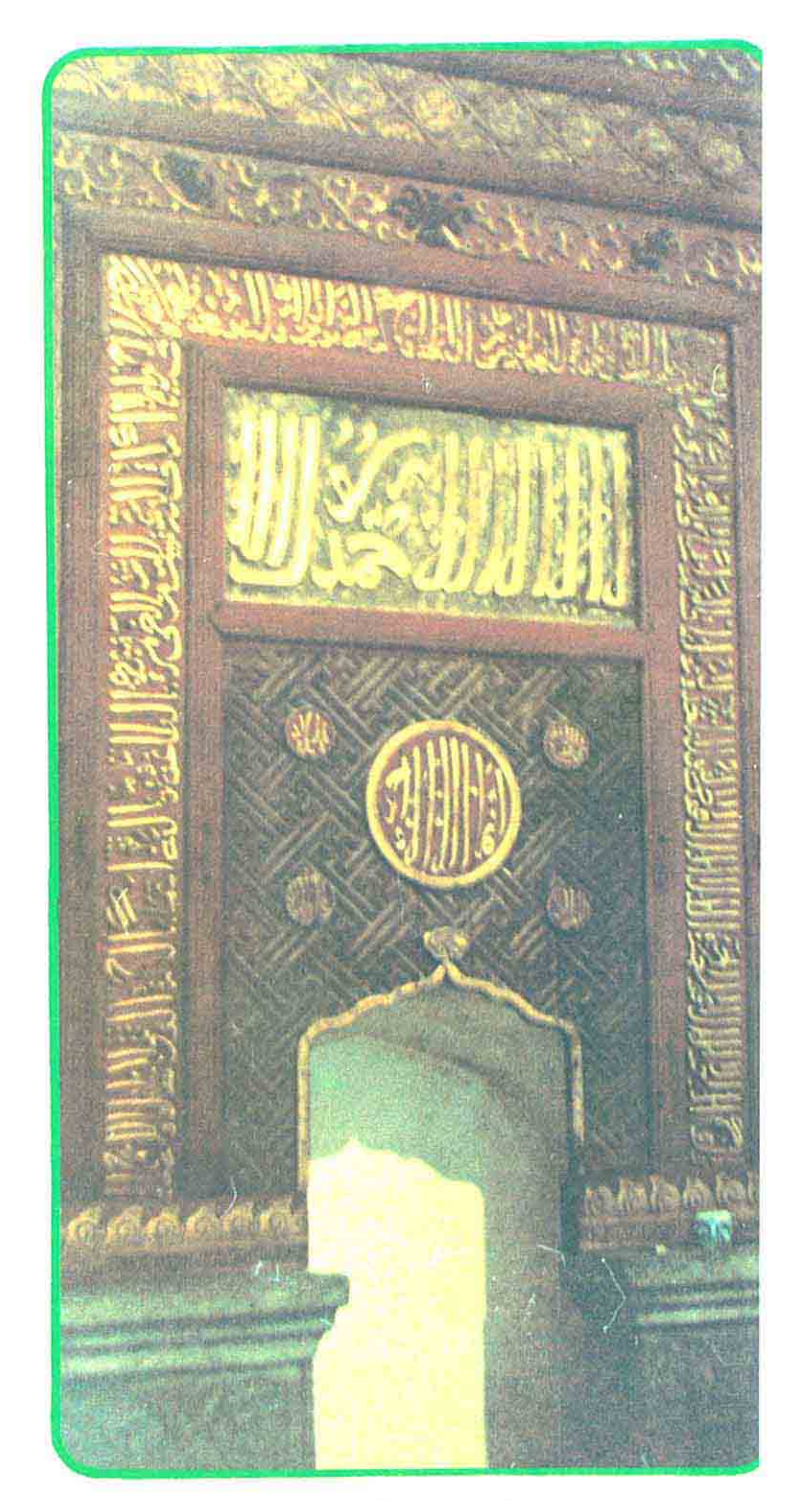


★ صلاة الجمعة في جامع دونغسي ــ بكين ★

ولقد أسس المغول أسرة «يوان» من ١٢٧١ ــ ١٣٦٨ م . وجعلوا عاصمتهم في بادئ الأمر كاشغر ، ثم طلب الإمبراطور المغولي إلى أحد المهندسين العرب ــ الموجودين في بلاطه ــ أن يجدد بناء بكين لتكون عاصمة له . واشترطوا فيمن يعين موظفاً في البلاط أن يتقن لغة المغول ، ويكون مسلماً . ولهذا وجدت في عصرهم ثماني ولايات من أصل اثنتي عشرة ولاية ، يحكمها ولاة مسلمون ، وبعضهم من أصل عربي كالسيد **عمر شمس الدين** الذي تولى ولاية «يوننان» ، هاجر من بخارى إلى الصين ، وجدّه من مكة المكرمة . وقد نشط التجار العرب في عصره ، وبنى اثني عشر مسجداً ، ما زال اثنان حتى اليوم .

مساجد المسلمين في الصين

في أيام العصابة الأربعة أغلقت أبواب المعابد كلها ، واستخدمت مخازن ومستودعات . ولقد حكى لي إمام **جامع شانغهاي** أن مسجدهم



★ محراب جامع هانكجو ★

ظل عدة سنوات مستودعاً للخضروات التي تنزل إلى السوق . وبعد زوال حكم العصابة فتحت المساجد ، ورممت بعناية المسلمين .

وفيما يلي لمحة عن بعض المساجد القديمة والمجددة التي زرناها أو حُدثنا عنها :

● **مسجد المنارة :** يعتبر مسجد المنارة ، **في بلدة كوانجو ، أقدم مسجد بني في الصين . وما زال المسجد قائماً حتى اليوم ،** يؤمه الناس في صلواتهم ، ويتسع لألف شخص . ولقد بنيت المنارة شاهقة لتهتدي السفن القادمة ليلاً بنورها . . وهذا يثبت أن العرب هم الذين بنوا المسجد ، وأن مدينة كوانجو كانت من المدن الساحلية التي نشط فيها الإسلام منذ فجر الإسلام . وما زال في كوانجو أكثر من خمسة عشر ألف مسلم ، نصفهم في المدينة ، ونصفهم في القرى . **ولمسجد المنارة اسم آخر ، ولعله هو الأصل ، هو مسجد الاشتياق إلى النبي ﷺ .** ويقول الصينيون : الاشتياق على قدر البعد .

● **مسجد العنقاء :** يلي المنارة في الشهرة ، **ويقع في مدينة هانكجو . بني هذا المسجد منذ أكثر من ثمانية قرون ، على هيئة العنقاء :** فهيكله يشبه الطائر ، ورأسه محرابه ، وذيله بابه . وقد قصّ رأس العنقاء مؤخراً بسبب توسيع الشارع . ولما سألت أحد أئمة المسجد عن سبب تسميتهم المسجد بالعنقاء ، أجاب بأن الصينيين يقدرون العنقاء كثيراً .

● **مسجد الذكرى :** واسمه الصيني (واي شن تزي) **في مدينة كانتون .** وهو الذي يحكى أن سعد بن أبي وقاص بناه . وهناك شاهد على القبر كتب عليه اسم « وقاص » بشكل واضح . وقد اختلف في سنة بنائه ، فهي إما ٦٢٠م وإما ٧٤١م .

● **مسجد تشيوانتشو :** وهو من أشهر المباني الإسلامية في الصين التي ما زالت موجودة . وقد جدد بناؤه عدة مرات . يرى الداخل عليه نقوشاً على الجدار تذكر أنه « **بني الجامع على يد العرب سنة ٤٠٠ هـ** » . كما نقش على أحد جدرانه أن شخصاً يدعى « أحمد » قدم إلى الصين سنة ٧١٠ هـ ، لترميمه وتجديده بشكل يشابه مساجد دمشق .

● **مسجد بكين :** أقلتنا السيارة في صبيحة عيد الفطر إلى **مسجد دونغسي** وقال المرافق : هذا هو المسجد الجامع لبكين . كنت أتصور أنني سألقى مسجداً متهدماً عتيقاً يتسع لبضعة عشر شخصاً . غير أنني رأيته جامعاً كبيراً ، مبنياً بهندسة صينية ذات طابع إسلامي ، مؤلف من ثلاثة أفنية وممرات وأروقة وقاعة زينت بالنقوش والآيات الكريمة والشهادتين بخط كوفي جلي .

وعندما دخلنا المسجد ترامت إلى أبصارنا **القبعات البيضاء** التي يلبسها الصينيون في المسجد وخارجه . وإلى جانبهم المسلمون الأجانب من أعضاء السلك الدبلوماسي والجاليات والطلاب . وكان يضم أكثر من أربعمئة رجل عدا **النساء** اللائي كان لهن قاعدة جانبية خاصة .

وإثر انتهاء الصلاة تعالت الجملة (عيد مبارك) على ألسنة الناس ، وهم لا يعرفون غيرها ، يتبادلون بها التهاني بين الصينيين وغير الصينيين . وانتظرت خروج المصلين والمعايدين لألقى **الحاج صالح إمام الجامع .** وبعد أن هنأته على عربيته الفصيحة التي خطب بها سألته عن الجامع فقال :

ـ بني هذا الجامع عام ١٤٤٧ م ، على نفقة « تشن يو » الذي يرجع أصله إلى العرب الذين استوطنوا بكين منذ أمد بعيد . كان « تشن يو » رجلاً صالحاً وغنياً ، تقلد منصباً عالياً في الجيش الإمبراطوري .

وقال : لم تقتصر مهمة الجامع على الصلاة بل شملت لقاءات وعظية وتوجيهية ، كما كان مدرسة تعلم أصول الدين ومبادئ العربية . وقد درست في هذا الجامع منذ أن كان عمري أربعة عشر عاماً أي منذ خمسين سنة تقريباً . ثم نشدت العلم في مساجد صينية أخرى ، وشاركت المرحوم



▲ ★ الأطعمة الإسلامية في شارع البوابة الأمامية ـ بكين ★ ◄

« **محمد مكين** » في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الصينية .

وسألته عن مهمة الإمام في كل بلدة ، فأجاب :

ـ مهمة كل إمام ـ عدا الصلاة والوعظ ـ واسعة ، فهي تشمل : عقد الزواج ، وتسمية الأولاد المسلمين ؛ فلكل مسلم اسم إسلامي وآخر صيني ـ واسم الإمام هو « آن شي وي » ـ ومساعدة المسلمين على حل مشاكلهم . وقد نشرف على الذبح ، ونقرأ القرآن في حفلات الزفاف ، أو عندما يرزق الزوجان طفلاً ، أو للصلاة على الميت .

لم يكن جامع دونغسي هو الوحيد في العاصمة ، بل فيها عدد من المساجد ، من بينها « **مسجد نيوجين** » الكائن في شارع البقر .

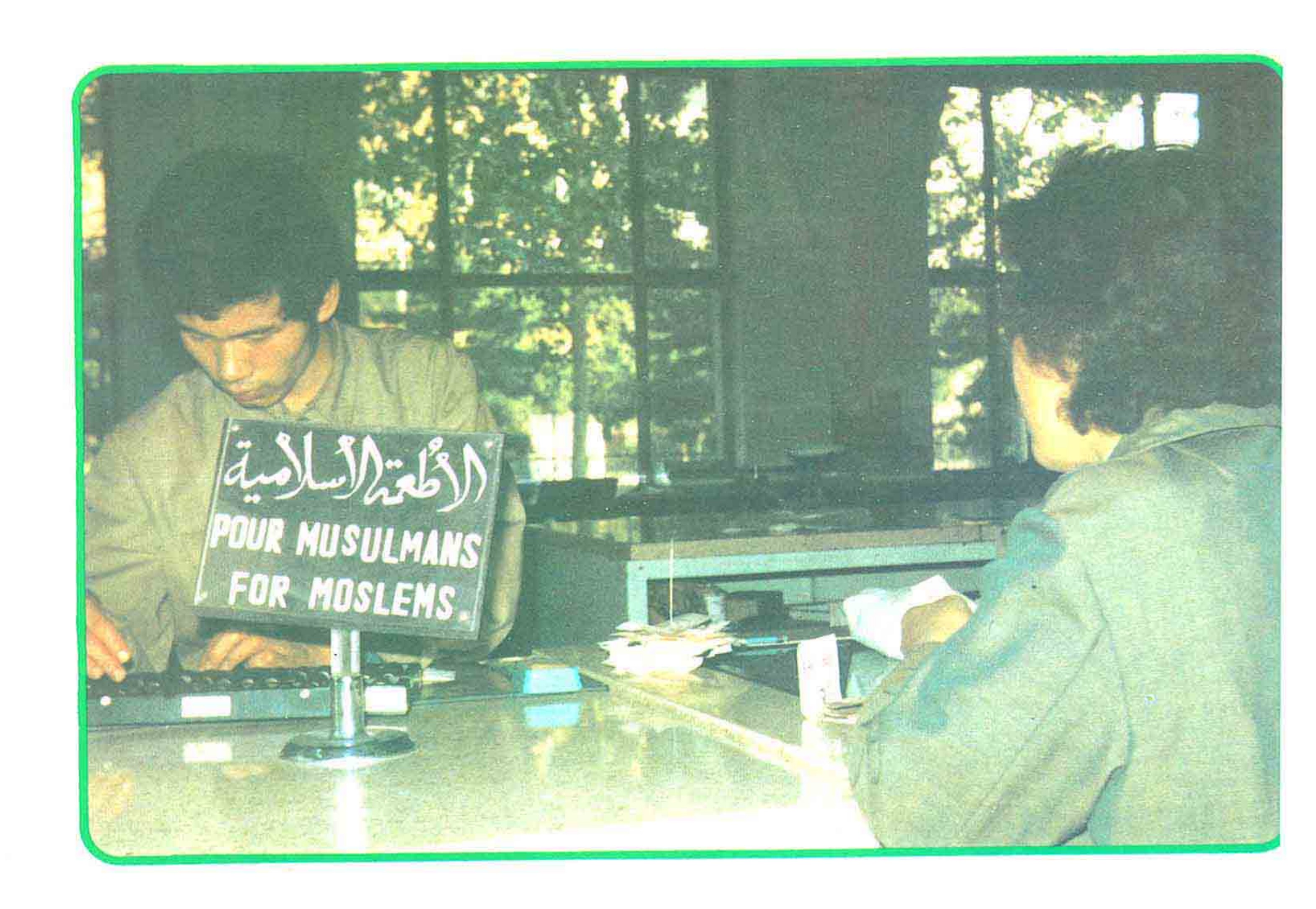
الجمعية الإسلامية

جذبت قبابها الخضراء المغولية الهندسة أنظارنا نحن الوفد السوري . واستقبلنا الحاج محمد علي والحاج إلياس نائبا رئيس الجمعية (المسافر) والحاج صالح إمام جامع بكين وفضيلة العالم الحاج قاسم . وبعد أن تبادلنا كلمات الترحيب طلبنا تعريفاً موجزاً عن الجمعية وعن نشاطها . فحدثنا إلياس قائلاً :

ـ **أنشأ هذه الجمعية المحسنان برهان شهيدي ونور محمد وغيرهما عام ١٩٥٣ م .** وباشرت بطبع القرآن ، وترجمة معانيه إلى ثماني لغات صينية . ثم طبعت الجمعية بعض الكتب الدينية للتدريس ، كما **أصدرت مجلة « المسلمون في الصين »** تعكس حياتهم وواقعهم ، وتقدم لمحات عن تاريخ الإسلام وواجبات المسلمين .

وقد انبثق عن الجمعية معهد ديني ، أغلق أيام الثورة الثقافية ولما يفتح . كان يربي الشباب ليكونوا أئمة وعلماء ومعلمين للعربية . ومن أبرز مهمات الجمعية إعداد الحجاج سنوياً . ففي عام ١٩٥٢ م ، سافر الوفد الأول غير أن **الانجليز** منعوه من الاستمرار عندما وصل إلى **كراتشي** . وفي عام ١٩٥٤ م قابل « تشو إن لاي » بعض الزعماء العرب ، وعلى رأسهم المغفور له « **الملك فيصل** » **عاهل المملكة العربية السعودية** ، وعبر له عن رغبة المسلمين في زيارة الحجاز لأداء فريضة الحج . فلقي أذناً صاغية من المغفور له الملك فيصل . وهكذا تكون الوفد الثاني عام ١٩٥٥ م ، من غير انقطاع حتى كانت الثورة الثقافية عام ١٩٦٤ م ، فخنقت الحريات الدينية وتوقف الحجاج عن الزيارة .

ثم قمنا بجولة اطلاعية في عدد من القاعات ، شاهدنا فيها **المكتبة** التي تضم مجموعة نادرة من **مخطوطات القرآن الكريم** المحلاة بماء الذهب . كما شاهدنا الهدايا المقدمة إلى الجمعية من : سورية ، المملكة العربية السعودية ، اليمن ، العراق ، السودان ، مصر ، أفغانستان



وباكستان .

وقد لفت مظهر الشيخ « **قاسم الكاشغري** » انتباهي من بين الحضور ، ذكرني بعلماء العصور الإسلامية الماضية ، وحادثته بالفارسية التي نجيدها ، وسألته عن عمره وعلمه وبلدته فقال ما ترجمته :

ــ عمري الآن ٧٦ سنة ، من بليدة « كاشغر » الواقعة في الشمال الغربي . وكاشغر مشهورة في التاريخ بمدارسها منذ ألف سنة ، فقد خرجت جحفلاً من العلماء الأعلام . وبعد أن أتممت دروسي قصدت الهند ودرست في دهلي ولكنو قبل تحرير الصين . ومن هناك قصدت زيارة بيت الله الحرام عام ١٩٤٨ م ، ثم عدت إلى كاشغر . ولقد قرأت وأقرأت العربية والفارسية وعلوم الدين مدة أربعين سنة . والآن أنا الإمام الأكبر في منطقة « سينغيانغ » . وقدمت منذ أيام إلى بكين .

في بلدتي أكثر من ٦٠ ألف مسلم ، وفيها عدد من المساجد ، أكبرها المسجد الجامع ، ويتسع لعشرين ألف مصلّ . وكثيراً ما يؤدي المسلمون صلاتهم خارجه في الجمع والأعياد من كثرة الزحام .

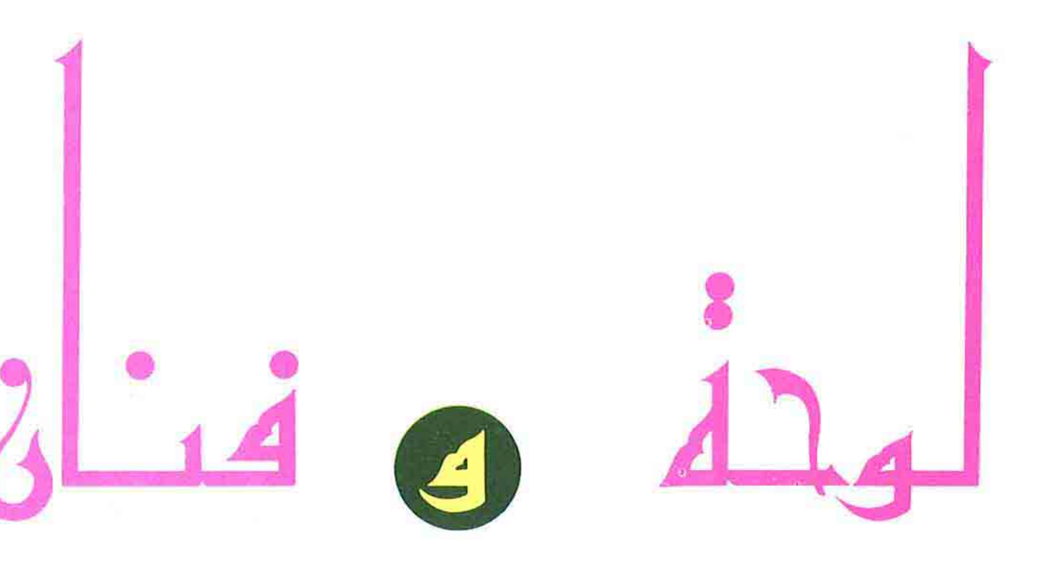
من عادات المسلمين اليوم

يقيم أبناء قومية هوي حفلات الزفاف يوم الجمعة من كل أسبوع .

وتعتبر أول جمعة عقب عيد الفطر ــ بنظرهم ــ أفضل هذه الحفلات . حيث يركب الرجال والنساء من أهل العروسين عربات مزينة بأنواع الحرير الملون ، كما يزينون الخيل التي تقود العربات ، ويجوبون بها أطراف القرى والأحياء . ثم تقام وليمة يحضرها الإمام ، وتقدم فيها اللحوم المذبوحة وفق الشريعة . ويوم الزفاف وأيام الاستقبال والأعياد لا يسلمون على بعضهم بعضاً إلا بتحية الإسلام (**السلام عليكم**) فتسمع مجلجلة في كل آن .

ويوم وصولنا إلى « فندق الصداقة » أخبرت مرافقتنا المسلمة رئيس المطعم أننا عرب مسلمون . فأخذوا مباشرة يقدمون لنا طعاماً عربياً مطبوخاً بالزيوت واللحوم وفق الشريعة . وقد حدثتنا مرافقتنا أن المطاعم الإسلامية منتشرة في عدد من أنحاء المدينة . وفي كل سوق زاوية تقدم أطعمة ولحوماً إسلامية للمسلمين وللجاليات . ويكفي أن تعلم بائع الحلويات أنك مسلم ليقدم لك الحلويات المصنوعة بالزيوت غير المحرمة .

والطريف بالأمر أننا كنا نصادف في المدن التي كنا نجوبها البائعين المختصين بالأطعمة الإسلامية يعلنون عن ذلك باللغة العربية . وإن كلمة « أكل » العربية يستخدمها المسلمون في كانتون بمعنى الطعام الإسلامي . وإذا لم يكن الطعام إسلامياً فليس « أكل » .



عاصفة ثلجية

• وليام تيرنر •

كان شاغله أن يسجل أكثر ظواهر الطبيعة خفاء وندرة، فكرس حياته لها وتحمل في سبيل ذلك الكثير من الصعاب.. فقد

صور الفصول الأربعة، وابتكر مؤثرات معينة مثل تصوير الضباب والمياه والعواصف، وفي اللوحة يصور إحدى العواصف

الثلجية التي تهب على بلاده ذات الطبيعة الباردة والجو الرمادي.. فاستخدم اللون الأسود والرمادي والأبيض ليعطي الإحساس بتلك العاصفة وبالجو الضبابي، تلك الألوان المنبعثة من البيئة التي يحيا

بها.. واستخدم لمسات الفرشاة التي تتحرك في اتجاه دائري لتعطينا الإحساس بحركة العاصفة.

● ولد تيرنر بإنجلترا، في أبريل (نيسان) عام ١٧٧٥م، وتوفي في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٥١م.

● كان أبوه حلاقاً في لندن، وكان مرتبطاً به أشد الارتباط.. عاش معه خمسة وخمسين عاماً، أما أمه فلم يرتبط بها كثيراً لأنها كانت امرأة ذات مزاج عنيف.. وكان الجنون يصيبها من حين إلى آخر.

● لم يتلق تعليماً يستحق الذكر، بل ظل طيلة حياته أمياً، ربما أدى ذلك إلى حدة حساسيته البصرية.

● في سن التاسعة أظهر موهبة ملحوظة في الرسم، وحين بلغ الثالثة عشرة كان قد تدرب على أيدي الرسامين والحفارين والمهندسين، الذين وفروا له مراناً طويلاً ومستمراً على الوسائل الفنية الأساسية لحرفته.

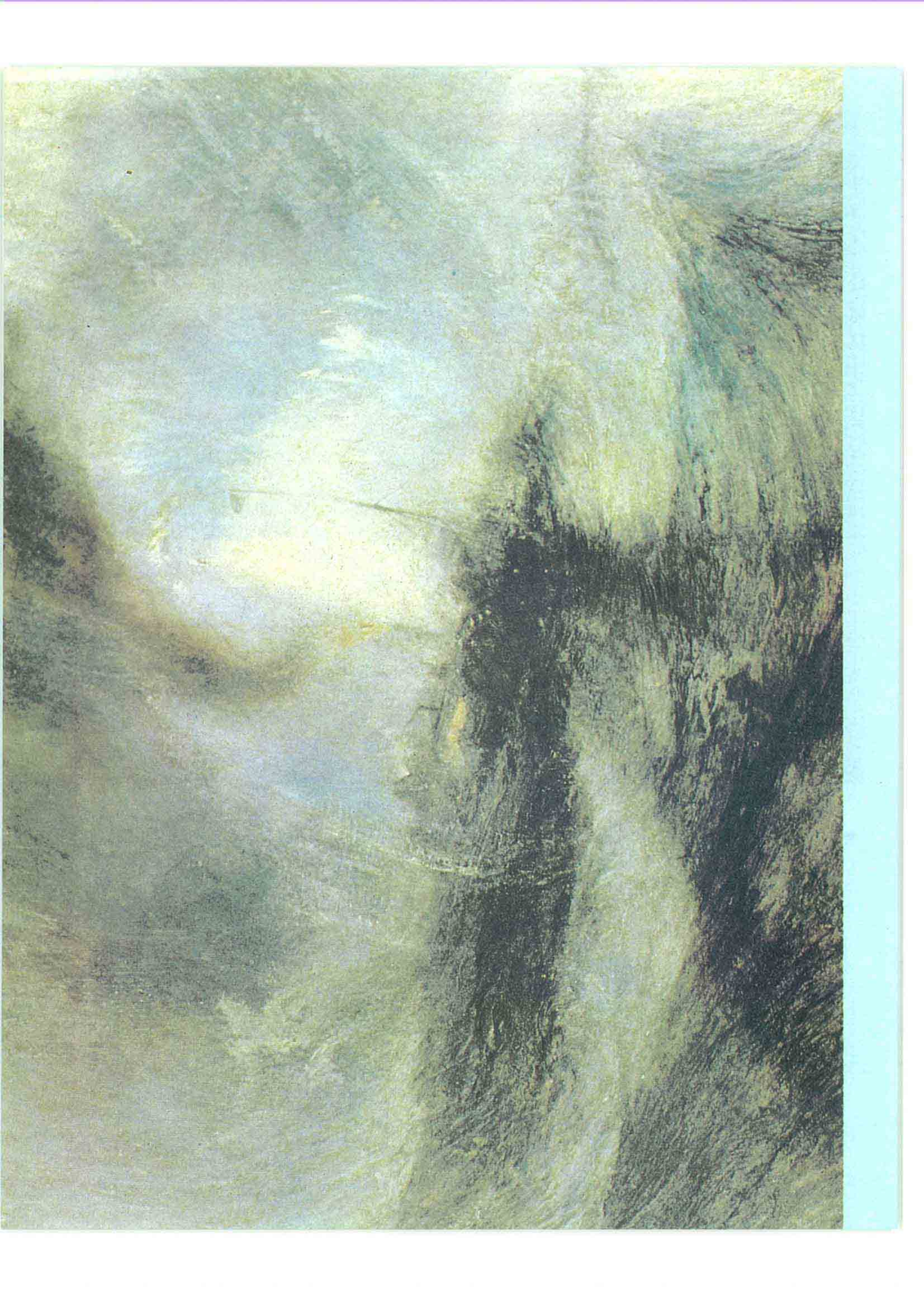
● دلت المظاهر الأولى لموهبته على ميراث فطري من العبقرية، وكان يتمتع بميزة وهي فضول لا يشبع إلى المعرفة وتجربته وبحثه الدائب عن حقائق الطبيعة.

● في سن الرابعة والعشرين كان عضواً في الأكاديمية الملكية بإنجلترا.

● كان اهتمامه الأول في التصوير بالمناظر الطبيعية «الخلاوية»، وكان من الممكن أن يكون مصور شخصيات ناجح لو اتجه باهتمامه إلى ذلك.. وقد تفوق في فن الألوان المائية وأصبح من أعظم الأساتذة في هذا النوع من الفن، لكن الألوان المائية كانت بالنسبة له وسيلة لغاية التصوير، وكانت كمنهج للتفسير والاكتشاف لا بد من دمجه في فن التصوير الزيتي.

● يعتبر تيرنر مصوراً شاعرياً، وأسلوبه يمكن أن ينتمي إلى المدرسة الرومانسية، ليس من جانبها ذو الطابع التصوري المثالي، ولكن من التحديد العلمي للملاحظة.

● إنتاجه الفني متنوع، ويعتبر من أكثر المصورين خصوبة وغزارة، وتمتع بتأثير عظيم على الفنانين الانطباعيين والتعبيريين أيضاً.. وبالرغم من هذا إلا أن فنه لم يحظ بالانتشار الواسع بسبب وجود صوره في قليل من المعارض بإنجلترا والولايات المتحدة.













Kodak

يعتمد العالم في ذكرياته على أفلام كوداكولور.
فهل حَذوتَ حَذوَه؟

ما أن تنتهي من قراءة هذا الأعلان، حتى نكون قد وصلنا الى ٦,٠٠٠ شخص في جميع أنحاء العالم ممن يلتقطون صورًا على افلام كوداكولور، أي ان هذا العدد من الناس يستعمل ٧٠٠ فيلم في الدقيقة أو ٤٢,٠٠٠ فيلم في الساعة أو مليون فيلم كل يوم، حيث ان كوداك تقدم الفيلم المناسب لكل طراز من الكاميرات. وغدًا، عند حاجتك الى فيلم ملون أطلبْ أفلام كوداك. العالم يثق بأفلام كوداكولور.. فهل حذوتَ حَذوَه؟



Kodak

SPOT-THOMPSON





★ فتاة بورمية تبيع ريش الطواويس ★

النساء الزرافات .. وأخريات جميلات كالفيل !!

تقع بورما على خليج (البنغال) الذي يفصل بينها وبين الهند ، ويحدها من الشرق لاووس وتايلند ، ومن الشمال والشمال الشرقي تحدها الصين . وتبلغ مساحة بورما (٨٧٨٠٠٠) كم٢ ، وهي تحتل الجانب الغربي من بلاد الهند الصينية .

ويبلغ **عدد سكانها** ــ حسب إحصاء ١٩٧٢ م ــ **(٢٩ مليون نسمة)** . وقد كانت هذه الدولة **مستعمرة بريطانية** ، لكنها **استقلت في عام ١٩٤٨ م** .

وتعتبر بورما بلاد **الحرارة** الشديدة **والمطر** الغزير **والفيلة والجاموس** وحقول **الأرز والغابات** الكثيفة .

ومدينة **(رانجون)** هي أكبر مدن بورما وتقع في **دلتا نهر (إروادي)** ، وتقع **(ماندالي) المدينة الثانية** على نهر (إروادي) أيضاً وعلى بعد (٤٠٠) ميل من مصبه . **ويستخدم الفلاحون الجاموس في أعمال الزراعة** ، كذلك يعمل عدد آخر من السكان في **حقول البترول** وغيرهم في **قطع الأخشاب** من الغابات .

وتصدر بورما **الأرز والبترول وخشب (التيك)** الشديد الصلابة . **وتستخدم الفيلة في نقل الخشب إلى النهر** ، ومن ثم تطفو هذه الأخشاب على سطح النهر إلى أن تصل إلى المصانع . وقد تردد اسم بورما كثيراً خلال **الحرب العالمية الثانية** ، لأنها كانت الطريق الوحيد الذي ينقل الحلفاء عبره الإمدادات إلى الصين .

ولعل وقوع بورما بين قطرين كبيرين هما الهند والصين قد جعلها تتأثر من النواحي اللغوية والعرقية والدينية لهذين البلدين . وفي بورما العديد من القبائل واللغات واللهجات المختلفة وفيها عادات غريبة لبعض القبائل والأقليات نتناول بعضاً منها هنا .

●● النساء الزرافات ●●

بالقرب من الحدود الشمالية في المناطق الجبلية وعلى التحديد بالقرب من حدود (لاووس) نرى نساءً استطالت أعناقهن بشكل غريب حتى أطلق عليهن اسم **(النساء الزرافات) . وتضع المرأة حول عنقها طوقاً لولبياً على شكل حلقات معدنية قد يبلغ ارتفاعه أحياناً إلى ثلاثين سنتمتراً** . ومن عادات هؤلاء القوم ــ الذين لا يزيد عددهم حالياً عن ٢٥,٠٠٠ نسمة ــ أن **البنت الصغيرة إذا بلغت من العمر خمس سنوات ، فمن الواجب على أهلها أن يضعوا لها أول طوق ، وتجري هذه العملية على يد (عراف) القرية الذي يقوم بذبح دجاجة لكي يستشير النجوم ويحدد أنسب الأوقات ــ على حد زعمه ــ لوضع أول طوق في عنق الفتاة** . ويقوم العراف بتشكيل حلقات من النحاس يبلغ ارتفاعها ثمانية أو تسعة سنتمترات يلفها حول

عنقها. وهكذا يتعطل رأس البنت عن الحركة وكذلك عضلات عنقها، **وتقوم الحلقات النحاسية بحمل ثقل رأس الصغيرة بدلا من فقرات العنق وعضلاته**. وبعد سنتين من ذلك يقوم العرّاف بإضافة حلقة جديدة إلى الطوق تصل إلى تحت الذقن. وتتكرر هذه العملية عدة مرات حتى بعد سن البلوغ، وفي كل مرة يجري شد الحلقات على الرقبة مما يجعل عضلات العنق تستطيل وتستطيل، وكلما ازداد عدد حلقات الطوق في عنق الفتاة ازداد معه تبجيلها، ولذلك تتبارى الفتيات في القرية في زيادة حلقات الطوق، وعندما يبلغ الطوق أقصى عدد ممكن من الحلقات تضيف الفتاة إليه سلاسل وأطواقاً وعقوداً أخرى تحيط به وتتدلى على صدرها زيادة في المباهاة ولإثارة الإعجاب.

إضافة إلى طوق العنق هنالك **أطواق للساقين، يدل عدد حلقاتها على ثروة الفتاة، وتعتبر أيضاً رمزاً من رموز الجمال. وهكذا ترافق هذه الأطواق النحاسية المرأة حتى وفاتها**.

ويبدو أن الفتيات البورميات بدأن يضقن ذرعاً بهذه الأطواق بسبب العذاب الذي تعانيه كل واحدة منهن إذا فكرت في إزالة الطوق. وحسب أعراف هؤلاء القوم، **إذا خانت المرأة زوجها فإنه يأخذها إلى العراف طالباً استرداد شرفه، وهكذا تعاقب المرأة أمام أهل القرية جميعاً بنزع حلقات الطوق الذي يحيط بعنقها وذلك يعني الموت المحتم طبعاً**! ذلك أن الرأس يستند إلى تلك الحلقات، وإذا تم نزعها فإن العنق الطويل الدقيق وعضلاته الواهية لا تستطيع أن تحمل ثقل رأس المرأة الذي يسقط إلى أحد الجانبين لا محالة مؤدياً إلى انكسار فقرات الرقبة ويتبع ذلك الوفاة. فإذا أراد شخص ثالث أن ينقذ المرأة عليه أن يسند رأسها حتى لا يميل أو يقع!

ويسبب الطوق النحاسي العديد من الأمراض في بلد يجمع مناخه بين الرطوبة والحرارة إضافة إلى التعرق واحتكاك الجلد بالنحاس يسبب التهابات حادة. وغالباً ما تقوم النساء برش **دقيق الأرز** بين الرقبة وحلقات الطوق إضافة إلى بعض العقاقير والأعشاب التي يصفها لهن عراف القرية.

●● جميلة بحجم الفيل ●●

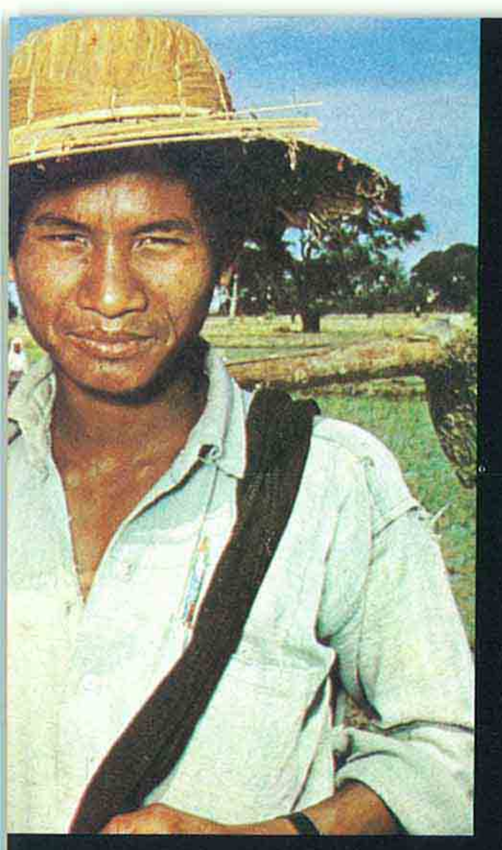
هل تصدق أن ضخامة الفيل وطريقته في السير والحركة يمكن أن تكون رمزاً للجمال؟!

هذا ما هو حاصل لدى قبائل (الكاياك) في بورما. لذلك فإن نساء (الكاياك) يلبسن عند مفصل الركبة في كل ساق حلقات نحاسية ضخمة يبلغ وزنها ستة كيلو غرامات، مما يجعلهن بطيئات الحركة، متثاقلات أثناء سيرهن، كما يجبرن على إبعاد القدمين عن بعضهما وهذا يعطيهن **أناقة الفيل**، كما يعتقدن أن أرواحهن تستقر في مفصل الركبة! ولذلك فإنهن لا يخلعن تلك الحلقات النحاسية مطلقاً. **كما تحاول كل منهن أن تزيد وزنها عن طريق التهام كميات كبيرة من الطعام، حتى يحظين بالاحترام اللائق وينظر إليهن على أنهن ثريات. فمثلهن في الحياة هو التشبه بالفيل ذلك الحيوان الضخم الذي يرمز عندهن إلى القوة والجمال**.

وكلما ازداد وزن المعدن الذي تحمله المرأة في ساقيها ازداد حظها في أن تتزوج قبل غيرها. وبالطبع تنتقل الثروة النحاسية وتضاف إلى أملاك الزوج السعيد بعد الزواج!

●● صراع الديكة ●●

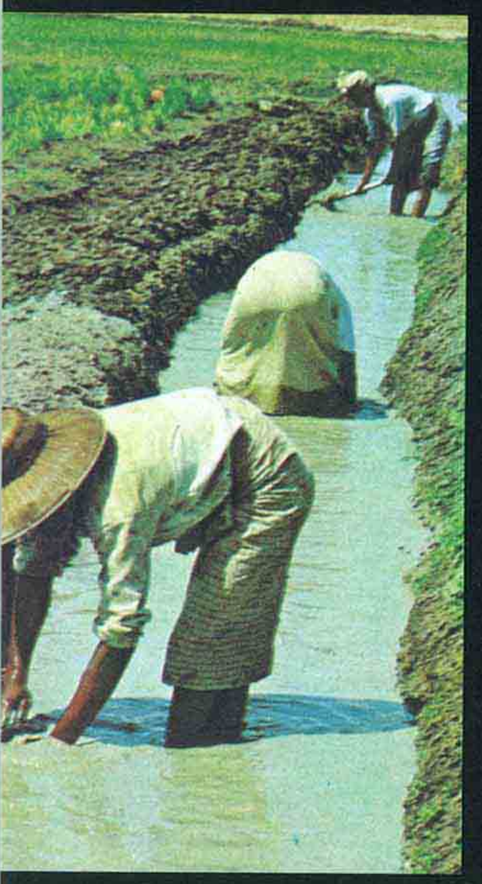
لعل **مصارعة الديكة** من الأمور التي تنتشر ليس في **بورما** وحدها بل **في أغلب بلاد الهند الصينية**. ولذلك يربي كل قروي **ديكاً** يغذيه تغذية خاصة ويدربه على **فنون القتال**، استعداداً للنزول إلى **حلبة المصارعة**. فإذا فاز الديك في المباراة وصرع الديك الآخر، فإن ثمنه يرتفع ارتفاعاً كبيراً، ويقوم صاحب الديك الفائز بتنظيم المباريات في القرى الأخرى مما يدر عليه ربحاً مادياً كبيراً أحياناً.



★ فلاح بورمي من منطقة (ماندالي) ★



★ فلاحون يقومون بأعمال الري بالطرق التقليدية ★

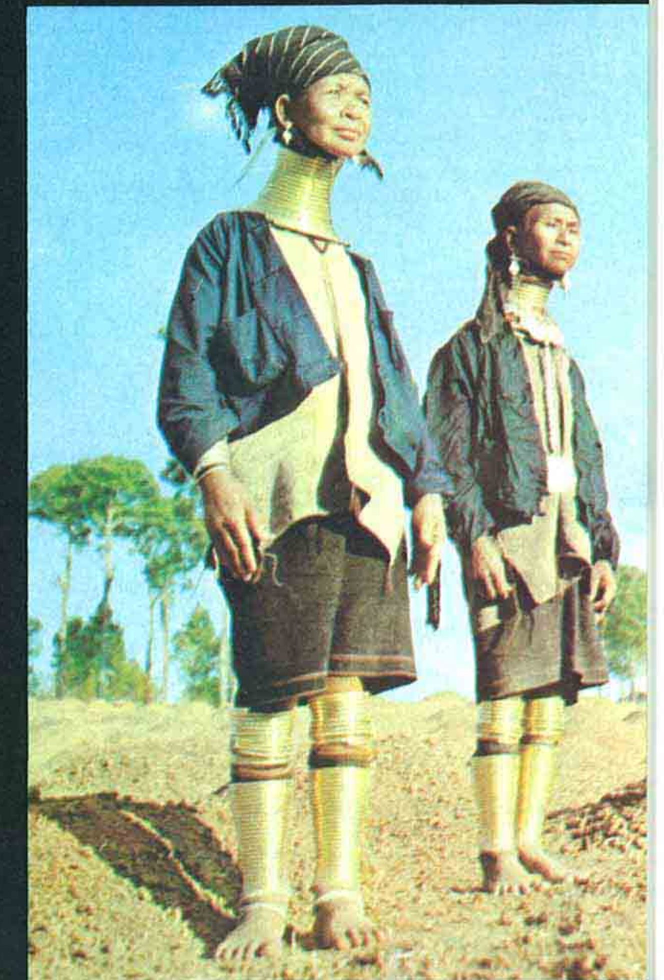




★ استخدام الجاموس في حراثة الأرض ★



★ أطفال من مدينة (رانجون) يرتدون ملابس واقية من المطر ★



★ النساء الزرافات ★



رعاية

بقلم: عيسى الجراجرة

تعتبر محاولات التجديد، والتطوير، للأساليب التربوية والتعليمية ابتداء من التخطيط، ورصد التوقعات والاحتمالات التربوية والتعليمية، ورصد الاتجاهات التربوية والتعليمية والمستقبلية، ومروراً ببناء المناهج وتطويرها وتجديدها، وانتهاء بوضع الكتب المدرسية، واختيار أنجح الطرق والأساليب التعليمية وتطويرها، مع الحرص خلال ذلك كله على تطوير الإدارة التربوية والتعليمية وأساليبها، وإثراء معارف العاملين في الإدارة ومؤهلاتهم، وتدريبهم والارتفاع بقدراتهم ومهاراتهم الإدارية والتربوية، أقول: **تعتبر كل هذه المحاولات التربوية، ظاهرة من ظواهر العصر الحاضر، لا يكاد يخلو منها بلد أو مجتمع.**

وتشترك في هذه الظاهرة، وهذا الاهتمام كل الفئات الاجتماعية من مربين ومعلمين وإداريين ومن آباء وأمهات، وطلاب وطالبات ومسؤولين. ويشترك الوطن العربي مع العالم، في ظاهرة الاهتمام بمحاولات التجديد والتطوير للوسائل والأساليب التربوية والتعليمية، **وتعتبر عملية توجيه رعاية خاصة للموهوبين والمتفوقين عقلياً، علاوة على أنها عملية تنموية أساسية، مضمونة النتائج الحسنة والأكيدة في حقل التربية والتعليم خاصة، والمجتمع عامة**، إلا أن عملية توجيه الرعاية والعناية الخاصة لهذه الفئة من المتعلمين من أبناء الوطن، تعتبر كذلك واحدة من محاولات التجديد والتطوير في حقل التربية والتعليم التي تستحق التشجيع والدعم من كل

المبدعين والموهوبين



المهتمين في هذا المجال على مستوى الوطن العربي كله ، لأن توجيه الجهود لتنمية هذه الفئة الموهوبة المتفوقة المتميزة من المجتمع أمر ضروري ، لا لتنمية سائر الموارد المادية فحسب ، بل لتفجير ما بالبشر من طاقات مبدعة لا نهاية لها[١] .

وقد عرف العرب المسلمون أهمية هذه الفئة في المجتمع ودورها البناء . وقد وقف **ابن الجوزي** كتابه المسمى « **الأذكياء** » الذي يحتوي على ثلاثة وثلاثين باباً في وصف الأذكياء وأخبارهم وأحوالهم ونوادرهم ، وفي الباب الرابع من كتابه يذكر العلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي[٢] .

وظلت **الطريقة الوصفية** الطريقة المتبعة للتعرف على الموهوبين والمتفوقين ، ووصف أحوالهم ، حتى ظهور الطرق الموضوعية في التعرف على الموهوبين والمتفوقين ، وإبرازها .

أسباب الاهتمام بالموهوبين والمتفوقين

تحرص الدولة المتقدمة في العالم اليوم ، على رعاية أبنائها الموهوبين والمتفوقين عقلياً ، وتحاول جاهدة لاستثمار إمكاناتهم على أوسع نطاق ، ولتوظيف قدراتهم لخدمة مجتمعاتهم اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً . وتعود أسباب حرص الدول المتقدمة على توجيه العناية والرعاية الخاصة بهذه الفئة من المتعلمين ، إلى أن المتفوقين عقلياً أو الموهوبين ، يكونون قطاعاً

مهماً من القوى البشرية ، والإمكانات الإنسانية الكامنة ، التي ننتظر الاستفادة من تفوقها وقدراتها الفذة وتوظيفها لخير الإنسانية . بما لهذه الفئة من ذكاء عال ، ومواهب خاصة ، وقدرة على الابتكار ، والتوجيه والقيادة ، ولأنهم هم الأكثر قدرة وموهبة ، لفتح آفاق جديدة متسقة ، للتغلب على المشكلات الراهنة التي تواجه مجتمعاتهم من أجل تحقيق السعادة والأمن والاستقرار والطمأنينة لمواطنيهم .

وقد أخذت **الدول النامية ، ومنها البلاد العربية** ، تسير على هدي خطى الدول المتقدمة بهذا المجال . فأخذت تهتم بتربية الموهوبين من مواطنيها ، وتزايد إحساس هذه الدول وشعورها بالحاجة الملحة ، إلى معرفة أفضل السبل والطرق الناجعة للتعرف على أبنائها المتفوقين عقلياً . ولكشف الموهوبين ، والوقوف على حقيقة خصائصهم ، الانفعالية والعقلية ، والاجتماعية ، وأنسب الطرق التربوية والأساليب التعليمية لتربيتهم وتعليمهم . من أجل التمكن من تقديم الرعاية التربوية والتعليمية المناسبة التي تمهد الطريق أمام الاستفادة من إمكاناتهم ، وتوظيف مواهبهم وتفوقهم لخير مجتمعهم ووطنهم .

من مظاهر الاهتمام التربوي والتعليمي بهذه الفئة الموهوبة المتفوقة من أجل تقديم رعاية تربوية وعناية تعليمية خاصة لهذه الفئة في البلاد العربية ، **المؤتمر الذي عقد في بغداد في الفترة ما بين ٢٤ـ٢٧/٣/١٩٧٥م .**

وقد دعت للمؤتمر **مؤسسة البحث العلمي في العراق** ، وشاركت فيه دول عربية مثل **مصر والكويت** ، كما شاركت فيه **اليونسكو وإنجلترا والاتحاد السوفييتي .**

وحاول المؤتمر تقنين سبل التعرف على الموهبين والمتفوقين ، وأفضل الرعاية المناسبة التي يجب أن تقدم إليهم ، إضافة إلى المتطلبات التربوية والنفسية لرعايتهم . **وقد بدا واضحاً من خلال البحوث التي ألقيت في المؤتمر ، والمناقشات التي دارت فيه ، أنه من الصعب وضع تعريف واحد محدد للموهبة ، أو التفوق العقلي ، إذ يختلف التعريف للموهبة ، والوصف والتقنين والتحديد للتفوق العقلي باختلاف المقاييس وأساليب التقييم التي يستند إليها في التعريف والوصف والتقنين .**

ويظهر التفوق العقلي ، والموهبة لدى الأفراد من خلال النبوغ في ميدان من ميادين النشاط الإنساني ، ذلك لأن مجالات التفوق والتمييز والمواهب كثيرة ومتنوعة ، يصل عددها إلى أكثر من (١٢٠) نوعاً . ويميل المربون والخبراء والمفكرون إلى الاعتقاد **أن كل إنسان سوي ، لا بد أن تكون لديه واحدة أو أكثر من هذه المواهب ، سواء تيسر له أن يكتشفها في وقت مبكر ، أو ظلت كامنة مستترة تنتظر الاكتشاف والتعرف عليها حتى نهاية عمره** ، وقد تكتشف وقد لا تكتشف[٣] .

ويمكن التعرف على المتفوقين والموهوبين من خلال **سلوكهم الإبداعي** ، ويشمل السلوك الإبداعي والإنجاز الإبداعي ، فيما يشمل ، **الاختراع والتصميم والاستنباط والتأليف والتخطيط**، والأشخاص الذين يظهرون مثل هذه الأنواع من السلوك إلى درجة واضحة هم الذين يوصفون بالمبدعين[٤] والموهوبين .

ومن الدلائل على وجود القدرات الإبداعية ، عند الفرد وجود ما يمكن أن يسمى **عوامل المحاكمة والتفكير ، والإحساس بالمشكلات ، والخصب والغنى والطلاقة في ايجاد الأفكار الجديدة المتجددة لحل المشكلة** ، بالإضافة إلى مرونة في طرح البدائل ، التي تدعمها قدرة على تنظيم الأفكار والمنظومات بواسطة قدراته التحليلية والتركيبية ، مما يمكنه من القدرة على إعادة التنظيم وإعادة التعريف للكليات ، وتبسيط التعقيد واستيعابه وفهمه ، كل ذلك يجعل العمل الإبداعي يتم ، وينجح خاصة إذا تم تحت درجة مناسبة من **الضبط التقويمي .**

ويعد تعريف (**بول ويتي**) الأميريكي للموهوبين والمتفوقين عقلياً ، ذا أهمية خاصة نظراً لأن **الجمعية الأميريكية** للعناية بالموهوبين ، قد أخذت به . وهو يعرف الموهوب **بأنه ذلك « الذي يتصف بالامتياز المستمر ، في أي ميدان هام من ميادين الحياة »**[٥] .

ومن الواضح أن التعريف يشمل أصحاب الذكاء العام المرتفع وأصحاب المواهب الفنية الممتازة ، وأصحاب القدرات الخاصة بالقيادة أو الزعامة ، وأصحاب القدرات الإبداعية ، في النواحي الميكانيكية ، وسائر أنواع المواهب الأخرى ، ولشموله يمكن أن يدخل ضمنه كل ذي موهبة في أية ناحية من النواحي ويتمشى مع واقع الموهوبين كما يظهرون عادة في المجتمع .

ويرى الكثيرون من المربين والخبراء وعلماء النفس ومنهم **جيلفورد** الأميريكي[٦] الذي اشتهر باهتمامه بقياس ظاهرة « **الإبداع والابتكار** » ، وأن القدرة عليهما تعتبر من أبرز العلامات الدالة على وجود الموهبة والتفوق[٧] . وبدا ضرورياً الاهتمام بمعرفة هؤلاء الموهوبين والمتفوقين في الإنتاج وفي التقييم بقياس هذه النواحي بالذات ومحاولة التعرف عليها[٨] ،



لأن روح العلم والقدرة على خدمة المجتمع وتوظيف قدرات الموهوبين لخدمته لا يكون كما يقول الأستاذ **هايدن** ليست في اكتشاف الحقائق الجديدة بل في اكتشاف طرق جديدة للتفكير.

ومن الملاحظ على مستوى الوطن العربي أن الطفل الموهوب أو المتفوق عقلياً لا يكاد يحظى بالعناية والرعاية المناسبة، وهي إن وجدت فهي محدودة وقليلة الفائدة إلا بعد أن تظهر موهبته بصورة جلية ويثبت تفوقه، ونادراً ما تتهيأ السبل لظهور الموهبة، والتأكد من التفوق، لأن الكثيرين من الموهوبين والمتفوقين يجرفهم دفق تيار الحياة الدافق، وتأخذهم تكاليف الحياة وتصاريف العمر، وتنؤ كواهلهم الغضة الطرية بمتطلبات ظروف العيش مما يؤدي إلى أن لا يتعرفوا على أنفسهم، وأن يحال كذلك دون أن يتعرف على نبوغهم وموهبتهم وتفوقهم من قبل من يستطيعون أن يمدوا لهم أيادي الرعاية والعناية المناسبة لهم.

ويوجد حسب المقاييس العالمية في **القياس والتقويم** طرق متعددة للتعرف على الموهوبين والمتفوقين وكشفهم بطريقة مبكرة، ومن أشهر هذه الطرق الاستناد إلى مقاييس الذكاء وروائزه، واعتبار الشخص موهوباً إذا حصل على نسبة ذكاء (+ ١٢٠) فما فوق. والطريقة الثانية لاكتشاف الموهوبين والمتفوقين والتعرف عليهم، هي بالاعتماد على نتائج التحصيل المدرسي، واختيار الموهوبين من بين النخبة المتفوقة في التحصيل ضمن المجموعات.

وهنا يثور جدل، وتطرح آراء وأفكار جديرة بالاهتمام والالتفات وتؤيدها وقائع وتجارب من الحياة، ترى أن الموهبة لا ترتبط بالضرورة بنتائج اختبارات الذكاء وروائزه (مفرده رائز)، ولا ترتبط بالضرورة كذلك بالتفوق التحصيلي، لأن المواهب المختلفة، والتفوق العقلي والقدرات الإبداعية والابتكارية تحتاج إلى معايير خاصة، توضع لقياس كل نوع من أنواع المواهب، وخير دليل على ذلك ظهور القدرات الإبداعية والابتكارية عند بعض الأفراد من خلال نشاطهم وأدائهم الدؤوب اليومي لأعمالهم ضمن الجماعة التي يعملون معها.

ومن خلال ذلك كله يمكن تعريف الموهوب بأنه: **كل شخص، أظهر تفوقاً واضحاً أو قدرة إبداعية ضمن مجموعته في جانب أو أكثر من جوانب النشاطات الفكرية أو العلمية أو التكنولوجية**. ولا يغرب عن البال مدى أهمية الكشف عن الموهوبين في وقت مبكر ومناسب، لأن بقاء الموهبة كامنة قد يؤدي في أكثر الأحيان وأغلبها إلى ضمورها أو انطفاء شعلة اتقادها وعطائها إلى الأبد. وهذا يؤكد على الدور الكبير الملقى على عاتق الأسرة في هذا المجال للمساعدة في عملية كشف الموهوبين قبل وبعد سن المدرسة دون التقليل من دور المدرسة والأجهزة والمؤسسات الأخرى في هذا المجال الحيوي الذي يخدم مصلحة الوطن العليا.

ومن أهم توصيات مؤتمر بغداد المذكور للعناية ورعاية الموهوبين والمتفوقين وكشفهم، التوصيات التالية:

ـ الموهوبون ثروة وطنية في كل بلد عربي لا تقل أهمية عن الثروات الوطنية الأخرى، لذلك يجب التحري عنهم بكل الوسائل الممكنة، وتنمية قدراتهم ومواهبهم واستثمارها في أغراض التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

ـ المواهب متعددة متنوعة لذا ينبغي توجيه العناية إلى استجلاء وتنمية واستثمار كافة المواهب.

ـ أن يجري اعتماد واستعمال أكثر من وسيلة ومقياس للكشف عن المواهب من نتائج التحصيل المدرسي إلى اختبارات الذكاء، واختبارات القدرات والاستعدادات الخاصة، والمسابقات العلمية وتقارير الأسرة وملاحظاتها، والتقارير المدرسية.

وانطلاقاً من حقيقة ثابتة لا تقبل الشك تقول إن أكبر عدد من الموهوبين يوجد في المدارس على اختلاف مراحلها وأنواعها، لذا فإن دور **وزارات التربية والتعليم** في الكشف عنهم ورعايتهم وتنمية مواهبهم وقدراتهم داخل المدارس، تغدو مهمة أساسية من مهام وزارة التربية والتعليم في كل بلد عربي. ويكون ذلك عن طريق إنشاء مديرية تعنى بشؤون الموهوبين والمتفوقين والكشف عنهم ورعايتهم والعناية بهم بما يتناسب ومواهبهم وقدراتهم، على أن تكون الرعاية رعاية متكاملة متناسقة تهتم بكافة الجوانب الشخصية والإنسانية للموهوب والمتفوق لتجعل منه مواطناً مخلصاً لمجتمعه وأمته، مؤمناً بتراثها الحضاري، ومندفعاً في بناء مستقبلها الأفضل والأرغد، ولأن المجتمع العربي عامة لا يخلو من الأفراد الموهوبين والمتفوقين، ولأنه بحاجة لتوظيف موهبة وتفوق الموهوبين المتفوقين من أبنائه من أجل الارتفاع بسوية الحياة وتنفيذ مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية، فإن من الواجب المسارعة لتأسيس مديرية في وزارة التربية والتعليم للتخطيط لوضع أسس العناية والرعاية المناسبة للمتفوقين والموهوبين من أبناء العالم العربي، وأن تبدأ أعمال هذه المديريات برعاية ومتابعة المبرزين والمتفوقين الذين يظهرون تفوقاً في نتائج امتحان **الدراسة الثانوية والمعاهد العليا والجامعات**، ثم تمتد العناية إلى الموهوبين والمتفوقين في كل أنواع المدارس ومراحلها التعليمية تمتد بعد ذلك إلى مختلف جوانب المجتمع ومناحيه لتلتقط المبدعين والمتفوقين والموهوبين، وتقوم بكل ما يجب لتضع قدراتهم ومواهبهم وتوظفها لخير المجتمع العربي ومستقبله الأفضل والأرغد.

كيفية تربية الموهوبين

يرى العلماء أن الموهوبين ليسوا في حاجة إلى رعاية أحد، ويكفيهم ما لديهم من مواهب إنهم يستطيعون بمواهبهم وبدون مساعدة أحد شق طريقهم، وأن المتأخرين وذوي العاهات والعاديين هم الأجدر بالمساعدة،

وإننا لم نفرغ بعد من مشاكل تربية العاديين حتى نتفرغ لتربية الموهوبين وإن العناية بالموهوبين والمتفوقين ترف تربوي لا تتسع له الجهود ولا الإمكانات[٩]، ومع ذلك فإن ترك الموهوبين ليتعلموا بالطريقة العادية شأنهم في ذلك شأن غيرهم لم يؤد إلا إلى تبديد معظم مواهبهم، لأن الموهوبين والمتفوقين ليسوا عاديين حتى تصلح لهم الطريقة العادية في التربية والتعليم الموضوعة أصلاً لتلائم المتوسطين في الذكاء والقدرات

والمواهب من المتعلمين . ولذلك كان الموهوبون كالمتأخرين وأصحاب العاهات من المعوقين يحتاجون أيضاً إلى من يعتني بهم ، لأن للموهوبين كذلك مشاكلهم الخاصة النابعة من موهبتهم وتفوقهم ، ولهذا يحس الموهوب بحق أنه يختلف عن غيره في أشياء كثيرة وأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره .

ومع اختلاف العلماء والخبراء التربويين في الطريقة المثلى لتربية الموهوبين والعناية بهم ، إلا أن الاتفاق تام على أن أي برنامج لتربية الموهوبين والعناية بهم يراه المختصون مناسباً لهم هو أفضل في تربيتهم من تركهم بدون أي برنامج على الإطلاق[١٠] ، ويجب أن ينالوا العناية والرعاية المناسبة في البيت والمجتمع والمدرسة ، ففي المنزل يجب تهيئة المجال للنمو المتوازن المتواصل وللتفتح عن طريق التفاعل الإيجابي والتلقائي . وفي المجتمع تحتاج العناية بهم إلى وجوب تخطيط الاتجاهات الاجتماعية ، بحيث تهدف في النهاية إلى العناية بهذه المشكلة وإلى رعاية الموهوبين والمتفوقين الرعاية التي يحتاجون إليها .

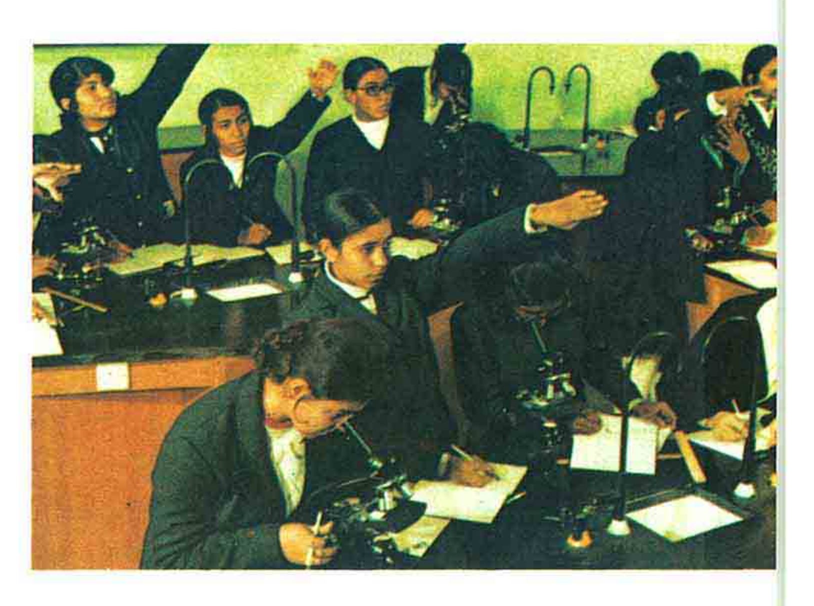
وتعتبر المدرسة أهم البيئات الصالحة لتوجيه العناية والرعاية الخاصة للموهوبين ، لأنها البيئة التي يقضي فيها الموهوبون معظم حياتهم والتي يمكن تنميتهم ورعايتهم فيها بتمكينهم من ممارسة القيادة بنجاح ، لأنهم سوف يضطرون إلى القيام بها سواء أرادوا أم لم يريدوا ، وإلى توجيههم إلى حل المشاكل ، وإلى ممارسة محاولات الإبداع والتجديد والتوجه إليهما دون خوف من لوم أو تثريب ، ويتم ذلك عن طريق وضع مناهج خاصة بهم تلبي احتياجات مواهبهم وتساعد على تفتح مواهبهم وقدراتهم ونموهم بها ، وتعمل على تكوين القادة والمنتجين والقادرين على الإضافة والإبداع بتكوين جو فكري ينمي الموهبة ويوقد شعلة التفكير ، ويزيد من اتقاد جذوتها ، ويرفع من المستوى العام ويزيد الإنتاج والإنجاز التحصيلي لهم ، مع الاهتمام بتوسيع قاعدة المعرفة والمعلومات عندهم .

فمن الواضح أن التفكير والإبداع والتجديد لا يتم في فراغ ، وأن زيادة رصيد الموهوبين من المعرفة أمر ضروري وهام ، وهذا المستوى الرفيع العالي لا يمكن الوصول إليه إلا بالارتكاز على قاعدة متينة عريضة من المعارف والفنون يتم الاستناد إليها . وهذه قاعدة ذهبية في قضايا المعرفة ومعطياتها . **فالتخصص الدقيق ليس معناه الجيل بسائر النواحي الأخرى بحجة عدم التخصص ، بل معناه وجوب الالمام بأكبر قدر ممكن من المعلومات ، فهي جميعها قد تخدم التخصص .**

والواقع أن التخصص الحقيقي ينتهي بالعلماء والمبدعين إلى فناء المعرفة الرحب الفسيح ، حيث تزول الحدود الصناعية والوهمية بين العلوم وحيث يجد نفسه ، وهو يتخصص في أدق الأشياء في حاجة إلى أن يعرف كل شيء ويدرس كل شيء ما أمكن إلى ذلك سبيلاً ، لا لشيء إلا لينهل من معين المعرفة التي لا يستطيع بدونها خدمة مجال تخصصه أو التعمق فيه . وأن تلبي المناهج عملية الاستمرار في تكوين الاتجاهات والمهارات والقدرات الخاصة بالموهوبين[١١] ، وأن تسمح لهم بالاستقلال في التفكير والتعميم ومحاولة حل مشاكلهم بأنفسهم وتكوين الأحكام وإصدارها وبالتنبؤ الصحيح في ضوء الاحتمالات المتاحة مع تشجيعهم على الانتقال من مستوى إلى مستوى أعلى ، وأن تسمح المناهج باستعراض وجهات النظر المختلفة والمتضاربة ، وأن تسمح النظم التربوية لهم بتخطي حواجز السنوات الدراسية فيختصر بذلك من كل مرحلة سنة أو سنتين وبذلك تحقق هذه الطريقة للموهوب النمو العقلي المطلوب ، والتوازن العقلي المنشود وبذلك يتخلص الموهوب من عيوب طرق التدريس العادية التي قد تسلمه إلى الملل والاحتقار والشرور والانحراف وغير ذلك من العيوب والمشاكل المعروفة جيداً للتربويين[١٢] .

ومن الطرق المعروفة للعناية بالموهوبين تجميعهم وتكوين مجموعات منهم مستقلة عن العاديين ، وإعطائهم التربية التي تتمشى مع واقع احتياجاتهم ، ومنها ما يسمى **بطريقة الإثراء** التي تنادي بتوفير غذاء دسم متنوع بحيث يجد كل موهوب ما يشبع نهمه . ويمكن تحقيق الإثراء عن طريق إعطاء المناهج والبرامج الإضافية بطرية تلقائية للراغبين من التلاميذ ، وعن طريق تنويع التعليم والاكثار من مناهجه النظرية والعملية وتطويرهما وادخال الجديد منها الذي لم يسبق أن دخل المدارس ، والإثراء يعني الاستمرار مع كل طالب في تعمقه خلف ميوله ، وقدراته الخاصة وتيسير الإمكانات والمرونة وتحقيق التنوع ، وتحمل الاختلاف ومراعاة الفروق الفردية بين الموهوبين وغيرهم وبين الموهوبين أنفسهم .

وهناك طريقة البرامج الإضافية التي ترى أن من حق الطلبة أن يختاروا وأن ينتخبوا البرامج التي يحتاجون إلى دراستها وتناسب ميولهم وقدراتهم ومواهبهم . وأن يكون فوق ذلك كله هناك إدارة تربوية واعية متفهمة ومؤمنة بالأساليب الخاصة للعناية بالموهوبين وتربيتهم ورعايتهم ، وتعمل على تهيئة الظروف المناسبة التي تكفل لهم النمو والتفتح بتحريرهم من الكثير من القيود **الروتينية والشكلية** التي قد تحول بينهم وبين نمو مواهبهم . وأن يوفر بجانب ذلك القادرين من المشرفين[١٣] والمدرسين الصالحين للإشراف والتعليم لمثل هؤلاء الموهوبين والمتفوقين[١٤] ، لأن



التجارب والاستبيانات دلت على أن معظم المعلمين يتخذون موقفاً أقل عطفاً من الطالب المبدع ، ويفضلون عليه الطالب العادي الملتزم [١٥] ، لذا فإن واحدة من أشق واجبات المدرسة محاولة إيجاد أو البدء بإيجاد (**أجواء تقبل**) من المعلمين للطلبة المبدعين تمهيداً إلى ما هو أكثر من ذلك مرحلة التشجيع والرعاية والعناية بهم ، خوفاً من إضافة شرارة الأصالة والإبداع إلى التنمية وتبديدها . ولأن البشر يتعلمون خير ما يتعلمون ويبدعون حين تعطى لهم الفرصة لكي يتعلموا ويبدعوا بطرائق تتناسب وقابلياتهم وحوافزهم ، فإن على المدرسة أن تهتم بهذه الحقيقة وتحاول الأخذ بها للحفاظ على الإبداع والمبدعين وتنمية قدراتهم ومواهبهم وزيادة لمعانها [١٦] .

ومن المتفق عليه ومن خلال التجارب والاستبيانات أننا إذا أردنا إحداث تغيرات إبداعية في المدرسة ، فعلينا أن نبدأ لا بالطرائق المستعملة في التعليم فقط ، ولكن كذلك بالأشخاص الذين يعلمون ، وأن نقنعهم بتغيير مفاهيمهم ومواقفهم [١٧] ، لأن المعلم الجيد هو الذي يغير الناس ولا يقتصر على نقل المعلومات إليهم [١٨] .

وهنا يجدر التعريج على ما أشارت إليه الدراسات من أن في كل مجتمع عدداً كبيراً ممن يملكون قدرات إبداعية كامنة ولكنهم يقصرون عن تحقيقها ووضعها موضع الاستخدام والإفادة بسبب قصور النظم التربوية ، كما أن هناك عدداً قليلاً جداً ممن يتجاوزون قدراتهم الإبداعية ، ولهذا معناه التربوي الواضح وفيه إشارة إلى واجب التربية رعاية من يملكون قدرات إبداعية كامنة وتبقى هذه الإشارة تحدياً للجهود التربوية للاستفادة من مواهب المبدعين وقدراتهم إلى أقصى حد ممكن [١٩] ، وبسبب غياب القناعة بأن كل الصفات التي تساهم في الإبداع تحددها الوراثة ، لذلك يتوجب علينا الاهتمام بكل عملية ووسيلة وطريقة لتربية الإبداع [٢٠] ، وأنه من الممكن تطوير طرائق التعليم ولا سيما طريقة تعليم التفكير بحيث تساعد على الإبداع [٢١] .

سبيل الإبداع

وهناك طريقان رئيسيان تستطيع المدرسة أن تزيد وفقاً لهما في قابليات الأطفال الإبداعية ، أولهما أن تتيح المدرسة للأطفال خبرات تربوية خاصة ، من أجل التدريب على التفكير المبدع أو المهارة في حل المشكلات بقطع النظر عن المواضيع المدرسية العادية . أما الطريق الثاني فهو توليد روح إبداعية في المدرسة وتبني طريقة في التعليم تجريبية وماهرة ومفتوحة الأطراف وذلك في كل مجال [٢٢] ، لأن المشكلة الأساسية في تربية المبدعين والموهوبين هي في إيجاد نظام تربوي يسمح بإتقان الطرائق الصارمة للمحاكمة ثم جمع مجموعات كبيرة من الحقائق والنظريات التي تشكل المعرفة الجارية ثم غرس عادات الاستعمال الكفء للأفكار والحقائق المتوفرة دون سماح بالكبت أو التصلب العقلي الذي يحد من البحث الحر والخيالي ، والافادة من المعارف والمهارات المكتسبة وأن يعمل على غرس عادة التشكك في المتعلم ، وعادة نقد المعلومات والآراء وأن نشجع



التفسيرات غير الاتفاقية للخبرة ، وتشجيع الأفكار الجديدة والتطبيقات الطريفة دون مسارعة إلى نقدها وشجبها [٢٣] بسبب إيمان العلماء بالحاجة القصوى إلى مزيد من التشديد على مبادرة التلميذ نفسه وتحقيق حاجاته العقلية من أجل التعلم في سبيل الإبداع [٢٤] .

ويبدو أن المستقبل يبدو لامعاً فيما يخص زيادة النجاعة والتوفيق في حل المشكلات عن طريق تعليم ما هو مهم في تربية المرونة والأصالة في الاستجابة ، مع وجوب التشديد الوجود ، العامة للمعلومات في عملية التعليم ووجوب تعليم استراتيجيات عامة تمكن من الافادة من المعلومات وتطبيقها في مواضيع جديدة ، ولذلك يرى **جلفورد** أن التدريب للإبداع يجب أن يكون واسعاً يشمل كل المساهمات العقلية ، لأن الدور الأساسي في الإبداع تلعبه عملية توليد الأفكار ، ولهذا السبب فإن طرائق التدريب على الإبداع تتشدد في أهمية توليد الأفكار ودورها في عملية الإبداع [٢٥] .

والسؤال المطروح الآن : **لماذا يجب الاهتمام بالموهوبين والمتفوقين ورعايتهم والعناية بهم وتربيتهم بطرق خاصة تتناسب وأوضاعهم ومواهبهم وتفوقهم** ؟ وحتى لا تطول بنا طريق الإجابة جرى الاقتصار على هذه النقاط وهي :

● إن بني الإنسان هم أغلى وأخطر ما في الوجود ، وهم رأس مال الوجود ووسيلته للتطوير والتعبير ، وهم هدف التغيير والتحسين وغاياته . والموهوبون والمتفوقون من بني البشر هم أغلى ما في الوجود ، لأنهم قادته ومصابيح هديه ولأن وجوده مرتبط بوجودهم ، ولهذا فالعناية بالموهوبين هي عناية بطريق غير مباشر ليس بالجيل الحالي فحسب بل بالأجيال القادمة ، ولا يستطيع إنسان تصور الإنسانية لو لم يظهر الموهوبون العباقرة الأفذاذ من أبنائها الذين منحوها معرفة النار والكهرباء والذرة . ولا ندري ، من جهة أخرى ، مدى الرفعة والتقدم الممكن لو أتيح للكثيرين

من الموهوبين الذين ضاعوا في بيداء الحياة وصحاريها ومتاهاتها أن يعملوا وأن يبدعوا لخير الإنسانية ويعملوا من أجلها.

● عالم اليوم هو عالم التقنية **التكنولوجيا** والفنون التطبيقية والتوسع السريع في المعارف والكشوف والصناعات يحتاج إلى الموهوبين للاستمرار في التطوير والتحسين والاختراع للحفاظ على خط المعرفة الإنسانية الصاعد نحو الأحسن والأفضل.

● التعرف على الموهوبين والعناية بهم وتوجيههم التوجيه الصحيح المناسب وهو صيانة لهم من الضياع والهدر والانحراف.

● الموهوبون في كل أمة وفي الإنسانية جمعاء هم منابع التقدم والتطور الذين يوقدون شعلة التجديد والإبداع لإبقاء جذوة سنة التقدم مشتعلة الأوار وللسيطرة على البيئة وتسخير ما بها لخدمة الإنسان.

● إحداث التغيير الاجتماعي والتحكم فيه وتنفيذ المشاريع التنموية وتوجيه كل ذلك الوجهة المنشودة وفق تخطيط اجتماعي دقيق يهدف إلى تحقيق التنمية في أكمل صورة ممكنة، والموهوبون هم العقل المفكر والقوة المحركة والقادرة على إحداث التغيير والتطوير، وعلى الرؤية البعيدة الواضحة وعلى تقدير الاحتمالات والتنبؤ بها، وعلى البت والحسم والاختيار وعلى تحمل المسؤولية.

الاهتمام بالموهوبين ورعايتهم يساعد على تكاملهم مع مجتمعهم والتفاعل معه ووقايتهم من الانحراف وتمكينهم من تحقيق ذواتهم عن طريق تفاعلهم وحياتهم مع المجتمع في وفاق وسلام وانسجام. وفيه تكريم للموهوبين المبدعين بصفتهم بشر سيأخذون بيد الإنسانية وأوطانهم في المقدمة في بذلهم المساعدة لها في كل مجال ليرفعوا من شأنها في طريقها نحو المستقبل الأحسن والأفضل والأكثر رغداً وسعادة[٢٦].



الهوامش

١ ـ كمال السيد درويش: تربية الموهوبين، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب والتربية ـ ليبيا، بنغازي/ ١٩٧٠م، ص ٦.

٢ ـ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي) كتاب الأذكياء، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ج ١، ص ٦.

٣ ـ مجلة التوثيق التربوي، بغداد، العدد (١٥) للسنة الرابعة لعام ١٩٧٦م، ص ١٢ ـ ١٨.

٤ ـ د. فاخر عاقل: الإبداع وتربيته، بيروت دار العلم للملايين ١٩٧٥م، ١٨٢ ص (٢٠)، ص (١٧).

٥ ـ بول ويني ـ أطفالنا الموهوبون، ترجمة الدكتور صادق سمعان، سلسلة دراسات سيكولوجية رقم ٢٦، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٦٣م، ط٢، ص ١٦.

٦ ـ جيلفورد: هو عالم النفس الأميركي الذي توصل هو ومعاونوه بواسطة التحليل العاملي عام ١٩٥٤م، إلى وجود القابليات الإبداعية وإلى نظرية في الذكاء سماها بنية العقل (structure of intellect)، وأشارت نظريته إلى وجود قدرات أساسية في الإنجاز المبدع، وقد نشر كتابه طبيعة الذكاء الإنساني عام ١٩٦٧م. وذكر جيلفورد زمرتين من القدرات الإبداعية هما: زمرة القدرات ذات النتاج المفرق وزمرة القدرات التحويلية.

٧ ـ د. فاخر عاقل: الإبداع وتربيته، بيروت دار العلم للملايين ١٩٧٥م، ١٨٢ ص (٢٠)، ص (١٧).

٨ ـ كمال السيد درويش، تربية الموهوبين، ص ٢١.

٩ ـ المصدر السابق (ص ٣٥ ـ ٣٨).

١٠ ـ وقد أثبت هذا الرأي دراسة (كاليفورنيا) التي قام بها مارتنسون (Martinson) عام ١٩٦١م. كتاب: ليونارد ليوسيتو، بالإنجليزية، الأطفال الموهوبون، المنشور عام ١٩٦٣م، ص ٢٢٣.

١١ ـ تربية الموهوبين، ص ٣٥ ـ ٥٥.

١٢ ـ كتاب الموهوبين بالإنجليزية، إعداد اللجنة الوطنية الأميركية للتربية، واشنطن، منشورات عام ١٩٥٨م، ص ٤٩.

١٣ ـ الإشراف من الموسوعة التربوية، ص ١٤٤٢، من بحث أجري عام ١٩٦٠م.

١٤ ـ تربية المعلمين من الموسوعة التربوية، بحث أجري عام ١٩٦٠م، الموسوعة، ص ١٤٥٢.

١٥ ـ د. فاخر عاقل: الإبداع وتربيته، المصدر السابق، ص ١٥٠.

١٦ ـ المصدر السابق، الإبداع وتربيته، ص ١٥٢.

١٧ ـ الإبداع وتربيته، نفس المصدر، ص ١٦٠.

١٨ ـ نفس المصدر، ص ١٧٨.

١٩ ـ نفس المصدر، ص ١٩.

٢٠ ـ د. فاخر عاقل، الصفحات ٣٥ (ص ١٢٠ ـ ١٢٥)، ص ١٥٣، ص ١٦٧.

٢١ ـ نفس المصدر السابق.

٢٢ ـ نفس المصدر السابق.

٢٣ ـ نفس المصدر السابق.

٢٤ ـ نفس المصدر السابق.

٢٥ ـ نفس المصدر السابق.

٢٦ ـ كمال السيد، تربية الموهوبين (ص ٧٠ ـ ٧٦).

★ احتاج الإنسان إلى نسيج يكسو به جسمه بعد ما شعر بالبرد وأرهقه المطر ، وكان الإنسان القديم ، في فجر التاريخ حين كان يعيش في الغابة ، لا يجد عن أوراق الشجر غطاء يكسو به عورته ، ثم اهتدى بعد مشاهداته وتجاربه إلى الاستعانة بجلد الحيوان وفرائه في تغطية جسمه ، بعد أن شاهد أن الحيوانات تسير في المطر الغزير والبرد القاسي دون أن ترتعد أطرافها ، ولم يستخدم الفراء كغطاء لجسمه إلا بعد أن استأنس الحيوان أو قتله ليأكل لحمه ويستفيد من جلده وشعره .

وهكذا اكتسى بالجلد .. ثم هداه تفكيره إلى فكرة غزل الخيوط التي أصبحت في متناول يده ، فبدأ يغزل الشعر وبعدها توصل إلى صنع أول نسيج من خيوط الصوف أو الكتان عن طريق النول البدائي الذي أقامه بشد خيوط متوازية بين فرعي أشجار متقابلة ، وقام بإمرار الخيط العرضي فوق وتحت الخيوط الرأسية على التوالي ، وصنعت الخيوط بألوانها الطبيعية قبل أن يتوصل إلى اكتشاف عملية الصباغة التي ابتكرها بعد مشاهدته لبعض النباتات والمحاصيل كالبصل والرمان تترك آثاراً ملونة على الأشياء ، فلما أعجبته الألوان قام بصنع النسيج الملون الذي يبهج النفس ويعتبر تطوراً بالنسبة للإنسان ★

النسيج الإسلامي

صناعته . زخرفته . أساليبه

بقلم : محمد الحسيني عبد العزيز

النسيج الإسلامي

وتطورت صناعة النسيج أيام **اليونان والرومان** ، وورثت الدولة العربية الإسلامية الدولتين **البيزنطية** غرباً **والساسانية** شرقاً ، ووجد خلفاؤها أن النسيج مصدر من مصادر ثروة الولايات **كمصر والشام والعراق** ، كما أنه أصبح من الخلع التي يمنحونها في المناسبات الدينية للأمراء والقادة الذين يستحقون هذه الهدايا بسبب ولائهم للخلفاء وتكريماً لهم وتقديراً لجهودهم واظهاراً لرضائهم عنهم .

وتجلت عناية **الخلفاء** بدور صناعة النسيج التي كانت تعرف بدور الطراز ، وبعضها يعرف **بدور الطراز الخاصة** لتخصصها في إنتاج النسيج للخليفة ورجال حاشيته ودولته ، أما **دور الطراز العامة** فتقوم بصنع النسيج والثياب لعامة الشعب .

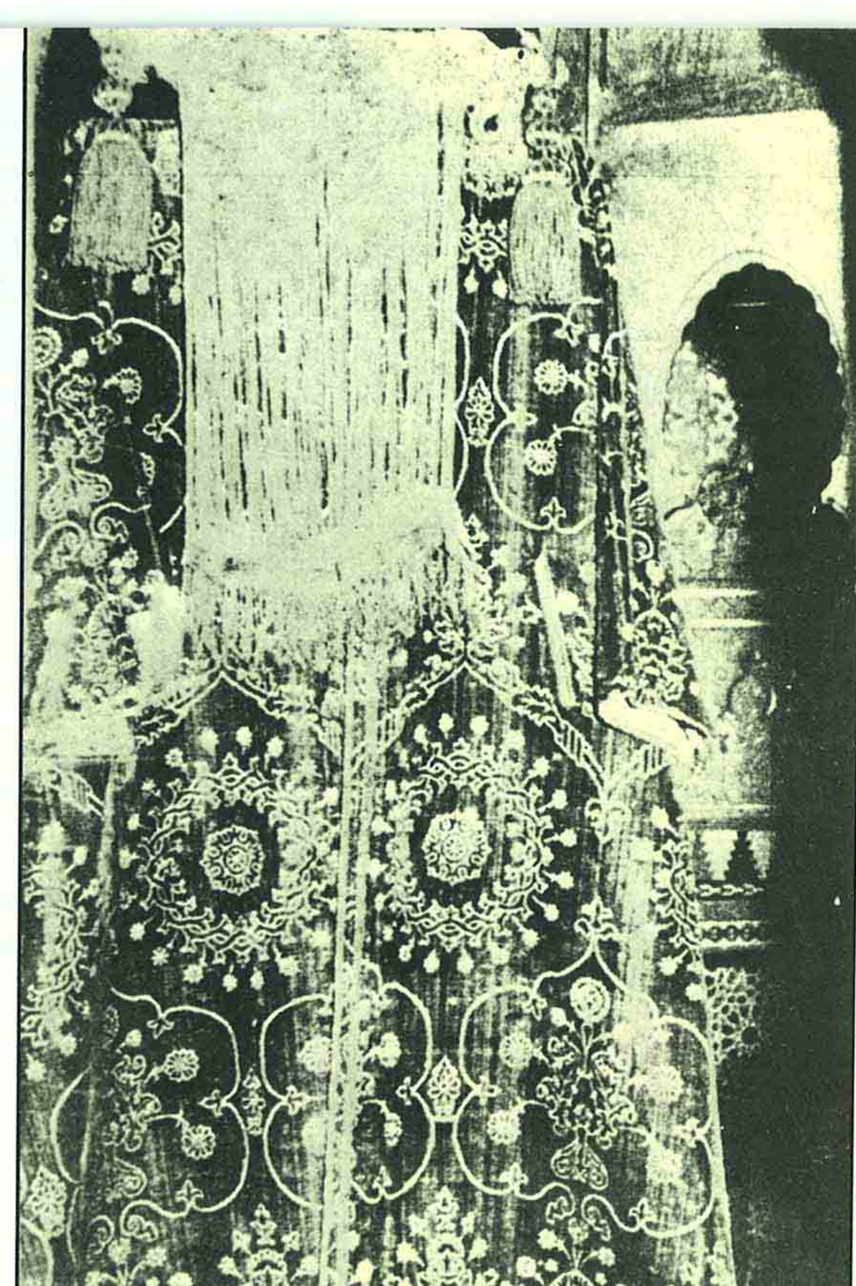
ومن أقدم القطع التي اعتمد عليها مؤرخو الفنون قطعة من النسيج من موجودات المتحف الإسلامي بالقاهرة ، مصنوعة من الكتان وعليها نص تاريخي يقول : «بسم الله بركة من الله لعبد الله الأمين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاه مما أمر بصنعه في طراز العامة بمصر على يد **الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين» .**

وكانت مهمة الدولة هي توفير المواد الخام من خيوط متنوعة **(كتان وصوف وحرير)** ومواد للصباغة وتصميم الرسوم والزخارف ، والإشراف على اختيار العمال والصناع المدربين القادرين على عملية التصنيع ، وكان لهذا الإشراف والرعاية أثرهما في إنتاج نسيج ذي مواصفات معينة ينال الإعجاب من المهتمين باستيراده خاصة الأوروبيين ، وهذا طبقاً لما ورد في **مقدمة ابن خلدون** التي ذكر فيها أعمال صاحب الطراز ، ينظر في أمور الصناع وآلة الحياكة فيها وإجراء أرزاقهم وتسجيل آلاتهم ومشارفة أعمالهم .

وكانت التجارة الخارجية للمنسوجات تحت رقابة حكومية كبرى ، فلا تنسج أو تباع إلا بعد أن تختم بخاتم السلطان ، ويثبت ما يباع في سجل وتحمل إلى من يشدها ويطويها ، وتصدر بعدها من الموانئ المعروفة .

مراكز صناعة النسيج

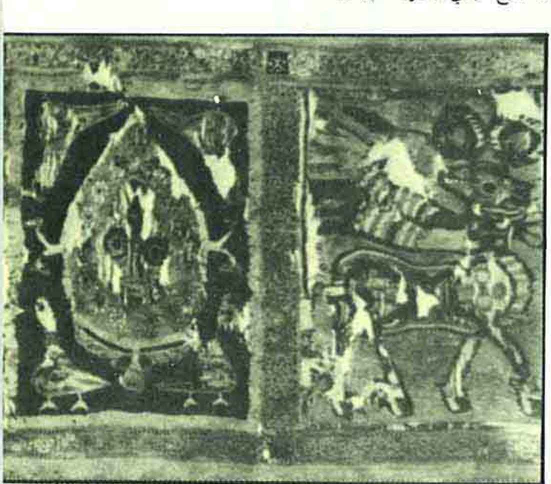
كانت في كل ولاية مراكز للنسيج ، ففي **الشام** اشتهرت **دمشق** بصنع



★ عباءة أبي عبد الله آخر ملوك الأندلس ★



★ نسيج عباسي (القرن ٨م) ★



النسيج الحريري المعروف باسم «**الدمقس**»، وفي **العراق** كانت هناك **بغداد والموصل** حيث نسب إليها «**الموسلين**»، وكان يصنع فيها **الستور وشاش العمائم وعباءات النساء المطرزة بالحرير والذهب** والتي أعجب بها الرحالة الإيطالي «**ماركوبولو**» وقال عنها:

«جميع أنواع الثياب المطرز بالذهب والحرير التي تعرف بالموسلين تصنع في العراق».

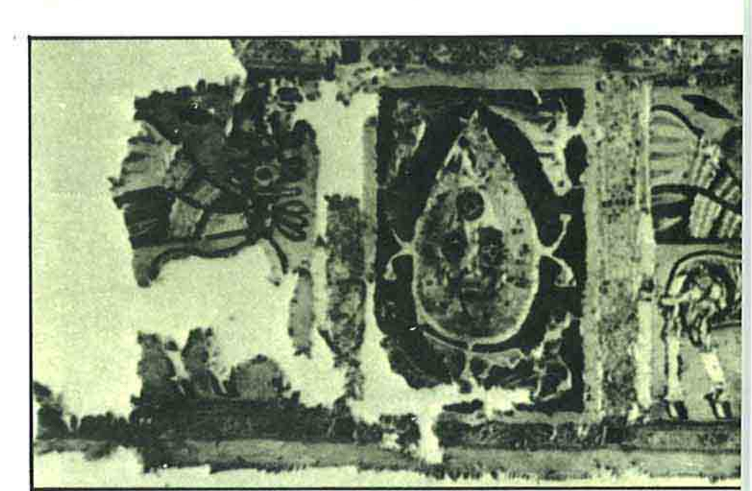
وكذلك تعددت مدن صناعة النسيج في **مصر**، فكانت هناك **دبيق وتنيس** إذ اختصتا بإنتاج الثياب الخاصة للخلفاء **وكسوة الكعبة** التي كانت تطرز في مدينة **تونة**.

وكان النسيج المطرز بالذهب والفضة ينسج في اتجاهي السداة واللحمة مما جعله ينال حظوة **أمراء أوروبا**، فيبعثون في طلبه ويدفعون في سبيل اقتنائه أموالا طائلة لجودته وإتقانه وجمال رسومه وزخارفه، كما أعجب به الرحالة الغربي ماركوبولو، حيث كان ينسج فيها صوف يصنع من وبر الماعز الناعم.

وأثناء حكم **السلاجقة** وسيطرتهم على الخلافة العباسية اهتموا بصناعة النسيج، فكانت تصدر إلى أوروبا وتلقى إعجاباً، وكان هناك نسيج ذا لونين من خيوط الحرير وعليه رسوم ذات خيوط متعرجة أو منكسرة، وقد ازدهرت هذه الصناعة وامتازت بجمال الأشكال وانسياب الخيوط، وتتضح هذه الجودة من قطعة نسيج حريري في **متحف المتروبوليتان بالولايات المتحدة الأمريكية**، بها رسوم حيوانية وزخارف بلونين برتقالي وبني.

ويمكن التمييز بين المنسوجات **قبل ظهور الإسلام وبعده** من الزخارف الموجودة، **فوجود الكتابة العربية على قطع النسيج يؤكد نسبتها إلى ما بعد الإسلام، إلى جانب وجود الرسوم الحيوانية والنباتية المحورة فهذه الرسوم لا تقلد الخالق فيما صنع، والتحوير يتفق مع وجهة نظر الفقهاء التي تمنع وتكره استخدام الصور**





الحيوانية .

النسيج المصري

اشتهرت مصر بصناعة النسيج منذ أيام الفراعنة ، وورث المسلمون هذه الصناعة ، وطورت زخارفها وأساليب صناعتها باعتبار النسيج والثياب من المنح التي تهدى في المناسبات الدينية تقديراً للمخلصين واعترافاً بولائهم ومكانتهم من نفوس الحكام .

وتعددت مراكز النسيج ، فكانت هناك دور طراز الخاصة ، وهي المصانع التي خصصت لإنتاج الثياب الخاصة بالخلفاء ورجال الدولة ، وكسوة الكعبة المشرفة التي كانت ترسل كل عام وتنسج في مدينة (تونة) بجوار (تنيس) على ساحل البحر المتوسط.

وكان الأسلوب السائد في النسيج هو اتخاذ لحمة القماش من الحرير أو الصوف وسداتها من الكتان ، على حين وجدت بعض الثياب المصنوعة لحمتها وسداتها من الحرير مع تنميقها بخيوط الذهب .

ويذكر الرحالة والمؤرخون ، وتؤكد الدراسات ، على قطع **النسيج المصري الفاطمي** أنها بلغت درجة فائقة من الجودة والرقة ، بحيث صار من الممكن سحب عباءة أو ثوب كامل خلال حلقة خاتم .

وأسلوب الزخرفة شريط عريض به زخارف هندسية أو حيوانية وطيور وتحف بها من الجانبين كتابات كوفية عربية يمكن بواسطتها تأريخ صنع الثياب ودار الصناعة عليها ، وكانت تنسج ضمن العبارات الدعائية .

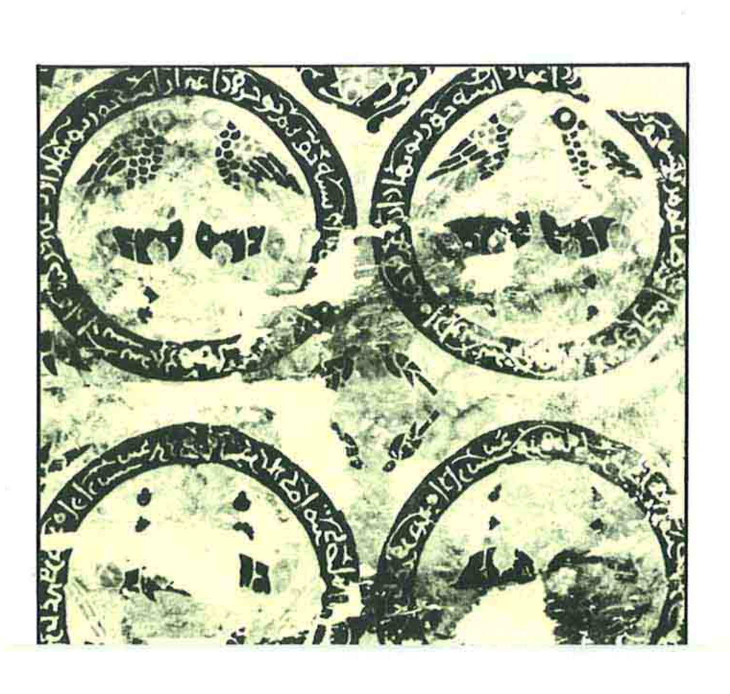
وقد ازدهرت صناعة النسيج أيام **الفاطميين** بصورة خاصة ، لأنهم اعتبروه من ضمن الخلع التي يهدونها للقادة والمخلصين من أتباعهم إلى جانب إشرافهم على تزويد دور الصناعة بالفنيين والمواد الخام من خيوط وأصباغ وغيرها .

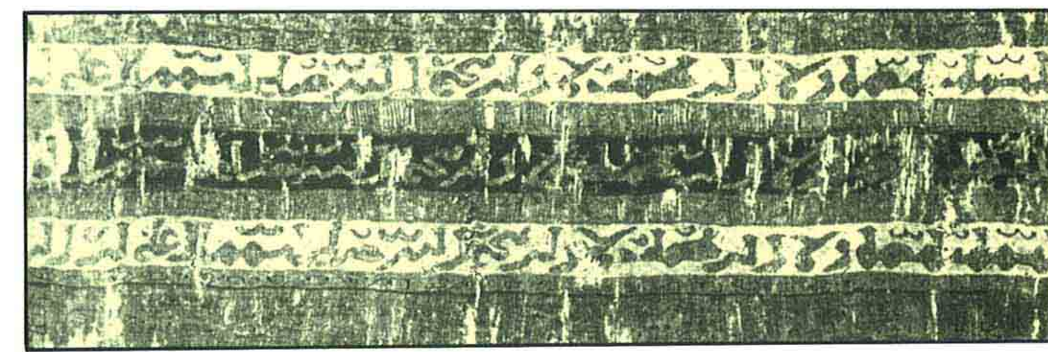
الزخارف الفاطمية

ويمتاز صدر **الدولة الفاطمية** بعمل زخارف قوامها أشرطة كتابية يوازيها أشرطة بها جامات سداسية أو أشكال معينات قد يتداخل بعضها في بعض ، وفيها رسم حيوان أو حيوانين أو طائرين متقابلين أو متدابرين ، وتحف بهذه الرسوم من الجانبين كتابات كوفية ، ومن هذه القطع ساسن أسود في المتحف الإسلامي بالقاهرة عليه نص يؤرخه «بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله لعبد» .. ونص السطر السفلي «الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين» .

ويتمثل أسلوب الزخرفة في العصر الثاني أيام **الظاهر والمستنصر الفاطمي** من بداية القرن **الخامس الهجري** إلى نهايته على كثرة الأشرطة الزخرفية واتساعها وزيادة وحداتها ، وقوامها أشكال ومناطق بها رسوم طيور وحيوانات محورة عن الطبيعة تحصر بينها كتابات كوفية متعاكسة .

والنوع الثالث من الزخرفة أيام الخليفتين **المستعلي والآمر** يمتاز بتطور الزخرفة ، فإلى جانب الزخارف المستخدمة سابقاً ، وجدت عناصر جديدة من أشرطة وجدائل تتموج وتتداخل وتحصر بينها رسوم طيور أو حيوانات ، إلى جانب وجود كتابة عربية بعضها كوفي أو نسخي .







★ نسيج إسلامي، مصر الفاطمية، منتصف القرن ١٢م ★

النسيج الأيوبي والمملوكي

يمتاز نسيج هذين العصرين بالبساطة وبالزخارف ذات الخطوط المتكسرة بسبب استخدام غرزة متتابعة متدرجة كالسلم تعرف **بغرزة هولباين** التي استخدمت في السجاد، وغالباً ما تتبع الغرزة اتجاه خيط اللحمة، فتبدو الزخرفة كالمنسوجة، كما اتبع أسلوب استخدام المكوك على نول السحب إلى جانب وجود زخارف مطرزة أدمجت فيها خيوط اللحمة مع النسيج بواسطة البكرة أو الإبرة.

ومن قطع النسيج المملوكي المشهورة واحدة يحتفظ بها متحف المتروبوليتان في الولايات المتحدة، زخارفها منسوجة تعتمد على الأوراق النباتية الطبيعية، والمراوح النخيلية لنبات عود الصليب .. وقطعة أخرى في **متحف فكتوريا وألبرت بلندن** صنعت من الكتان، تزينها معينات تضم في داخلها أشكالا آدمية جالسة ورسوم أسود وطواويس وطيور وتعبيرات زخرفية أخرى.

كما عثر على قطع تحمل ألقاب أسماء وألقاب حكام مصر وسورية أيام المماليك، ومنها قطعة في **كنيسة سانت ماري بمدينة دانتزج ببولندا**، وهي منسوجة بخيوط رقيقة من الجلد المذهب على أرضية من الحرير الأسود، ورسومها عبارة عن أزواج من الببغاوات وأشكال من التنين الصيني.

النسيج في الأندلس

وفي شمالي إفريقيا (**المغرب الأوسط**) تونس حالياً، اشتهرت مدينة **تونس** بإنتاج القماش من **القطن والكتان** الذي كان يزرع فيها على نطاق واسع، كما صنعت «**سوسة**» نسيجاً ممتازاً كل مثقال من الخيوط يساوي مثقالين من الذهب، وامتاز نسيجها ببياض لونه وبريقه حتى كان ثمن العمامة نحو مئة دينار يحملها التجار شرقاً وغرباً.

وعرفت «**قابس**» بإنتاج الحرير لزراعة التوت بها الذي تنمو عليه دودة القز.

وفي (**المغرب الأقصى**) **الجزائر**، اشتهرت «**بصرة**» بنسيج القطن والصوف، وكان نسيجها جيداً بالإضافة إلى إتقانها لنسيج الكتان الرقيق الذي يصدر إلى وسط إفريقيا، وقد ذكر **ابن أبي زرع الفاسي** أنه كان بمدينة «**فاس**» على أيام **المنصور**، ٣٠٦٤ معملاً لنسج الثياب، و ١١٦ داراً للصناعة.

وقد ازدهرت الصناعة أيام حكم الفاطميين بالمغرب حيث نسب إلى **القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد** أنه كان لخلفائهم قبة من القماش تكون على لون ثيابهم وكان يمسكها فارسان (**صاحبا المظلة**) وكانت مغشاة بخيوط من الحرير والذهب.

الأندلس

وقد دخلت صناعة النسيج إليها مع حاكمها الأموي **عبد الرحمن بن هشام المعروف بالداخل** عام ١٣٦هـ، وفي مدنها التي ازدهرت بها هذه الصناعة حتى أن **الإدريسي الجغرافي المشهور** أشار إلى أنه كان بمدينة «**المرية**» وحدها ثمانمئة نول. وتختص بصنع الثياب المحلية والأجنبية ومنها **الحلل والستور وأغطية الرأس الخاصة بالنساء والثياب التي كانت على هيئة المعين والخمر.**

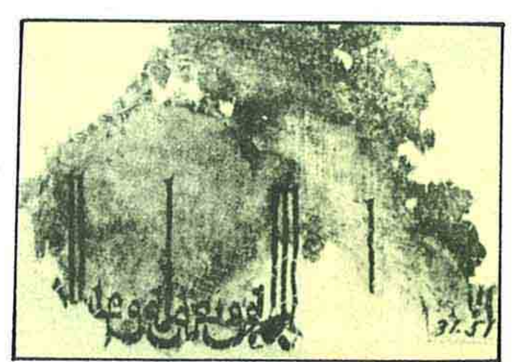
ومن القطع النادرة قطعة نسيج من الكتان الرقيق مزدانة بشريط عريض من الحرير المختلف الألوان وبخيوط من الذهب، وينقسم الشريط إلى ثلاثة أقسام في السفلي والعلوي كتابات كوفية، وفي أوسط الشريط رسوم آدمية وصور حيوانية داخل مناطق، ونص الكتابة: «بسم الله الرحمن الرحيم البركة من الله واليمن والدوام للخليفة الإمام **عبد الله هشام** المؤيد بالله أمير المؤمنين»، وقد حكم هذا بين عامي ٣٦٦ ـ ٣٩٠هـ، ويلاحظ أن أسلوب الزخرفة يشبه الأسلوب الفاطمي المصري.

ومن النسيج الذي صنع أيام المرابطين قطعة تعطي فكرة عن أسلوب صناعة النسيج، وتزدان القطعة بدوائر بها أسود تفترس وعولا صغيرة، وحول هذه الدوائر مجموعة من الحيوانات الخرافية تتخللها كتابات كوفية زرقاء اللون على أرضية مذهبة نصها: «عون من الله لأمير المسلمين علي»، وهو **علي بن يوسف الحاكم المرابطي** (٥٠٠ ـ ٥٣٧هـ).

وفي **متحف مدينة فيش** Fiesh **بإسبانيا** قطعة من الحرير زخارفها عبارة عن مناطق مستديرة الشكل، بداخل كل منها صورة رجل ذو لحية وفوق رأسه غطاء غريب الشكل، وعليه رداء طويل مزين بزخارف مختلفة، وعلى يمينه ويساره حيوانات أشبه بالأسود، وقد لف كل يد من يديه حول رقبة الأسد، ويتوج القطعة سطر من الكتابة الكوفية (يمن).

وفي **متحف طليطلة** قطعة من النسيج الحريري الذي أدخل في خيوطها الذهب وقد صنعت في مدينة فاس عام ٧١٢هـ، طبقاً للنص التاريخي المدوّن عليها، كما تحمل عبارات «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» الشهادتين، ونص آخر: «صنع هذا العلام (العلم) للمقام الكريم السلطاني مقام سيدنا ومولانا الملك السلطان الخليفة الإمام أمير المسلمين **أبو سعيد عثمان بن ... العابد الزاهد المجاهد** أمير المسلمين **وناصر الدين أبي يوسف يعوقب بن عبد الحق** في قصبة فاس حرسها الله تعالى في شهر محرم مفتتح عام اثني عشر وسبعمائة».





وقد امتاز النسيج الأندلسي بالجودة الفائقة في صنعه وزخارفه حيث ضمت خيوط الحرير مع الذهب في تناسق بديع وإتقان رائع مما جعله موضع الإعجاب وقبساً للصناعة في أوروبا ، فقد جذبت زخارفه التي جمعت بين صور الحيوان كالأسود رسوم **الزهور** وأوراق **اللوتس** والنبات .

المنسوجات الإيرانية

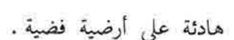
سارت صناعة النسيج الإسلامي في **إيران** على نفس أسلوب النسيج الساساني غالباً إلا فيما يتعلق بالرسوم الآدمية ، فقد منع استعمالها ارضاء لرأي الفقهاء من رجال الدين الذين كرهوا استخدام الرسوم الآدمية ، ثم تأثر الصناعة بالأسلوب **السلجوقي** نتيجة لغزو هذه البلاد فقلت الأساليب القديمة ووضح التأثير والتعبيرات الزخرفية النباتية الإسلامية مع تفريعات السيقان والمراوح النخيلية ، ثم أصبحت ذات أسلوب سلجوقي خالص يمتاز بجمال الأشكال ورشاقتها وانسياب خطوطها ، ويتضح هذا من قطعة من الحرير في متحف المتربوليتان في الولايات المتحدة بها رسوم حيوانات وزخارف نباتية بلونين برتقالي وأحمر ، كما تظهر في عدة قطع بمتاحف عالمية أخرى .

النسيج الإيراني الصفوي

ازدهرت صناعة النسيج إبان **الحكم الصفوي** للبلاد فأنتجت أقمشة حريرية غير مزخرفة (سادة) ومنسوجات حريرية موشاة وأخرى مخملية مما كانت تصنع لثياب الأمراء أو للسلاطين يهدونها لمن يشاؤون تكريمهم . واشتملت الزخارف على الموضوعات الآدمية ورسوم الحيوان والطير والزهور ، واقتبست أكثر المناظر عن **الملاحم الإيرانية كالشاهنامة** أو من الأشعار أمثال **شعر نظامي .**

ومن أشهر القطع نسيج أهدي لمتحف المتروبوليتان تتضمن زخارفه رسم **الإسكندر** وهو يقتل التنين بصخرة كبيرة بالألوان : الأحمر الخمري والأخضر الفاتح والأزرق الداكن والبني الفاتح والداكن على أرضية مذهبة تضم خيوطاً فضية غاية في الدقة والجمال .

وكان ازدهار النسيج راجعاً إلى اهتمام **الشاه عباس الأكبر** بهذه الصناعة ، حيث أنتجت أقمشة غالية من الوشي والمخمل تؤكد النبوغ والمهارة والإتقان . ويمثل هذا العصر قطعة بها منطقتان كبيرتان تتكون كل واحدة منها من ثمانية فصوص يحمل كل فص منها منطقة صغيرة تشبه الكبرى وزينت المناطق كبيرها وصغيرها والأرضية بتعبيرات زخرفية من الأزهار والسيقان ، ويسود القطعة لونان أحمر وأخضر على أرضية ذهبية ، وقد لون الإطار بألوان



هادئة على أرضية فضية .

ثم بدأ الفنانون يزخرفون النسيج بزهور القرنفل التي اشتهر بها الفنانون في **العصر العثماني** للنسيج الذي صنع في **آسيا الصغرى ، وكما استعار الفنانون الإيرانيون زهرة القرنفل من العثمانيين استعار هؤلاء التفريعات الزخرفية المزهرة وأشكال المراوح النخيلية وأخذوا عن الإيطاليين رسوم ثمر الرمان .**

النسيج الهندي

مارس **الهنود** صناعة النسيج منذ القدم **وازدهرت الصناعة في ظل الحكم الإسلامي وأيام المغول** ، وتطورت المنسوجات القطنية والحريرية الموشاة بالذهب ، **وامتازت الثياب الهندية بغزارة الزخرفة وتعدد الألوان والإسراف في استعمال الذهب** ، كما كان التطريز جيداً ومتقناً ، فقد زاوله الصناع على نطاق كبير وظهر في نسيج العمائم والأحزمة والحشيات وغيرها .

وكان المسلمون يستخدمون في زخرفة النسيج **أسلوب الطبع بالأختام** أو بالصباغة الثابتة التي تطورت وأجادوها على مر السنين ، كما استخدموا الزخارف المرسومة وأسلوب التطريز بالزخارف البارزة .

وكان أثر النسيج الإسلامي فناً وصناعة وزخرفة على أوروبا واضحاً في اقتباس طريقة استخدام الخيوط المعدنية وفي اقتباس الزخارف الكتابية والنباتية والتعبيرات الزخرفية التي انفردت بها الفنون الإسلامية مما يدل على ما وصل إليه الفنان المسلم من إبداع ونبوغ .

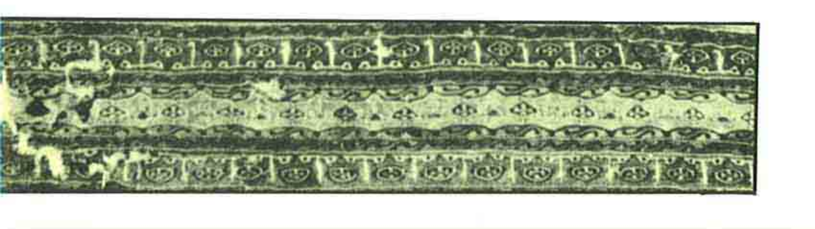
مراجع البحث

١ ــ فنون الإسلام ، الدكتور زكي محمد حسن .

٢ ــ تاريخ فن النسيج ، الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

٣ ــ الفن الإسلامي تأليف Kunel ترجمة د . أحمد موسى .

٤ ــ Islamic Textiles Dr R. B. Serjeant A Handbook of Mohammedan Decorative arts Dimand M. S.





غزوة بدر الكبرى

بقلم : المكي نسي احمد

في مكان خارج المدينة وبالضبط في الجنوب الغربي منها وقعت هذه الغزوة الشهيرة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار والمشركين من قريش . وقد أحدثت هذه المعركة تحولا حاسماً لا في تاريخ الإسلام والمسلمين فحسب وفي تاريخ الإنسانية .

وقبل أن ننطلق في الحديث عن هذا الحدث التاريخي الكبير وشرح الخلفيات والظروف والملابسات التي وقعت فيها هذه المعركة ، والنتائج التي ترتبت عنها ، وجب الإشارة إلى أن هناك غزوتين أخريين تحملان اسم بدر : **الأولى** وقعت عندما أغار **كرز بن جابر الفهري** على سرح المدينة ومراعي المسلمين بها وهرب ، فخرج المسلمون لمطاردته وعلى رأسهم **رسول الله** ﷺ في طلبه ، واستخلف على المدينة **زيد بن حارثة الأنصاري** ، وحمل لواءه **علي بن أبي طالب كرم الله وجهه** . وكان اللواء أبيضاً ، فسار ﷺ حتى بلغ **سفوان**[1] ، وفاته كرز ، فلم يلق حرباً ، وتسمى هذه المطاردة بغزوة سفوان أو **غزوة بدر الأولى** ، أما **ثانيها** وتعرف بغزوة **بدر الموعد** ، وذلك حين توعد المشركون وعلى رأسهم (**أبو سفيان**) بعد انقضاء **غزوة أحد** على اللقاء مرة أخرى في العام الموالي لهاته الغزوة . **وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة في شهر شعبان** . ولما حلَّ الأجل المضروب وقريش مجدبون ، لم يتمكن أبو سفيان من الإيفاء بوعده فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كي لايقال عنه أنه قد خلف وعده ، فاستأجر لهذا الغرض **نعيم بن مسعود الأشجعي** ليذهب إلى المدينة ويهيج المسلمين بما جمعه أبو سفيان من الجموع العظيمة ، فقدم نعيم إلى المدينة ونفذ ما اتفق عليه من قبل وقال مخاطباً المسلمين مصداقاً لقوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله**

ونعم الوكيل ﴾ .

ولم يلتفت عليه السَّلام لهذا الاضطراب اتكالا على ربه ، بل خرج بألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة في هذه المرة **عبد الله بن عبد الله بن أبيّ** ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بدراً فلم يجدوا عندها أحداً ، لأن أبا سفيان أشار على قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين على الأقل ظاناً أن عمل نعيم الأشجعي يفيد في اضطراب المسلمين فيتخلفوا عن الموعد ، فسار أبو سفيان حتى أتى **مجنة**[٢] فقال لقومه : « إنّ هذا عام جدْب ولا يصلحنا إلا عام عشب فارجعوا » . أما ما كان من حال المسلمين فلقد أقاموا ببدر لا يشاركهم في تجارته أحد ، وفي ذلك نزلت هذه الآية القرآنية مخبرة عن حالهم والتي تقول : « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** » . ولما سمع بذلك **صفوان بن أمية** قال لأبي سفيان : « قد والله نهيتك أن تعد القوم قد اجترأوا علينا ورأوا أنا أخلفناهم » . وتعرف هذه الغزوة كذلك **بغزوة بدر الآخرة** .

هذا عن الغزوتين اللتان تحملان اسم بدر . أما غزوة بدر الكبرى وهي موضوع حديثنا في هذا المقال فقد وقعت بين هاتين الغزوتين .

لقد عانى المسلمون قبل غزوة بدر الكبرى الكثير من ظلم وتعذيب قريش ، وقد أدى كل هذا إلى وقوع **الهجرات الثلاث**[٣] ، ونحن نعرف ما واكب هذه الهجرات من ألم الفراق وحرمانه حيث تم التفريق بين الآباء وأبنائهم ، وبين الأزواج وزوجاتهم ، بالإضافة إلى الأهوال والمرارة التي صاحبت هذه التنقلات . ويصور الرسول ﷺ ، موقفه من هذه الهجرة في إحدى كلماته الشهيرة مخاطباً مكة : « **والله إنك لأحب أرض الله إلى الله ، وأحب أرض الله إلي ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت** » .

ولعل من أسباب قيام غزوة بدر الكبرى **العنصر الاقتصادي** ، وقد تجلى ذلك في مصادرة قريش لأموال المسلمين بمكة ، فكان من الطبيعي أن يحصل رد فعل من طرف المسلمين . ومنذ ذاك الوقت بدأ المسلمون يفكرون تفكيراً جدياً في استخلاص أموالهم من قريش بغزوهم وقتالهم . .

ولما خرج أبو سفيان في أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة في تجارة كبيرة يقصد **الشام** ، وهي التجارة التي أراد المسلمون اعتراضها حين خرج النبي ﷺ إلى العُشيرة ، لكنهم عندما بلغوها كانت قافلة أبي سفيان قد مرت بها ليومين من قبل وصولهم إليها . إذ ذاك اعتزم المسلمون انتظارها عند عودتها ، وقد بعث الرسول عليه السلام ضمن الحملات الاستطلاعية كلا من **طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد**[٤] اللذان نزلا على **كشد الجهني** بالحوراء[٥] وأقاما عنده في خبائه ، وذلك ليترقبا مرور العير وإخبار النبي بأمرها . وسرعان ما وصل إلى علم الرسول الكريم عليه السلام أمر رجوع القافلة وأنها عير عظيمة اشترك فيها جميع أهل مكة حتى قُدِّر ما فيها بخمسين ألف من الدنانير . ولقد خشي عليه السلام أن تفوته العير إن هو انتظرها في عودتها إلى مكة كما فاتته في ذهابها إلى الشام ، لذلك انتدب المسلمين وخاطبهم قائلاً : « **هذه عير قريش ، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها** » .

فأجاب قوم لنداء النبي عليه السلام وتأخر قوم آخرون لظنهم أن الرسول لم يرد حرباً ، ورغم ذلك لم يحفل ﷺ لهؤلاء بل قال : « **من كان ظهره حاضراً ، فليركب معنا** » . ولم ينتظر من كان ظهره غائباً . وأراد جماعة لم يسلموا أن ينضموا طمعاً في الغنيمة ، فأبى الرسول عليه السلام عليهم الانضمام أو يؤمنوا بالله ورسوله .

أما أبو سفيان فقد بلغه هو الآخر خروج المسلمين وخاف على تجارته المربحة وخصوصاً أنه لم يكن في حمايتها سوى ثلاثون أو أربعون رجلاً في رواية أخرى ، فأستأجر عند ذلك **ضمضم بن عمرو الغفاري** وبعثه مسرعاً ليستنفر قريشاً إلى أموالهم ، ويخبرهم أن الرسول (عليه السلام) وصحبه قد عرض للقافلة . ووصل ضمضم من مكة إلى بطن الوادي فقطع أذني بعيره وجدع أنفه وحوَّل رحله ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح : « يا معشر قريش ! اللطيمة اللطيمة ! ـ وتعني المال والتجارة ـ أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث ! » . وكان هذا ومظهره كافياً ليثير ضغائن قريش على النبي وصحبه ، وما لبث **أبو جهل** حين سمعه أن صاح بالناس من عند **الكعبة** يستنفرهم ، ولم تكن قريش في حاجة إلى من يستنفرها ، وقد كان لكل منهم في هذه العير نصيب كما أشرنا من قبل إلى ذلك .

وأمام الحالة العصيبة التي عاشها المسلمون آنذاك والمتمثلة في الغزو القريشي الذي يهددهم من ناحية ، ومصادرة قريش لأموالهم من ناحية ثانية ، والحالة التي كان عليها المسلمون الآخرون الموجودون بسجون مكة ، أمام كل هذا خرج الرسول ﷺ لثلاث ليال خلون من رمضان للسنة الثانية للهجرة بعد أن ولى على المدينة **عبد الله ابن أم مكتوم** ؛ وكان معه ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً ؛مائتان ونيف وأربعون من الأنصار ، والباقون من المهاجرين[٦] ومعهم سبعون بعيراً وفرَسَان ، فكان الرجلان منهم والأكثر يعتقبان بعيراً واحداً[٧] حتى أن النبي عليه السلام لم يختص ببعير وحده فكان يتعاقب هو وعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) **ومرثد بن أبي مرثد الغنوي** على بعير لمرثد . وكانت تتقدم المسلمين في مسيرتهم رايتان سوداوان وكان يحمل اللواء الصحابي الجليل **مصعب بن عمير العبدري**[٨] . .

لكن قريش رغم إفلات قافلتها من كمين المسلمين تفاجئهم بجيش جرار قوامه تسعمائة وخمسون رجلاً معهم مائة فرس وسبعمائة بعير يفوق تعداده وعدته ثلاثة أضعاف عدد المسلمين . أما الرسول عليه السلام فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ، ولم يكن خروجه إلا للعير وليس بأيدي المسلمين إلا سلاح خفيف لهدفهم المحدود وهو القافلة . وقد عسكر المسلمون **ببيوت السقيا**[٩] واستعرض عليه السلام الجيش فردَّ من ليس له قدرة على الحرب ، وخاطب كبراء الجيش بقوله : « **أيها الناس إن الله قد وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم العير أو النفير** » . فتبين له عليه السلام أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة ـ وهي العير ـ ليستعينوا بما فيها من الأموال ، فقد قالوا : « هلا ذكرت لنا القتال فنستعد ؟ » وجاء مصداق ذلك قوله تعالى في سورة **الأنفال** : ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم** ﴾ . ثم قام **المقداد بن الأسود** الملقب **بحب الله وحب رسول الله**[١٠] فقال : « **يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ والله لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه** » . فدعا له الرسول عليه السلام بخير ، ثم قال :

«أشيروا علي أيها الناس» ــ وكان يريد بذلك الأنصار ــ لأن بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا تجب عليهم نصرته إلا ما دام بين أظهرهم، وقد جاء في هذه البيعة: «... يا رسول الله إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا» فقال **سعد بن معاذ سيد الأوس**[11]: «كأنك تريدنا يا رسول الله؟» فقال: «أجل»، فقال سعد: «قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله،

فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك وما نكره أن تكون تلق العدو بنا غداً إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله». فأشرق وجهه عليه السلام وسُرَّ بذلك وقال كما في رواية البخاري: «**أبشروا والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**». فعلم القوم من هذه الجملة أن الحرب لا بد حاصلة.

هنالك تجلت شجاعة المسلمين وظهر تحديهم الكبير لجحافل الشرك، على أن الرسول ﷺ كان يتمنى حتى قبيل القتال لو استمعت قريش إلى رشيدها **عتبة بن ربيعة**[12] وأحد أشرافها وساداتها في الجاهلية وهو يدعوها على جمله الأحمر للعودة بسلام، فيقول عليه السلام في هذا الصدد: «**إن يكن في أحد من القوم اليوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر**».

أمام إصرار قريش وعنادها ظهرت بوضوح للجميع حنكة القيادة الإسلامية حيث كان الرسول ﷺ يستطلع أخبار عدوه بدقة فائقة ويصارح جنوده بتطورات الحالة وخطورتها وكل تفاصيلها، ولما علم عليه السلام بمكان قريش وعدتهم وعددهم وكان ذلك بواسطة علي **والزبير بن العوام** لم ير بدأً من أن يكشف للمسلمين خطورة الموقف قائلاً: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»[13]. وانطلق المسلمون بعد ذلك حتى نزلوا بعدوة الوادي الدنيا من المدينة بعيداً عن مصادر الماء في أرض سبخة[14] وأصاب المسلمين عطش،

وكان بعضهم جنباً وبعضهم محدثاً. عند ذلك استجاب الله سبحانه وتعالى، وبعث فيهم مطراً حتى سال الوادي، فشربوا ما طاب لهم، واتخذوا الحياض على عدوة الوادي، واغتسلوا وتوضؤوا وملؤوا الأسقية ولبدت الأرض حتى ثبتت الأقدام، على حين كان هذا الغيث كارثة على المشركين حيث حول الأرض إلى وحل لم يعودوا معه قادرين على الارتحال.

ثم سار جيش المسلمين بعد ذلك حتى نزل أدنى ماء من بدر، فقال له **الحباب بن المنذر الأنصاري** ــ وكان مشهوراً بجودة الرأي ــ: «يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟» فقال عليه السلام: «الرأي والحرب والمكيدة». ثم قال الحباب: «يا رسول الله ليس لك هذا بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فإني أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغور ما عداه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون». فقال ﷺ: «لقد أشرت بالرأي». ونهض حتى أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغورت لينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه. ثم قال **سعد بن معاذ**: «يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله تعالى وظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن أشد لك حباً منهم ولا أطوع لك منهم رغبة في الجهاد ونية، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك إنما ظنوا أنها العير، يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك:». فقال الرسول عليه السلام: «أويقضي الله خيراً من ذلك». ثم بني للرسول ﷺ عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب.

ولما اجتمع القوم من جديد بعد الوضوء والصلاة، قام الرسول عليه السلام يتفقد جنوده ويسوي بيده الكريمة صفوفهم ويعين لكل واحد من المقاتلين دوره في المعركة ويحدد مواقع الرماة بالنبال خلف حاجز من المشاة والفرسان، ويأمر الرماة بما يتطلبه الهجوم من الاستفادة من الذخيرة وكذلك بالمفاجأة، فيأمرهم ألا يطلقوا سهامهم إلا والعدو في نطاق المرمى، ويقول في هذا الصدد مخاطباً جيشه: «**إذا اكتنفوكم فانضحوهم بالنبل**»[15] ويحذر الرسول عليه السلام لقلة جنوده فلا يدفعهم بهجوم على جيش جرار قد يطوقهم بعدده الكبير، وإنما كانت خطته ﷺ استدراج العدو حتى يدخل في نطاق الرماية.

ولما أصبحت صفوف المسلمين متراصة ومناكبهم متلاصقة صاروا «وكأنهم بنيان مرصوص» ثم نظر عليه السلام إلى قريش وقال: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني به**».

بـدايــة المعـركـة

ولما التقى الفريقان المتحاربان ، ألقت قريش نظرة استهزاء واحتقار على المسلمين وعلى عدتهم المتواضعة . وقبل أن تقوم الحرب خرج من صفوف المشركين **الأسود بن الأسد المخزومي** ، وقال : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه » . فخرج إليه **حمزة بن عبد المطلب** وتصدى له وقتله ، ثم وقف ﷺ يحرض المسلمين على الصبر والثبات وكان فيما قال : « **وإن الصبر في مواطني البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم** » .

بعد ذلك بدأت المبارزة ، فطلب صناديد قريش ملاقاة أبطال المسلمين فخرج حمزة بن عبد المطلب مرة أخرى وعلي بن أبي طالب ، وقتل كل منهما صاحبه القرشي . . وجز علي عنق الوليد وكانا أصغر المقاتلين إذ كان عمر علي لا يزيد على خمس وعشرين سنة أو سبع وعشرين ، كما قتل حمزة **شيبة بن ربيعة** . واحتدمت المعركة واشتد النزاع وانتشر الهلع بين صفوف قريش والتقى الأنداد بالأكفاء بعضهم ببعض وماجوا واضطربوا في معركة عنيفة . . وبعد هذه المبارزة قام عليه السلام ليحث المسلمين على مزيد من الصبر والجلد ، وكان من دعائه في ذاك الوقت وهو بباب العريش متوشحاً سيفه ما يلي : « اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد » . فقال **الصديق** إذ ذاك : « حسبك فإن الله سينجز لك وعده » . فخرج عليه السلام وهو يحرض الجيش قائلاً : « **والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، ومن قتل قتيلاً فله سلبه** » .

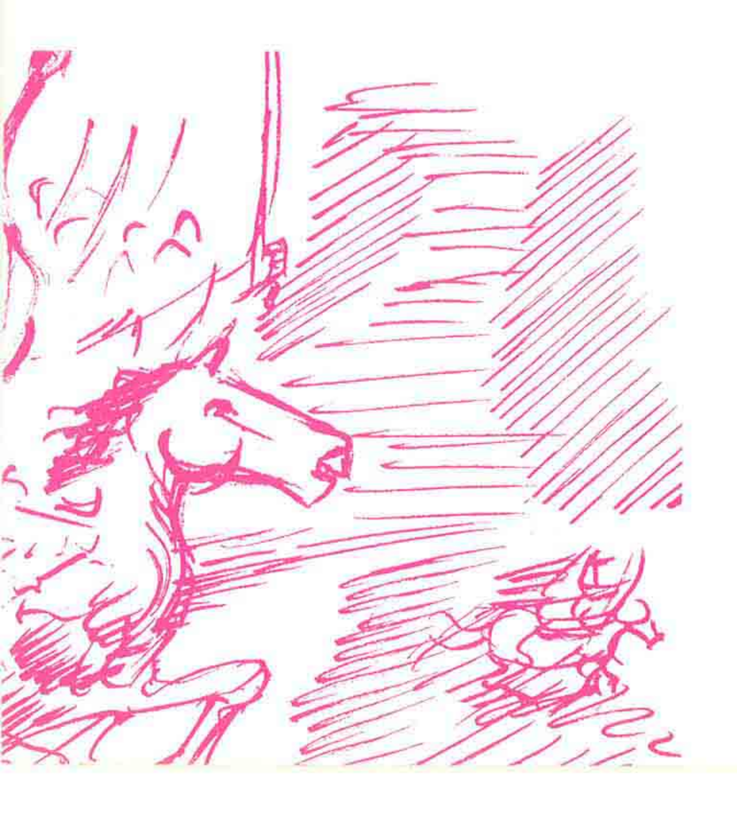
فقال **عمير بن الحمام** وبيده تمرات يأكلها : « بخ بخ ! ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء » . ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل . . واشتد القتال وأيد الله المسلمين بالملائكة المقربين بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم ، وحمي الوطيس وانقلب المشركون في ارتباك مفاجئ وانقض عليهم رماة المسلمين ومشاتهم بهجوم خاطف ، فلم تكن إلا ساعة حتى هزم الجمع وولت شرذمة الكفر الدبر وتبعها المسلمون يقتلون ويأسرون ، وقد قتلوا من المشركين نحو سبعين رجلاً وأسروا سبعين أيضاً قتل اثنان منها بأمر رسول الله وهما : **النضر بن الحارث** والآخر **عقبة بن أبي معيط** اللذان كانا شديدا الايذاء له ﷺ .

وكانت هذه الواقعة صبيحة **الجمعة من السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة الموافق ٦٢٤ ميلادية من شهر يناير (كانون الثاني)** .

وهكذا تكون غزوة بدر الكبرى أولى غزوات الرسول المهمة ، وبها تمهدت قواعد الدين وأعز الله فيها الإسلام وأذل جبابرة قريش وقتلت في هذه المعركة كل رؤوسهم ورؤسائهم أمثال أبي جهل وغيرهم . . ووقعت الهيبة من المسلمين في قلوب اليهود وأعداء الإسلام . وقد خص القرآن الكريم هذه الغزوة فنزلت سورة بأكملها في حقها وهي سورة **الأنفال** ، وقد استطاعت هذه السورة الكريمة أن تجمع القلوب بعد أن كادت تفترق من جراء خلاف وقع بين بعض المسلمين في قسمة الغنيمة ، ولما سمع هؤلاء بهذه السورة وهي تقول : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ . سطع على أفئدتهم نور القرآن فتآلفوا من جديد وتركوا أمر الغنائم لرسول الله فقسمها عليه السلام ـ كما حكم القرآن ـ على السواء الراجل مع الراجل ، والفارس مع الفارس ، وأدخل في الأسهام بعض من لم يحضر لأمر كلف به وهم : **أبو لبانة الأنصاري** لأنه كان مخلفاً على أهل المدينة ، **والحارث بن حاطب** لأن الرسول عليه السلام خلفه على بني عمرو بن عوف ليحقق أمراً بلغه ، **والحارث بن الصمة** وأخوات **ابن جبير** لأنهما كسرا بالروحاء فلم يتمكنا من السير ، **وطلحة بن عبيد الله** ، **وسعيد بن زيد** لأنهما أرسلا يتلمسان الأخبار فلم يرجعا إلا بعد انتهاء الحرب ، **وعثمان بن عفان** لأن الرسول عليه السلام خلفه على ابنته **رقية** بمرضها ، **وعاصم بن عدي**[١٦] لأنه خلفه على أهل **قباء والعالية** ، وكذلك أسهم لمن قتل ببدر وهم أربعة عشر أخذ نصيبهم من الفيء أولادهم وورثتهم بالقسط. والآن بعد مضي أربعة عشر قرناً على مرور هذه الغزوة ، ما هي نتائج هذا الانتصار الكبير على الإسلام والمسلمين ؟

لقد خاض المسلمون وهم عصبة قليلة مؤمنة بدر بشجاعة وتحد كبير ، وبرهنوا على أنهم قادرون على تحقيق المزيد من الانتصارات بفضل الصبر والثبات والإيمان الصادق والتفاني في نصرة الحق والرغبة في تكوين مجتمع مهاب الجانب قادر أن يحمي الدين الإسلامي وأن يذود على مكتسباته المقدسة وتكفينا فخراً شهادة القرآن الكريم حيث يسجل بطولة «عمير» وأمثاله ، فيقول : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً** ﴾ . ولا نعجب حينما يخلد الذكر الحكيم شهداء بدر كلهم بدون استثناء في هذه الآية العظيمة : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ .

لقد كان يوم بدر يوم عزة للمسلمين والإسلام ولا بد أن نرجع إلى الوراء ونتذكر تلك الصورة المشرقة التي تلقت النبي وصحبه وهم راجعين من بدر إلى المدينة حيث استقبلته الولائد بالدفوف وهن ينشدن :



طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

إن يوم بدر يوم تحولت فيه القوى بجانب الحق، يوم أعز الله فيه جنده ونصر عبده، يوم غيّر معالم التاريخ وتوطدت فيه الدولة الإسلامية، وهو يوم رُفعت فيه راية الحق والإسلام عالية وركزت فوق الأرض بقوة لتظل كذلك أبد الآبدين.

فما أحوجنا في هاته الظروف العصيبة التي يمر بها عالمنا العربي والأمة الإسلامية بصفة عامة وما يتربص بها من مؤامرات عديدة إلى روح بدر ومعنويات بدر وإجماع بدر ليتحقق بذلك النصر الموعود مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾.

صدق الله العظيم

المراجع والمصادر

١ ــ القرآن الكريم
٢ ــ الأحاديث النبوية عن صحيح السنة للإمامين البخاري ومسلم بن الحجاج.
٣ ــ سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد؛ سيرة ابن هشام - سيرة ابن سيد الناس - سيرة الشمس الشامي - السيرة الحلبية - سيرة زيني دحلان - السيرة النبوية للقسطلاني.
٤ ــ حياة محمد، محمد حسين هيكل، الطبعة ١٣، (١٩٦٨م).
٥ ــ شهداء الإسلام، علي سامي النشار.
٦ ــ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، تأليف: الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي.
٧ ــ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تأليف الشيخ محمد الخضري بك.



الهوامش

(١) سفوان: واد من ناحية بدر.

(٢) مجنة: سوق معروفة.

(٣) الهجرات الثلاث؛ وهي: الهجرة الأولى: لما رأى النبي ﷺ في بدء دعوته ما يصيب أصحابه من البلاء والإيذاء قال لهم: «لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد». فهاجر أصحابه وتسمى «الهجرة الأولى». وهناك هجرة الحبشة الثانية. الهجرة الثالثة أو هجرة النبي: بايع النبي الأوس والخزرج «الأنصار» بعد إسلامهم على نصرته، فغادر مكة يصحبه أبو بكر مهاجراً إلى المدينة في ١٥ أو ١٦ تموز من سنة ٦٢٢م، ومنها بدء التاريخ الهجري، ثم تتابع المؤمنون يفدون إلى المدينة، دار الهجرة والخلافة.

(٤) طلحة بن عبيد الله: صحابي قرشي تيمي. من العشرة المبشرين بالجنة ومن أغنياء قريش. كان يسمى «**طلحة الفياض، وطلحة الجود**» لسخائه. قتل في وقعة الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦هـ/٦٥٦م.

* سعيد بن زيد: صحابي وقرشي عدوي. من السابقين الأولين لدعوة الإسلام هو وامرأته فاطمة أخت عمر، هاجرا إلى الحبشة. قاتل مع الرسول في جميع الغزوات. اشترك في فتوح الشام. أحد العشرة المبشرين بالجنة. توفي بالمدينة سنة ٥١هـ/٦٧١م.

(٥) الحوراء: وفي بعض المصادر الأخرى نجد الروحاء وهو موضع على ثلاثين أو أربعين ميلاً جنوب المدينة الغربي.

(٦) بعض المصادر الأخرى تقول إنه كان معه ٨٣ من المهاجرين و٦١ من الأوس والباقون من الخزرج.

(٧) الاعتقاب: هنا أن يركب الواحد البعير مدة ثم ينزل ليعتقبه الآخر فيركبه. يقال كذلك: «تعاقب القوم على الراحلة» أي تناوبوا.

(٨) مصعب بن عمير العبدري: قرشي من بني عبد الدار. صحابي شجاع. كان من المترفين في قومه. أسلم سراً وأوذي في سبيل إسلامه. هاجر إلى الحبشة. حمل لواء المسلمين في بدر وأحد حيث استشهد سنة ٣هـ/٦٢٥م.

* بالنسبة للرايتين السوداوين إحداهما كانت مع علي بن أبي طالب والأخرى مع رجل من الأنصار ومعلوم أن الراية هي العلم الأكبر واللواء دونها.

(٩) السقيا: مكان خارج المدينة.

(١٠) المقداد بن الأسود: صحابي من الأبطال. نسب إلى الأسود بن عبد يغوث. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. هاجر إلى الحبشة، قاتل في بدر وأحد. توفي بالمدينة سنة ٣٣هـ/٦٥٣م.

(١١) سعد بن معاذ: أنصاري أوسي من أعاظم الصحابة. قاتل في بدر وأحد. استشهد في الخندق من سهم أصابه. بكاه الرسول، وتولى الصلاة عليه. كانت وفاته سنة ٦هـ/٦٢٧م.

(١٢) عتبة بن ربيعة: من أشراف قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. قتل في مصاف القرشيين في بدر، وكان ابنه أبو حذيفة يقاتل في صفوف المسلمين.

(١٣) وفي رواية أخرى يقول الحديث على لسان الرسول: «لقد رمتكم قريش بأفلاذ كبدها» وأفلاذ كبدها أي قطعها؛ والفلذة: هي القطعة من الكبد أو اللحم أو الذهب أو غير ذلك. ج. فِلَذ وفِلْذ وأفْلاذ.

(١٤) سبخة: نقول أرض سبخة أو أرض ذات السباخ أي ذات النز والملح. ما يعلو الماء كالطحلب ج. سباخ وسبخات.
السباخ من الأرض: ما لم يحرث ولم يعمر.

(١٥) وفي رواية أخرى يقول الرسول: «لا تحملوني حتى آمركم وإن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم». ومعنى اكتنفوكم أي قاربوكم فانضحوهم بالنبل أي رشوهم بالسهام رشاً. نقول تكنف القوم فلاناً: أي أحاطوا به. ونقول نضح فلان فلاناً بالنبل: أي رماه به.

(١٦) عاصم بن عدي المدني العجلاني القضاعي حليف الأنصار. شهد أحداً وما بعدها. روى عنه ابنه أبو البداح وسهل بن سعد والشعبي. مات سنة ٤٥ وهو ابن مائة وعشرين سنة. وهو ممن ضرب له في بدر بسهم ولم يشهدها.



اللغة الأوغاريتية

أقدم لغة موجودة..

لم تكن اللغة السامية الأوغاريتية أو الكنعانية الشمالية معروفة قبل اكتشاف مدينة أوغاريت الأثرية التي تقع على بعد تسعة كيلومترات من مدينة اللاذقية، وهذه اللغة التي «تؤلف أقدم مصدر للغة العربية» على حد تعبير كلود شيفر، عضو المجمع العلمي الفرنسي، وتعد ضمن آخر المكتشفات التي عرفها البحث في لغات أقوام الجزيرة العربية «السامية»، هي في الحقيقة أقدم لغة مؤجدة، وصلتنا من منطقة الشام، وقد وجد العلماء أن اللوحات الفخارية المدونة عليها قد كتبت بنوع غريب من العلامات المنتهية بالمسامير إلا أنها ليست خطاً مسمارياً، بل إنها نوع من الحروف الهجائية، وعددها ثلاثون علامة، يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر، وربما القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أما سبب مشابهتها بالعلامات المسمارية فناشئ من كتابتها على ألواح طينية بأقلام معدنية أو خشبية تشبه الأقلام المستعملة في كتابة الخط المسماري البابلي، ويسمى هذا القلم ستيلوس.

أقدم أبجدية في العالم

وبذلك يمكن عدّ أبجدية أوغاريت أقدم أبجدية عرفت في العالم، لأنه في العهود التي سبقت القرن الرابع عشر قبل الميلاد، لم يكن يعرف سوى طريقتين للكتابة، الأولى: **الطريقة الهيروغليفية (الصورية)**، وقد استخدمت بشكل مخصوص في مصر، والثانية: **الكتابة المسمارية المقطعية (الصوتية)**، وقد انتشرت في العراق، وكل واحدة من هاتين الطريقتين تتطلب عدداً كبيراً من الإشارات، لأن كل إشارة فيها إما أن ترمز إلى الكلمة بكاملها أو إلى مقطع صوتي، ولا شك أن ذلك يجعل اللغة تحتاج إلى خمسين ومئة أو مئتي حرف.

ويرجع الفضل في حل رموز هذه الأبجدية إلى **هانس بوير وشارل ميرلوا وإدوار دورم**، والذي زاد في أهمية هذه الأبجدية اكتشاف لوحة صغيرة أثناء حفريات سنة ١٩٤٩م، عند مدخل **القصر الملكي** في أوغاريت، تحمل أحرف أبجدية أوغاريت الثلاثين بالترتيب الشائع في **العهد الأوغاريتي**، وتبين أنه الترتيب نفسه الذي تتبعه الأبجدية اليونانية والأبجدية العربية كذلك، وتسمية الحروف عندهم تجري على هذه الشاكلة: **آلف، بيت، جيمل، دالت، هاي، واو، زاين، حيط، طيت، كوف، لامذ، ميم، نون، سين، عين، فا، صاد، قوف... الخ، والأبجدية اليونانية** تبتدئ بحروف: «**ألفا، بيتا، جما، دلتا**»، وهي حروف الألف والباء والجيم والدال في «**أبجد**» على ترتيب العربية، ثم تقابل حروف «**هوز**» بما يقاربها مع اختلاف نطق الهاء، ونطق الواو حين تكون حركة مد في اليونانية وحرفاً منطوقاً في الأوغاريتية في بعض الأحيان، ثم تأتي «**كلمن**» متتابعة كما هي في الأوغاريتية والعربية بغير اختلاف لخلوها من حروف الحلق والمد، وفي اليونانية يلفظونها: «**كپا، لمدا، مي، ني**» ويتبعونها ببقية الحروف الأوغاريتية على النحو الذي أشرنا إليه.

ومن الغربيين من يتعصب ضد نسبة أي ثقافة أوروبية إلى أصل من أصولها العربية أو السامية، فهم يدركون هذا الشبه بين الأبجدية الأوغاريتية والعربية من جهة والأبجدية عند اليونان، فيعترفون به، ولكنهم يسألون: ولماذا لا يكون الساميون هم الذين اقتبسوا هذه الحروف من مصدر أوروبي قديم؟

وقد يعلق هذا السؤال لولا أن أسماء الحروف الأوغاريتية أو العربية عرفت بمعانيها وأشكالها، ولم يعرف لها معنى ولا شكل يعود بها إلى لغة



★ منظر عام لبقايا أوغاريت ★

كيف كانوا ينطقون ، لأن أدبهم الذي وصل إلينا مكتوب بحروف صامتة ، ولم يتجرأ أحد على قراءة هذه النصوص بالحركات ، ولكن يقدر أن النطق لم يكن يختلف كثيراً عن العربية القديمة والآرامية .

الاهتمام بالأوغاريتية

وقد جذب اكتشاف الأبجدية الأوغاريتية اهتمام العالم لكون أبجديات العالم المعاصر قد تطورت منها ، وأصبحت اللغة الأوغاريتية موضع اهتمام المحافل العلمية والتاريخية واللغوية في العديد من دول العالم ، وهي تدرس الآن في أكثر من أربعين جامعة في أوروبا وأميريكا في أقسام خاصة بها ، لا يقبل بها على الأغلب إلا من يحسن العربية ، على الأقل ، لأن من

وصلة كاملة بالعربية

بقلم : إحسان جعفر

يحسن العربية يستطيع بيسر أن يفهم النصوص الأوغاريتية ، ووضع لها مؤخراً عدد من المختصين معجمات حديثة وفهارس ، وكتبوا أبحاثاً عديدة في قواعدها النحوية والصرفية ، ونافت الكتب والنشرات والمقالات التي ألفت حولها ـ بمختلف اللغات ـ الآلاف .

وعلى الرغم من أن تحديد الصفات المميزة الخاصة باللغة الأوغاريتية ، وبالتالي درجة قرابتها من لغة أو من مجموعة لغات سامية ، أمر يتطلب أولا التوصل إلى وضع وصف مفصل ومنهجي لعلم الأصوات وللتشكل الصوتي وللنحو وللنواحي الاصطلاحية للغة الأوغاريتية الأمر الذي لم يتم بعد ، فإنه عند ترجمة النصوص الأوغاريتية تبين أن هذه اللغة تشاكل إلى حد كبير اللغة العربية ليس من جانب الألفاظ فحسب ، وإنما في التعابير القديمة ، وفي تركيب الجمل ، فقواعدها تتفق بشكل عام مع قواعد اللغة العربية النحوية والصرفية ، ونرى أيضاً تشابهاً تاماً في النطق فلكل حرف من حروف الأوغاريتية قيمة صوتية لها ما يقابلها في اللغة العربية .

وقد ذكر بعض الذين لهم اشتغال بالأبحاث الأوغاريتية أن في اللغة الأوغاريتية سبعمئة كلمة نراها هي هي في العربية والأوغاريتية ، غير أنه تبين أن اللغة الأوغاريتية التي تنتسب إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، أي أقدم من **اللغة العبرية** ، ليست سوى لهجة عربية قديمة ، **ويتضح ذلك إذا أراد الناطق أن يتصرف بالمد والقصر أو التفخيم والترقيق أو الاشمام أو الإمالة في أداء الأصوات لكون الأبجدية الأوغاريتية خالية من الصوائت .**

وقد درس العلاقة بين العربية والأوغاريتية العديدون ، غير أن أشهر

من لغات الأوروبيين ، ومن معاني هذه الحروف ما نفهمه في أحاديثنا اليومية إلى يوم الناس هذا كالباء من البيت ، والجيم من الجمل ، والحاء من الحائط ، والعين من العين ، والكاف من الكف ، والنون من النون أو الحوت . .

وقد يقال إن تسمية الحروف الأبجدية بالأسماء التي ذكرناها قد اختيرت بصورة مستقلة ومتأخرة عن أشكالها ، بغية إعطاء تلك الحروف دلالات مألوفة ومرئية في حياة المجتمع اليومية كي تسهل استمرارية تذكر كتابتها ونطقها ، ولكن هذا القول لم يثبت على وجه التحقيق والجزم[1] .

وأبجدية أوغاريت أغنى الأبجديات السامية المعروفة ، فبالإضافة إلى الأحرف الصوتية الثلاثة التي تمثل الألف U — I — A ، وهي ذاتها **الصوائت السامية البدائية** ، فإنها تحتوي أيضاً على علامتين لتدوين الحرفين المدورين الصامتين : **الهاء الحلقية (ح) والهاء اللهوية** ، وعلى علامتين لكتابة **الأحرف الحلزونية المخرج المصوتة والحنجرية والحرف اللهوي (غ)** ، وهناك علامتان لكتابة **الحرفين السنيين الحلزونيين : المصوت (ظ) والصامت (ط)** ، وعلامة لكتابة **الحرف السني المفخم الصوتي (ذ)** . . أما بقية العلامات فهي مثل العلامات الأبجدية المعروفة في الأبجدية الكنعانية الكلاسيكية ، باستثناء حرف غامض هو السادس عشر في ترتيب هجائهم . وهذه الرموز الصوتية هي :

أ ب ج (قاهرية) خ د هـ و ز ح ط ي ك ش ل م س ؟ (أولى) ن ظ س (ثانية) ع ف ص ق ر ث غ ت إ (=) أ .

وطريقة الأوغاريتيين في الكتابة طريقة سائر الشعوب السامية **(باستثناء الأحباش)** : الاكتفاء بإدراج الحروف الصامتة وترك الحركة لتقدير القارئ ، وفي هذا ما فيه من عسر وإبهام وحدس . ولسنا ندري

من درس هذه العلاقة بتعمق الدكتور **عز الدين آل ياسين** ، فقد نشر بالإنكليزية كتاباً له يحمل اسم (**علاقة الألفاظ بين الأوغاريتية والعربية**) ، وفيه درس بضع مئات من الكلمات الأوغاريتية مقارناً إياها بأصول عربية ، ومما يبعث على الأسى أن يبقى هذا الجهد حتى الآن حبيس اللغات الأجنبية .

كلمات مشتركة

ومن الكلمات المشتركة بين العربية والأوغاريتية : « **نهر ، أب ، أخ ، يد ، حلم ، حرب ، بتول ، كرم ، عربة ، حصان ، لحم ، حجر ، بحر ، موت ، يم ، نعمة ، حسن ، جراد ، صحراء ، دمع قرار ، تراب ، مودة ، سلام ، عبد ، أرض ، حقل ، رحى ، عرب ، قتال ، بيت ، أحد ، أكل ، أمر ، بكى ، ابن ، دم ، مر ، قبر ، الخ . . .** » .

ويجب الاحتراس من التمادي في استخدام اللغة العبرية لفهم النصوص الأوغاريتية لكي لا يقع الباحث فيما وقع فيه (**فيرلو**) و (**ديسو**) وبعض العلماء اليهود من أخطاء فادحة مردها إلى اعتبار بعض المظاهر اللغوية الأوغاريتية عبرية صرفاً ، فالواقع أن في لهجة أوغاريت عناصر لغوية تشبه البابلية ـ الآشورية ، والآرامية ، فضلاً عن العربية كما نوهنا .

والعبرية أحدث عهداً من الأوغاريتية إذ إن قبيلة بني إسرائيل تعلمت العبرية من الكنعانيين الأصليين عند دخول القبيلة أرض كنعان في حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وقد لفت نظر العلماء وجود ثمة شبه بين بعض العبارات الأوغاريتية والعبرية وخاصة في مفردات معينة وجمل كانت معروفة في **التوراة** ووجدت حرفياً في أساطير أوغاريت ، وكان ذلك مفاجأة ، لأن أساطير أوغاريت تسبق بما يقرب من ألف سنة نصوص التوراة إلا أن العجب زال بعد تأكد لدى الباحثين أن العبريين سطوا على أساطير **سومر وبابل وأوغاريت** وضمنوها توراتهم .

وللدكتور **جورج حداد** دراسة قيمة بهذا الصدد نشرها بالعربية في **مجلة الحوليات** الأثرية السورية (الجزء الأول والثاني سنة ١٩٥٢ م) تحت عنوان : « **الأدب الكنعاني في رأس شمرة والتوراة العبرانية** » ، وفيها أوضح أن الأدب الكنعاني كما نجده في لوحات رأس شمرة (أوغاريت) قد أثر ليس على الأمثال والحكم الموجودة في **سفر الأمثال** في التوراة وفي سفري **المزامير ونشيد الأنشاد** فحسب ، وإنما أثر أيضاً على الكتابات العبرانية الواردة في **سفر التكوين وأخبار الأنبياء .**

وللتدليل على شدة تلاحم الأوغاريتية بالعربية نورد هذه القطعة الشعرية من ملحمة (**كارت**) حيث عني بنشرها الدكتور **أنيس فريحة** في كتابه المسمى بـ « **ملاحم وأساطير أوغاريت** » ، وفيها يخاطب الملك (كارت) محبوبته **حورية** :

- **أشلو بصف عنه**
- **دبحلمي إل يتن**
- **دبشرتي أب أدم**
- **ولد شفح لكارت**
- **وغلم لعبد إل**
- **كارت يخط وحلم**
- **عبد إل وهدرت**

وتحرير المعنى :

- **أسلو بصفاء عينيها**
- **بحلم إيل وهبني إياها**
- **بشرني بها أبو البشر**
- **ولد سفاح لكارت**
- **وغلام لعبد إيل**
- **كارت خط وحلم**
- **(أفاق) عبد إل وإذا هو هدر (توهم) .**

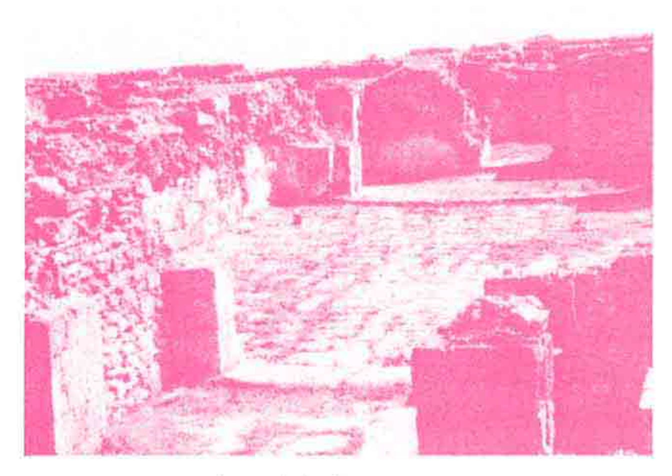
وبالإضافة إلى ما تحتويه الأوغاريتية من كلمات عربية فصيحة ومعجمية تتكشف للباحث لدى الرجوع إلى المعجمات العربية ، والتي لا يمكن حصرها بعدد محدد ، فإن في الأوغاريتية مفردات عديدة لا تزال سائلة على ألسنة الأهلين في مدينة اللاذقية والمنطقة المحيطة بها ، ومن هذه المفردات على سبيل المثال ، كلمة « **نقمة** » التي يطلقها أهل اللاذقية على الرجل المتسلط ، وهي لفظة أوغاريتية كانت اسماً لأحد ملوك أوغاريت المسمى « **نقمد** » ومعناه « **نقمة حدد أو هدد** » ، وكان ملكاً مغتصباً ، اتصف بالشدة ، ومنها أيضاً كلمة « **المقت** » بمعنى الاكتئاب لا

★ حروف الهجاء الأوغاريتية ★

م		أ	
ن		إ	
س		أ	
س٢		ب	
ع		ج	
غ		د	
ف		ه	
ص		و	
ظ		ز	
ق		ح	
ر		خ	
ش		ط	
ش٢		ي	
ت		ك	
ث		ل	



★ خرائب أوغاريت ★



★ ساحة القصر الملكي في أوغاريت ★

الكره ، ومنها أيضاً « **عين** » بمعنى نظر ، و« **ات** » أنت و« **اجر** » قدم ، و« **شقل** » حمل ، ومن بقايا اللغة الأوغاريتية لاحقة يزيدها بعض الأهلين **كسعاً** على آخر الأفعال يراد منها تأكيد الحدث إذ يقولون في ضربناه « ضربناهني » أو « ضربناهنه » .

العربية والأوغاريتية

إن كشف أبعاد التلاقي والتداخل بين العربية والأوغاريتية ما زال البحث فيه مفتوحاً وطرياً ، لأن الاكتشافات لا تزال تتوالى ، غير أن الذي يحز في النفس أن الدراسات المعمقة في هذا المجال وخاصة تلك المكتوبة بالعربية نادرة وقليلة ، وفيما عدا شذرات متفرقة لا نعثر على كتاب خاص صدر بالعربية يوضح هذه العلاقة بجلاء على الرغم من أهميته وخدمته لفقه اللغات المقارن والدراسات السامية وعلمي **الترسيس والتأثيل** .

الهوامش

(١) مما يؤيد القول إن الحروف الأوغاريتية والعربية عرفت بمعانيها وأشكالها ، أن الحروف الكنعانية ، وإن كانت ليست بصور ، فإننا نجد لمعانيها علاقة بالصور كما يتضح ذلك من الجدول التالي :

ألف : بقرة (حيوان أليف)	حيت : حائط	سامخ : آلة كالعصا
بيت : بيت	طيت : حنش	عين : عين
جيمل : جمل	يود : يد	فا : فم
دالت : باب	كاف : كف	صادي : شبكة للصيد
ها : شبكة حديد للشباك	لمد : عصا لضرب البقر	قوف : سم الخياط
واو : وتد	ميم : ماء	ريش : رأس
زاين : سلاح	نون : حوت	شين : سن
		تاو : علامة

بعض الكلمات الأوغاريتية وعلاقتها بالعربية

أجرت : أُجرة	بتلت : بتول	حظر : حظيرة
أخذ : أخذ	برق : برق	حوت : حيوان
أخريت : الأخرة	بركت : بركة	خمر : خمر
أدن : أذن	بلد : بلد	خنزر : خنزير
أرص : أرض	بهت : بهو	رح : روح
أمت : أمة	جن : جنينة	يم : يم

بعض الكلمات الأوغاريتية وما يقابلها في لهجة اللاذقية :

اللفظ الأوغاريتي	اللفظ في لهجة اللاذقية	المعنى
إتَّ	إتَّ	أنْتَ
بت	بت	بنت
جعر	جعر	زمجر
شقل	شقل	نهض
نتر	نتر	حرك
ثكم	شكم	كتف
أُشن	ششنه	هدية
سجر	سكر	قفل
اجر	إجر	قدم
حرحر	حرحر	احتر
جرجر	جرجر	جرّ
خزق	خزق	مزّق
شرم	شرم	قطع
صمد	صمد	أجْلَسَ
أخذ	أخذ	أخذ
عيّن	عيّن	نظر
ثفط	شفط	سلب

من مراجع البحث

١ ـ أنيس فريحة « ملاحم وأساطير في أوغاريت » ، بيروت ١٩٦٦ م .

٢ ـ نسيب وهيبة الخازن « أوغاريت ، أجيال ، أديان ، ملاحم » ، بيروت ١٩٦١ .

٣ ـ جبرائيل سعادة « رأس الشمرة ، آثار أوغاريت » ، دمشق ١٩٥٤ م .

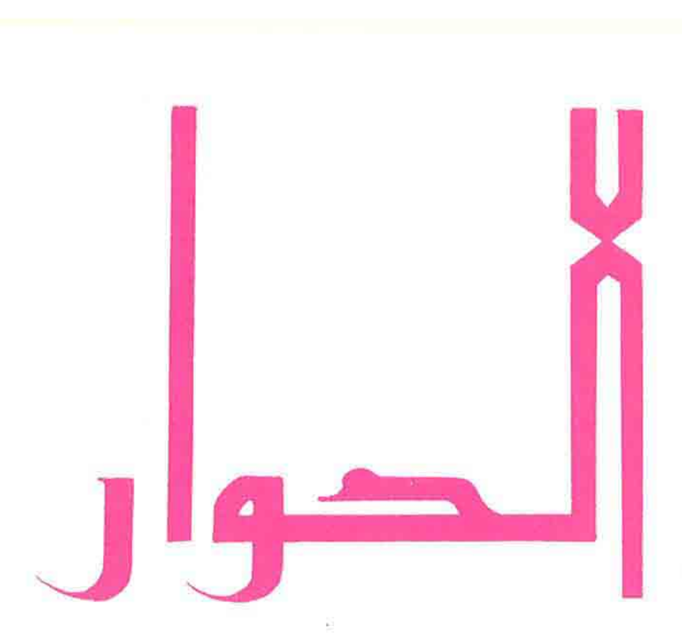
٤ ـ جبرائيل سعادة « معلومات موجزة عن رأس الشمرة ـ أوغاريت » اللاذقية ١٩٦٨ م .

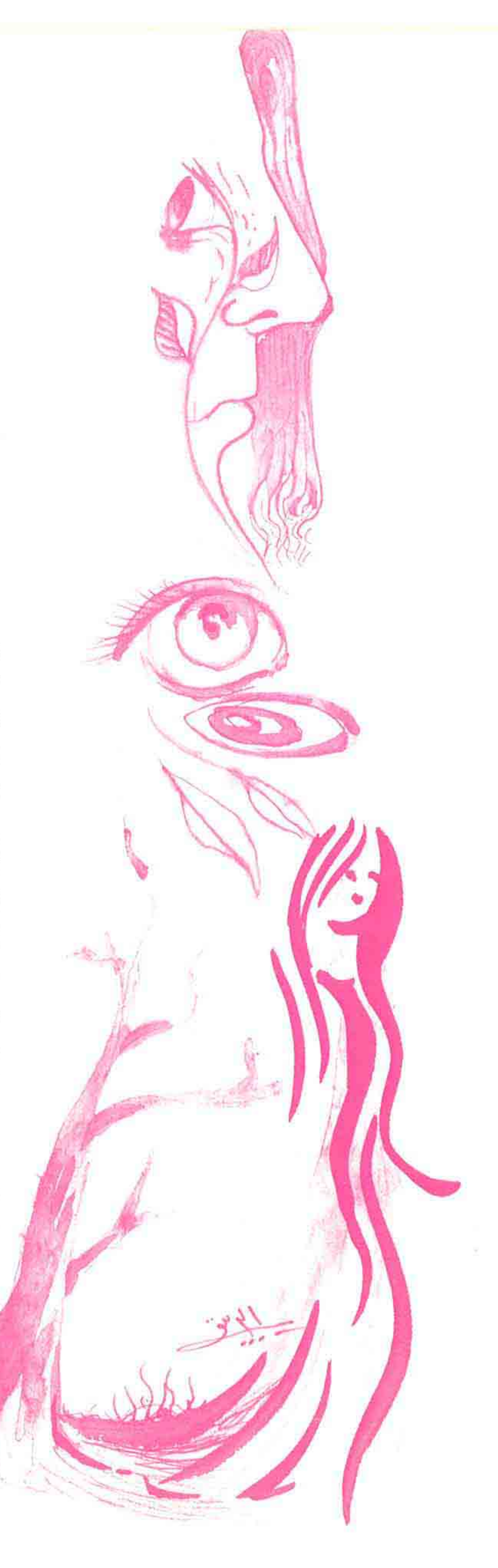
٥ ـ إسرائيل ولفنسون « تاريخ اللغات السامية » ، مصر ١٩٢٩ م .

٦ ـ محاضرات الموسم الثقافي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ م ، وزارة الثقافة دمشق ١٩٦٣ م .

٧ ـ مجلة الحوليات الأثرية السورية « أعداد مختلفة » .

٨ ـ عز الدين آل ياسين « علاقة الألفاظ الأوغاريتية والعربية » بالإنكليزية :
THE Lexical Relation Between Ugaritic and Arabic.





الحوار

شعر : سعيد قندقجي

قالت الشوكة للوردةِ يوماً ... أنا أقوى منك صرحاً ومَضاءَ
أنتِ ما أنتِ ؟ سراب زائل ... عَرَضٌ يحمل كالداءِ الفناءَ
كم تمزَّقتِ بأيدٍ لم تجد ... غيرَكِ الجنيَّ وكم ذقتِ الشقاءَ
لا تقولي : عطَّر الصبح دمي ... ستكونين بلا عطرٍ مَساءَ
أنتِ عُمرٌ لا تُحسِّنَ به ... كوميض البرق بَدءً وانتهاءَ
وأنا الباقي ويا رُبَّ يدٍ ... حين مَسَّتْني جَنَتْ مَسِّي دماءَ
أنا طغيانٌ فلا تقتربي ... ربَّما حوَّلتُ عطفيكِ هباءَ
أنا رعبٌ فاسألي الناس ولي ... سطوة تبعدُ عني الدخلاءَ
أنا علَّمت البرايا حِقدَهُم ... وملأت الكونَ شرًّا وبَلاءَ
الميادين دَرَتْ زحف الدجى ... بشعاري ونَضَتْ مني لواءَ
وسيبقى الشر ما دمتُ أنا ... وسيلقى الناس ما دمتُ العناءَ
والهناءات محال في الورى ... كيف يهنا من رأى فيَّ اهتداءَ
لا يلام السيف في نشر الردى ... فدنانا لا تطيق .. الجبناءَ

* .. * .. *

فأفاقت وردةُ الروض وقد ... برمت بالشوك كِبراً وادعاءَ
وتحدَّتْهُ فلَمْ يفتح فَماً ... ثم ألقته فلم يطلق نداءَ
أيها المغرورُ فيما يدعي ... أيها المالئُ دنيايَ افتراءَ
أنا عطر الروض لولايَ شذىً ... ما رأى العشاق في الروض صفاءَ
أنا تاجٌ، أنا عقد شَيِّقٌ ... للصبايا يَتَفَتَّحنَ .... بهاءَ
كم على الصدر تأنَّقْتُ رؤىً ... وعلى الوجنة أضفيت رُوَاءَ
لا تخل قطفي موتاً إنني ... فوق ما تهوى على القطف بقاءَ
برعمي كنزٌ وعطري موسم ... وانتهائي كان في عمري ابتداءَ
هل رأيت الشوك في قارورة ... تسحر الناس رجالا ونساءَ
هل رأيت الشوك في كف فتىً ... عاشقٍ ينساب وجداً ولقاءَ
هل رأيت الشوك طوقاً للألى ... حققوا مجداً وشادوا كبرياءَ

هل رأيت الشوك إكليل عُلىً ... لمغاوير تفانَوا .... شهداءَ

أيها المغرورُ هل كنت مُنىً ... للجماهير التي ماجت إخاءَ
وزهت سِلْماً، وَرَفَّتْ أمَلاً ... وسَمَتْ صرحاً وهامت خُيَلاءَ
أنت للنار فأوقدها لَظىً ... وأنا الفردوس ظِلاًّ وعطاءَ
أنا معنى الخير في الدنيا وكم ... أنا عانقت بنضحي الأبرياءَ
وأرحت المُتْعَبَ الضاوي وكم ... كنت للمحزون سلوىً وعزاءَ
لو تسامى الناس مثلي لغدوا ... مثلما تقضي الأماني سعداءَ

أيها المغرورُ يا مَدَّ الأسى ... نحن جاران أصولا وانتماءَ
لو تسلَّحْتَ لتحمي رايتي ... لملأنا ساحة الأرض ضياءَ
وصنعنا عالماً مبتسماً ... لا نرى في جانبيه بؤساءَ
ومحونا الجهل فارتدَّ هُدىً ... وزرعنا القفرَ فامتدَّ نَماءَ
غير أنا في صراع جاحد ... فكن اليأس لأغزوك رجاءَ
واملأ الدنيا كما شئت ردىً ... وجراحاً، وكنِ الداءَ العياءَ
وامضِ في دربك حرباً ودماً ... واتَّخِذْ من ظُلمةِ الليل رداءَ
فلي النصر، ويا رُبَّ غدٍ ... يعزف البشرى لحوناً وغناءَ
سوف يأتي بأضاميمي التي ... حملت عطري حُبًّا .... ووفاءَ
إنني آتيةٌ في موكبي ... فرحاً أسمَى ووهجاً ونَقاءَ
أنا رمزٌ للألى قد ناضلوا ... ليكونوا كالأماني عُظَماءَ
يذهب الشر وابق نعمةٌ ... للملايين طيوباً وارتقاءَ

* .. * .. *

أيهذا الشوك لم تحمل دمي ... لتكون الخصب فيضاً وسخاءَ
أنا حسبي من وجودي أنني ... أنا أسعدت بعطري الأشقياءَ
فليكن عمري نذوراً وفِدىً ... ما أجمل العمر نذراً وفداءَ



التعرق

ماهو.. مامضاره.

متى يكون التعرق غير طبيعي

يفقد الإنسان السليم، المتوسط القامة، وفي حالة الراحة، وفي درجة حرارة معتدلة تتراوح بين ١٨ و ٢٠ درجة سنتيغراد، يفقد حسب مزاجه الخاص، ما بين **٦٠٠ غرم و ١٣٠٠ غرام**، من العرق **في كل ٢٤ ساعة**.

وعند تجاوز هذا المقدار يصبح التعرق مفرطاً وغير عادي، ويمكن أن يسمى **مرض فرط التعرق أو الهيبرهيدروز**. وإذا قل الانفضاج الجلدي عن هذه الكمية فإن المرض يدعى حينئذ **مرض انعدام التعرق** أو **الآنيدروز**.

هذا وتختلف كمية العرق التي يفرزها الجلد، باختلاف الشخص وباختلاف البيئة التي يعيش فيها.

فالإنسان الذي يعمل بصورة معتدلة، **تحت الشمس**، في قلب **صحارى الجزيرة العربية** الحارة، قد يفقد كمية من العرق تبلغ ٥٠٠ غرام في الساعة. أما في **صحارى أريزونا** بالولايات المتحدة الأميريكية، فإن التعرق بالنسبة لمن يعيش في نفس الظروف تبلغ عشرة ليترات أو أكثر من عشرة كيلوغرامات في اليوم.

بيد أن **غدد التعرق** تصاب بالإرهاق، فإذا مكثت بضع ساعات تحت الشمس، فإن نسبة تعرقك تهبط شيئاً فشيئاً. فقد تهبط كمية عرقك من ١٣٠٠ غرام في الساعة خلال الساعتين الأوليين إلى ٨٩٠ غراماً في الساعة خلال الساعات الأربع التالية، حتى ولو تناولت كمية مساوية من الماء تعادل أو تزيد عن المقدار الذي أفرزته من العرق، كما يرى ذلك الدكتور غراسيانسكي.

هذا ويشتمل جلد الإنسان على حوالي مليوني غدة مفرزة للعرق، تفرز باستمرار مقادير متفاوتة من العرق.

وتتألف كل من هذه الغدد من أنبوب صغير عضلي يبلغ طوله أربعة ميلليمترات، يكون في البداية ذا تلافيف معقَّدة للغاية ضمن الطبقة العميقة من الجلد، أو البشرة السفلى، ثم يمتد على شكل خط مستقيم في الطبقة الوسطى من الجلد، وبعد أن يرسم ما بين عشرين إلى ثلاثين لولباً ينفتح في مسام البشرة السطحية.

وهناك نوعان من **الغدد العرقية**: الأولى هي **الغدد «الأكرينية»** وهي المنتشرة على سائر سطح الجلد، وهي صغيرة جداً تفرز الماء في أغلب الحالات، وهناك **الغدد «الأبوكرينية»** وهي أكبر حجماً وأقل عدداً، ولا توجد إلا في بعض أماكن من الجسم، ولا سيما تحت الإبط، ولإفرازاتها – لدى بعض الأشخاص – رائحة منفرة للغاية.

لماذا نتعرق في الطقس الحار ؟

الجواب هو أن التعرق لدى الإنسان وسيلة أساسية لمكافحة الحرارة الشديدة، وللاحتفاظ بدرجة حرارة مركزية مقدارها ٣٧ درجة على الدوام.

وحينما يؤدي سبب معين إلى ارتفاع الحرارة الداخلية في جسمنا كالتعرض **للشمس** أو **الحمى** أو بعض أصناف **المشروبات**.. الخ.



بقلم : جرمين هيغي

ترجمة : د . عبد الرحمن حميدة

فإن غددنا العرقية تأخذ فوراً في إفراز الماء الذي يشتمل عليه جسمنا . ويتبخر الماء المذكور من سطح جلدنا فيؤدي إلى انخفاض الحرارة .

وفي الواقع فإن تبخر كل غرام من الماء يمتص ٥٣٦ حريرة أو سعرة ، وتبخر عشرة غرامات من الماء يخفض الحرارة بمقدار درجة واحدة من حرارة حيوان يزن ٥,٨ كيلوغرامات .

وهناك فائدة أخرى من العرق ، وهي أنه يقي من الإشعاعات الشمسية ، لأن طبقة من العرق تبلغ ثخانتها ميلليمتراً واحداً تصد ٧٥ بالمئة من هذه الإشعاعات .

وقد كتب الفيزيائي الأميركي **بنيامين فرانكلين** القرن الثامن عشر يقول : « إن حصّادي ولاية بنسلفانيا يتحملون تأثير الشمس المضطرمة على شرط أن يتعرقوا بغزارة ، وأن يشربوا الكثير من الماء لدعم العرق ، وأن يتعرضوا للتهوية بصورة تنشط التبخر » .

إذن يبدو التعرق ضرورة حيوية ، فبعض الحيوانات المحرومة من الغدد العرقية تنضح عرقها عن طريق جهاز التنفس ، **فالكلب** مثلاً يلهث من شدقه المفتوح في الطقس الشديد الحرارة .

هل يشكل انعدام التعرق خطراً على الصحة ؟

إذا كان التعرق خفيفاً أو متوقفاً تماماً ، فقد يتعرض الإنسان خلال الصيف إلى « **ضربة الشمس** » التي تكون قاتلة في كثير من الأحيان . فالحرارة المركزية التي يحرمها توقف التعرق من الانتظام تصعد عندئذ إلى درجة خطرة . فعندما تبلغ حرارة الجسم ٤٣ درجة يتوقف التنفس ، وتتوقف عضلة القلب عن الحركة تماماً في درجة حرارة ٤٤ .

ويكون بعض الأشخاص وهم نادرون جداً ــ لحسن الحظ ــ ضحايا **خلل وراثي** مرهق للغاية : وهو **عسر التعرق الجلدي** ، فجلدهم يفتقر للغدد العَرَقية . وهذا ما يقسرهم على اتخاذ زمرة من الاحتياطات : فلا يجوز لهم الإكثار من الألبسة الثقيلة ، ولا أن يتعرضوا للتدفئة ، وعليهم تحاشي الأطعمة الدسمة الغنية جداً بالسعرات ، ولا أن يقوموا بتمارين رياضية عنيفة ، أو بذل جهد مضن .. الخ .

وفي الحالات الأخرى يكون لعجز التعرق أسباب عديدة :

- وهن الغدد العَرَقية بعد نوبات من التعرق المفرط .
- انسداد القنوات العرقية بسدادات صغيرة مؤلفة من أنقاض جلدية تالفة .
- رداءة عمل الغدد ذات الإفراز الداخلي ولا سيما الغدة الدرقية الواقعة في مقدمة الحنجرة .
- الافتقار إلى فيتامين (ج) و (ب) أو (أ) .

هل يجب أن نتعرق عند قيامنا بجهد جسماني ؟

يؤكد **الدكتور بينيه** : « أن التعرق ضرورة عند بذل الجهد العضلي ، إذ يجب تبديد الحرارة المفرطة الناجمة عن بذل الجهد بردود أفعال تصحيحية يقوم بها جسم الإنسان ، وإلا فإن ارتفاع حرارة الجسم

● هل علينا أن نتناول طعامًا مالحًا ؟

● هل يؤدي التعرق إلى نقص الوزن ؟

الناتج عن هذا الجهد يمنع العضلات من العمل بنفس الوتيرة » .

ففي حالة العمل الجسدي يكون التعرق إذن ضرورياً وهذا ما يحدث بصورة فورية : فاحتقان الأوعية الدموية الناتج عن الجهد يكون مصحوباً في كل الحالات بازدياد في إفراز العرق . وهكذا يمكن للإنسان خلال تمرين رياضي عنيف أن يفرز ما بين ٣٠ و ٤٠ غراماً من العرق في بضع دقائق .

هل تؤدي الهموم والصدمات العاطفية إلى التعرق ؟

نعم ، هذا ما يحدث في أغلب الحالات ، ذلك لأن تلافيف الغدد العرقية الجلدية العميقة مغلّفة بشبكة من ألياف عصبية ، عديدة جداً ، ودقيقة جداً .

وتواكب هذه الألياف مسار « **الجذوع العصبية** » الرئيسية في جسمنا ، وهي ترتبط بمراكز القيادة في **المخيخ** التي تنعكس عليها كل الصدمات الهيجانية والعاطفية بواسطة **الغلاف المخي** . وهكذا تنتقل بعض الهيجانات العصبية من منشأ عاطفي بحت ، إلى الألياف المذكورة التي تعمل على تقليص العضلات الصغيرة الموجودة حول القنوات الحاوية على العرق الموجود فيها على الدوام في التلافيف الغدّية . وتؤدي بعض الجروح إلى توقف التعرق تماماً بفعل انقطاع الجذع العصبي تماماً .

وعندما تصاب المراكز المنظمة في المخيخ ، فإن وظيفة التعرق تصاب حالا بالاضطراب . وهذا ما يؤكد تماماً دور الأعصاب والهيجانات العصبية في وظيفة الغدد العرقية .

ما العرق البارد ؟

إنها إفرازات عرقية ناجمة عن الحر ، ولكنها قد تنجم عن هيجانات عصبية مصحوبة بتباطؤ الجريان الدموي . ويؤكد **الدكتور بول بلوم** : « أن هذا العرق يكون مصحوباً بتضايق شديد جداً مع شعور بالغم وبانحطاط القوى عسير جداً ، ويتضاءل النبض مثلما تنخفض سرعة التنفس » . وقد يؤدي انفعال شديد أو الخوف ، وعسر الهضم ، ودوار البحر ، وعقد المصران .. الخ ، إلى ظاهرة العرق البارد المذكورة .

هل يدل عرق اليدين على سوء الحالة الصحية ؟

نادراً . لأن من الطبيعي تماماً أن تتعرق **اليدان** أكثر من **الكتف** مثلاً . وفي الحقيقة يحوي **الكفان** قرابة ٣٧٠ غدة عرقية في السنتيمتر المربع في حين لا يحوي السنتيمتر الواحد من سطح جلد الكتف أكثر من ١٠٠ أو ١٢٠ غدة عرقية .

فإذا كان شخص ما يشكو من اختلال عصبي أو أنه يخضع لانفعال « **التأثر** » فإنه سرعان ما تصبح راحتاه رطبتين . ولكي يمسك الإنسان بأداة أو لكي يقبض عليها يجب أن تكون اليد رطبة إلى حد ما . ولهذا نجد **العمال** يرطبون أكفهم بطرائق عدة قبل الإمساك بأداة أو حمولة ، ولكننا نجد لدى العديد من الأفراد أن هذا العضو يستجيب آلياً لهذه الحاجة فتصبح رطبة بصورة لا شعورية وذلك بإفراز **غدد اليد العرقية** بصورة أكثر غزارة .

ويذكر **الدكتور غراسيانسكي** حالة أحد هواة تسلّق الجبال الذي تتغطى راحتاه بالعرق بمجرد أن يرى فيلماً عن تسلق الجبال ، ويصبح هذا الضرب من التعرق الذي لا يعتري سوى يد واحدة مع ذلك ، أقول يصبح مزعجاً جداً إذا كان مفرطاً ، فقد يؤدي إلى حظر بعض المهن على أولئك الذين هم ضحايا هذه الظاهرة ، كصناعة الساعات ، لأن القطع المعدنية الصغيرة تتعرض للصدأ لدى لمسها بالأيدي الرطبة ، وكذلك المهن الكهربائية ، **لأن الجلد الرطب يقاوم صدمة التيار بصورة تقل كثيراً عن الجلد الجاف** ، وكذلك الصناعات الجلدية ، أو الخياطة أو الرسم ، لأن الأصابع الندية تؤدي لظهور بقع على الجلد وعلى الأقمشة الحريرية وعلى الورق .

ما تركيب العرق ؟

العرق هو سائل عديم اللون وحامض ، يشتمل على ما يلي :

ـ ٩٩ بالمئة ماء .

ـ ٠,٥ بالمئة أملاح معدنية ، أهمها كلور الصوديوم ، أي ملح الطعام .

● ماذا تعني اليدان النديتان ؟

● هل يؤدي التعرق إلى الصلع ؟

ـ مواد دهنية مؤلفة من أحماض تمنح العرق رائحته الخاصة .
ـ ٠,٥ بالمئة مواد عضوية كالبولة والكلوغوز .
ـ هرمونات جنسية ، وادرنالين وسواهما .
ـ فيتامينات ذوّابة في الماء مثل فيتامين (ج) .

هل يؤدي التعرق إلى الإرهاق ؟

عندما يكون التعرق مفرطاً أو مستمراً فقد يؤدي إلى ضعف الجسم بشكل خطير .

ومما لا ريب فيه أن العرق ينقي الجسم من بعض الجرائيم ومن العناصر السامة كالحامض البولي والبولة والغلوكوز في حالة **داء السكري** .. وقد ظل الأطباء لمدة طويلة يرون في العرق وسيلة لتطهير الجسم ، حتى **لقد كان التعرق العلاج المفضل لدى نابليون** الذي كان يصرح في مناسبات عديدة : « إن الرحلات الطويلة على متن الخيل ، وممارسة الصيد خلال يوم كامل ، التي تعمل على انفضاح الجلد عرقاً ، ذاك هو سر قوتي » ، ولكن علم الطب اليوم لا يشاطره هذا الرأي .

فقد لاحظ الأطباء أن السموم التي يطردها التعرق من الجسم ضئيلة الكمية للغاية ، في حين أن الماء الذي يفرزه الجسم مع العرق يزيد تمركز الدم بصورة خطيرة ، مما يزيد في تركيز المواد الآزوتية ولا سيما البولة ، فتظهر اضطرابات هضمية وقلبية وفي وظائف الكليتين . وللتخلص من البولة بشكل طبيعي بواسطة الكليتين يجب أن تكون البولة ممدّدة بكمية كافية من المياه . فإذا تم طرد هذا الماء الضروري عن طريق الغدد العرقية عوضاً عن أن يبقى في الدم فإن عمل الكليتين يصبح فاتراً وناقصاً .

وأخيراً فإن العرق يصرف معه جزءاً من **الملح** الضروري لعضوية الجسم ، مما يؤدي لضعف **حاسة الذوق** وللضعف العضلي وإلى تشنجات وصعوبة في التنفس .

ولكن لوحظ مع ذلك أن عرق الأشخاص الذين يتعرقون بشدة في كثير من الأحيان يصبح قليل الملوحة تدريجياً ويعتاد الجسم على أن يحتفظ لنفسه بكمية الملح الضرورية لحاجاته .

هل صحيح أن على الذين يتعرقون كثيراً أن يتناولوا طعاماً مالحاً ؟

نعم ، إذ لا بد من تعويض الجسم خسارته من **الملح** المفقود بواسطة التعرق ، ولهذا السبب نجد **الذين يعملون في تزويد مراجل السفن البخارية بالفحم الحجري يشربون من ماء البحر بين فترة وأخرى** ، مثلما يشرب **عمال المناجم** الإنكليز والعمال الاستراليون **الجعة المالحة** ، كما يتناول **اليابانيون** أقراصاً من الملح لمقاومة التعب والظمأ . ويعمد **المظليون الأميريكان** الذين يعيشون في قواعد واقعة في البلاد الحارة إلى حمل **الملح البحري** في حقائبهم كي يضيفوا القليل منه إلى السوائل التي يشربونها .

وهكذا يحتاج الإنسان العادي إلى غرامين من الملح في ليتر الماء لتعويض خسارة الصوديوم الناجمة عن التعرق .

هل يؤدي النهم في الطعام إلى التعرق ؟

هذا صحيح في كثير من الحالات ، ولا سيما عندما يتناول الإنسان وجبات « ثقيلة » غنية جداً بالسعرات الغذائية التي تؤدي بالضرورة إلى ارتفاع حرارة الجسم ، والتي تضطر الإنسان من أجل « تمريرها » إلى تناول العديد من جرعات السوائل أو العديد من كؤوس الماء .

هل يقود التعرق إلى تنحيف الجسم ؟

هذا يصح فقط بالنسبة **للسمنة « الإسفنجية »** الناجمة عن احتباس الماء في أنسجة الجسم ، غير أن التعرق لا يؤثر على السمنة الشحمية أو الغددية .

ومن ناحية أخرى فإن التنحيف الناتج عن التعرق يظل أمراً مؤقتاً وعابراً .

هل يؤدي التعرق إلى تساقط الشعر ؟

نعم ، وذلك عندما لا يتخذ الإنسان الاحتياطات الصحية الضرورية ، أي إذا أهمل غسل الشعر في أوقات متقاربة ، لأن الشعر يحتاج للتهوية باستمرار للمساعدة على تبخر العرق .

فالعرق الشديد الغزارة الذي يظل راكداً بين جذور الشعر يمسك بالغبار ، وبمختلف الشوائب لا يلبث أن يؤدي لنوع من تعفن فروة الجلد . وفضلاً عن ذلك يحتوي العرق على عناصر سامة قد تهبط إلى الجيوب الشعرية في مسام الجلد حيث تقع جذور الشعر ، مما يؤدي لاضطرابات ضارة جداً بالنسبة لنمو الشعر . وبالفعل يكفي أن مقدار ١٥ سنتيمتراً مكعباً من عرق الإنسان لقتل **كلب** متوسط الحجم ، كما يكفي مقدار ٢٥ سنتيمتراً مكعباً منه للقضاء على حياة **أرنب** . **وليس هناك من تأثير لأنواع السوائل المستهلكة على التعرق لأن الأهمية في كمية السائل الذي يتناوله الإنسان وليس لنوعيته .**

وأخيراً فإن هناك علاقة بين التعرق وبين الخجل « الذي يورث الفقر » ولكن قيل : « بارك الله بالرجال الذين تنضح وجوههم بالحياء » .

ميتسوبيشي اليكتريك

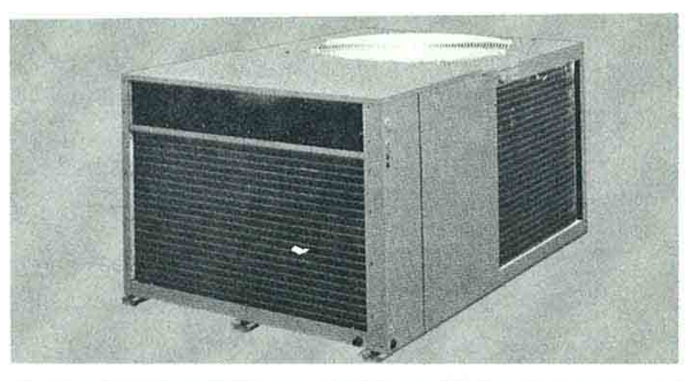
اسم يستحق ثقتكم في مجال التبريد

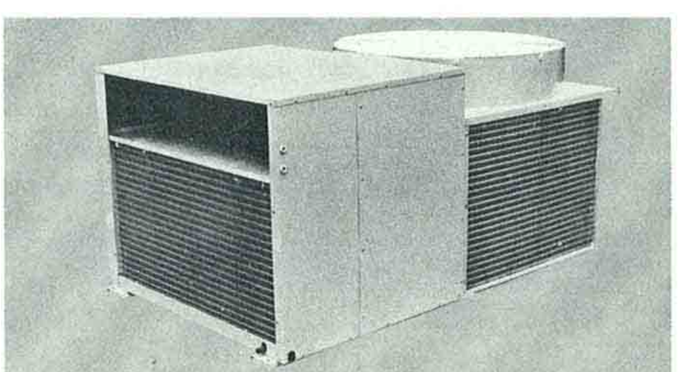
وبجانب وحدات الشبابيك المألوفة

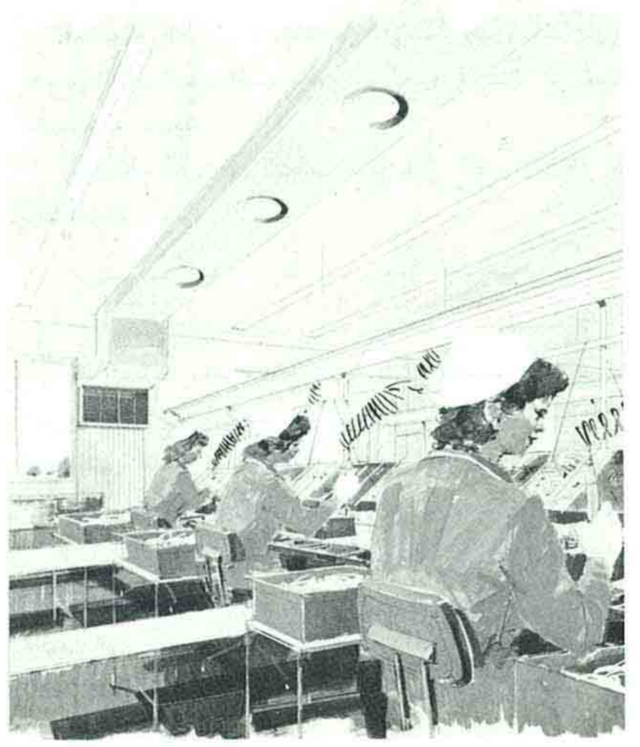
نحن نقدم مجموعة من :-

الأجهزة الصامتة ذات القطعتين وأجهزة التكييف المركزي

وكلها تمتاز بـ كفاءة عالية - أسعار منافسة - خدمة تامة وضمان شامل







للمعلومات إتصلوا بـ : وكالة ميتسوبيشي اليكتريك

الشركة السعودية للألكترونيات

الرياض : ت ٣٩١٩٢ - ص . ب ٦٢١٤ عمارة الرصيص الجنوبية - شارع الملك فيصل
جدة : ت ٢٦٨٥٨ - ص . ب ٦٥٩٢ عمارة البنك الأهلي - طريق مكة - كيلو (١)
الدمام : ت ٢٨٣٤٤ - ص . ب ٢٨٤٠ الشارع ١٥ من الشارع العام - خلف سوق السمك

TIHAMA R



للكاتب الأميركي وليام سارويان
ترجمة : محمد كامل خليل الهنداوي

قلب مهجور.. فوق ذرى الجبال

كنت في السادسة من عمري عندما وقعت لي هذه الحادثة الطريفة ، وذلك في **عام ألف وتسعمائة وأربعة عشر** . فقد لمحت رجلاً طاعناً في السن يطوف في **شارع سان بنيتو** ، ويرسل من بوقه ألحاناً شجية ما لبث بعدها أن حط رحاله على بوابة حديقة منزلنا ، وذلك كي ينال قسطاً من الراحة بعدما نال منه التعب .

عبرت حديقتنا حتى دنوت من سورها الحجري ، قاصداً صاحب البوق ، عله يعيد إلى مسمعي تلك الألحان الشجية التي أخذت بعذوبتها . ولكن سرعان ما خاب ظني حينما وقفت بين يديه ، وطلبت منه أن يرسل من بوقه تلك الألحان الشجية ثانية . فأجابني : يا صغيري ، هل بوسعك أن تأتي بكوب من الماء لرجل طاعن في السن لم يبق منه سوى جسد أثقلته السنون ، وخلف قلباً يخفق فوق ذرى الجبال التي شغف بها .

أجبته : وأين تقع هذه الذرى التي تتحدث عنها ؟

ــ إنها ذرى **الجبال الاسكتلندية** . ولكن ألا يمكنك أن تجلب كأساً من الماء يا صغيري ؟

لكن إجابته زادتني حيرة فسألته مستفسراً :

ــ وماذا يفعل قلبك فوق ذرى تلك الجبال ؟

قال بعينين مغرورقتين بالدمع :

ــ إنه يقطر حزناً وأسى هناك .

وكرر طلبه علي ــ ألا تمن عليّ بكوب يا صغيري ؟

فتجاهلت طلبه وسألته : **أين والدتك ؟**

فأجابني بمرارة : إنها تقطن في مدينة **تولسا الواقعة في ولاية أوكلاهوما .**

ــ وهل أودعت هي الأخرى قلبها هناك أيضاً ؟

ــ نعم ، تركته هناك كي تحتضنه ذرى تلك الجبال .

وما لبث أن قطع حديثه وقال : كم أنا في غاية الشوق لهذا الكوب من الماء يا صغيري .

لكن حديثه زادني إثارة وحيرة فسألته :

ــ وما الدافع إلى هجرة أفراد عائلتك إلى الجبال ، تاركين قلوبهم تحتضنها قمم الذرى هناك ؟

ــ لقد أضحت الهجرة من طباعنا يا بني ، فاليوم نحط الرحال هنا وغداً في موطن آخر .

ــ ماذا يعني رحيلك هذا ؟

ــ إن للحياة والموت قسطاً من حياتنا يا بني ، فاليوم نعيش في هذا العالم ، وغداً من يدري إلى أين ؟

ــ أين جدتك ؟

ــ إنها تقطن في **فرمونت** ، في مدينة صغيرة تدعى **هوايت ريفر** . لقد خلفت قلبها فوق تلك الذرى أيضاً .

ــ أهي منحت أيضاً قلبها الذاوي لتلك الذرى ؟

ــ أجل ، تركته هناك ، لأن قلبها أبى إلا أن يخفق فوق تلك الذرى ويؤنسها .

توقف ثم أردف قائلاً :

ــ أين كوب الماء يا صغيري ؟ أكاد أموت من الظمأ .

وبقيت على هذا الحال في أخذ ورد إلى أن أطل والدي من شرفة منزلنا في تلك اللحظة وصرخ بأعلى صوته كأسد استشاط به الغيظ :

ــ جوني ، ابتعد عن هذا الرجل المسن وأرو رمقه قبل أن تستأثر الأرض به وتخبو الحياة في ثنايا جسده ، **أين ذهبت صفاتك النبيلة**

وأخلاقك الحميدة ؟

فأجبته بصوت جهوري :

ـ ألا يحق للمرء أن يملي الأسئلة على عابري السبيل ليزداد معرفة ؟

أجابني والدي :

ـ اذهب وات بالماء لهذا الرجل المسن . . . . . اذهب ولا تكن غبياً بتصرفك هذا . اذهب قبل أن تحتضنه الأرض بثناياها .

ـ **لماذا لا تجلب له أنت الماء ؟** من الأولى المتقاعس عن العمل مثلك أن يقوم بذلك . وأجابني والدي وقد اعترته الدهشة لما بدر مني :

ـ اتتهمني بالمتقاعس عن العمل . أيها الغبي ، أما علمت أنني أنظم قصيدة ما زالت كلماتها تتوارد بين طيات خواطري الشاعرية ؟

ـ وكيف لي أن أعلم بأنك تنظم تلك القصيدة الآن ، إنك تتأمل كل ما يحيط بك من هذه الشرفة لعلك تحظى بفكرة ترنوْ إليها .

كيف لي أن أعرف أنك تنظم الشعر ؟

ـ عليك أن تعلم هذا وتدركه جيداً . وهذا يكفي الآن .

وما أن انتهى والدي من حديثه حتى بادره الشيخ المسن بقوله :

ـ أسعدت مساءً يا سيدي ، لقد كان ولدك يحدثني عن المناخ البارد لهذا البلد والهواء العليل الذي يلفحه بلمساته الناعمة .

تساءلت بنفسي «**يا إلهي ، كيف يلتمس لي هذا العذر ، وأنا لم أتطرق معه لهذا الموضوع . فمن أين له هذه الأفكار**» ؟

وبينما كنت أتساءل بيني وبين نفسي ، كان والدي يبادل الرجل المسن التحية قائلاً :

ـ عمت مساءً أيها الرجل الطيب ، آمل أن تقبل دعوتي في تناول طعام الغذاء على مائدتي .

فرد عليه الرجل المسن بحماس :

ـ يا سيدي . ماذا تتوقع من إنسان نكد الجوع حياته . أيرفض تلك الدعوة ؟

هيا لندخل إلى المنزل على الفور .

فبادرته سائلاً :

ـ أتستطيع أن ترسل من بوقك أغنية ؟ آه كم أنا في غاية الشوق لسماع أغنية .

ـ عندما تبلغ من العمر عتياً ستدرك أن الأغنيات لا تسمن ولا تغني من جوع ، بل ما يغني الإنسان هو العمل وذلك كي يحظى بلقمة عيشه .

ـ مهما يكن من أمر ، فإني ألح عليك بأن تسمعني أغنية على بوقك . وما لبث أن صعد الرجل المسن قاصداً شرفة المنزل ليصافح والدي ويقدم له شخصه :

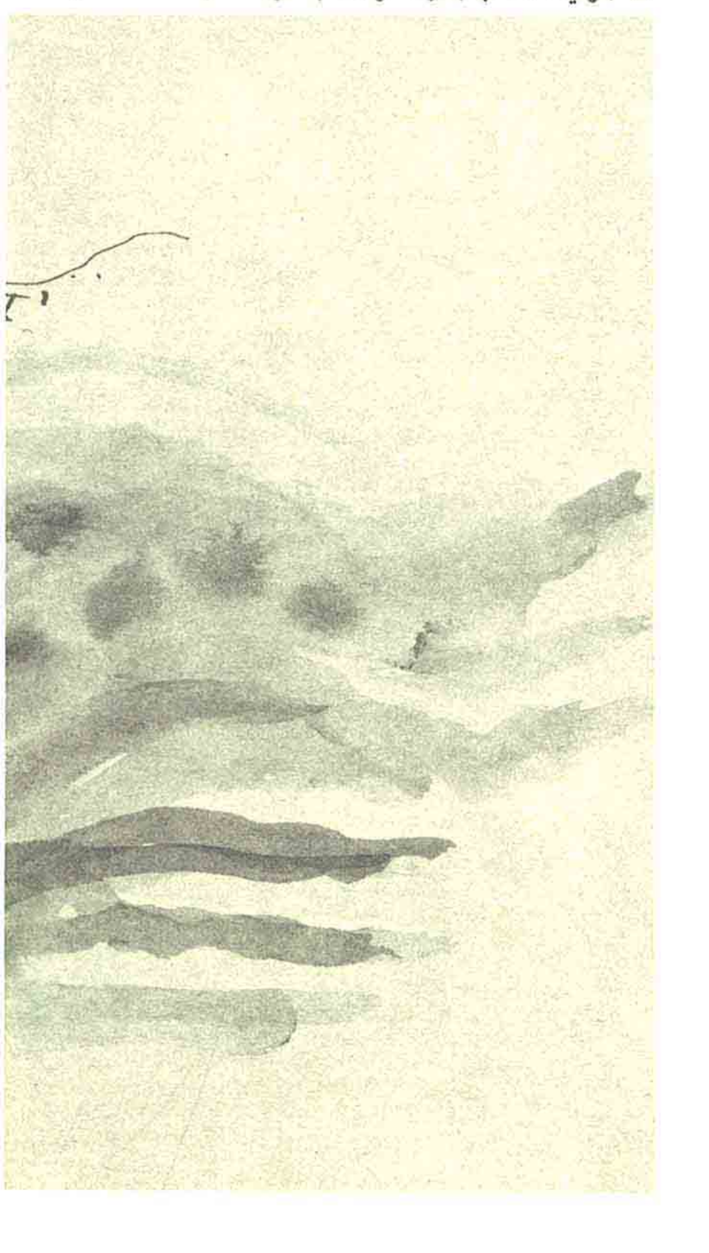
ـ أدعى جاسبر ماكرغر ، مهنتي في هذه الحياة التمثيل .

رحب والدي بحرارة به وبادره بالقول :

ـ إنه لمن دواعي سروري أن أتعرف على شخصك الكريم .

والتفت والدي إلي ثم قال :

ـ جوني ، اذهب بسرعة واجلب كوباً من الماء للسيد



ماكرغر .

غادرت شرفة المنزل طوعاً لرغبة والدي ، قاصداً البئر . ملأت الابريق له وجئت به إلى الرجل المسن الذي كان بانتظار ما أحمله إليه ، فتناوله مني ثم رنا بنظرة للأفق البعيد وأفرغه في جوفه جرعة واحدة ، ثم رفع بصره إلى السماء كمن يبحث عن شيء يكمن في ذاك الأفق الملتصق بالسماء حيث كانت الشمس تغرب وراءه ململمة آخر ما تبقى من نسيج أشعتها الذهبية . أخفض بصره ثم قال :

ـ أعتقد أني أبتعد عن وطني قرابة خمسة آلاف ميل . . . هل باستطاعتي أن أنال ما تيسر من الخبز والجبن لأخفف من وطأة جوعي .

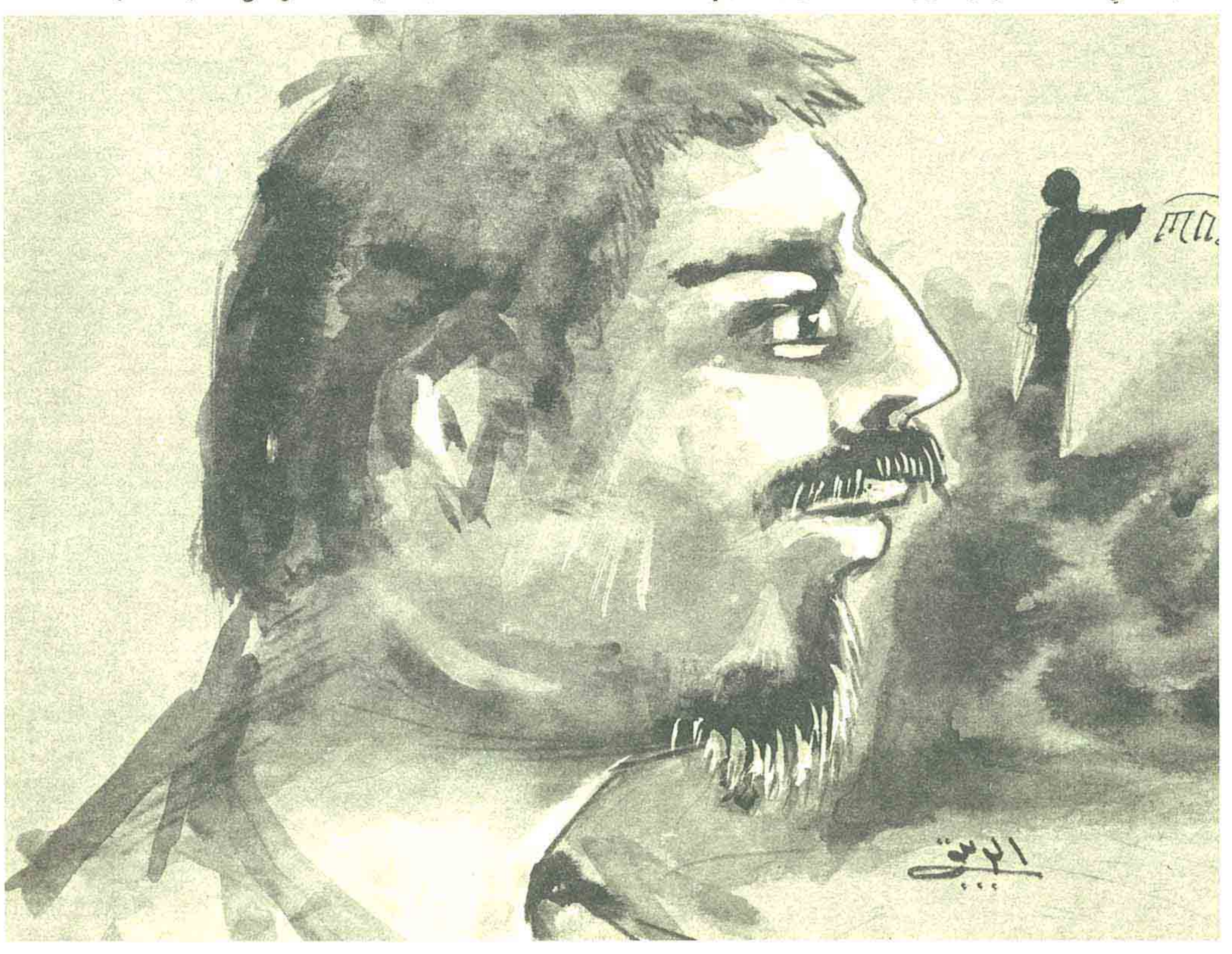
التفت والدي إلي :

ـ جوني اذهب حالا للبقال واحصل لنا على رغيف من الخبز يسد رمق مضيفنا . لا تنسى أن تجلب له كمية من الجبن أيضاً .

ـ أعطني نقوداً .

ـ أخبر السيد كوزاك أن يدون الثمن على الحساب . لم أعد أملك سنتاً واحداً يا جوني .

ـ إن البقال كوزاك يرفض أن يقرضنا ، لقد أبدى امتعاضه لنا بالأمس لأننا لم نسدد ما علينا من الديون . إنه مستاء منا ، لقد قال عنا إننا لا نعمل على تسديد حسابه ،



لقد أصبحنا ندين له بمبلغ تجاوز الأربعين سنتاً .

ـ انطلق إليه ، وحاول جاهداً بأن تقنعه كي يعطيك الخبز والجبن وسأوفيه حقه إن عاجلاً أم آجلاً . يكفي هذا ، عليك بالذهاب إليه الآن فوراً .

ـ إنه إنسان لا يعرف المنطق ولا يمكن التفاهم معه . فهو يفتخر بأنه إنسان جاهل لا يعي شيئاً من هذه الحياة سوى الحصول على المال .

ـ اذهب وألح عليه بطلب الخبز والجبن ، أنت تملك القدرة على اقناعه يا جوني ، هيا اذهب .

كان الرجل المسن صامتاً طيلة هذا الحديث وما لبث أن قاطعنا :

ـ هيا اذهب يا جوني وأخبر السيد كوزاك بطلبك هذا ، هيا اذهب يا ولدي .

وأعاد والدي الكرة :

ـ هيا اذهب يا جوني إلى ذلك المخزن . لم يسبق أن أتيت فارغ اليدين وأنا على يقين بأنك ستعود بعد عشر دقائق تحمل لنا طعاماً يليق بأنبل العائلات .

ـ إنني لا أعلم ماذا أفعل ، فالسيد كوزاك يدعي دوماً بأننا نحتال عليه بالوعود الكاذبة والكلام المعسول لنخفي عنه عجزنا عن تسديد ديوننا له ، لقد سألني بالأمس عن ماهية عملك .

فنهض والدي وأصلح هندامه وعدّل من وقفته قبل أن يجيب على سؤالي :

ـ إذن اذهب إليه وقل له بكل فخر واعتزاز إن مهنة والدي نظم الشعر . على كل حال ليس هناك ما يدعو كي أخفي مهنتي عنه ، أخبره أني أقوم بنظم الشعر ليلاً ونهاراً دون تقاعس .

ـ حسناً ، ولكن ما أعتقده أن تلك الأشياء لن تثنيه عن عزمه في استرداد ديونه منا ، فهو يدعي بأنك كسول تفضل الانزواء في منزلك عوضاً عن أن تسعى وراء عمل يمكنك من كسب قوتك اليومي .

وما أن سمع والدي هذا النعت من صاحب المخزن على لساني حتى استشاط غيظاً وصاح بي بصوت عال :

ـ اذهب إليه فوراً وأخبره أن أقل ما يمكن أن يقال عنه إنه رجل مجنون لا هم له سوى جمع المال . قل له بكل اعتزاز إن والدك يعد واحداً من من أولئك الشعراء العظام ... المغمورين .

ـ على أية حال ، يخالجني شعور بأنه لن يعبأ بكلماتك ، سأذهب إليه وأبذل قصار جهدي . ألا يوجد لدينا شيء من الطعام في المنزل يا والدي ؟

ـ فقط الذرة الصفراء يا بني ، وهذا رابع يوم ونحن نتناولها يا جوني ، عليك أن تجلب الخبز والجبن كي أنهي نظم هذه القصيدة الطويلة هذا المساء .

ـ سأبذل ما بوسعي لأحصل على ما تطلبه يا والدي .

وبينا كنت أهم بالانطلاق نحو المخزن وإذا بماكرغر يتفوه ببضع كلمات :

ـ أسرع بالعودة يا ولدي ، أنسيت أني بعيد عن موطني بمقدار خمسة آلاف ميل .

ـ سأذهب إليه وأعود بسرعة . وهنا صاح والدي :

ـ إذا عثرت على حفنة من المال في طريقك فتذكر أننا سنتقاسمها سوية .

ـ حسناً إني موافق .

غادرت المنزل وأنا على عجلة من أمري قاصداً مخزن البقال **كوزاك** . وكنت وأنا في الطريق أنقل بصري هنا وهناك عسى أن يواتيني الحظ وأحظى بقطعة نقود سقطت سهواً من صاحبها ، ولكن خاب فألي .

وسرعان ما وجدت نفسي أمام المخزن فدخلته ، وما أن أطلّ عليّ السيد كوزاك حتى اعترته الدهشة وأخذ يفرك عينيه اللتين أوشكتا على الخروج من محجريهما كأنه لا يصدق أني ذاك الولد المدعو جوني الذي يقف أمامه .

بادرته قائلاً :

ـ ما رأيك يا سيد كوزاك لو كنت الآن في **بلاد الصين** ، لا صديق يؤنس وحشتك ولا قريب يمدك بالعون واحتجت للمال ، أرى أنك ستقتنع بأن هناك أناساً ذوي قلوب طيبة لا تخلو من العطف . إني لا أعتقد بأنك لو طلبت منهم كمية من الأرز لتخفف عنك وطأة الجوع أن يضنوا عليك بتلك الكمية . ألا تشاطرني الرأي في ذلك ؟

تجاهل كوزاك سؤالي وبادرني بالسؤال بلهجة صارمة :

ـ ماذا يكمن وراء كلماتك المعسولة ؟

ـ إني أود أن أتحدث إليك فقط ... لنعد إلى حديثنا ، كما ذكرت لا شك أنك ستلتقي بمن يمد لك يد العون في تلك البلاد النائية . ألا تشاطرني الرأي يا سيد كوزاك ؟

ـ بحق الله عليك ، ماذا ترغب ، وكم تحمل في جعبتك من المال ؟

ـ أرى يا سيد كوزاك أنك أسأت فهمي . أنا لا أقصد المال . أود

التحدث إليك عن موضوع بعيد كل البعد عما يجول في خاطري . إننا نشترك بقضية واحدة ، ألا وهي انقطاع أحدنا في بلاد الصين وحاجته الماسة لذوي القلوب الرحيمة .

ـ أنا .... أنا لا أفقه شيئاً من تلك المواضيع .

ـ لكنه مجرد سؤال يا سيد كوزاك . سؤال وأنت أكثر خوضاً مني في معترك هذه الحياة ، ألا ترى أني ألح عليك وأتمنى أن تعبّر لي عن شعورك في هذا الموقف فقط .

وردّ عليّ بحنق :

ـ لا أعلم ، ثم ما شأني بتلك البلاد ، وماذا تريد مني أن أفعل هناك ؟

أأذهب لأنتظر من يتصدق علي بالأرز ؟

ـ حسناً لنفرض فرضاً لا أكثر من ذلك يا سيد كوزاك بأنك قمت بزيارة لتلك البلاد ، وفرغ ما في جعبتك من المال ، وحل بك الجوع ، وأشرفت على الهلاك بعيداً عن أحبائك وصغارك ، ألا تشاركني الرأي بأنك لن تستكين لهذا الواقع وستجد في تلك البلاد البعيدة أناساً طيبي القلب ومعشر حسن ، وخلق لا تشوبه شائبة لن يتوانوا بكمية من الأرز لرجل معوز مثلك ، ألا تشاطرني الرأي يا سيد كوزاك ؟

ـ طبعاً ... أنا أشاطرك هذا الرأي ، ولكن نحمد الله على أننا لسنا في الصين ، وحتى والدك يا جوني أليس كذلك ؟ عليكما أنت ووالدك أن تخرجا من ذاك المنزل لتكسبا قوتكما ، وأنا أرفض أن أقدم لكما أية مساعدة ، ولن أقرضكما بعد اليوم شيئاً ، لأني أعلم علم اليقين أنكما لن تسددا ما عليكما أبداً .

ـ سيد كوزاك ، إنك أسأت فهمي ، أنا لا أطلب منك أن تمدني ببعض السلع على حساب والدي ، بل كنت أقصد وجودك في الصين بين هؤلاء القوم الذين يخالفوننا بملتهم وعقيدتهم ، وما يمكن أن يقدموه لك من واجب إنساني تجاه إنسان أتى عليه الجوع والحرمان حتى أشرف على الهلاك .

ولكنه سرعان ما غير مجرى الحديث :

ـ نحن لسنا في الصين الآن ، وما عليك إلا أن تكدح من أجل لقمة عيشك . الكل هنا في أمريكا للعمل ، والهدف واحد .. إنها لقمة العيش التي ندفع ثمنها عرق الجبين .

وقاطعت حديثه مستفسراً :

ـ لو احتجت يوماً لرغيف وقطعة من الجبن لتسد بها رمقك وكنت لا تملك من المال لتسديد ثمن ذلك الطعام ، هل تتردد بطلب العون من أصحاب الجود والكرم ؟

ـ نعم أتردد في طلب العون . إن نفسي أكبر من أن أستجدي أولئك الناس . لن أطاطئ رأسي للحاجة . حتماً إن شدة خجلي ستمنعني من الاستجداء بمثل هذه الطريقة .

ـ حتى ولو اعتزمت أن تقاضيهم بأضعاف ما أغدقوا عليك ؟ حتى لو عمدت إلى هذا ؟

ـ حتى لو عمدت إلى هذا .

حاولت أن أثنيه على رأيه فقلت له :

ـ لا تكن صعب المراس ، إن هذا الكلام مرفوض قطعياً ، وأظن أنك تعلم جيداً لماذا ؟

ـ لماذا ؟

ـ لأنك إذا عفت نفسك عن طلب العون من أهل الكرم فاعلم أن الموت يشرفه أن تستقبله وأنت عفيف النفس ، أليس كذلك يا سيد كوزاك ؟ إنك ستموت هناك وحيداً في الصين يا سيد كوزاك ، دون أن تذرف عليك دمعة واحدة ، أظنك تشاركني الرأي يا سيد كوزاك .

فأجابني والغضب باد في قسمات وجهه :

ـ لن أستجدي ، ولن أبالي حتى وإن قدر لي الموت ، على كل لن تأخذ مطلبك دون أن تدفع ثمناً للخبز ، والجبن ، لماذا لا يجد والدك عملاً يذود عنكما شر العوز ؟

وهنا غيرت مجرى الحديث لأسأله عن صحته :

ـ يا إلهي ، يا لي من أحمق ، لقد نسيت أن أسألك عن صحتك ، كيف حالك في هذه الأيام ؟

ـ إنني بصحة جيدة والحمد لله ، كيف حالك أنت ؟

ـ على أفضل حال . كيف الأولاد ؟

ـ إنهم في تمام الصحة والعافية ... لقد أخذ ستيبان يخطو خطواته الأولى .

ـ هذا رائع جداً ، كيف **أنجيلا** ؟

ـ ابنتي أنجيلا ... تصور لقد غدت تغني وتنشد للحياة كالطيور التي لا تكل عن التغريد عند مطلع كل فجر . كيف حال جدتك يا صغيري ؟

ـ إنها بصحة جيدة . هي أيضاً أخذت بدورها تنشد الأغاني .. إنها ترغب بأن تكون مغنية أوبرا شهيرة ، كيف حال زوجتك **مارتا ؟**

ـ ممتازة .

ـ ... صدقني يا سيد كوزاك إني لا أستطيع أن أعبر لك عن خالص مشاعري وسروري لكون أفراد عائلتك بأتم الصحة والعافية . إنني

اتمنى لابنك ستيبان مستقبلاً باهراً وغداً مشرقاً .

وما لبث أن انفرجت أسارير وجهه وأجابني :

ـ آمل هذا ، آمل هذا ، على فكرة عندما يكبر قليلاً لن أتوانى عن إرساله مباشرة إلى المدرسة الثانوية بغية تعليمه فيها وتوفير كل الفرص اللازمة لتحقيق ذلك ، تلك الفرص التي حرمت منها ، إني لا أرغب في أن يصبح بقالا مثلي .

ـ إن أملي بستيبان كبير .

لكن كوزاك عاد وسألني عن مرادي وذلك أثناء حديثنا :

ـ جوني ماذا ترغب ؟ وكم تحمل في جعبتك من المال ؟

ـ يا سيد كوزاك ، أنت تعلم جيداً أني لم أقصدك لأبتاع منك ، أما ما يتعلق بوجودي هنا ، فأنت تدرك أني أستعذب أحاديثك ، وكم يسرني أن ألقاك دوماً لنتبادل الأحاديث سوية ، وخاصة المواضيع الفلسفية التي يهمني رأيك بها .

وهنا قام مستر كوزاك وناولني رغيفاً واحداً من الخبز وقال لي :

ـ لكن عليك أن تدفع الثمن نقداً .

فسرعان ما قاطعت حديثه :

ـ كيف حال ابنتك استر ؟ كدت أنسى أن أسألك عنها .

ـ ابنتي استر بخير ، من الواجب أن تدفع الثمن نقداً يا ولدي ، فأنت ووالدك أسوأ ما لدي من الزبائن في هذه البلدة .

وقاطعته ثانية بعدما قدم لي رغيف الخبز أملاً أن تنطلي عليه حيلتي :

ـ أنا مسرور جداً لأن استر بصحة جيدة يا سيد كوزاك . هل لي أن أطلعك على خبر يحظى باهتمامك .

ـ ما هو ؟

ـ أتسمع **بجاسبر ماكرغر** ، ذلك الممثل الذائع الصيت الذي عمت شهرته البلاد . إنه الآن في ضيافتنا .

فنظر إلي بنظرة تعجب وأجابني :

ـ لم أسمع به قط طيلة حياتي .

فقاطعته واسترسلت بحديثي عندما كان يقدم لي قطعة الجبن لأحول اهتمامه عما يقدمه لي :

ـ أرجو أن تعطيني زجاجة من البيبسي للسيد ماكرغر .

ولكنه أبى أن يلبي طلبي مبرراً قوله :

ـ لا أستطيع أن أعطيك ذلك .

ـ بلى ، إني على يقين من أنك سوف تقدمها لي .

ـ لا ... لا أستطيع . لقد أخذت كفايتك من الخبز والجبن وهذا يكفي . أخبرني ما هي مهنة والدك ؟

تحاملت على نفسي وأجبت بحماس :

ـ إن مهنته نظم الشعر يا سيد كوزاك وهذا ما يجيده والدي . إنه يعد نفسه واحداً من أولئك الشعراء المشهورين ....

ـ ولكن متى سيحصل والدك على المال ؟

ـ إنه لا يحصل على سنتاً واحداً الآن .

فأجابني باشمئزاز :

ـ كم أكره تلك المهنة لأنها لا تدر على صاحبها سنتاً واحداً . لماذا لا يعمل والدك كالآخرين يا جوني ؟

ـ إنه حقاً يبذل جهداً يفوق أي عمل كان . إنه يبذل من طاقته أضعاف ما يبذله أي إنسان آخر .

وعندما هممت بالخروج من المخزن أوقفني وصاح بي :

ـ لقد أصبحتم مدينين لي بخمس وخمسين سنتاً ، لقد نلت ما قصدت لأجله في هذه المرة ، لكن تأكد أنك في المرة الأخرى لن تنال مما تبتغيه شيئاً .

ـ حسناً . بلغ ابنتك استر تحياتي لها .

ـ حسناً . سأفعل هذا .

ـ الوداع يا سيد كوزاك .

ـ الوداع يا جوني .

وغادرت المخزن وقد اعترتني غبطة من السرور ونشوة الانتصار عما غنمته برجاحة عقلي وحسن تصرفي . وبينما كنت مسرعاً نحو المنزل حاملاً غنيمتي ، لمحت أبي والسيد ماكرغر يخطوان في وسط الشارع الذي يقود إلى منزلنا ، فأسرعا إليّ ليستفسرا عما جرى لي وهل حصلت على طلبهما من القوت . وما أن تحققا مما أحمله حتى اعترتهما نشوة من السرور والابتهاج بالظفر بتلك الغنيمة فأخذا يلوحان بأيديهما لجدتي التي كانت تنتظر على شرفة المنزل بفارغ الصبر ، وما أن علمت بما حصلت عليه حتى أسرعت إلى الداخل لتعد المائدة .

واعترت والدي ضحكة وأخذ يردد بصوت عال :

ـ كنت أعلم أنك ستنجح بهذه المهمة . كنت أعلم ذلك ... ها ... ها ووافقه ماكرغر على رأيه فقال :

ـ أجل كنت أدرك هذا أيضاً .

فبادرت بقطع حديثهما وأخبرتهما :

ـ إنه يقول لقد أصبح له خمس وخمسون سنتاً ، وعلينا أن نسدد له حالا ، وإلا لا قوت على الحساب بعد اليوم .

أجابني والدي والابتسامة تعلو محياه :

ـ دعه وشأنه ، ذاك رأيه فقط . عما تحدثت معه يا جوني ؟

ـ تحدثت أولا عن وجوده في الصين وقد أنفق آخر ما يحمله بجعبته من المال وأشرف على الموت نتيجة الجوع والحرمان وما يمكن أن يفعله نتيجة ذلك ، ثم تطرقت إلى السؤال عن أحواله وعن أحوال عائلته .

فسألني والدي ساخراً :

ـ كيف أحوال عائلته ؟

ـ إنهم بخير .

وفي هذا الوقت كنا قد بلغنا المنزل ، وتناولنا العشاء ، وشرب كل فرد منا ما لا يقل عن زجاجة واحدة من الماء بينما كان ماكرغر يرسل نظراته من بعد كل لقمة يتناولها إلى رفوف المطبخ عسى أن يجد شيئاً صالحاً للطعام .

وفجأة وقع نظره على علبة ، فأشار بيده نحوها :

ـ تلك العلبة الخضراء القابعة هناك ما تحويه يا جوني ؟

ـ إنها تحوي على فتات من المرمر .

ـ وتلك الخزانة الصغيرة ما تحوي بداخلها ؟ ألا يوجد فيها ما يصلح للطعام ؟

ـ إنها خاوية عدا حشرات الليل .

فإذا به يغص للحظة ثم يسترسل بنظراته من جديد ويسأل :

ـ ماذا يوجد في تلك الحجرة الكبيرة هناك ؟

ـ إنها تحوي على سلحفاة فقط .

وما أن سمع ذلك حتى سال لعابه وقال :

ـ آه ، أظن أنني إذا طهيتها سأحصل على ما يسد جوعي وأني مقتنع بأنها ستكفيني .

ـ لن أترك لك تلك السلحفاة .

ـ لماذا يا جوني ؟ بين لي قصدك من هذا يا ولدي ؟ أنا أعلم أن أغلب سكان بورنو يتناولون لحوم الأفاعي والسلاحف والجراد ، يكفيني نصف دزينة من الجراد السمين إن كنت تحتفظ بهذا الجراد . أخبرني هل لديك منها يا جوني ؟

ـ لدي أربعة فقط .

ـ إذن أجلبها لي بسرعة يا جوني ، وأعاهدك على أني سأعزف لك أغنيتك المحببة . هيا أسرع ، يكاد الجوع يهد من قواي . أنا جائع يا جوني .

ـ أنا كذلك يا مستر ماكرغر ، لكن لن أدعك تلمس سلحفاتي ؟

وكان والدي مسترسلاً بتأملاته غير عابئ بما يدور من حوله ، أما جدتي



فقد كانت تذرع المكان جيئة وذهاباً تردد بعض الأغاني ، وفجأة قاطع والدي حديثنا :

ـ ما رأيك يا مستر ماكرغر بأن تعذف لنا على بوقك ألحانك العذبة ، أظن أنها كافية لأن تبعث السرور لدي ولدى جوني .

وصرخت مؤكداً كلام والدي :

ـ بالتأكيد يا مستر ماكرغر .

ونهض ماكرغر من مكانه ليرسل من بوقه ألحاناً شجية جذبت العديد من الأهالي الذين كانوا يقطنون على بعد أميال من منزلنا . وتجمع أمام المنزل ثمانية عشر رجلاً تهافتوا إلينا من الجوار يطلبون المزيد من الألحان . فخرج والدي وماكرغر إلى الشرفة ، وتحدث والدي إلى ذلك الحشد من الأهالي الواقفين بشرفة المنزل :

ـ أيها الأصدقاء ، أود أن أعرفكم على جاسبر ماكرغر ، أبرع ممثل لشخصيات شكسبير المسرحية في هذا العصر .

وانتظر والدي لعلهم يمتدحونه ، ولكن لم يحظ ذاك التعريف بأي رد فعل منهم ، وهنا قام ماكرغر فروى قصته عليهم :

ـ قمت بالتمثيل لأول مرة عام ألف وثمانمائة وسبعة وستين على خشبة المسرح في **لندن** .

لكن الجمهور لم يكترث لذاك الحديث أيضاً ، فقاطعه النجار **روف ايلي** :

ـ سيد ماكرغر ، أليس من المستحسن أن تعزف لنا ألحانك الشجية بدلا من هذا الكلام الذي لا نفقه منه شيئاً .

فقاطعه ماكرغر :

ـ ألديك بيضة في منزلك؟

ـ طبعاً ، لدي الكثير من البيض .

ـ إذن لن تتقاعس عن المجيء ببيضة واحدة من منزلك ، وعندما تعود سأغني لك أغنية يشدو لها قلبك فرحاً ويبكي حزناً .

انطلق النجار قاصداً ليحظى بما طلبه منه ماكرغر .

ثم التفت ماكرغر إلى **توم بيكر** ليسأله علّه يحصل منه على قطعة من **النقانق** في منزله واعداً إياه بأغنية تغير مجرى حياته ، وما لبث أن أتاه الجواب بالايجاب ، وانطلق الرجل ليأتي بما طلب منه .

ولم يكتف ماكرغر بهذا ، بل طلب من الآخرين أن يمنوا عليه بطعام ليطرد عنه شر الجوع .

فانطلق الجميع وعادوا محملين بأصناف الطعام ، فنهض ماكرغر من مكانه وأخذ يرسل من أغنية عنوانها « **قلبي هناك فوق ذرى تلك الجبال** » ، فأخذت تنهال الدموع من عيون الحاضرين لكلمات هذه الأغنية الحزينة التي تذكر المهاجر بموطنه حيث دفن قلبه ومشاعره .

وغادر الجميع أماكنهم بعد ذلك قاصدين منازلهم ، بينما قام ماكرغر وأخذ يجمع ما حصل عليه من أكل وشراب ، وأدخل هذه المائدة السخية إلى المطبخ وهيّأ لنا عشاء فاخر ، فتناوله جميع أفراد الأسرة بسرور ما بعده سرور . فقد اشتمل العشاء على الخبز والبطاطس المطهية والطماطم الطازجة وأنواع الفاكهة والشاي الفاخر وأصناف أخرى من الطعام ، وبعدما انتهينا من تناول طعام العشاء وأخذنا كفايتنا منه حتى شعرنا بالتخمة . التفت ماكرغر إلى والدي وسأله :

ـ ما رأيك بأن أقيم عندك بضعة أيام فقط؟

ـ يا رجل إن هذا المنزل منزلك . فعلى الرحب والسعة .

وهكذا مكث ماكرغر في منزلنا سبعة عشر يوماً ، وفي اليوم الثامن عشر ، قدم علينا رجل يمت بصلة قومية لماكرغر ، وطلب مقابلته .

فسأله والدي :

ـ لماذا تود مقابلته أيها السيد؟

ـ إني من بني قومه ، كم أود أن أراه . أريد أن أحظى بلقياه . إننا بحاجة إليه . سيحتفل أبناء قومه بعيدهم السنوي بعد أسبوعين .

وما أن وصل الخبر لماكرغر حتى أبدى استعداده للاشتراك في الاحتفال بتلك المناسبة . فذهب مع الرجل الذي هو من بني قومه . وفي اليوم الثاني أمرني والدي بأن أذهب إلى مخزن كوزاك لأجلب ما تيسر له من الطعام ليسد رمقه .

ـ ولكن نحن مدينون لكوزاك وهو مازال مصراً على قسمه .

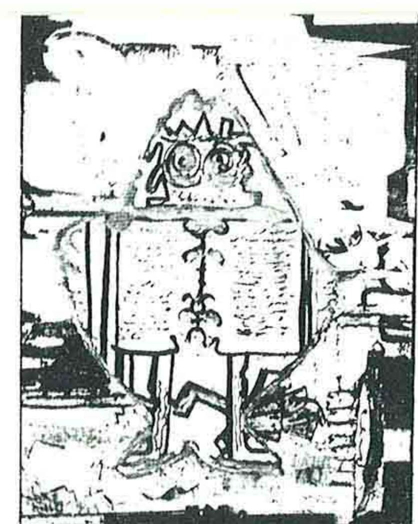
ـ اذهب إليه . أنت تعلم كيف تخادع هذا الإنسان **السلوفاكي** ، ولا بد أن تنال منه شيئاً على الحساب .

وانطلقت إلى كوزاك وأعدت على بساط البحث الموضوع الذي كنت بحثته معه : مسألة وجوده في الصين حيث ينفد ماله وتسوء حالته ، وبعد هذا الجدل لم أحصل منه سوى على صندوق مملوء بحب الطيور وعلبة من **شراب القيقب** ، وما أن رأى والدي حب الطيور حتى أجاب معلقاً :

ـ إن هذا سيكون مصدر خطر على جدتك .

وحينما انبثقت أشعة الشمس على البلدة مبشرة بالصباح ، استيقظت جدتي وأخذت تشدو كطائر الكناري .

وهنا صاح والدي : يا للمصيبة ، كيف لي الآن أن أنظم القصائد الجيدة مع هذا الصوت الذي كان سببه حبوب الطيور .



مطالعات... في الكتب



د. يوسف عز الدين
في كتابه
Modern Iraqi Poetry
Social and Political Influences

الشعر العراقي الحديث
وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

بقلم : عجاج نويهض

في كلمتي هذه تدور حول **الدكتور يوسف عز الدين** أسي كناقل الجمان إلى عمان ، ولكن ما هو عليه الدكتور يوسف عز الدين من الغنى في موارد العلم والفضل ، والغزارة والاستقصاء في ميادين واسعة على الأقل منذ عام ١٩٥٠م ، كل هذا يجعل الكلام بحقه لذيذاً ميسوراً ، ومغفوراً فيه للكاتب العاثر عثراته ، فمن أي الجوانب تستقي منه ، تستقي من حوض مترع ، وفي أي مرج تنزل من واديه ، تنزل المرج الممرع .

★ ★ ★

والكتاب الذي أنا في رحابه اليوم هو « **الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه** » ، صدرت طبعته الأولى في **بغداد** (التي ولله الحمد اجتازت مراحل موفقة في استعادة عصر المأمون) سنة ١٩٦٠م ، وطبعته الثانية في **القاهرة** سنة ١٩٦٥م ، والثالثة في القاهرة أيضاً سنة ١٩٧١م ، في « المطبعة الثقافية » . ولكن الطبعة الثالثة هذه ، هي بالإنكليزية وتنطوي على جهود وثمرات جاءت من وراء الغاية في أبوابها على ما أحاول بيانه في هذه الكلمة ، بل يصح القول بيقين ، **أن هذا الكتاب القيم ، هو على ما أعلم الأول من نوعه في العالم العربي ويحتل منزلة عالية في أفقه ، فهو عندي فريد ،** والأمم الغربية من العادة عندها في تقييم الكتب أن تصف الكتاب الرائد بكتاب الشهر أو السنة ، وأرى أن كتاب الدكتور يوسف عز الدين ، هو كتاب الميدان ، يظل حياً ، زاهراً ، وثمره جنياً ، على طول الزمان . فلندخل في الموضوع .

★ ★ ★

أما الكلام على العلامة الدكتور يوسف عز الدين نفسه ، من حيث امتلاء حوضه ، فلا حاجة بنا إلى بيانه ، طال الكلام أم قصر ، إذ يكفي أن نقول إنه من أساطين علماء العرب المعاصرين ، وعيون حملة الأعلام من أدبائهم في العالم العربي . وفي مدى الإشراق الأدبي العلمي ، بعد **الحرب العالمية الأولى** ، تخطّت الأمة العربية دور التعريف بعلمائها الشوامخ أنهم ، أكرم الله منابتهم ، من هذا القطر أو ذاك ، آسيوياً وإفريقياً ، إذ برزت شخصية الأمة تتلألأ مجاوزة الحدود الإقليمية الجغرافية ، وأصبح مجال فكرها ونتاج عقلها مجالا واحداً . ويخطئ العربي اليوم أن يقصر السفارات بين دولنا على أرباب هذه المناصب الرسمية على سنن الأعراف الدولية ، فنحن ، ولله الحمد ، أمة أول سفير خالد فيها هو كتاب الله العزيز ، ثم سفراؤنا من بعد كتاب الله ، الكتب الموضوعة بأقلام العقول عروبةً وإسلاماً ، وكل كتاب قيم حوى نصيبه من العلم الرصين ، هو سفير . ومن جهتي على ما سأشرح الآن ، أعدّ هذا الكتاب للدكتور يوسف عز الدين سفيراً من سفراء العلم ، يمكن أن يدخل كل جامعة ومعهد ومدرسة ومكتبة وبيت ، ويبقى قائماً فاعلاً في العقول .

★ ★ ★

ولكن هذا القول في الكتاب ، لا يعفينا من أن نوجز القول ايجازاً في الدكتور العلامة المؤلف . فالدكتور يوسف عز الدين ، أنضر الله به نهضة العلم والأدب في العرب ، مزيداً بعد مزيد ، بدأ مسيرته منذ نيله شهادة بكالوريوس آداب من **جامعة الإسكندرية** سنة ١٩٥٠م ، ثم نيله دون تراخ في السير شهادة معلم علوم

من الجامعة نفسها ١٩٥٣ م ، وكل هذا بتفوق ، ثم دكتوراه الفلسفة من **جامعة لندن** ١٩٥٦ م ، وعكف بعد هذا الاستيعاب وملء الأوطاب على العطاء والافاضة في **جامعة بغداد والمجمع العلمي العراقي** إلى اليوم شوطاً مطرداً ، لا يني ولا يقف . وهو من مؤسسي « **جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين** » وانتخب لأمانتها ورياستها مراراً ، وهو رئيس تحرير **مجلة** « **الكتاب** » وهي شهرية تعنى بشؤون الأدب والفكر ، وهو عضو في **الجمعية الملكية للآداب في لندن** ، المعدودة من أهم مراكز العلم في العالم وبدايتها منذ الثلث الأخير من القرن السابع عشر ، وهو إلى جانب ذلك عضو في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وعضو المجمع العلمي في الهند .. هذه ناحية .

★ ★ ★

وناحية أخرى ، إنه شارك في أكثر من عدة مؤتمرات عربية واستشراقية وعالمية وآسيوية إفريقية ، وكان له في هذه المؤتمرات أثر بارز . وناحية ثالثة في نشاطه العلمي ، الرحلة في سبيل من سبل الكتب ، أو التقصي والبحث والتحقيق ، وتعددت هذه الرحلات إلى **أوروبا الغربية** ، فضلاً عن **تركيا** ومعظم البلاد العربية .

★ ★ ★

أما كتبه المختلفة ، وكلها رائع ، فقد بلغت إلى عام ١٩٧٠ م ، سبعة عشر كتاباً[1] من مؤلف تأليفاً ومحقق تحقيقاً ، ويضيق المجال عن سردها ، ولعل بعض القراء الكرام بوسعهم الاطلاع على ذلك في مجلة « الكتاب » . وأما مؤلفات الدكتور يوسف عز الدين بالإنكليزية ، فهما على ما يبلغه علمي كتابان : « **الشعر العراقي الاجتماعي** » صدر في بغداد عام ١٩٦٣ م ، وهو حول **الشاعر العراقي خيري الهنداوي** في شعره وسيرته ، وهذا الكتاب يضمُّ المحاضرات التي ألقاها المؤلف في « **معهد البحوث والدراسات العالية** » في القاهرة عام ١٩٦٥ م .

والكتاب الآخر هو « **الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه** » .

Modern Iraqi Poetry,
The Influence of the Political and social Trends.

وهذا الكتاب هو موضوع كلمتنا هذه .

★ ★ ★

مثل كل شيء ، أحب من صميم قلبي ، أن أشكر لجامعة بغداد ، الثابتة الأركان ، العالية البنيان ، مورد العلم وروضة العرفان ، اسهامها المبارك في نشر هذا الكتاب الذي نال به مؤلفه شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن سنة ١٩٥٦ م ، فإن هذا التعاون لمن أفيد الوسائل لنشر العلم وتيسيره ، فالجامعات زادها الله مشاعل ، هي بانيات المراحل وحاديات القوافل .

★ ★ ★

هذا الكتاب شيء جديد بنسجه ومحتواه ومرماه .

أما نسجه ، فترجمة المختارات من الشعر العراقي الحديث الذي قيل منذ أول هذا القرن ، إلى الإنكليزية ، لنحو خمسة وأربعين شاعراً عراقياً أو أكثر من هذا العدد قليلاً . وأما المحتوى فهو ما عبّر عنه هؤلاء الشعراء من معانٍ تحت تيارات مختلفة ، فكانوا نبض القلب وحركة النفس في الشعب العراقي في كل حواسه قبولا ونفياً ، استحساناً واستهجاناً ، وإن شئت فقل إن هؤلاء الكتائب من شعراء العراق كانت لهم في المشاعر دولة « لا » و« نعم » ، وكانوا يأخذون من الشعب ويعطونه ، وهم له رائدون والرائد لا يكذب أهله . وأما المرمى فهو تقديم هذا النسج وهذا المحتوى إلى القارئ العربي والقارئ الإنكليزي في بلاد الإنكليز ، وإلى قارئ اللغة الإنكليزية كائناً من يكون وأينما كان . فهنا عمل ، وهنا رسالة .

وليس هذا العمل بالأمر اليسير ، وإن تخيَّله بعضهم أنه عليهم هيّن ، وما أصدق ما قال الدكتور يوسف عز الدين المؤلف ، من أن شعراء العراق من شأنهم مراعاة عوامل التبدل والتحول ــ وأرجو من القارئ لهذه الكلمة أن يقرأ مقدمة الكتاب بامعان فهي ثلاث صفحات ــ ولهذه العلة أجزت لنفسي أن أقول من هذه الناحية إن هؤلاء الشعراء كانوا يأخذون من الشعب ويعطونه . ولكننا نقول في الوقت نفسه ، إن الحكم العاتي منبعثاً من عاصمته المركزية البعيدة وجاثماً فوق البلد المحكوم بوالٍ يبعثه السلطان ، أم منحنياً فوق البلد مباشرة كالحكم البريطاني الغشوم الناعم المخالب ؛ إن هذا الحكم يفرض عوامل التبدل فينتقل الشعراء من من حال إلى حال . فكان العمل شاقاً كما قال المؤلف في المقدمة ، فأصاب الحقيقة . وأراد المؤلف أن يقدّم هذا الكتاب ــ الأطروحة ــ إلى الشعب العربي ، وإلى الشعب البريطاني أيضاً ، فيدرك من الإنكليز مَنْ شاء الإدراك كيف كان حكمهم يبعث في النفس العراقية المرارة ، وهذه المرارة خالجت نفوس الشعراء وسالت على ألسنتهم أبياتاً أبيات .



الكتاب يقع في ٢٥١ صفحة من الحجم الوسط ، والشعراء العراقيون ، بيَّض الله وجوههم ، وهم الذين اختيرت أبياتهم من قصائدهم أو من مقطعاتهم الشعرية وترجمت ، وهم حملة عرش الشعر العراقي أو طلائعه ، يبلغون حوالي ٤٥ شاعراً يتقدمهم **الرصافي ، والزهاوي ، والكاظمي والشبيبي والبصير والدجيلي والبناء واليعقوبي والحلي** إلى آخر هذا الرعيل الذي كنا سعداء بمعرفة فريق منهم معرفة شخصية عن كثب ، وهم الرصافي والكاظمي[2] ، والشبيبي والدجيلي . هؤلاء الأربعة : أما الرصافي فقد لقيناه في دمشق والقدس ، والكاظمي في القدس ومصر ، والشبيبي في بغداد ، والدجيلي في بيت المقدس . ولهم جميعاً عندنا أروع الذكريات ، فقد احتفظت بقبسات روحية من كل منهم تساوي كنوز الأرض . وسبق لي أن كتبتُ فيما مضى شيئاً يتعلق بالرصافي ، وهو في دمشق والقدس ، وأرسلته إلى أخي الأستاذ **صبيح الغافقي** في بغداد منذ سنين ، وكذلك كتبت عن الكاظمي أيضاً .



أما من استطعت أن أقرأ لهم المختارات المترجمة في هذا الكتاب غير من ذكرت ، فهم حسب ورود ذكرهم في الكتاب تبعاً للأبواب : **محمد طاهر السماوي ، عبد الرحمن البناء ، علي البناء ، كاظم آل نوح ، السيد عبد المطلب الحلي ، إبراهيم منيب الباجه جي ، عبد العزيز الجواهري ، علي الشرقي ، محمد حبيب العبيدي ، محمد حسين كاشف الغطاء ، خيري الهنداوي ، شكري الفضلي ، محمد حسن أبو المحاسن ، عطاء الخطيب ، ابن الفراتين ، أحمد الصافي ، منير القاضي ، عبد الستار القره غولي ، حسين كمال الدين ، أحمد الموسوي ، باقر الشبيبي ، « ع . ق » ،**

عبد الحسين الملا ، محمود الملاح ، محمد رضا الصافي ، سعد صالح ، عيسى عبد القادر ، ناجي القشطيني ، محمد باقر الحلي ، حسن الجواهري ، محمد مهدي الجواهري ، مصطفى جواد ، رشيد الهاشمي ، أبو المحاسن ، علي الخطيب ، صالح الجعفري .

ولقد تخيّلت المؤلف وهو يعاني المشاق في هذا السبيل زماناً طويلاً . وقد يظنّ ظانٌّ أن عمل المؤلف كان كنايةً عن الإتيان بهذا الشاعر فيوجز سيرته على نحو ما في المعجمات الأدبية ، ثم يقع على المختار من شعره قطعة أو قطعتين أو أكثر في مواطن مختلفة ، حتى إذا فرغ من هذا كله ، انتقل إلى شاعر آخر وصنع كما في الأول ، وهكذا إلى النهاية ، حتى تـمّت الصفقة ! ! كلا . فالمؤلف صرف سنين عديدة وهو يقلّب الدواوين ، ويرحل إلى مجموعات الصحف في العواصم العربية والغربية ، ويقابل الأحياء من الشعراء إذا استطاع ، ويحدّثهم ويسألهم ويقيّد في أوراقه إجاباتهم ومعلوماتهم ، فهذه الخيوط التي تراها الآن في صفحات الكتاب ، إنما عملت فيها مئات المغازل قبل أن تحولت إلى لحمةٍ وسدًى في هذا الثوب الذي في النهاية فاق الحرير نعومة .

★ ★ ★

هؤلاء الشعراء ، لما قالوا قصائدهم في أحوال مختلفة من الأيام والزمن والحرب ، مداً وجزراً ، لم يكونوا يعلمون أن سيأتي يوماً حاصدٌ مغربلٌ ، تحصّن بعلوم العصر ، وادّرع طول الاناة والصبر ، فيختار من قصائدهم أبياتاً تتحول بالترجمة إلى معرض أنفاس الشعر العراقي المصوّر للمراحل ، فيقرأها العربي كما يقرأها الأجنبي قراءة شعر يحمل روح التاريخ . أمسى هؤلاء الشعراء كالمرائي ، ترى في منعكساتها أخيلة الحوادث مجسمة ، والعوامل الروحية كأنها قبلت الساعة ، دفئاً وحرارة . ما اشتق من الروح يبقى حياً .

★ ★ ★

ما الفرق بين ما عمله الدكتور يوسف عز الدين في كتابه هذا ، وبين ما يعمله المؤرخ الذي يتصدى لحياة العراق السياسية والاجتماعية ويجعل مهمته تدوين هذه الحياة عن المدة نفسها ، وهي العراق منذ أول هذا القرن ؟

هناك عدة فروق : فعبارة المؤرخ هي عبارة الوصف والإحصاء على الغالب ؛ وإذا شاء المؤرخ أن يتفنن في العبارة ليجعلها محبَّبةً إلى القارئ ، وأنى للسأم ، فله ذلك . أما في كتاب الدكتور يوسف عز الدين فالعبارة بضاعة جديدة برمتها . فيها مهاميز تثير الشهيّة ، باطّراد ، فهناك مقدمات لطيفة تتعلق بالشاعر نفسه ، تقرأها بالإنكليزية ، ثم بعد التمهيد لبيئة الفكرة تقرأ الأبيات المختارة بإنكليزية سهلة سهولة البراعة وعبقرية تقريب المتناول ، فتستغرق في اللذة . وهذا يحملك طائعاً راضياً ، على أن تعيد ما قرأت ، فتستقلّ اللذة الأولى إلى جانب اللذة الثانية ، فإذا ثلّثت القراءة ، فاللذة تتضاعف ، وحينئذ أنت حرّ أن تكرّر ما قرأت قدر ما تريد ، قبل أن تنتقل إلى شاعر آخر . فمقدمات الأبواب والفصول ، ترقى بك إلى باب بيت الشاعر ، **رقي الطيارة بك** عن الأرض وأنت لا تدري ، فإذا دريت فتكون وقتئذٍ أصبحت في الجو . والكتاب كله على هذا النمط .

وهناك فرق آخر طويل عريض ، فالمؤرخ عليه أن يتعاطى « المحسوس » وصناعته Concrete ، أما الشعراء فيحوّلون هذا إلى Abstract ولا تطأ أقدامهم الأودية والأمطئة والسفوح ، بل دائماً ، أو على الغالب يسيرون مسراهم العجيب من على رؤوس الجبال ، والأعالي ، خطوتهم أحياناً ثلاثة أشبار ، وأحياناً خمسون ميلاً .

والمؤرخ ، خطوةً خطوةً وعليه أن يستريح كل خمسين متراً . **حكمة المؤرخ صامتة ، تتكلم وأحياناً بعد سنين من ميلادها ، وحكمة هؤلاء الشعراء تصيح وهي تولد ، ولا تنقطع عن الصياح بعد ذلك . سبحان الله ! حكمة بيت الشعر طبعت من نحاس ، كيفما طرقته ، رن رنيناً مثيراً . حكمة المؤرخ قطعة من سنديان .**

★ ★ ★

إذا دفعتُ إليك هذا الكتاب من عنوانه : « **الشعر العراقي الحديث** » ، وطلبتُ منك أن تقرأه معجباً به ، إعجابي به ، فتناولته وجئت توًّا تقرأ الفهرس ، وهو من ستة أبواب وهذه الأبواب من ٣٨ فصلاً ، فإنك تقرأ عناوين هذه الفصول كلها ، وكل عنوان مأخوذ من مُصاصة المحتوى ، إلا بضعة عناوين فقط من الثمانية والثلاثين ورد فيها ذكر للشعر أو الشعراء . فتخطّئني وتقول لي : هذا على ما يظهر كتاب تاريخ ، كما تشهد أكثرية عناوين أبوابه وفصوله ، فأين الكتاب الذي تعنيه ؟ نعم ، **هو كتاب تاريخ** من هذه الناحية ، وأتلو عليك عناوين الباب الأول وعنوانه : « الحياة السياسية » ، وفصوله الثمانية هذه عناوينها : مقدمة — مسائل العراق الاجتماعية — التيارات الإسلامية في الشعر العراقي — إعلان الدستور العثماني وما كان له من تأثير في الشعر العراقي — الخيبة في الدستور — حروب الدولة العثمانية وما كان لذلك من تأثير في الشعر العراقي — غارة إيطاليا على طرابلس الغرب — الحرب البلقانية . فهذه كلها عناوين تاريخية لا عناوين دواوين شعرية .

وأتلو عليك عناوين فصول الباب الثاني الذي عنوانه : « الحرب العالمية الأولى » ، والفصول خمسة : حملة الدردنيل — البريطانيون يدخلون العراق — حصار الكوت — احتلال بغداد — السلم . وهنا في هذا الباب لا أثر لعناوين شعرية أبداً . ولم يرد ذكر الشعر والشعراء في كلام الفهرس ، تحت أية صورة كانت ، إلا تسع مرات من ٣٨ عنواناً .

★ ★ ★

واقصد من كل هذا أن أقول إن مسالك الكتاب ودروبه بحسب العناوين ، تاريخية . وأما نبضه وأنفاسه ونكهته ، وتغاريده ، فشعرية . فالتعبئة عسكرية ، إذا صحّ التشبيه ، إذ ليس للقائد إلا أن يأخذ بفنون الحرب والقتال ، وهذا كله من المحسوس ؛ وأما معظم السلاح بيد الجند فحداءٌ وهزج تارةً ، وحكمةٌ ونصيحةٌ طوراً ، وهذا من المعاني والمجردات . وهنا برأيي الطرافة والإبداع . فتسبح في أفق الكتاب محمولا على جناحين : جناح الشاعر وجناح المؤلف . الشاعر يثير أمامك صور السنين والعقود من **أيام عبد الحميد** ، يصف الحوادث والتيارات ، والآلام والآمال ، والليل البهيم والصبح المنير ؛ والمؤلف يرتّب هذا كله لك ترتيباً بديعاً يتلو بعضه بعضاً تلاوةً منسجمة ، فاجتمع المؤرخ والشاعر في شخص واحد .



يقول المؤلف في المقدمة البارعة ، قولا في غاية التواضع ، يتعلق بأولية أمره في الشعر ، وأن المجرى الذي جراه بعد ذلك يمثّل جزءً غالياً من حياته ، عزيزاً عليه جداً ، وأن موضوع هذا الكتاب — الأطروحة — كان يداعب خياله منذ الصغر ، وهو ناشئ في أول السلّم ، لما أهداه والده يوماً مجموعة شعرية ، فاستهوته ، وملكت عليه لبّه وميله وخياله ، فأخذ في التهامها ، حتى حفظ منها حصةً ، صالحة ، عن

ظهر القلب ، وراح ينشد محفوظه هذا لأساتذته ورفقته في المدرسة ، معتزاً متباهياً ، فأعجبوا به أي إعجاب ، ومنذ ذلك الوقت جعل رحلته مكة في هذا المضمار ، وملأ الطموح صدره إلى ما هو أبعد ، وصار يعنى بجمع الدواوين ما استطاع إلى جمعها سبيلاً ، ويعالج بذوقه تعيين المختار من قصائدها وأبياتها . ويغتبط القارئ إذ يعلم هذا من المؤلف نفسه في هذه المقدمة ، لأن المقدمات للكتب لا تكشف عن مقاصد المؤلف ونياته ، وكفى ، بل أحياناً تكون المقدمات النابعة من محراب النفس ، حاكيات عن البذور والأوليات وأيام البراعم والأكمام . فقد أخبرنا العلامة الدكتور يوسف عز الدين أن أول شاعر عراقي أسَرَهُ واستولى على مشاعره ، هو الرصافي ، والرصافي وقتها ينفخ في الصور زعقات الايقاظ ، والاستبداد ضاربٌ بجرانه .

ونقول في هذا الموطن إن زعقات الرصافي كانت للأمة كلها ، في عراقها وشامها ولبنانها وفلسطينها ، للعرب كافة ، لأن الداء كان واحداً والشكاة هي هي . وكان الرصافي يدمدم ويتململ ، وبشعره الصواعق والبوارق والنسائم . فإذا كان بالأولى ينصبّ على المستبدين مقرّعاً ونذيراً ، فقد كان بالثانية مرتقباً فجراً حراً جديداً ، وبالثالثة يدخل زوايا البيوت مؤاسياً وبشيراً ، يبكي للبؤساء والأرامل والأيتام والضعفاء والمنقطعين ، وهذا من أسرار الرصافي في حدّيه : شفرة ماضية ، وقالب يقطر حناناً .

★ ★ ★

وعلى ما لاحظنا ، فإن القبسات من شعر الرصافي هي حصة الأسد في الكتاب في معظم الفصول . ولعلّ هيام المؤلف به مع بقائه على الولاء له ، وهذا من ضروب الوفاء ، مما أطلق يده في الاختيارات فنرى الرصافي في الكتاب على رأس كل طريق . وبعد أن يجمل المؤلف قصته هو في باقي مناحيها ، يتواضع تواضع العالم ليقول إن غايته العليا أن يكون هذا الكتاب وافياً بالمقصد منه ، وقد حقق المؤلف غايته وغرضه ولله الحمد ، تحقيقاً موفقاً أربى على الغاية وزاد ، وقال إنه لا يحسب نفسه أنه صنع شيئاً سوى أنه وضع لبنةً في مدماك صرح الآداب العربية . والحق الصراح أن عمل الدكتور يوسف عز الدين هو أكثر من لبنات ، فأنشأ في الصرح لا مدماكاً بل واجهةً برمتها ، وقضى لمتهذبة العرب لبانات ، على ما نبينه الآن ، ووضع نماذج في ترجمة الشعر العربي إلى الإنكليزية تحتذى ، والراغب بوسعه أن يطيل النظر في هذا ، فيرى منه حدائق ورياضاً ، ومروجاً خُضْراً ، وهذا فتح جديد .

★ ★ ★

الترجمة ترتدي حلة عدنية

واعلم علمي القصير هذا ، أن هذا العمل هو الأول من نوعه في هذا العصر ، ومرادي الآن أن أتناول الترجمة ، ترجمة هذه الاقباس المتخيرة لهؤلاء الشعراء ، وأبيّن ما هي عليه من السهولة في البيان الإنكليزي ، وهكذا تبدو للقارئ العادي . أما القارئ الذي يتذوق العبارة الإنكليزية وبيانها ويلتذ بأن يقرأ ترجمة الاقباس هذه ، فتنطلق نفسه بهجةً وسروراً ، ويعتزّ بأن يرى الدكتور يوسف عز الدين قد فتح هذا الفتح فأكرم شعراء العراق المحدثين ، وقدّم إلى الغربيين هذه الباقات الجميلة من أشعارهم التي نسج المؤلف منها حلةً عدنية ، تستهوي كلَّ من قال بعدنٍ وطن ، وجاهر بعقيدة الأمة العربية في السرّ والعلن ، واعترف بأن الحضارة الفكرية مقايضات ولكنها تعبق وتفوح وتنتشر ، من بلد إلى بلد ، وأفق إلى أفق ، بأقنية وجداول وتُرع عن طريق الترجمة ، ولم تكن حضارة الإنسان يوماً مغلقةً في موطن عن موطن آخر ، ولا اختلاف الألسنة وقف في عصر من عصور التاريخ حاجزاً بين انسياح العوامل الحضارية من إقليم إلى إقليم ، والحضارة العربية كلها ، أمويها وعباسيّها ، وفاطميّها وأندلسيّها ، هي صاحبة الفضل في ادخال الدم الجديد على قوافل الحضارة العالمية ، ولولاها لكان مصير هذا الإنسان ارتطم في الدهاليز وطالت كبوته .

★ ★ ★

فالترجمة هي للمعنى والروح ، لا للكلم والحروف ، وهذا مذهب **البروفسور اربري** Arberry مترجم القرآن الكريم إلى الإنكليزية سنة ١٩٥٥ م ، كما أفادنا الدكتور يوسف عز الدين .

وأساليب الترجمة تختلف من أدبية إلى سياسية إلى علمية إلى فنية إلى شعرية .

★ ★ ★

إن الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية قد كثرت على اختلاف أنواعها ، ولكن الترجمة التي يتمُّ بها نقل قطع نفيسة أو كتب قيمة برأسها من العربية إلى اللغات الحية الكبرى في العالم لم يزل مقدارها قليلاً ، مع ما ترجم إلى الآن على **يد اليونسكو** . ونعتقد اعتقاداً مكيناً ، أن هذه النماذج الكاملة في كتاب الدكتور يوسف عز الدين لما يقرب من (٦٠٠) بيت مختلفة الألوان ، لنحو ٤٥ شاعراً من شعراء العراق ، حريةٌ بأن تكون أمثلةً لترجمة الشعر العربي إلى لغة أوروبية . ولكن هذا لا يتمُّ إلا إذا بُذل في السبيل مثل ما بذل الدكتور يوسف عز الدين ، وامتزاج آداب الحضارات اليوم ، يجعل النقل من العربية إلى اللغات الإفرنجية أمراً من الضروريات لا الكماليات . **وفي اليونسكو اعترف بالعربية لغة من لغات هذه المؤسسة العالمية . ونرجو من الدول العربية ، وهي لله الحمد كثير عددها وفير في أن تطالب بإقرار العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة ، وهي لغة الإسلام للشعوب الإسلامية غير العربية ، ولسان العالم العربي** .

وهذا الباب ، باب النقل إلى اللغات الأوروبية الحية ، نرجو أن يلجه أصحاب الكفايات العلمية العالية ، ونلفت نظر الجامعات إلى هذا في العواصم العربية آسيوياً وإفريقياً . وقد سر العرب جداً بأن يروا عالماً عربياً ممتازاً قد عين رئيساً للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو ، هو **الدكتور فؤاد صروف** الغني بشهرته عن التعريف .

★ ★ ★

يشترك العالم العربي مع العراق « **المأموني** » في شكر الدكتور يوسف عز الدين على كتابه القيم هذا ، متمنين له اطراد وضع اللبنات في صرح الآداب العربية ، وبالله التوفيق .

الهوامش

(١) **المجلة** : بلغت كتب الدكتور يوسف عز الدين بعد هذا التاريخ (٢٥) مؤلفاً منها « قضايا من الفكر العربي » ، و« قلب على سفر » رواية ، و« الحركة الفكرية في العراق » .

(٢) أقام الصحب وأهل الأدب للكاظمي حفلة تأبين كبرى في فلسطين بعيد وفاته ، واختيرت يافا ، سنة ١٩٣٥ م ، مكاناً مناسباً ، ودعي لهذه الحفلة خطباء من لبنان ومصر وممن حضر من مصر ، **إبراهيم المازني وأسعد داغر** واشتركا في التأبين ، وكان الحضور الوفاً من مختلف مدن فلسطين ، ومن خطباء فلسطين **اسعاف النشاشيبي وعوني عبد الهادي وأكرم زعيتر وحمدي الحسيني وعجاج نويهض** .



أثـــــرية



آثـــار :

أي شيء يصنعه الإنسان هو انعكاس لنفسه ، ومظهر للحضارة الـتي عاشها ، وحيث أن الإنسان بطبيعته شديد المحافظة وغـير محب للتغيـير ، فربما يكون هذا الشيء أيضاً نسـخة لما صنعه أسـلافه في نفس الاتجـاه . وقد استفاد الأثريون من هاتين الحقيقتين في استقصاء الماضي ، والـكشف عن الحضارات التي ظهرت قبل بداية التاريخ . فهم يبحثون بـكل عنـاية عن المخلفات الأثرية التي قد توجد في المواقـع القـديمة ، وبفحص كل مـا يجدونه بدقة متناهية ، يمكنهم أن يربطوا بين قدر كبير جداً من المعلـومات عن الناس الذين عاشوا يوماً في هذا الموقع ، وطرق عيشهم ، وعاداتهم ، وتفاصيل حياتهم اليومية .

ويحتاج هذا العمل إلى براعة ومهارة ، إذ إن كثيراً ممـا خلفـوه قـد اندثر ، ولا يمكن التعرف عليه إلا من خلال علامات واهية غـير ظـاهرة للعين غير المدربة ، ويعتمد الأثـري في تـاريخ مـكتشفاته على مبـدأ « **الاستراتيجرافيا** » ويتضمن هذا المبدأ أن أقدم جزء في الموقع هو دائماً ما وجد في أسفل مستوى ، بينما تركت العصور الأحدث مخلفاتها فوق هذا المستوى مرتبة حسب ترتيبها التـاريخي مـن أسـفل إلى أعلى ، ومــن ثم ، فبالحفر من أعلى إلى أسفل ، يمكن للأثري أن يقتـفي أثـر الـطرز المختلفـة للشيء ، أو أنه يكون من دراسته لأحدث العينات وأكثرها تطوراً ، حـتى أقدم العينات وأكثرها بداءة ، وتعـرف هـذه الـدراسة **بـالتيبولوجي** ، تتابعاً طرزياً يبين تفاصيل تغير طرز كل من هذه الأشياء .



بعلبـك :

تنتمي أنقاض المعبد البديع في هذا الموقـع **بلبنـان** إلى الفـترة الـتي

استعمرتها فيها روما باسم مدينة الشمس « **هليوبوليس** » ، وقد أقيمت هذه المدينة فيما بين القرن الأول والقرن الثالث ، ولا توجد بهذه الأنقاض أي آثار لمستقر فينيقي سابق ، أو من آثار المدينة الهلليستينية التالية له ، وأهم مباني المجموعة الضخمة لأكروبوليس بعلبك معبد **جوبيتر** ومعبد **فينوس** ، وهما وبخاصة الأخير ، من أجمل ما أنتجته العمارة الرومانية ، وفي خلال القرن الثالث عشر ، حول العرب مجموعة الأعمدة إلى حصن ، ولم ينظف هذا الموقع إلا في أوائل القرن العشرين .



تدمر (بالميرا) :

وتعرف في اللغة **اللاتينية** واللغات الأوروبية باسم **(بالميرا)** ، وهي مدينة خربة تقع في وسط **الصحراء السورية** ، حوالي منتصف الطريق الشمالي الشرقي بين **دمشق ونهر الفرات** . وجدار المدينة الذي بناه الإمبراطور **جستنيان** (٥٢٧ ــ ٥٦٥ م) يحتوي على مساحة يبلغ طولها ميل وربع ، ويبلغ عرضها خمس أثمان الميل ، وهذا في الواقع أقل من المساحة التي كانت تشغلها المدينة في أعظم أيامها ازدهاراً ، في القرن الثالث الميلادي .

وهذه المساحة كانت تشغل الثلاثة أبنية الهامة ، التي تبدو حتى في حالتها المتهدمة من أروع أطلال العالم القديم التي تثير إعجاب الناس ،

ومما يزيد من هذه الروعة ، وقوعها عند سفح سلسلة من التلال الصحراوية ، التي تنتشر بها المقابر ذات الأبراج ، كما تسيطر عليها قلعة عربية .



ثولوس (مقابر) :

اصطلاح يشير بصفة خاصة إلى أقبية الدفن الضخمة ، التي أنشئت طوال **العصر الميسيني** (حوالي ١٥٨٠ ــ ١١٠٠ ق . م) ، وقد تم التنقيب عن حوالي ٥٠ مقبرة في بلاد اليونان حتى الآن ، ولكن يعتقد أن هناك عدداً كبيراً من المقابر لم يتم الكشف عنها بعد ، وجميعها دون استثناء تقع في المنطقة الساحلية حيث ازدهرت مراكز الحضارة الميسينية .



جلجامش (ملحمة) :

ملحمة جلجامش ، ليست أقدم قصيدة هامة بقيت لنا فحسب ، بل يمكن القول أيضاً ، إنها واحدة من أعظم الملاحم . والصورة التي وصلتنا فيها القصيدة ، تمثل نسخة آشورية منقحة ، تؤرخ من القرن السابع قبل الميلاد ، وقد وجدت منقوشة **بالخط المسماري** ، على جذاذات من اثني عشر لوح من الطين ، وجدت بين أطلال المكتبة الملكية لآشور ، في **نينوى** إبان أعمال التنقيب في القرن الماضي ، ولكن الموضوعات التي تتألف منها القصيدة أقدم من ذلك بكثير ، ويرجع تاريخها في نفس الصورة تقريباً ، إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد .

وربما كان **جلجامش** أصلاً شخصية تاريخية ، إذ يوجد اسمه في قائمة الملوك السومريين ، حيث ذكر اسمه بصفته الملك الخامس في الأسرة الأولى بعد الطوفان ، وعلى النقيض من ذلك ، يبدو أن ثمة سبب للاعتقاد بأن جلجامش كان أحد الكاشيين الذين أنشأوا مملكة عيلامية في أريخ ، ولكن كيفما كانت أصوله التاريخية ، فإن جلجامش المذكور في القصيدة ، هو بخاصة بطل شعبي ، كما أن القصيدة نفسها هي بخاصة حكاية شعبية .



الحدائق المعلقة :

حدائق بابل المعلقة ، كانت إحدى عجائب الدنيا السبع ، ولا يعرف بالتأكيد ماذا كانت ، ولكن يعتقد أنها على ما يحتمل حدائق زينة زرعت على مدرجات الزقورة في **بابل** ، وفي غيرها من مدن **بلاد الرافدين** .



الختم :

يحتمل أن يكون أول ختم قد تطور عن « **التميمة** » إذ يمكن استعمال جوهرة أو خرزة منقوشة ، لإنتاج صورة من هذا النقش بواسطة ضغطها على الطين الطري . وقد عثر على الأختام بكميات في أنحاء من **جنوب شرقي أوروبا ، والشرق الأدنى ، والشرق الأوسط من بلاد الإغريق ، ومصر حتى إيران** ، وأقدم النقوش الموجودة على الأختام كانت هندسية ، وعندما اخترعت الكتابة ، صار الختم يحتوي على اسم صاحبه ، ومن الأمثلة المطابقة ، ختم كشف عنه في « **مجدو** » عام ١٩٠٤ م ، وهو مصنوع من اليشب ، ويحمل صورة أسد يزأر ، والكلمات « لشيما .. خادم يربعام » ، ويرجع تاريخه إلى ٧٥٠ ق . م .



ديموطيقي :

مستمدة من الكلمة اليونانية « **ديموطيقس** وتعني « الدارج » ، وقد **استخدمه الباحثون لتسمية نوع من الخط المختصر** ، الذي استعمله المصريون القدماء من حوالي ٧٠٠ ق . م ، حتى القرن الثالث الميلادي ، وهو الخط المنقوش على **حجر رشيد** ، تحت **الخط الهيروغليفي** ، وقد كيف الخط الديموطيقي لكي يلائم الكتابة بفرشاة

على ورق البردي أو على الشقف ، وكان القصد منه استعماله للكتابة الدارجة ، والغالبية العظمى من النصوص الديموطيقية وثائق قانونية ، وخطابات رسمية .



رشيد (حجر) :

عثرت على حجر رشيد قوة فرنسية في أغسطس / آب ١٧٩٩ م ، بالقرب من **رشيد** في غرب **الدلتا** على النيل ، ثم انتقل إلى ملكية **الإنجليز** في ١٨٠١ م ، عندما استسلم الجيش الفرنسي في مصر ، وبمقتضى معاهدة ، تنازل الفرنسيون عن كثير من الآثار ، كان من ضمنها هذا الحجر ، وأرسل إلى إنجلترا في فبراير / شباط من السنة التالية ، ووضع في المقر الرئيسي لجمعية الأثريين ، ثم نقل إلى **المتحف البريطاني** حيث يوجد بها منذ ذلك الحين ، وحجر رشيد هو قطعة من حجر البازلت الأسود ، طوله ثلاثة أقدام ، وتسع بوصات ، وعرضه قدمان وأربع بوصات ونصف ، وهو منقوش باللغة **المصرية** ، واللغة **اليونانية** ، بالترتيب الآتي :

١ ــ الخط **الهيروغليفي** أو الخط التصويري .
٢ ــ الخط **الديموطيقي** وهو خط مصري مختصر .
٣ ــ الخط **اليوناني** ، وهو محفور بالحروف العادية المنفصلة .

هذا والنص مهشم جداً ، وخاصة الجزء الهيروغليفي .



زحافة :

الزحافة هي أقدم أنواع المركبات التي اخترعها الإنسان ، ومن المحتمل أن تكون فكرتها قد نشأت عند الإنسان في الأزمنة **الباليوتيثية** ، من طريقة وضعه مصيدة على فرع شجرة وجرها خلفه إلى بيته ، وما كان عليه إلا الاحتفاظ بالفرع لاستعماله مرة ثانية ، وتشكيله ليؤدي عمله بصورة أفضل ، أو ربط فرعين معاً لتكون زحافة من النوع البدائي ، وفي الأزمنة الميزوليثية كانت الزحافة قد اكتمل تطورها ، وقد عثر على زحافات من هذا العصر محفوظة في مستنقعات **فنلندا** ، والخطوة التالية التي حدثت في الغالب في العصور الفيوليثية ، حيث كانت تسرج الثيران ، لتجر الزحافة خلفها ، ومن المحتمل أن زحافة الكلب ، استعملت قبل أن تستعمل زحافة الثيران !



سور الصين :

استحكامات تمتد حوالي ٢٤٠٠ كيلومتر عبر شمال الصين ، من إقليم كانسو إلى إقليم شنوا نجتاو هوبيه ، وهي تمتد في معظمها على طول الحافة الجنوبية لسهل منغوليا ، **وقد أقيم هذا السور لحماية الصين من غارات المتبربرين الشماليين** ، وبدأ تشييده في عهد **هوانجتي** الذي حكم في الفترة ٢٤٦ ــ ٢٠٩ ق . م وإن كان بصورته الحاضرة ينتمي إلى **أسرة المينج** (١٣٦٨ ــ ١٦٤٤ م) ، وقد بنيت **الأجزاء الشرقية** للسور من الحجر ، أما **الأجزاء الغربية** فهي مجرد تكوينات من الطين ، وقد أقيمت على مسافات متساوية للسور فقط للحراسة وأبراج المراقبة ، وكان السور يعد أعجوبة من **عجائب الدنيا السبع** ، وذلك في العالم القديم .



شيشن إتزا :

كانت أكبر مدينة لدى **المايا** ، وحاضرة حضارة المايا بأجمعها ، وقد دخلت قمة مجدها فيما بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر ، وتقع في **يوكاتان** على بعد ٢٢ ميلاً (حوالي ٣٥,٥ كم) غربي ڤالادوليد ، والإتزا كانوا قبيلة من جنس المايا سكنت هذه المدينة من قبل ، وينتمي كثير من آثار **شيشن إتزا** إلى فترة **الغزو المكسيكي** لها ، وتدل هذه الآثار على أن الغزاة كانوا من **التولتك** ، وهم قبيلة كانت تسكن شمال مدينة المكسيك .

ومن أهم المعالم الأثرية بهذه المدينة **ساحة الألف عمود** ، التي ربما كانت سوقاً قديمة ، وبئر ضخمة كانت تلقى فيها الضحايا البشرية ، وقد انتهى عهد هذه المدينة كمركز لحضارة المايا بالفتح الإسباني ليوكاتان .



صور :

هي مدينة الفينيقيين القدماء المشهورة ، وكانت تقع على جبل داخل في البحر ، يقوم فوق ما هو الآن **الساحل اللبناني** ، على بعد ٢٥ ميلاً (حوالي ٤٠ كم) ، جنوبي صيدون ، وتعتمد شهرتها على قوتها **كميناء بحري** ، هذا وقد نهبت أطلال المدينة فيما بعد ، ودفنت تحت الرمال والبحر ، ويرجح أن تكون الأساسات الموجودة تحت الماء هي من الميناء القديم ، كما كانت **النقود الصورية** التي احتفظ ببعضها حتى الآن ، منتشرة في منطقة واسعة ، منذ القرن الخامس قبل الميلاد .



طروادة :

يصف **هومر** في **الإلياذة** ، الحرب التي خاضها **أجاممنون** ملك ميسينا ، وغيره من الأمراء الآخيين ضد **طروادة** ، وقد فقد موقع

طروادة التاريخي على الساحل الإيجي لآسيا الصغرى ، حتى اكتشفه عالم الآثار الألماني **هنري شليمان** في ١٨٧١ م ، بالقرب من الموقع الجديد والمعروف باسم **حصارليك** .

وقد كشفت أعمال التنقيب التالية منذ ذلك التاريخ ، عن أطلال تسع مستقرات سكنية في طبقات كل منها فوق الأخرى ، ونتيجة لهذه الأعمال أمدتنا طروادة بأكمل صورة عن تطور **عصر البرونز في غرب آسيا الصغرى** ، من أطلال مدنها المتعاقبة رغم أنه قد عثر حديثاً على أطلال أقدم في كوم تبة على مقربة من هذا المكان . هذا وقد كانت مدينة طروادة تنتمي إلى النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد كانت محصنة تحصيناً قوياً ، وتحتوي على قصر صغير لملك أو زعيم .



الظـران :

حفر الإنسان النيوليني مناجم في الطباشير لاستخراج الظران ، لكي يصنع منه أدواته الحجرية ، وقد وجدت مثل هذه المناجم في **إنجلترا وفرنسا** ، حيث حفرت الآبار إلى عمق ٢٤ قدماً (حوالي ٧ م) ، ثم حفرت دهاليز في طبقات الطباشير ، وقد استخرج الظران بمعاول من قرن الغزال ، ثم جمع بمجاريف مصنوعة من ألواح أكتاف الثيران .



عجائب الدنيا السبع :

وضع الإغريق قائمة بسبعة من الأعمال الفنية العظيمة ، والقوائم تختلف ، ولكن العجائب العالمية السبع التي اتفق عليها بصفة عامة ، هي : **تمثال رودس** ، وهو تمثال يبلغ ارتفاعه ١٠٠ قدم (حوالي ٣٠ م) ويطل على مدخل ميناء الجزيرة ، **ومنارة الإسكندرية** ، التي يبلغ ارتفاعها ٤٠٠ قدم (حوالي ١٠٦ م) ثم **الموسوليوم** وهو مقبرة موسولوس في هاريكارناسوس في آسيا الصغرى ، **وتمثال زيوس** في أوليمبيا ، ويبلغ ارتفاعه ٤٠ قدماً (حوالي ١٣ م) وصنعه من الذهب والفضة المثال فيدياس ، **ومعبد أرتميس** في ديانا في إنسوس **وحدائق بابل المعلقة ، واهرامات مصر .**

وجميع هذه العجائب قد تهدمت ، فيما عدا اهرامات مصر ، ولكن يمكن رؤية بعض نقوش معبد أرتميس والوسوليوم في المتحف البريطاني بلندن .



غمـدان :

قصر شيد قبل الإسلام **بصنعاء اليمن** ، كان يتكون من ٢٠ طابقاً ، بين كل طابقين عشرة أذرع ، ولكل غرفة أربعة أبواب ، وعند كل باب تمثال من نحاس يخرج منه صوت إذا ما دخل فيه الهواء ، وكان سقف الحجرة العليا في هذا القصر ، مغطى بلوح من الرخام الشفاف ، يساعد المقيم بها على رؤية طيور السماء ، وأقيم في كل ركن من أركانها الأربعة ، تمثال لأسد ، إذا دخل الهواء فيه ، تسمع منه زئيراً كزئير الأسود .



فيـلة :

جزيرة صغيرة في **النيل** إلى الجنوب من **أسوان** ، حوالي ٥٠٠ ياردة في الطول و ١٦٠ ياردة في الاتساع ، تحتوي على أبنية معابد من أفضل ما حفظ في مصر ، ويتراوح تاريخها بين عصر نقطانب الأول **(نخت نب ف)** حوالي ٣٧٨ ق . م ، وبين عصر **الإمبراطور لتراجان** المتوفي عام ١١٧ م ، وهي آثار هامة ، لما تحتويه من نقوش ومناظر أسطورية ، والجزيرة والمعابد تغطيها من أبريل / نيسان حتى ديسمبر / كانون الأول المياه التي كان يخزنها سد أسوان ، وبعد بناء السد العالي ، أصبحت الأجزاء العليا لمعظم هذه المعابد ظاهرة طوال العام ، كما يجري العمل الآن لنقل كل المعابد إلى جزيرة **أجيلكيا** المجاورة .



قفصية ، حضارة :

هي إحدى حضارات **العصر الحجري في شمال إفريقيا** ، ويرجع تاريخها إلى نهاية **عصر البلوستسين** ، وهي الحضارة التي تلت الحضارة الأثرية ، واستمرت في شمال إفريقيا طوال عصر **الحضارات الميزوليثية** في أوروبا ، وقد تركز انتشار هذه الحضارة بصفة رئيسية في **جنوب تونس** ، وفي **جنوب شرقي الجزائر** ، كما ازدهرت هذه الحضارة في **كينيا** أيضاً ، حيث وجد أسلوب تقني ، يعرف **بالقفصي ـ الكيني** ، ويرجع تاريخه إلى مرحلة الجفاف لعصر ما بعد الجامبلي ، والمشغولات التي عثر عليها تشمل أنواعاً مختلفة من الأدوات الحجرية ، وبعض أدوات بسيطة من العظم .



الكرنـك :

قرية تقع على الضفة الشرقية للنيل ، على بعد حوالي ٢ كم شمالي مدينة الأقصر ، وهي تحتوي على أطلال المعابد العظيمة ، التي كانت يوماً ما جزءاً من **مدينة طيبة** ، عاصمة مصر القديمة ، **ويرجح أن أصل كلمة كرنك محرف من الكلمة العربية خورنق ، التي**

أطلقها العـرب عنـد دخولهـم مصر على مجمـوعة المعـابد الموجودة بهذه المنطقة ، ومعظم أطلال الكرنك من عصر الدولة الحديثة . هذا ويصل بين معبد الكرنك ومعبد الأقصر ، طريق يمتد من الشمال إلى الجنوب ، مزدان على جانبيه بصفين من تماثيل أبي الهول ، الذي يرمز للملك ، برأس إنسان وجسم أسد ، ويحوي السور الذي يحيط بفناء الكرنك عدداً من المعابد الصغيرة .



لجسن ، لاجاسـن :

مدينة قديمة ، كانت مركزاً لإحدى **الحضارات السومرية** الموغلة في القدم ، وهي تقع على بعد ثلاثة أميال شرقي شطال حي ، وعشرة أميال شمالي بلدة الشطرة ، وكان أول من اكتشف هذا الموقع **ارنست دي سارزيك** ، القنصل الفرنسي في **البصرة** عام ١٨٧٧ م ، وكان أهم عصورها في الألف الرابعة قبل الميلاد ، وقد كشف في الموقع عن أشياء كثيرة ذات أهمية كبيرة ، منها لوحة النسور المشهورة ، وزهرية كبيرة من الفضة مزدانة بشعار لجسن ، وأسلحة ومنحوتات وتماثيل عديدة ، وما يقرب من ثلاثين ألف لوحة طينية .



مرمدة :

موقع على حافة **الصحراء الليبية** ، ٣٢ ميلاً ، وقد كشفت أعمال التنقيب التي قام بها **يونكر** عن آثار ثكنة كبيرة من **العصر الحجري الحديث** ، تتكون من عشش خفيفة من غصون الأشجار ، مقامة بانتظام على جانبي شارع رئيسي ، وكانت أساسات البيوت مصنوعة من التربة الطينية ، ويوجد بداخل كل بيت منها فرن ، كما عثر أيضاً على نوع بدائي من المساكن البيضاوية الشكل ، يعلو نصفها سطح الأرض ، ونصفها السفلي محفور في باطن الأرض ، لمسافة ٢٠ بوصة (٤٠ سم) وجدارها الداخلي مبطن بالقش والحصير المليس بالطين ، وقد عثر بداخلها على حبوب قمح ، كما عثر على أوانٍ فخارية كبيرة ، كانت غالباً تستخدم لخزن الطعام ، وقد هجرت القرية فيما يبدو ، عندما أصبح من المستحيل مقاومة غزو رمال الصحراء .



نيبور .. نفر الحديثة :

تقع نيبور على مسافة نحو مئة ميل (١٦٠ كم) **جنوب شرقي بغداد** ، وهي أجل آثار العراق رهبة في النفس ، ونظراً لكونها **مركزاً للحضارة السومرية** ، فقد أعيد بناؤها مراراً منذ الأسرة الأولى أي منذ ٣٠٠٠ ق . م حتى ٢٢٦ ميلادية ، وقد عثر بها على العديد من الألواح المنقوشة ، وخاصة في تل الألواح ، والمجموع الكلي يبلغ حوالي ٨٠,٠٠٠ لوح ، يشمل النسخ الوحيدة الباقية من **النصوص الأدبية السومرية ، ونصوص مدرسية ومؤلفات لكبار الكتاب .**



هـليوبوليس :

مدينة الشمس ، وهو معنى اسمها في **اليونانية** ، وترجع أهميتها إلى عصور ما قبل الأسرات أي قبل ٣١٨٨ ق . م ، وكانت طوال تاريخها الطويل مركزاً دينياً هاماً في مصر القديمة ، وقد استمرت شهرتها خلال الدولتين المتوسطة والحديثة ، ثم تضاءل نفوذها في **العصرين اليوناني والروماني** ، ولا يحوي موقع هليوبوليس القديم إلا القليل من آثارها القديمة ، وهو يقع على مسافة قصيرة **شمال شرقي القاهرة** ، بالقرب من **قرية المطرية** ، ويتميز هذا الموقع **بمسلة عين شمس الجرانيتية** الباقية به ، والتي أقامها الملك **سنوسرت الأول** ، في حوالي ١٩٥٠ ق . م .



وهـران :

حضارة أدوات حجرية خاصة **بشمال إفريقيا ، تشبه الحضارة القفصية** وتعاصرها ، ويبدأ تاريخها من نهاية **عصر البلوستسين** ويستمر بعد ادخال الخواص النيولينية في المنطقة ، ويتركز توزيعها خاصة حول **المناطق الساحلية في تونس والجزائر ومدينة مراكش** في المغرب الأقصى .



يانج ـ شـاو :

حضارة **يانج ـ شاو النيوليثية** ، كانت قاصرة على المناطق الجبلية من مقاطعة **هونان في شمال غربي الصين** ، وربما كانت من نتاج **قبائل التركمان والقبائل التبتية** التي عاشت في هذه المناطق ، وإن كان من المحتمل أنها انتشرت عبر شعاب الجبال إلى أجزاء جنوب شرقي القارة الآسيوية حتى **الفلبين ، والفخاز** عبارة عن أوانٍ من الفخار الأحمر الناعم ، والمزخرف بثلاثة ألوان ، الأبيض والأحمر والأسود ، وعدد من الأشكال ، وخاصة الأواني ذات الثلاث قوائم ، تبدو أنها تتصل بنماذج الصين التاريخية ، التي توجد أيضاً في **مجموعة البرونز** . وقد استعمل أهالي يانج ـ شاو العقيق بدرجة كبيرة ، بالإضافة إلى الأحجار العادية لصناعة أدواتهم ، وكانت الفؤوس من الطراز المستطيل ، وقد عثر أيضاً على أدوات من العظم .

مناقشات

و تعليقات

إدارات الأنظمة وإدارات الأفراد

يفهم من الموضوع الذي كتبه السيد محمد عبد الله الوابل في العدد (٢١) من مجلة **الفيصل** الصادر في ربيع الأول ١٣٩٩ هـ، حول إدارات الأنظمة وإدارات الأفراد الآتي :

(١) قسم الكاتب الإدارات إلى نوعين :

(أ) نوع تكون فيه الوظيفة التي تقوم بها الإدارة مستقرة ومستمرة بانتظام مستمدة من أنظمتها وإجراءاتها بحيث لا تهتز أعمالها نتيجة لتغيب موظف واحد أو أكثر. ويسير العمل بصورة منظمة طوال ساعات الدوام وليس متوقفاً ـ أو متقطعاً ـ إذا ما أحسنا التعبير بحضور المدير أو غيابه ليوقع كل شيء ويعطي تعليماته عن كل أمر.

(ب) يوضح الكاتب النوع الثاني وهو الذي يكون فيه المدير هو الإدارة فإذا غاب غابت معه.. وإذا حضر حضرت معه ويكون فيها كل موظف ووظيفته متلازمان.. فإذا حضر الموظف حضرت الوظيفة والعكس صحيح.

(٢) يوضح الكاتب أنه في النوع الأول يتكيف الموظفون مع إجراءات الوظيفة وتقاليد الإدارة.. أما النوع الثاني فإن الوظيفة هي التي تتكيف مع الموظف.. ويغزو لها منهج.. والشيء الذي له منهج يكتسب منهجه من شخصية مسيِّرة أما إذا كان مسار الإجراءات ليس محدداً فإنها إما أن تكون معقدة، وإما أن تكون ميسرة حسب نفسية الموظف المختص وتهتز كلما تبادلتها الأيدي.

(٣) استعمل الكاتب **اصطلاحات الإدارة**، فيطلق على الأولى بأنها «إدارة أنظمة وإجراءات» ويطلق على الثانية «إدارة الأفراد» وأن المحلل لهاتين الإدارتين سوف يلاحظ أن النوع الثاني يبرز فيه عدد قليل من الموظفين يكون ثقل العمل عليهم لأنهم استطاعوا هضم الإجراءات المعقدة، وأصبحوا يشكلون مراكز نفوذ يستمدون سلطتهم منها من احتكارهم للمعلومات، بينما أصبح باقي الموظفين أصفاراً بعكس النوع الأول فإنه لا يوجد شخص لا يمكن الاستغناء عنه في نفس الوقت الذي يظهر لكل شخص أهميته وقيمته.. ولكن ضمن المجموع ووفقاً للروح الجماعية.

(٤) يفرق الكاتب بين الإدارة الأولى والإدارة الثانية، فيقول إن الفرق يكمن في المنهج، ثم يستدرك فيقول : «إذا جاز اشتقاق هذا الفعل من منهج» واستعمل هذا التعبير ليدل على إخضاع الحركة أو الإجراء المتكررين لمنهج معين.. ولشرح هذا فقد روى حادثة طريفة وقعت منذ مدة في إدارة شؤون الموظفين بإحدى الوزارات، فقد غاب موظف مختص بالإجازات في موسم الإجازات، وغاب معه في نفس الوقت رئيس الشعبة فتعرض المسؤولون في الإدارة لكثير من الضغط من قبل المراجعين فراحوا يبحثون عن موظف يعرف كيف تتم إجراءات الإجازة، ولكنهم لم يفلحوا ففكروا في حجم المشكلة لو أن هذا الموظف ورئيسه، لا سمح الله، تعرضا لحادث أو أي عائق يمنعهما من العمل لفترة أطول، وحفزهم ذلك على السعي لايجاد حل جذري لهذه المشكلة، فشكلوا فريق عمل مصغر ليقوم بتحليل سير المعاملات لمعرفة الوضع الحالي للروتين في الإدارة.. وبعد مراجعة عدد كبير من المعاملات وقراءة الشروحات توصلوا إلى رسم خارطة للخطوات التي كان لا يعرفها إلا الموظف المختص ورئيسه المباشر فقط، وكم كان الأمر مفجعاً إذا علمنا أن خطوات بعض أنواع أخرى من المعاملات قد وصلت إلى ٩٥ خطوة.. وبدراسة التقاليد السائدة في الإدارة وجد بأن هناك تقليد مجمع عليه.. وهو أن الذي لا يطالب بحق لا يحصل عليه حتى أنك إذا سألت أحد الموظفين عن السبب في تأخر صدور قرار أو إنهاء معاملة أجابك بأن صاحبها لم يراجع ويعتبر ذلك مبرراً كافياً لتعطيلها.. ووفقاً لهذا المبدأ فإن الوساطة أصبحت ضرورية حتى ولو كان الأمر صدور قرار إجازة.

جوانب القوة في المقال

(١) الاستعراض المنطقي الرائع للفرق بين الإدارتين (**إدارة الأنظمة وإدارة الأفراد**).

(٢) سلاسة الأسلوب مما يدفع القارئ إلى الاستمرار في متابعة الموضوع دون ملل يذكر.

(٣) الواقعية في ضرب الأمثلة.. والصراحة في ذكر موضوع الواسطة المتفشية في إنهاء المعاملات وأن الموظفين يعتبرون أنفسهم في مركز مميز وأن صاحب الحق يجب أن يخطب ودهم وكأنهم يمنحونه صدقة وليس حقاً.

(٤) القضاء على الروتين في الإجراءات.

جوانب الضعف في المقال

(١) لم يستشهد الكاتب بأمثلة من تاريخنا الإسلامي الحافل بإدارات الأنظمة والإجراءات التي كانت تطبق على جميع الأفراد بما فيهم شخص

مناقشات و تعليقات

الخليفة نفسه أو أفراد عائلته ، مع أن الأمثال والحكم الإسلامية متوفرة وهي الرابط الأساسي الذي نفخر به في اتجاهاتنا المختلفة . وكان مثله مثل أي كاتب غربي يعالج موضوعاً من موضوعات الإدارة بينما كان يجدر به وهو الكاتب المسلم أن يربط الموضوع بماضينا ويذكرنا بما كان يحدث ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

(٢) وقع الكاتب في خطأ التعميم ، فاعتبر أن جميع الموظفين يعملون هذا ، وأنهم جميعاً يمارسون نفس الأخطاء بينما كان الأجدر به أن يستثني البعض فيستعمل تعبير « بعضهم » وليس كلهم .

الرأي الخاص في الموضوع

(١) ذكرني هذا الموضوع بحديث صحفي لأحد مديري التعليم في المملكة عندما تسلم أعباء وظيفته فوجد أن مبنى إدارة التعليم به عدد من المدرسين يوازي عدد الإداريين في الإدارة بينما تعاني المدارس نقصاً في المدرسين ، فلما سأل عن السبب كانت الإجابة هي كثرة الأعباء الملقاة على عاتق الإداريين مما استدعى الاستعانة بمدرسين لمعاونتهم فلما بحث الأعباء وجدها تتمثل في خطوات لا حصر لها في أسلوب إنهاء المعاملات فما كان منه إلا أن أمر بتشكيل لجنة كان هو على رأسها وبحثت الخطوات التي يسير فيها العمل وتوصلت اللجنة إلى اختصار الخطوات (إلى أقل من الربع) فأصبح الموظف مستريحاً متكيفاً مع الوظيفة وعاد المدرسون المنتدبون إلى مدارسهم التي كانت تعاني العجز في المدرسين .

(٢) إن أي منهج يوضع على الورق يسهل تصوره منطقياً . . ولكن عند التطبيق قد يصادف من العقبات ما لا يخطر ببال واضع المنهج ، ولذلك فمن المهم جداً أن تعطى المنهجة التي تحدث عنها الكاتب الممارسة العملية ليتم معرفة مدى نجاحها أو فشلها .

الهدف الذي نطمح إليه

نطمع في الاستفادة من كل الآراء الصائبة في مدارسنا في المملكة العربية السعودية ، فمدير المدرسة الناجح هو الذي يشرف على مدرسته بانتظام . . ومدير الإدارة القادر هو الذي يتابع جهود العمل ويدعمه باستمرار مستمدين عملهم بواسطة الأنظمة والإجراءات ، بحيث لا تهتز ولا ترتبك أعمالها ، ولا تتأخر أو تتعطل ، ويكثر فيها السهو والخطأ إذا ما غاب المدير أو الوكيل أو أحد المدرسين ، وليس معنى هذا أن مدير المدرسة مستقل عن إدارة التعليم بل إنه جزء منها ومنفذ لأهدافها . . وأهداف التربية السليمة التي ننشرها في المملكة والتي تبنى على الأسس التالية :

الدين واللغة العربية ومتطلبات العصر الذي نعيش فيه .

زكريا يحيى لال

مكة المكرمة

السيلز .. أو الفُقْمَة

بينما كنت أتصفح العدد (١٧) من **مجلة الفيصل** الصادر في أكتوبر ١٩٧٨ م ، فوجئت بمقال على الصفحة ٩١ بعنوان « **صيد السيلز** » وقد أشير عنه على غلاف العدد نفسه . وقد ظننت لأول وهلة أن السيلز ، اسم لحيوان جديد لم تعرفه اللغة العربية بعد . ولكني عندما توغلت في قراءة المقال واطّلعت على الصور المختلفة ، تبين لي أن هذا الحيوان معروف في اللغة العربية باسم « **الفُقْمَة** » أو « **عجل البحر** » ، وقد نصت على ذلك كل المعاجم حتى الصغيرة والمختصرة منها .

أما الكلاب البحرية فهي نوع من السمك المفترس يدعى « dogfish » في الإنكليزية وليس « سيلز » .

وعجبت كيف أن مترجم المقال قد فاته ترجمة اسم هذا الحيوان الذي هو موضوع هذا المقال .

سيما بهيج عثمان

بيروت ــ لبنان

●● **المجلة** : أنت على حق في ملاحظتك . والحق يقع على المترجم الذي لم يسعفه الوقت للرجوع إلى المعاجم . . . وهذا وجه من وجوه متاعب الصحافة ، وإذا كان مثل هذا المبرر يعفي الصحافة اليومية والأسبوعية ، فإنه لا يبرر للصحافة الثقافية الشهرية الوقوع في مثل هذا الخطأ ، مع أنها ــ أي الصحافة الشهرية ــ تمر بفترات تدعو إلى الاستعجال في بعض الأمور ، وهذا ما يوقعها في مثل هذه الأخطاء .



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

الصمت الآخر

قصة تقع في أربعة فصول من تأليف **بسام عبد الله**، يناقش فيها بعض الأوضاع الاجتماعية المتعلقة بالزواج والأسرة مع التعريج على بعض أساليب الحياة الملتوية التي يعيشها بعض الناس، وعن الحيرة التي تكتنف الكثير عندما يفكرون كيف يعيشون. تقع القصة في ٩٦ صفحة من القطع الصغير. صدرت عن **مطابع قطر الوطنية**.

البحث عن الزنبقة البرية

ديوان شعر للشاعر خليل العبويني، يضم مجموعة قصائد وطنية واجتماعية وغزلية، منها: «**أشواق النوارس المهاجرة**»، «**رحلة السندباد**»، «**أنا والعيد ودفتر الأحزان**»، من منشورات **رابطة الكتّاب الأردنيين**، عمان. يقع في ١٦٤ صفحة من القطع الصغير.

المعالم الأثرية

هذا الكتاب يضم ثلاثة أجزاء عن **المعالم الأثرية في البلاد العربية**. يشتمل الجزآن الأول والثاني منه على آثار من **العراق، واليمن الشمالية، والأردن وفلسطين، والمملكة العربية السعودية، وسورية**، كما يشتمل الجزء الثالث منه على آثار من **مصر**، ويهدف الكتاب إلى التعريف بالحضارة العربية داخل الوطن العربي وخارجه. صدرت هذه الأجزاء عن **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**.

موت على الماء

مجموعة قصص قصيرة تأليف **عبد العزيز مشري** يجد القارئ فيها أنه أمام رحلات نفسية توحي بجو الشارع والبيت وصخب المدينة وبمتاهات العلاقات التي يبدو الفرد غريباً فيها، حائراً أمام الزمن الراكض مرة، ومقترباً من الأحلام المستوحاة من الريف القروي مرة أخرى. من إصدار **النادي الأدبي - مطابع الاشعاع التجارية - الرياض**. يقع في ٩٦ صفحة من القطع الصغير.

دليل المسلم

تأليف الشيخ **عبد الله خياط** في طبعته الثالثة. يبحث القسم الأول منه في **الاعتقاد** ويضم ثلاثة فصول عن الإسلام ومحاسنه والدعوة إليه وأركانه، ومراتب الدين، والتوحيد وفضله، وأقسام الشرك. ويبحث القسم الثاني: **العبادات** في خمسة فصول عن الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. صدر عن **مؤسسة مكة للطباعة**. يقع في أكثر من ١٩٠ صفحة من الحجم المتوسط.

رسائل المعري

ثلاثة أجزاء شرح وتحقيق الدكتور **عبد الكريم خليفة**، يتناولها كمادة خصبة لدراسة فكر أبي العلاء المعري ومواقفه الاجتهادية لكي تقدم مادة غزيرة لدراسة نثره في إطار حياته العامة وعلاقاته الشخصية من خلال مراسلاته فضلاً عن كونها مادة مهمة لدراسة علم أبي العلاء باللغة والنحو وما يتصل بها، بالإضافة إلى ملاحظة الشارح المحقق لما ذهب إليه صاحب الرسائل من تطوير للفن النثري وإبداعه فيه صوراً أملاها عليه خياله الخصب على أساس من العلم والعقل. الأجزاء الثلاثة **من منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر - عمان**.

الكتاب السنوي

يضم هذا الكتاب ثلاثة أبواب، يتناول الباب الأول منها مجلس إدارة الاتحاد ولجانه الفنية والقوى البشرية العاملة فيه كما يتعرض لتطور لعبة كرة السلة في المملكة، ويبحث الباب الثاني النشاط الداخلي كالمباريات وما تم فيها من إصابات للأهداف والأخطاء والرميات الحرة. أما الباب الثالث فيتناول النشاط الخارجي والمقابلات التي تمت بين منتخب المملكة والفرق الأخرى في إطار المناسبات الدولية. صدر الكتاب عن **الاتحاد السعودي لكرة السلة**، ويقع في ١٥٥ صفحة من الحجم المتوسط.

اليمن عبر التاريخ

كتاب من تأليف **أحمد حسين شرف الدين**، يحتوي على عشرة فصول تتضمن تاريخ اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهو بدء قيام الدولة المعينية حتى أوائل القرن العشرين وهو تاريخ جلاء الأتراك عن اليمن. طبع الكتاب في **مطابع البادية للأوفست - الرياض**، ويقع في ٣٥٠ صفحة من الحجم المتوسط.

المنوعات الثقافية

أجزاء متسلسلة صدر منها الجزء الأول ويحتوي على **(٥٠٠) سؤال** مع إجاباتها، تدور حول **الاقتصاد، الأدب، الفن، الفلسفة، السياسة، التاريخ، الجغرافيا، الرياضيات، الطب، الزراعة، الرياضة، علم الاجتماع، الصحافة، الثقافة العامة**، مبوب حسب الحروف الهجائية، وتتكون هذه السلسلة من خمسة أجزاء. يقع الجزء الأول في (١٣٧) صفحة من القطع المتوسط، تأليف عبد المنعم شريقي، طبع مطبعة ومكتبة تشرين في اللاذقية بسورية.

صور عربية من إسبانيا

سجل فيه المؤلف عبد الله محمد الشهيل الكاتب السعودي إنطباعاته عن إسبانيا أثناء زيارته لها، وقد نشر على شكل حلقات في مجلة (اليمامة) السعودية تحت عنوان: **(الفردوس المفقود)**، مكون من (١٢٢) صفحة من القطع الصغير، مزود بالصور، صدر عن **نادي الرياض الأدبي**.

مسابقة مجلة الفيصل

إيضاح

انطلاقاً من رغبة عدد كبير من قراء المجلة المهتمين بالمسابقة في توسيع نطاق قيمة الجائزة بحيث تشمل عدداً أكبر من الفائزين، وتجاوباً من المجلة مع هذه الرغبة فقد أجرينا التقسيم المطلوب اعتباراً من هذا العدد الذي يمثل بداية السنة الرابعة للمجلة.. نأمل أن نكون بهذه الخطوة قد حققنا رغبات الكثير من أصدقاء المسابقة مع تمنياتنا بالتوفيق لكل مجتهد.

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي.. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي:
- أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال
- ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال
- ج ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي).

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة.. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص. ب (٣) المسابقة).
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.



للقارئ

يهمنا جداً في الدرجة الأولى أن يستفيد المشترك في المسابقة من المعلومات التي يحصل عليها القارئ عند بحثه عن إجابات الأسئلة، كما يهمنا أن يقضي القارئ أو يعتاد على زيارة المكتبات للاستفادة مما بها من كتب تحمل زاداً ثقافياً.

وتأتي الفائدة من الفوز في المسابقة في الدرجة الثانية، لأننا حين وضعنا المسابقة لم نكن نهدف للاغراء المادي بقدر ما كنا نهدف إلى استفادة القارئ ثقافياً.. والفوز يأتي نتيجة للجهد الذي يبذله القارئ، وبهذا ـ عند الفوز ـ يكون الكسب مرتين، مرة الكسب الثقافي، ومن ثم الكسب المادي، ومن لم يتمكن من الكسب المادي فإن الكسب الثقافي لم يفته. وهو أكبر كسب.. لأن الحكمة تقول: «المال تحرسه، والعلم يحرسك».

ونحن حين وضعنا شروط المسابقة ووضعنا من بين الشروط أنه من حق القارئ أن يشترك في المسابقة الواحدة مرتين على أن يرفق قسيمتين كنا نعطي القارئ فرصة للإجابة عن أي سؤال قد يجد له إجابتين، ويحتار في أي الإجابتين أصح.

لهذا فالمطلوب أن توضع كل إجابة مع قسيمتها في ظرف مستقل لتسهيل مهمة اللجنة في الفرز والاطلاع.

كما ننبه القارئ بأن تكون الإجابة على وجه واحد من الورق، وبخط واضح وفي حدود المطلوب، وأن يوضع رقم العدد على الظرف من الخارج، لأننا لاحظنا أن هذه النقطة تفوت على بعض القراء ربما عن غير قصد.. وهذه الكلمة للتنبيه.. والله الموفق.. وهو من وراء القصد.

المجلة

السؤال الأول :

من أول من قال في خطبته « أما بعد » ، وأول من وقف على شرف واتكأ على السيف والعصا حين يخطب ؟

السؤال الثاني :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

الموشح ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ مشوار المحاضرة ـ الأوراق ـ عيار الشعر .

السؤال الثالث :

أين تقع هذه المدن :

أربد ـ اسفي ـ عنابة ـ الحديدة ـ المنستير ـ .

السؤال الرابع :

اذكر أسماء قادة المعارك التالية :

مؤتة ـ بلاط الشهداء ـ واترلو ـ طروادة ـ وادي المخازن .

السؤال الخامس :

بدأت جائزة الملك فيصل العالمية بمنح جوائزها اعتباراً من العام الهجري ١٣٩٩ ، اذكر أسماء العلماء والأدباء الذين نالوا هذه الجائزة لعامي ١٣٩٩ و ١٤٠٠ هـ ، وجنسياتهم .

السؤال السادس :

مَنْ بنى سد مأرب (في اليمن) .. وفي أي تاريخ ؟

السؤال السابع :

ما الأسماء التي كانت تطلق على مدينة دمشق ؟

السؤال الثامن :

كم يبلغ قطر كل كوكب من الكواكب التالية .. وكم ميل يبعد كل كوكب منها عن الشمس ؟

عطارد ـ الأرض ـ المريخ ـ الزهرة .

السؤال التاسع :

ماذا تعني المصطلحات التالية :

يوتوبيا ـ بيبليوجرافيا ـ البرناسية ـ الهيلينية .

السؤال العاشر :

قام « روبرتس رتننسز » بأول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم .. متى كان ذلك .. أي في أي عام ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

العدد (٣٩)

الإسم : --

المهنة : --

العنوان : --

نتائج مسابقة العدد الثاني والثلاثين

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف ريال سعودي الأخ **عبد الحق اسطيطو** ـ ٦ ـ طريق الأندلس **طنجة ـ المغرب**.

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ **عدنان محمد داوود، دمشق ـ سورية**، مخيم خان الشيخ، مدرسة بئر السبع الإعدادية، بواسطة السيد سليم رشيد.

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ **موسى جبر أبو خميس**، مدير مدرسة طبريا الابتدائية، بواسطة السيد شريف، مركز شؤون أسر شهداء فلسطين، مقابل جامعة بيروت العربية ـ **بيروت ـ لبنان**.

وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● الأخت **فاطمة بنت عبد العزيز العلي، المدينة المنورة**.

● الأخ **محمد رجاء حنفي، ص. ب ٢٠٧٧ القاهرة ـ مصر**.

● الأخ **عبد الرحمن حمدنا الله** ص. ب ١٩٠٨، معهد الأشعة التشخيصية والعلاجية العالي، **الخرطوم ـ السودان**.

● الأخ **سعد الدين الرحموني** كلية العلوم، حي المعلمين بحي التحرير رقم ٣٠٧ ـ **تونس**.

● الأخ **محمد راتب سلامة أبو ارميلة**، كلية الطب، الجامعة الأردنية، **عمان ـ الأردن**.

● الأخ **إسماعيل شعبان فوز**، حي الرمل الشمالي، حارة علي جمال، صالون الأهرام، بواسطة عز الدين حميش، **اللاذقية ـ سورية**.

● الأخ **بدر محمد عبد الله زرعة**، محلة السلامة، عمارة الزرعة ـ **الطائف**.

أجوبة مسابقة العدد الثاني والثلاثين

ج ١ أول من أوجد **نظام البريد** في التاريخ الإسلامي **أبو جعفر المنصور** (المرجع تاريخ الإسلام السياسي).

ج ٢ **الغواصة** تعوم وتغوص حسب قانون «**أرخميدس**».

ج ٣ **نهر الدانوب**، يجري في عدد من الدول والمدن الأوروبية منها:
١ ـ ألمانيا / أولم ـ داتسبون ـ باساو.
٢ ـ النمسا / لينز ـ فيينا.
٣ ـ تشيكوسلوفاكيا / برسبودج.
٤ ـ المجر / بودابست.
٥ ـ يوغسلافيا / بلغراد.
٦ ـ بلغاريا / روز.
٧ ـ رومانيا / برايلا ـ جالاتي.

ج ٤ **المكحل** لقب يطلق على **طبيب الأنف والأذن والحنجرة**، والمكمل لقب يطلق على **طبيب العيون**.

ج ٥ قادة المعارك التالية:
١ ـ **الزلاقة** : يوسف بن تاشفين.
٢ ـ **عين جالوت** : الظاهر بيبرس.
٣ ـ **حطين** : صلاح الدين الأيوبي.
٤ ـ **الجسر** : أبو عبيدة الثقفي.
٥ ـ **البويب** : المثنى بن حارثة الشيباني.

ج ٦ **أبو القاسم الزهراوي** أول طبيب فتت الحصى في المثانة.

ج ٧ **رئيس الوزراء** أيام العرب في الأندلس كان يدعى **بالحاجب**.

ج ٨ كلمة «وزير» وردت في سورتي طه والفرقان.

ج ٩ مؤلفو الكتب التالية:
١ ـ **إمتاع الأسماع** : المقريزي.
٢ ـ **نفح الطيب** : التلمساني المقري.
٣ ـ **النجوم الزاهرة** : ابن تغري بردي.
٤ ـ **بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة** : السيوطي.

ج ١٠ من أشكال تطعيم النبات:
١ ـ البرعم.
٢ ـ اللسان.
٣ ـ الشق.
٤ ـ اللصق.
٥ ـ التقشير.

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4543026 - 4543027



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)

هاتف : ٤٥٤٣٠٢٦ - ٤٥٤٣٠٢٧



EUROPE - AMERICA - ASIA

Delgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R.250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض